كتاب

صفعة إذلال لترهات أيلال



المؤلف

عبد الرزاق الجوزي

صفعة إذلال
لترهات أيلال

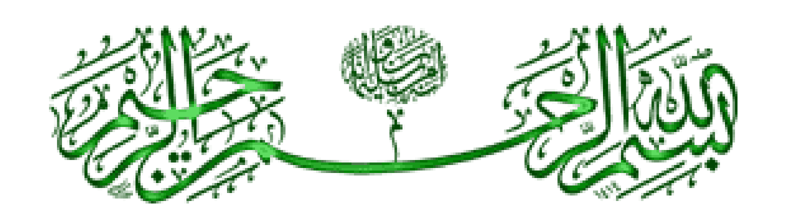
بيان أكذوبة وأغلوطة وتفاهة البحث المسمى

(صحيح البخاري نهاية أسطورة)

لجامعه : رشيد أيلال

الإصدار الأول

الكتاب : صفعة إذلال لترهات أيلال
المصنف : عبد الرزاق الجوزي
العنوان : الحوز / مراكش/ المغرب
الهاتف : 0662639093 (212)
الإيميل eljouzi93@gmail.com



مقدمة المصنف

الحمد لله البارئ الخالق المعز المجيد الرازق ، القائل في كتابه الشامخ السامق { بَلْ نَقْذِفُ بالحق عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ } ، والصلاة والسلام على الهادي الرشيد صاحب الحكمة والمنطق السديد ، سيدنا محمد البشير النذير والسراج المنير ، يقول وهو يرشدنا إلى أقوم المسالك: ((تركتكم على البيضاء، ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلاَّ هالك))، وعلى آله الأخيار وصحابته الأطهار ومن سار على نهجهم وطريقتهم إلى دار القرار.

وبعد .

فإني أومن يقينا أن مثلي ممن ليست له معرفة زكية ورتبة سنية، ولا ذا وجاهة علمية ومنزلة علية، ليس أهلا لاقتحام الميدان ، واعتلاء الصردان ، فليست لي العدة المطلوبة لخوض هذا اللجاج وركوب مثل هذه الأمواج ، ولكني آثرت خوض الغمار ، والرمي بواحدة من الجمار ، نظرا لأن من لهم الأهلية والعدة لذلك تواروا أو استنكفوا عن تلويث ألسنتهم وأقلامهم بمثل هذه النبحات ، وقد يكون معهم حق في ذلك باعتبار أن تدخلهم هو ما يريده أولئك السفهاء، ليزيدوا إشهارا لأراجيفهم وتضخيما لخدودهم، ولعلهم تمثلوا مقالة الشاعر: لو كل كلب عوى ألقمته حجرا * لأصبح الصخر مثقالا بدينار، أونزلوا قول الإمام أحمد رحمه الله : أميتوا الباطل بعدم ذكره ، فتركه يعني اندثاره ، والرد عليه قد يسبب إشهاره .. بيد أن أغلب عوام المسلمين من الشباب والشيوخ ومن طلبة العلم أيضا مثلي ، لا يملكون من سلاح العلم والمعرفة ما يمكنهم من الثبات والتحمل أمام مثل هذه السحب المعتمة ، التي وإن كانت عابرة فلابد أن تترك في بعض النفوس أسئلة واستفهامات ، قد تزعزع ثقة المسلم بثوابته ومقدساته ، خاصة أن مثل هذه الأسئلة طالما تطرح وتتردد ، من قبيل: إذن فأين العلماء ، هل أفحموهم ،؟ ما دورهم ؟ ..الخ، رغم أن تدخلاتهم لا تمت إلى العلم والبحث العلمي بصلة فما هي إلا سبٌّ وتكفير، وهمز ولمزٌ وتعيير ، و إيهامٌ وتلبيسٌ وتغرير ، هذا النَّمط القديم المعهود ، المتكرر المرصود ، من الطعن والهمز والتشكيك والتلبيس عشناه وتعودنا عليه وألفناه من بعضِ المفكِّرين (المطموسين) من الحداثيين المعاصرين ممن تربى على إكبار الدخيل وإجلال العميل، وجحود النصير وكُفران العشير، قرآنا وسُنةً، وتراثا وتاريخا وحضارةً، وقيِمًا وفكرا ، يضاف إلى ذلك نمط نتن

وجنس عفن من عصابة الغلمان وزنادقة بني علمان ، التي استولت على جل الصحف والجرائد ، فتراها تبث سمومها صباحا ومساء ، للتشهير والتبجيل من جهة ، وللترهيب والتخجيل من جهة أخرى

كان كل هذا حافزا لي أن أفكر في وضع هذه الصفحات لطلبة العلم مثلي وللشباب التائهين والمشدوهين بشُبهاتهم وهي كلها أكاذيب وأُغلُوطات ، وأراجيف وخزعبلات ، ليعلموا أن الحق أبلج والباطل لجلج ، وأن الحق يتوارى ولكن لا يتيه ، فللباطل جولة وللحق صولة.

وسيدرك القارئ المنصف وهن بيوت العلمانيين والملحدين وشبهاتهم ، وسيرى كيف تهاوت شبهات أيلال ومن يدفعه ومن يناصره ومزاعمهم الواحدة تلو الأخرى ، و ما بني على باطل فهو باطل ،

فلصفع خدودهم ولدمغ باطلهم نضع هذه الصفحات _كما قال أحد الغيورين القلائل الذين كسروا الصمت_[1] : دفاعا عن الإمام البخاريِّ.. كشخصية خلدها التاريخ بأعمالها وإخلاصها وصلاحها ، دفاعا عن البخاري راويا وجامعا لأقوال خير الأنام لا تقديسا، ففي البخاريُّ هويتنا وانتمائنا، وأصالتنا، يحفظها لنا ، وغيرُه هو مَنْ يقاتِل تحتَ أسماء مشبُوهة وأعلامٍ مدْخُولة ، تزلفا للغرب وتقرُّبا..وأخذا بأهداب الحضارة الجديدة المزيفة ..!! وأنى لهم أن يصلوا إلى تلاميذ تلاميذ البخاري ،إذ أن الفرق بينهم وبين أولئك الأئمة الأعلام كالفرق بين الندى والمطر، أو بين الياقوت والحجر،!

وإن من حكمة الله أن يبتلي عباده بأعداء من جنسهم، ليشككوهم في دينهم و يُلبسوا عليهم في عقيدتهم، و يطعنوا في ثوابتهم، و كثيراً ما يسددون سهامهم إلى أصل من أصول الدين، كالحديث النبوي، فيلقون في ذلك الشبه، و يولدون الشكوك، خداعاً للصغار، و صرفاً لضعفاء العقول و الأفكار عما فيه سعادتهم و هدايتهم إلى الطريق المستقيم.ولو شاء ربك ما فعلوه ، ولكن ليميز الخبيث من الطيب ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، فتركهم في غيهم يعمهون وهم عن الصراط لناكبون ،

وهكذا ستستمر المعركة وتدوم المكيدة ما بقي الإسلام ، وستستمر العداوة والمناورة ، كلما انكسر في يدهم سلاح انتضوا سلاحاً غيره ، وكلما كلت في أيديهم أداة شحذوا أداة غيرها ، فهم شياطين الجن والإنس ، وليس بعزيز على الله أن يمحقهم ويخزيهم ولكن لحكم يعلمها ، كما قال تعالى (ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ)(محمد4)

ونحن اليوم حذاء جولة من جولات تلك المعركة ، وإزاء جندي من جنودها ، وبيدق في لوحتها ، الذي تنكر للدين والهوية ، وحاد عن السوية ، فمد يدا عفنة إلى أعلى القمم ليلطخها ، وإلى أضوء الوجوه ليلطمها ، ونحن بإذن الله سنجازيه على الصفقة بالصفعة ، وسيسجد لسهوه بركعة ،

إنه ليس من السهل بمكان الإحاطة بكل ما في صفحات هذا الشخص والرد عليها ، فقد استسهلت ذلك في بداية الأمر ، وما إن توسطت الكتاب أو قبله بكثير ، حتى وجدت أن الأمر أصعب مما أتصور ،

[1] _ وهو السهم المسدد والسيف المهند ... الدكتور محمد زين العابدين رستم أستاذ التعليم العالي في كلية بني ملال

ذلك أن الكاتب _وبما أنه ينقل من الروابط والصفحات والمواقع والمنتديات _ تراه يختلط بين الفصول والأبواب ، فتراه يخصص بابا لانتقاد علم الحديث وآخر قبله لانتقاد طريقة تدوينه ، وآخر لمشروعية التدوين وآخر للقدح في هذا الغلم ، وآخر للطعن في رجاله ، وآخر للقدح في الصحابة أنفسهم ، وما تكاد تنهي موضوعا من جهة حتى يعيده بأسلوب آخر وبادعاءات من جهات أخرى ، تيهان ودوران وتخبطات وهذيان ، فهو أشبه بكلام سوقي لا بداية له ولا نهاية إنما هو تهتهة وتهاية ،

لهم ألف وجه بعدما ضاع وجههم ** فلم تدر فيها أي وجه يصفع

ورغم كل الصعوبات فقد تتبعت الكاتب في طعوناته وسقطاته خطوة خطوة ، وبينت أقوال العلماء فيها ، وردودهم على مثيريها ، معتمدا في الغالب على الأسلاف ، وما رجحوه في كل خلاف ،

ثم إني عزمت في أول الأمر أن أترك ترتيب الكتاب وفصوله حسب ترتيب الشبهات والطعون والزلات المتناثرة في كتابه، ولكنه يظهر مبعثرا وللدهن مشتتا ، فقررت أن أعدله وأرتبه حسب أنواع الشبهات وتصنيفها ، فقسمته على سبعة أبواب بدأت بعد المقدمة والتمهيد بالتطرق لمنهجه وأسلوبه ولمصادره ومنابعه والإشارة بلمحة لنظرائه وأصنافهم ، وأفردت الباب الثاني جامعا وملما بكل التهم والإدعاءات والطعون والشطحات التي أثارها حول الإمام البخاري وكتابه ، وفي الباب الثالث ذكرت ما سطره عن الرسول الأكرم وصحابته الكرام من الهذيان والأباطيل ، وفي الباب الرابع تناولت بالرد والتفنيد مزاعمه حول السنة والحديث وعلومه ورجاله وما أثار حول صدقيتها وتدوينها ، فيما فصلت في الباب الخامس كل الأحاديث التي طعن فيها أو في ألفاظها ، وتتبعته في ذلك حرفا حرفا ، ثم رأيت أن أخصص بابا سادسا لما أثاره من شبهات وشكوك حول القرآن الكريم ، لأختم بباب سابع حول مفهوم الإجماع ، وفصول هامة وخاتمة ،

هذا وإني لم أقصد بسطوري هذه بيعا ولا تجارة ، ولا سمعة ولا شهرة ، ولا أدعي العلم ولا أبتغي الصدارة ، إنما خنقتني الغيرة على ديني وسلفي ، إذ رأيت نبتة عفنة تسلقت أسوار الحديث فقصصت ما تمكن لي من قصه ، دفاعا عن حياض النبي وسنته ، فهذه الصفحات هي سهمي الذي أضرب به مع إخواني ذبا عن دين الله وعن رسول الله ﷺ وسنته. حاولت الصفع رغم قصر الباع

لكن قدرة مثلي غير خافية ** والنمل يعذر في القدر الذي حملا

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

حرر بأبادو جهة مراكش في :
18/ربيع الأول1439 الموافق لـ 7 دجنبر 2017
عبد الرزاق الجوزي

<تمهيد وتوضيح>

وجه الصواب في مثل هذه .. السكوت أو الكلام

مما ينبغي التنبه له والتنبيه إليه والإعتراف به قبل كل شيء : أنه ليس من طريقة أهل العلم والإيمان تتبع المتشابهات والإشكالات المخالفة للمحكمات وإثارتها – خاصةً عند العوام – إذ هذه الطريقة طريقة أهل البدع والضلال ورثوها عن المنافقين.

وفي نفس الوقت ، ليس من منهج أهل العلم والإيمان السكوت عن الشبهات والإشكالات التي تثار وتنشر على رؤوس الملإ، فعندهم من الحق والعلم والهدى والضياء ما يقذفون به الباطل فيدحره، قَالَ تعالى:{ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ } (الأنبياء:18)، وقَالَ سبحانه:{فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ} (الرعد:17).

فالكلام في مثل هذه الأمور ونبش مثل هذه الخفيات لا شك أن له ضررا بالغا وسلبيات عديدة ، غير أن ضرر السكوت ومفاسده وذلك إذا أثيرت الشكوك والشبهات أبلغ وأشد ، _حسب ظني_ ، فهو يعد عند البعض عجزا وعيا ، وعند الآخر إقرارا وتسليما ،

ففي مثل هذه الأمواج المتناطحة من الفتن والشبهات المشهرة لا يعذر فيه طلبة العلم والأئمة والوعاظ ، فضلا عن العلماء ، ولا يسعهم السكوت , إذ السكوت في مثل هذه الأحوال عار وتخاذل وأخشى أن يكون ذنباً عظيما وجرما كبيرا ، إذ أين أخذه تعالى الميثاق على العلماء ببيان الحق ؟! فمتى يتكلمون إذا لم يتكلموا الآن؟! ومتى يفصحون بكلامكم عن نصرة الإسلام إن لم يفصحوا الآن؟! ومن يذود عن حرمة الدين وحرمته وحماه ومتى إن لم يسمع صوتهم ولم تتحرك أقلامهم الآن ؟

إذا كان قلبي لا يغار لدينه فما هو لي قلب ولا أنا صاحبه

فأدنى شبهة قد تثير الشكوك لدى صاحب القلب المريض وأدنى فتنة تزلزل قدميه وترده على عقبيه، قال تعالى: {لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ...} (الحج53)

لذلك أرى أن الأمر يزداد يوما بعد يوم في ظل سكوت الغيورين عامة وغياب العلماء خاصة ، وأنا أحملهم الدرجة الأولى من المسؤولية ؛ لأنهم المحرك الرئيس في أي قضية في أي مجتمع إسلامي ، ولأن عليهم دورا يجب أن يقوموا به . فيجب أن يكون في ترتيب أولوياتنا تقديم الذب عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعن سنته ، وعن هذا الدين ورجاله بصفة عامة ، ويجب أن تكون هذه القضية همّ الجميع ، وينبغي أن تدرس ، ويجب أن يتكلم عنها ، كما يجب أن تكون همّ الطالب والأستاذ

والإمام والواعظ ، والصحفي والإعلامي ، وهمَّ عامة الناس ، ولا نقتصر على الحوقلة والقول إن هؤلاء شواذ أو سخفاء أو ضالون وما إلى ذلك ... فهذا لا يغني عنا من الله شيئا ،

فما ينفع الجرباء قرب صحيحة ** إليها ولكن الصحيحة تجرب

وإني لم آخذ الزمام لأجادل وأناظر صاحب الكتاب فمثله لا يناظر ولا يناقش في المسائل الفرعية والتفصيلية من أمور الدين ، بل يجادل في الأصول حتى يذعن للحق بالبرهان ، أو يعاند ويستكبر فيظهر مصيره للعيان ، قلت لم آخذ الزمام لذلك بل لأبين لطلبة العلم مثلي وللعامة قول العلماء ، محاولا نفض بعض الغبار عن وجه الحق ، ودحض درن الشبهات ورمد الشكوك عن أعين الخلق ، ففي مذهب العلماء لا تُناظَر الطوائف الضالة في فرعيات الدين، أو المسائل الاجتهادية، وإنما تُناظَر في الأسس والأصول. فلا يُناظر الكفار، في عدد الصلوات، وعدد الطلقات ، وحجاب المرأة ، وإقامة الحدود ، ونحو ذلك. إذ من الخطأ المبين: أن يجادل من لا يؤمن بالله، بأحكام الله.

فإذا كان أعداء هذه الأمة وخصوم هذا الدين يصطنعون الطعونات ويؤلفون الشبهات حول ديننا وعقيدتنا ، ويعقدون لذلك مؤتمرات وتنفق أموال وتجند طاقات.. فمن واجبنا أن نرد حسب علمنا وحسب قدراتنا وطاقتنا ، لا أن نتوارى وننسحب من الميدان ، وإن تقصير العلماء والدعاة في إيصال دعوة الحق هي التي خولت للسفهاء والمتطفلين والخبثاء المتربصين الخوض في دين الله وفي أعراض رجاله فأصبحت الأمة بذلك مرتعاً للرويبضة .

يا لساني كان الكلام حراماً فانطق الآن فالسكوت حرام

ونحن نعلم _ولعله عذر الصامتين_ أننا قد نقدم له خدمة للترويج لباطله والدعاية المجانية لغثائه ، غير أننا نرجو أن تكون كبتا له، وتبكيتا لتفاهته وإظهارا لسوءته ، وفضحا لنيته وخططه ،

ويجدر تنبيه القارئ أنه قد يبدو له نوع تكرار في بعض الفصول أو لبعضها ، ولكنه إذا تمعن يجد أنها تكررت بعبارات ودلالات أخرى ، أو لشبهة أخرى مغايرة للأولى ، كما لا يستبعد أن تكون في بعض الفصول تقاطع وعدم تنسيق وهذا راجع بالأساس إلى تبعثر كتابه ، فقد تتبعت فصوله وعباراته فأضطر للتنقل معه من موضوع لآخر تبعا لأسطره وهروبا من تخصيص فصل لكل عبارة .

هذا وإني إذ أضع كتابي _المتواضع_ هذا أرجوا أن يكون منطلقا لزملائي الأئمة والوعاظ والدعاة وطلبة العلم للإستعانة به لتبيين قول العلماء ودحر ادعاءات السفهاء، وإظهار وجه الحق لعامة الخلق ، ملتمسا من كل مطلع على كتابي هذا أن يصلح عثراته ، ويقوم زلاته ، فهو ملك لكل مسلم ومسلمة يتطلع إلى معرفة القول الفصل من الإدعاء الهزل ،

(إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾)(هود 88)

الــبـــاب الأول :

إحاطة بالكاتب ومنهجه ومصادره وقرنائه

قال تعالى : [وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ] (آل عمران 78)

حقيقة الكاتب وأهليته لاقتحام الميدان

كتب الأستاذ محمد بوالروايح في بعض مقالاته قائلا : ينتمي رشيد أيلال فكريا إلى ما يمكن تسميته "المدرسة الفكرية الرافضية" التي تضم كتابا علمانيين متسترين وراء "حرية التفكير" التي لا تقف عند حدود بل تطال المقدس وغير المقدس، وتدعو إلى رفض النص الديني الذي شكل -كما يزعمون- على مدار التاريخ العربي الإنساني الشخصية النقلية القاصرة عن إدراك الحقائق التي تختفي وراء النصوص والتي لا سبيل إليها إلا بالاحتكام إلى العقل للحكم على النقل. أهـ

قلت : إننا لو شئنا استقصاء أعمال أيلال واختبار حقيقته ورصيده المعرفي ؛ لن نعثر على شيء يملأ فما ولا يدا،!! كل ما يعرف عنه أنه صحفي بجريدة "رسالة الأمة" المغربية، وله عدة مقالات وخرجات في هذا المجال منشورة في بعض المجلات والمواقع الإلكترونية، كما أن له محاضرات محتشمة مضحكة بعنوان "انتحار الفقيه" في قناته على اليوتوب، هذا ما يمكن أن يذكر عنه ، وما عدا ذلك فلن تسمع له ركزا ، ولن تجد بئره إلا نكزا ، أما تسويق الإعلام ونفخه وتطبيله له وما فضل أن ينعت به نفسه أنه كاتبٌ باحث في نقد التراث الديني وعلم مقارنة الأديان، فهو مجرد وسوسة نفس وحمى رأس ، لايعدو علمهم وزعمهم (أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ)

إن مدة سبع سنوات من التعليم الإبتدائي (العصري) لا تخول للشخص طرق باب الحديث وانتقاده ونقده ، ولا تبرر التطفل على ميدان العلم الشرعي ، وانتقاص أهله ورجاله ، وإن معرفته لصق أغصان الشجيرات وجمع الأعضاء في التربية التشكيلية ، وحفظ أنشودة أرسم ماما أرسم بابا لا يعني قدرته على نقد علم له مئات الآلاف من الرجال البارعين المتخصصين ، وحتى لو تحققت له جميع العلوم وانقادت له جميع الفنون ، فسيكون من علامات خرقه أن يتعرض لآلاف الرجال بل مئات الآلاف بالطعن والقدح ، ويجابه إجماع الأمة بالتشكيك والتكذيب ،

ولو كانت لديه حفنة من المروءة أو حوت جمجمته قليلا من أبجديات العلم ، لمـــا ســـمح لنفـــسه أن تخوضَ فيما لا تعلم، ولما ظلم الحقيقة العلميّة عندما يتحدّث _بالهمز واللمز_ عمّـــا يجهـــل! ويقـــتحم المعركة بشفرة الاسكاف _كما يقال،

فمستواه الدراسي ورصيده المعرفي لم يخول له حتى قراءة كتب المتقدمين دون شيخ ، فكيف بمزاحمة أرباب الكراسي والجبال الرواسي ، من أمثال ابن تيمية وابن حجـــر ومـــن دون مكـــانتهم ، فكيـــف بالبخاري والدارقطني .. فكيف بعلماء وفقهاء التابعين ومن تبعوهم وأخذوا منهم !!

لربما جاءت فكرة الكتابة والتصنيف للكاتب عرضية ، وقواها مرض العجب والغرور اللذين عشـــشا على جمجمته ، ظانا أن البحوث والتصانيف لا تختلف عن تسبيك الأخبار وإنشاء المقالات والتعـــاليق على الجرائد ، فهل هو مؤهل لخوض غمار هذا الفن بهذه الجرأة ؟ وهل له العدة والعتـــاد اللازمـــان لاقتحام الميدان ؟ هل له دراسة في الموضوع وتمرس ؟ وهل سبق أن استفاد من تكوين ؟ وهل له فيه تخصص . ؟ الجواب _طبعا بالسلب_ يعرفه القاصي والداني ، فمتى أثنى ركبته بين يدي شيوخ هذه العلوم ، وكم من كتاب شرعي درس وكم متن حفظ ،؟ كم استغرق في حفظه ودراسته لكتب الحـــديث وكم قرر عن رجاله وطرقه ،؟ إنه لزمان عجيب وأهله أعجب ، والمثير _في عصر التخصـــصات الدقيقة _ أن يرفض سدنة تلك التخصصات تدخُّلَ أحد في فنونهم بالإجمال أو التفصيل ، ثم يستبيحون جميعاً حمى التفسير والحديث والفقه والعلوم الشرعية بصفة عامة ! ذلك أن أبواب الـــدين وعلومـــه مشرعة للصاعد والنازل بلا بواب ولا حاجب ، والله سبحانه يقول : ولا تَقْفُ ما ليسَ لكَ بِهِ عِلْمٌ .

إن من دلائل النفس السوية، ومن لوازم المروءة والفطنة: أن لا يخوضَ المرءُ في علم يجهله، وأن لا يتكلَّم فيما لا يحسنه. فكما لا يحق لي أن أشكّك في علم الجينات الوراثيّة، لمجّرد أني التقطتُ معلومـــة من هنا وهناك، دون دراسة متعمّقة متخصّصة، وكما لا يصح أن أُجَادل علماء الآثار والحفريّات فـــي النتائج التي توصّلوا إليها، ما دمت غير مشارك لهم في بحوثهم ولا مدقق في التخصُّص الذي دقّقـــوا وتعمّقوا فيه ، فكذلك لا يحق لي _بحال من الأحوال_ أن أنتقد علماءَ السنّة ورجال الحديث، ولا يصح أن أعارضهم، ما دمتُ غير عالمٍ بفنهم ولا ملم بعلمهم ، ولا معرفة لي بدقائقه الكثيرة وبأعماق علومه العديدة . ولكن هذا للعقلاء الفطناء ، والصلحاء الأتقياء ، أما الكاتب فلم يقصد العلم والـــصلاح ، ولا دفعته الضرورة والحاجة بل طنن له الشيطان بالفكرة فقفز إلى السماء وشغل الحاسوب ، فخيل إليه أنه أتي قوة سليمان وحكمة لقمان ، وأنه اكتسب قدرة تؤهله للخوض ولإنهـــاء أســـطورة ، وأنـــه بهـــذه الصفحات سيدخل التاريخ من بابه الواسع ،

والحق أن مثل هذه الكتب إساءة إلى الباحثين والكتاب بصفة عامة ، وإساءة لمثقفي المغــرب بــصفة خاصة ، خصوصا أن الكتاب استهل بمقدمة ضخمة في الإطراء والمدح ، كما سبق بإعلانات وضجة مثيرة أثيرت حوله، يفترض ويخيل للسامع أنه بحث منقطع النظير وذو أهمية بالغة وقدر كبير ،
والحق أن ما وصف به نفسه وما وصفه به الإعلام المؤيد ، لا يمت إليه بصلة ، فحقيقته عكس ذلــك و حجمه المعرفي دون ذلك ، فلا بحوث لديه ولا تخصص ولا اطلاع على الأديان ،
إنما حاله كقول القائل : خطبت فكنت خطباً لا خطيباً أضيف إلى مصائبنا العظام
إنك لتعجب من أمر الزمان وأهله ، كيف يقحم نفسه في علم الرواية وهو فيها عيّ جاهــل لا يعــرف أصوافها من أوبارها، ولا يفقه شيئا من أصولها ولا فروعها ، كيف تسول له نفسه أن يحمل (ماوسا) ببضعة دراهم ، (ولا أقول قلما) لينتقد البخاري الذي درس وحفظ وحدث وضــبط وانتقــل وســافر ، وأفنى وردة صباه وزهرة شبابه وثمرة كهولته ، وأوراق شيخوخته ، في هــذا الفــن ، حتــى حفــظ الأحاديث برجالها والرجال بأحاديثها ، يعرف عن الرجال أكثر مما تعرف عنهم أمهاتهم ، عرف عن كل رجل أين ولد وأين تعلم وأين سافر ، وممن أخذ وكم ومتى.. ؟! باللفظ والصيغة والحالة الإشارة ، حتى إنهم عدّوا أغاليط من غلط في الإسناد والمتون ، بل تراهم يعدون على كل واحــد مــنهم كــم ونوع غلطه في الحديث ، وفي كل حرف حرّف ، وماذا صحّف ، فميزوا بين من قال حــدثنا ومــن قال أخبرنا ومن قال أنبأنا وغيرها، واكتشفوا من دلس ومن أخفى ، وعرفوا من قصر ومن أوفى ،
هو ذا البخاري الذي مشى وسعى وسمع فأصغى وكتب وجمع فأوعى ، قبل ظهور شعيرة بوجهــه ، ليأتي الكاتب ولم يعرف أي شيء عن الرواية ولا عن رجالها ولا من العلوم إلا أبجــدياتها ، ليــصنع _زاعما_ أسطورة وينهيها ، فهل هذا فيلم من أفلام هوليوود ، وهل خيل للكاتــب أن علــم الحــديث وفنونه ورجاله كالتلوين بالملونات الخشبية على صفحات النشاط العلمي ؟
فمن الذي فوض له التحدث باسمه ، ومن الذي أعطاه الإذن بتمثيله ، هل سولت له نفسه أنه بإمكانــه إخراج الأمة ومثقفيها من تخبطاتها وتناقضاتها المفترضة كما زعم ؟ إذ حاول إبراز العلة والدافع لــه إلى ركوب هذه الأمواج بقوله (العالم الإسلامي يعيش حركة غير مسبوقة في انتقاد التراث الديني، .. بل إن النقاش انتقل من الوسط الفكري، الذي يضم العديد من المثقفين والباحثين، إلى الوسط الديني7)
والصحيح الصريح أن العالم الإسلامي يعيش حروبا فكرية تغريبية ومعارك ساخنة ، وُظف فيها أبنــاء جلدته ، والناطقون بلغته ، ولم تنتقل من الوسط الفكري إلى الوسط الديني _كما يزعم ويخيل إليــه_، بل الأول يطعن ويلطخ والثاني يدافع وينافح .. فهل يريد الكاتب أن يخدعنا بأن دعاة التغريب وعملاء الصهيونية والصليبية من الوسط الديني ، ؟ كلا وحاشا !!

وأنا أعلم أنه إنما يقصد بقوله (الوسط الديني) أستاذه أحمد صبحي منصور الذي ينسبه إلى الأزهر والحق أنه طرد من الأزهر ، أو أبا رية الذي فصل أيضا عن الجامعة ، ولا يوجد أحد ممن ينتسبون للوسط الديني يخوض في مثل هذه النقاشات ويتبنى مثل هذه السقطات إلا من ذكرنا أسماءهم ،
عجيب كل هذا ، والأعجب منه هم أولئك المطبلون والمزغردون لهذه التفاهات والسخافات وهم يعلمون تفاهتها وركاكتها ، ونحن رأينا أقلاما وجهات لطالما سخرت واستهزأت من أفكار وأعمال بدعوى أن العقل السليم لا يتقبلها ، كما هاجمت أفرادا أو جماعات تعاطوا لفنون أو مهن أو مواضيع بدعوى أنهم ليسوا أهلا لها ، فقد هاجمت وسخرت مما يسمى بالطب البديل (طب الأعشاب) بدعوى أن المتعاطين له غير مؤهلين له، وهاجمت أسرابا من الدعاة والمتدينين بدعوى عدم تخصصهم وتمكنهم في الدعوة والفتوى ، رأينا كم سخرت واستهزأت سواء من ضعف مستواهم الدراسي وتحصيلهم العلمي، أو من تطاولهم على تخصصات بعيدة عنهم. وها هي ذا الآن تستعمل مكيالا آخر في التقييم، وقواعد أخرى في التحكيم. ولكن لنيتهم المبيتة المدخولة سوقوا له ، واستعملوا معيار نزواتهم وغرائزهم ، فصفقوا للباحث وبحثه ، وإن كانوا يعلمون يقينا أنه أبعد عن مناهج البحث وغريب عن الميدان.
إن التعامل مع كتب الحديث وبالأخص الصحيحين يجب التفريق فيه بين من له دراية بعلم الحديث وأهليته، وبين عامة الناس، بل ربما يقال حتى من طلبة العلم الذين ليس لديهم الأهلية في علم الحديث.
فأما المشتغلون بعلم الحديث ، المتفرغون له المتخصصون في علومه وفنونه ، فهؤلاء لهم أن يناقشوا أي حديث حتى وإن كان في الصحيحين، فنحن لا نجرم النقد العلمي المنصف النزيه إذا جاء من أهله، شرط أن لا يكون ببدعٍ من القول، ولا بدافع من الهوى والحقد ، وإنما على ضوء القواعد الحديثية المعروفة، ومن خلال كلام من تقدم من أهل العلم، إذ شتان بين ناقد بصير باحث عن الحقيقة يصدر في نقده عن علم، وأدب، وناقد يبخس الناس أشياءهم بدافع الجهل أو الهوى.
قال أحمد السرار : نحن في حاجة لأقلام مسئولة عما تكتبه، فالسرقات العلمية أمر لا يليق بمن يريد إسقاط "صحيح البخاري"، وأخطر ما في البحث العلمي هو النقد بدون توثيق. لذلك من العيب أن يسعى الإنسان إلى الشهرة أو التجارة ويكون من الذين {يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا} في قضايا علمية دقيقة، يصعب على غير أهل التخصص مناقشتها.[2]

[2] - منشور على موقع هسبريس بتاريخ 1-دجنبر-2017 للأستاذ أحمد السرار باحث متخصص في الفكر الإسلامي والأديان

النية المبيتة وراء بحثه

يدعي الكاتب في صفحاته كما يدعي أساتذته (ومطبلوه)، أنه إنما رام بأطروحته هذه عقلنة النص الإسلامي و تنزيهه من المرويات التي تجافي العقل و تنافي المنطق ، كما يدعي أنه إنما يفعل هذا دفاعا عن السنة التي تعرضت حسب زعمه لكثير من التسفيه و التشويه ،!

(وليس إلا خرافة من الخرافات المؤسسة لهاته الأ سطورة التي وجب أن ننسفها نسفا ، بنقول من كتب التراث نفسها ، والتي يقدسها هؤلاء الشيوخ الذين تمكنت منهم الوهابية ، المكفرة المقلدة أيما تمكن ، فسخرتهم للدفاع عن با طلها ، فكان الثمن غاليا ، وهو تشويه الإسلام السمح .. ص 130)

والحق أنه لا يدافع عن السنة ولا عن الحديث ، ولا يبتغي ذلك ، وكيف يدافع عنها وهو لا يؤمن بها ولا يكن لها أي تقدير أو احترام ، هذا على اعتبار أنه قرآني ، أما والعكس هو الصحيح ! فليس قرآنيا ولا كتابيا ، ولا علاقة له بما يدعيه ، بل هو علماني لا يؤمن بالدين بله فروعه ، فأي طفل وصبي يمكنه كشف كذبه وخداعه ، إذ كيف لمن يدعي عدم وجود شخص اسمه البخاري ويدعي كذب الحديث وعلومه ورجاله ، أن يصدق أنه يدافع عن السنة ، أي سنة وأي كتاب ،؟! اللهم إلا إذا كانت سنة الكنيست وصحيح الكونغرس ، فعند ذاك نقول نعم ،

ونحن لا ندعي أننا على علم بغيبه ، أو نحاول أن نشق عن قلبه ، كما قد يقال ، لكننا استنبطنا حكمنا وأيدنا زعمنا بما خطته أنامله ونطق به لسانه ، وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا.

إن أي مطلع على الكتاب وأي متتبع للساحة تتكشف له بعفوية ووضوح نية الكاتب من صفحاته ، وغرضه من رمي أكذوبته ، وسيدرك أن نقد صحيح البخاري ليس إلا مطية ركبها رشيد أيلال من أجل أن يمهد بها الطريق مستقبلا لكتابات أكثر جرأة على الإسلام وأشد وقاحة على رجاله وسلفه ،" فكل ذلك مجرد مناورة وتقية ، قصد من خلاله لفت الأنظار إلى شخصه ، وتهيئة أرضية لبحوثه ، التي ستتمخض عنها أقلامه الوقحة في مستقبل الأيام ، والدليل على ذلك أنه لم ينتظر مرور شهور ولم يترقب سكوت الأصوات المستهجنة والأقلام المهاجمة ، حتى خرج بتصريح مثير وعجيب ، يدعي فيه : أن "القرآن لم يحرم البغاء في حد ذاته ولكن حرم الإكراه على البغاء"، ! ! وأن "البغاء كان موجودا في المجتمع في عهد الرسول ولم يوقفه، وأن "الإسلام لم يحرم الجنس خارج مؤسسة الزواج"، ! وأنه ليس فيه ما يدل على الحجاب ،! ثم صرح أنه يعمل لإصدار كتاب جديد حول الحريات الجنسية في القرآن ، وسيحاول من خلاله إثبات أن العلاقات غير الشرعية جائزة بنص القرآن .. إلى آخر طممه وحماقاته ، جاء ذلك في حوار له مع (مجلة تيل كيل).

إن السعي إلى الحكم واعتبار البخاري وكتابه الصحيح أسطورة هو في حد ذاته تطفل فـادح وتجـرؤ فاضح ، وقدح في الإسلام برمته ، ورغم كل ذلك فهدف الكاتب لا يقف عند إنهاء أسطورة البخـاري أو تنقية الحديث .. وما إلى ذلك ، بل الأمر أعظم من ذلك بكثير كما بينا، إذ لو كان ذلك هدفه لما أطنب في فصله الرئيسي (تدوين الحديث) الذي اعتمد عليه وهو معوله وسم خياطه ، وخـصص لـه لوحده أزيد من 54 صفحة ، وقد قال في مقدمته : (وقد أفردت فصلين كاملين من هذا الكتاب لمناقشة ما أ لقت عليه آفة تدوين الحديث و آفة علم الحديث، لنقف جميعا على عيوب هذا الذي يطلق عليه «علم »الحديث، ، ص9) وانظر إن شئت فصوله الآثمـة » » «آفة علم الحديث » . « ليس علما » «أكذوبة «علم » الرجال » . «جناية الحديث»

ونقول بعبارة أخرى : إذا كان العنوان والموضوع هو " نهاية أسطورة البخاري " فمـا الغايـة مـن تخصيص حيز كبير لمناقشة عدالة الصحابة ، والإسهاب في ذكر خلافاتهم ، والنبش في حياتهم ، ثـم ما الحاجة إلى السعي لإثبات نهي النبي عن كتابة أو تدوين الحديث ؟؟

إن هذا لا يدع مجالا للشك أن الخصومة ليست مع البخاري وحده ، ولا مع كتب الحديث وحدها ، ولا مع الرواة ومن رووا عنهم ، ، بل لحاجة في نفسه أو حاجات ، أبى الله إلا فضحها ،

وهي لا تعدو أن تكون سعيا وراء شهرة وهمية، أو من أجل الاسترزاق أو خدمة لأجنـدات أسـيادهم أعداء الإسلام، في الوقت الذي تعمل فيه الأمم الأخرى على إحياء تراثها وتعتز برموزها .. ومعلـوم أن تحطيم العلماء يشكل بداية وجبهة لتحطيم التراث .. ومن المؤكد، أن تحطيم تراث الأمة الإسلامية سوف يؤدي إلى إحداث شرخ بين ماضيها وحاضرها فيتحقق الهدف المرسوم لها.

لقد أصبح انتقاد الدين _في الآونة الأخيرة_ أقصر الطرق وأيسر السبل للشهرة والإسترزاق ، فيكفيك لتتجه الأنظار نحوك وتوجه الكاميرات صوبك أن تتكلم في الدين بالنقد والطعن ، وتتعـرض لرجالـه وأنصاره بالهمز واللمز ، فمن يفعل ذلك يكون قد فك شفرة الشهرة ، واعتلت نفسه قمـم الـشهوة ،،، وقانا الله أسباب الخبال وأبعدنا عن طرق الوبال .

أسلوبه ومنهجيته في كتابه

لم ينهج الكاتب في صفحاته منهجية البحث ولم يتقيد بقوانينه وتعاريفه ،ولم يتصف بأي شـرط مـن شروط البحث العلمي الجاد ، ولم يسلك سبيل ذلك ولا ابتغاه، ناهيك عن افتقاده للـصدق والإنـصاف والموضوعية التي لم نلمس لها أي أثر ولا نية في كتابه ، بل عمد إلى جمع كل ما تداوله الملحـدون والمستشرقون في مواقعهم ، ووضعه في صفحات وسماه بحثا ، ولم يراع في ذلك إلا ولا ذمة ،

فلم يكن منهجه في النقد مبنيا على أدلة وبراهين معتبرة لدى علماء الإسلام _ وغيره _،ولم يـسلك مسالك النقد العلمية المقبولة لدى المحدثين ، ولم يبْن نقده على منهجية علمية منـضبطة ، وإنمـا راح يتخبط خبط عشواء ، حيث تتجارى به الأهواء ، فيستنكر ما يخالف عقله ويرد ما يعاكس رأيـه ، ولا يرعى حرمةً للقواعد المنهجية والأسس الرصينة الدقيقة التي بني عليها البخاري كتابه ، بل إنـه قـد انطلق من شائعات القول المتداولة ، وغرائز النفس الأمارة _ولم ينطلق من حيث ينطلق البـاحثون_ حفاظا على سمعته و سمعة الكتاب.

ونقصدُ بالنقد هنا:، تلك العملية التَّقويمية للتَّصحيح والترشيد، والتي تكُونُ بالمحاكمة والتحاكم إلى قواعدَ متفقٍ عليها لبيان الخطأِ من الصَّواب في أيِّ أمر من الأمور،]. ونقصد بعلمية المنهج لدي المُحَدِّثينَ. تلك الطريقةُ النقديةُ القائمةُ على المنهج العلميِّ الذي يتسم بالتَّجرُّد والإنصاف، ويقوم على المعرفة واستيعاب متفرقات العلم الذي هو قيدُ البحث .

فمنهجه المزعوم أنه نقدي ، يقوم على الرفض الكلي، وهذا في الحقيقة نقضٌ لا نقد وهو بهت لا بحث فهو منهج غوغائي لا منهج علمي ، لا يحترم الضوابطَ العلميةَ، ولا يتسم بالتجردِ والموضوعيةِ، ولا يعتمد على علم واستيعاب، بل على جهالة مركبة مع غرور زائد ،

فهو بحث فاضح كله تناقضات وتخبطات ، فساد في مناهج البحث ، واضطراب في طريقة النقـد ،، اغتاله كثرة الاقتباس مع غياب التأسيس ، وكان حريا به على الأقل أن يحسن ترتيـب مـا جمعـه ، ويراجع مضمونه ، ويحذف المكرر ، ويعترف بالمقرر ، ويخرج باستنتاج ثابت واضح ، لكنه ينقـل ولا يعي ما ينقل، ويدق ولا ينخل ، والمتعارف عليه أن الغاية من البحث العلمي الجِـدَّة والابتكـار، وهما من أهم ما غاب عن بحث الكاتب ، فكثرة النقل والاقتباس وغياب التأسيس نحـى فيهـا منحـى العوام ، فجاء كتابه طافحا بالطوام، مليئا بالأوهام، محيرا للأحلام ، لأنه يعوّل على الاقتباس ويعجـز عن التأسيس، وليته كان اقتباسا قانونيا سليما ، بل اقتباس سرقة وإنكار ، في بحث تطفل واستهتار.

ومثل هذه العيوب لا تغتفر ولا تقبل في بحث آني عادي سريع ، فكيف ببحث يحمل مثل هذا العنـوان وهذه الضجة، ويقصد منه زعزعة أصول وعقيدة مليار مسلم ، وتكذيب وتسفيه ملايير المـسلمين ..

وهو مع كل هذا صرح كاتبه أنه يعمل عليه منذ سنة 2000 !! سبع عـشرة سـنة إذن مـن النـسخ واللصق ثم يخرج بحث كهذا وهكذا ، إن هذا لشيء عجاب ، خرج بحثه صادما للمنتظرين ، بحث لا يختلف عن المقالات الصحفية التي تنشر على هوامش الجرائد الحاقدة ، ومثل هذا البحث أو النقد الذي لا يعتمد على منهجية علمية وصفه الفقيه الحجوي في ورقاته؛ بأنه "من ألاعيب الصبيان".

إن دراسة ونقد أحاديث الصحيحين أو رجالها تحتاج إلى أهلية علمية تتمثل في "قواعد الأصول والبيان التي يجب على كل متكلم على النص أو مستدل به أن يعرفهما ويعرف تطبيقهما .. فيجب علـى مـن يريد أن يستدل بالقرآن والسنة أن يعرف علوم العربية وعلوم البيان والمنطـق والوضـع والأصـول ليدرك أسرارها؛ لأن هذه العلوم بمثابة قوانين لفهم الألفاظ؛ بحيث إن من لم يعرفها يقع له الخطأ فـي فهم المعاني، ويظن أنه فهمها وهو غالط جاهل". فالقوانين التي لم ينضبط بها ، والأساليب التـي لـم ينهجها ، والعيوب التي لم يتحاشها ، جعلت أطروحته تتمخض فتلد أضحوكة.

ومن أبشع العيوب المنهجية التي تقدح في البحوث بصفة عامة وهي موجودة في بحثه بكثرة ووفرة ، نذكر من ذلك:

1- إهمال الأدلة المضادة:

وهذه "من أسوأ العيوب المنهجية، وأشدها خطورة على نتائج أي بحث علمي، هي أن يتجاهل الباحـث الأدلة المضادة – أعني المخالفة – لرأيه سواء أكان ذلك بسبب إهماله أم تحيزه أم لأي سـبب آخـر، ويصف أحد المفكرين الغربيين العالم أو الباحث الذي يخفي الأدلة التي لا تؤيد نظريته بأنه يعـد فـي عالم العلم ((مثل المالي الغشاش، أو المحاسب الذي يزيف في دفاتره في عالم المال)).[3]

ويذكر أحد أساتذة المنهجية أن من أهم العوائق التي تحول بين الباحث ، والوصـول إلـى الحقيقـة: تجاهل الأدلة المضادة ، وعليه فإن الدليل المضادَّ يجب أن يُعطى وزن الدليل المؤيـد نفسه ،!! حتـى لو كان في ذلك تغيير لمنطلقات البحث الأساسية؛ لأن هدف الباحث الأول هو الوصول إلى الحقيقـة. لكن كاتب الأسطورة _ومع الأسف_ لا يبتغي الحقيقة ، ولا يسره لقاؤها ولا ظهورها..

ويؤكد آخر بأنه ينبغي للباحث العالم أن يكون كالقاضي النزيه الذي يسعى وراء الأدلة التـي تنفـي آراءه أكثر من تلك التي تؤيدها" ، وتجاهل الأدلة المضادة لمسناها كثيرا بين ثنايا كتابه ، وهـي فـي أغلب الأحيان تكون أقوى وأكثر من الأدلة المؤيدة ، وأي ناظر في الكتاب يتبين أنَّ هنـاك حجبـاً أو تجاهلاً للنصوص التي تخالف توجه الكاتب ، راجع فصل تدوين الحديث وحجية السنة وغيرها .

2- التحيز ومحاولة إثبات النتيجة المسبقة:

[3] - انظر: "العيوب المنهجية في كتابات المستشرق شاخت المتعلقة بالسنة النبوية" (ص:40)، تأليف د.خالد بن منصور الدريس،

لا يخفى أنَّ التجرد المسبق أكبر معين على الوصول للحق _لمن رامه_ فلا يعتقد ثم يبحث ؛ ولكن يبحث أولاً ثم يعتقد–بالضوابط العلمية–، ويتحلى بالنصفة والعدل وما يسمى "بالموضوعية"،
والباحث المتحيز لا يمكن أن تكون نتائج بحثه علمية وموضوعية بأي حال من الأحوال ، مهما ادعى ذلك !! أما كاتب الأسطورة فلا يشك أحد أنه اعتقد ما اعتقده واتخذ موقفه وانحاز ثم احتقن واغتاظ ، ثم شرع في جمع ما يؤيد مزاعمه ويشفي غليله فيمن اتخذهم خصوما ،
فعنوان الكتاب له دلالات مُسبقة، تعكس الخلفية الفكرية، والتصورات الخاطئة، التي تحكم البنية النفسية والفكرية للكاتب في علاقته مع "صحيح البخاري"، فالعنوان من الناحية الشكلية يطغى عليه الجانب الإيديولوجي. فالكاتب ممن ركبوا مطايا الخير للشر _كما يقال،

3– **افتقاد الموضوعية :** وهو شرط حاسم من شروط البحث العلمي ، (شرط صحة وقبول) وهو ما لم يلتزم ولم يتقيد به الكاتب كما يتراءى لذي عينين ،
إن أهل الفن يعدون من شروط الباحث الإنصاف والإستقلال وعدم التحيز .. فمن لاحت عليه أمارات التحزب أو التحيز لنحلة أو طائفة أو مذهب لا يؤخذ منه في هذه الحال ، لأن الخصومة أوالتعصب حجاب ساتر عن رؤية الحقيقة ، وكون الكاتب قرآنيا _على فرضية أنه كذلك_ يفرض عليه أن يرد كل حديث وأثر يخالف منحاه ، بغض النظر عن رتبته وعن معناه ، فكيف والكاتب لا يمت إلى القرآن ولا إلى السنة بصلة ، وإنما ألصق به وصف القرآني كونه ينقل عن بعض القرآنيين ، أما موقفه من القرآن والسنة ومعتقده بصفة عامة فأترك للقارئ اكتشافه بنفسه بين ثنايا السطور ، وما خفي أعظم ، وأعظم منه ما صرح أنه عازم على إصداره ،

4– **رد الرأي المعارض بالعقل والهوى :** لم يخف على كل قارئ لسطور الكاتب ، معارضته ورده للأحاديث لأن عقله لا يقبلها ، ولم تستوعبها فطنته ومخيلته ، إذ يقول بعدما كذب حديث أمرت أن أقاتل الناس.. : (أما أنا فأقول وقلبي مطمئن بأن هذا الكلام لم يقله به رسول الله..ص28)
فمتى كانت العقول حكما في دين الله ، ولو كان الدين بالأهواء ما أرسلت الرسل وشرعت الشرائع.

5– **كثرة الإقتباس والسرقة** ، وقد سبق أن أشرنا وبينا أن الهدف والغاية من البحوث العلمية هي الجِدَّة والابتكار ، غير أن لهذا الشرط وهذه الغاية قطيعة وخصومة مع بحث الكاتب الصحفي ، فكثرة النقولات وتوسعه في السرقات ، جعلته يفتقد أدنى علامات البحث ،
6– **إدراجه لمواضيع في بعض الفصول لا علاقة لها بالفصل** ولا قرينة ولا تبرير ، وهذا ما صعب الرد ، والكتاب من أصله بني على هذا الإشكال ، حيث عنون بصحيح البخاري ثم خصص فصولا

طويلة لمناقشة مواضيع لا علاقة لها بذلك العنوان، وعندما تدخل إلى ذلك الفصل الذي لا علاقة لـه بعنوان الكتاب تجد داخله مواضيع لا علاقة لها لا بالفصل ولا بالكتاب وهكـذا .. والأمثلـة كثيـرة والكتاب بنفسه مثال ، فانظر مثلا الفصل المعنون أكذوبة علم الرجال ، وهو فصل لا ينبغى أن يوضع في كتاب اسمه نهاية أسطورة البخاري ، لكن داخل الفصل تجده بعد أن استنفد منقوله مـن صـفحات صبحي منصور ، دخل في مناقشة عدالة الصحابة وخلافاتهم وما دار بينهم ، وقصة عزل عمر لأبي هريرة .. الخ ، وليته أكمل حديثه وما يريد أن يتقوله على الصحابة في ذلك الفصل بل عاد للموضوع في الفصل الموالي المعنون ب (رواية الحديث بالمعنى) وفي هذا الفصل أيضا لـم يعـط للموضـوع المسطر إلا بضعة أسطر ، ثم أتى بفقرة وعد فيها القارئ بأنه سينقل له مجموعة من الأحاديث التـي اختلف الصحابة في دلالتها ، ثم قفز بعيدا وأتى بخبر عن سبب وضع الإسناد واشتراطه ، ثـم بعـد أسطر عبر عن استغرابه من رواية التابعي عن الصحابي ونحوه ، وأتى لذلك ببعض الأمثلة ، هذا كله في فصل بل في صفحة واحدة ، ثم سطر عنوانا محتشما بعنوان نقد الصحابة بعضهم لبعض ، فذكر بعض الأحاديث أو الأمور التي اختلف الصحابة في حقيقتها أو فهمها ، ليعود لموضوع رواية الحديث بالمعنى ويملأ بعض الصفحات بصيغ التشهد وحديث النجدي ، وما فتئ يأتي من كل فن بطرف فلـم يحرم أي فصل من حقه _في جميع المواضيع_ الذي قسمه له ، ففصول الكتـاب غيـر متناسـقة ولا منسجة ، ومواضيعه كذلك .

ومن نماذج ما ذكرنا والكتاب كله نموذج واحد، فقد تعد كلماته (لا أقول محاسنه) ولا تحصى معايبه إضافة إلى اختلاطه بين الفصول والعناوين ، وتكراره لفقرات وعناوين ومضامين ، :

_ تناوله الأحاديث التي يشمئز منها ويرفضها بأسلوب تهكمي مستفز ، أو تناولها بوجهة نظر متعـسفة أشبه ما تكون بحديث المقاهي ونزاعات السوقيين أو محاكاة الصبيان,

_كتمان المصادر التي نقل عنه ، أو ذكر أسماء بعض المؤلفين أو الكتاب دون الإشارة إلـى كتـبهم ومؤلفاتهم ، أو تحريف أسمائهم ،

_ قيامه بالتعمية والتعتيم على الأدلة التي تبرز حجية السنة وتثبتها, وهو ما أشرنا له بالأدلة المضادة

_ تدليس الأخبار وتضليل القارئ ولي عنق النص لخدمة مذهبه وتأييد مزاعمه.

_ نبرة التعالي والتعاظم التي لا تليق بالعالم فضلا عن طالب علم فضلا عمن دونهما.

_ عندما يعلم أن الحديث صحيح _ويظنه في صالحه_ يذكر مصدره باسـتيفاء بترقيمـه وصـفحته ، وعندما ينقل من مصادر غير معتمدة أو مصادر شيعية أو إلحادية يطبق الصمت ، (ويكتم الصوت)

_ تركيزه في عمله وخطابه على الجنس النسوي فتراه غالبا ما يتوجه إليهن بالخطاب ، ويسبقهن في النداء والخطاب ، أملا منه أن ينال رضاهن قبل رضى الرجال ، باعتبار أنه يسعى لنصرتهن ورد الإعتبار لهن _الذي نزعه عنهن البخاري ونحوه ، ممن همشوا النساء وجعلوا عليهن قيودا وفي أيديهن أغلالا ، وهذا لم نصطنعه لنتهمه به زورا وبهتانا ، بل جاء هذا صريحا في صفحة 8 إذ قال (**منها ما يسيء إلى مقام الإنسان نفسه والمرأة على وجه الخصوص**،) فهو يسعى لإظهار البخاري بمظهر العدو للمرأة وحقوقها وأنه يروي في كتابه أحاديث تحط من النساء وتنقص من كرامتهن ،_ ويجعل من نفسه زعيم ثورة من أجل الجنس اللطيف ضد الجنس الخشن العنيف الذي يتزعمه البخاري وبقية الشيوخ المتمسكين بالتراث!!!

عموما_ فجوهر كتابه لا يختلف عما كتبه سباقوه كابن قرناس في كتابه المسمى الحديث والقرآن فرغم أن الكاتب لم يشر إلى اسمه في أي موضع من المواضع إلا أن القارئ للكتابين يحس وكأن أحدهما ملخص للآخر أو مصدر له ، حيث تبعه فيه حذْو القذَّة بالقُذة،

كما يتبين لكل من قرأ جناية أوزون أن أيلال إنما أعاد نسج الشبهات حول صحيح البخاري بمنوال آخر ، وأعاد الصورة بلون آخر ، على طريقته المبعثرة ولكن مضامينها مأخوذة بطريقةٍ مباشرة أو غير مباشِرة من كتاب "جناية البخاري"، سواء ما تعلق بالطعن في الروايات الواردة في صحيح البخاري أو ما تعلق بنسخه وتناقضاتها على حد زعم أيلال وزكريا أوزون، فالكتاب مقارنة مع الكتب الأخرى هو مجرد لف ونشر ، لكن كما قال تعالى : **{ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ}** الحج

هذا فقط عن الأسلوب والمنهج ، أما تفاهة الأفكار وسعة المغالطات واختلاق التهم فحدث ولا حرج ،

وقفة مع ناشر الكتاب ومقدمته

(عبد النبي الشراط)

كتب الشيخ حسن الكتاني في تدوينة له على الفايسبوك بأن عبد النبي الشراط مدير دار النشر "الوطن" التي طبعت كتاب أيلال، كان محسوبا على الحركة الإسلامية، ثم (ترفَّض) أي تبنَّى عقائد الرافضة وأصبح من غلاة الشيعة، ومن ثم فإنه لا داعي للاستغراب من اتحاد رافضي علماني.! وجاء في جريدة "تاونات نيوز" قوله (الشراط) : أنا شيعيّ مغربيّ علمانيّ.. وإن خيرتني بين كل الصحابة فأنا أرتاح لفكر علي، ولا أعتقد بوجود صحابة عدول" ويقول "أنا شيعي علماني ولا أؤمن بالدولة الدينية التي لا وجود لها في التاريخ الإسلامي"..

هذه حقيقة صاحب (دار الوطن) وناشر كتاب أيلال ، الذي قدم له بلواء مرقع ، وطبل له بدف مقطع ، أثنى على جهده ، ثم نقض كلامه بقوله لم يأت بشيء من عنده ، لم يتفطن لمقالته ولم يركز على أسطره ، فأزرى بالكتاب من حيث لم يدر ، وسطر عبارة طريفة يقول فيها: إن "الباحث لم يأت بشيء من عنده" فأصبح الوصف _الذي ظهر فيما بعد أنه وصف مطابق _، أصبح قدحا وعيبا مشينا ، ذلك أن الكاتب اتضح حقا أنه لم يأت بشيء من عنده غير الفأرة ولوحة المفاتيح ، وما عدا ذلك فهو كله سرقات ومحاكات للآخرين ،

المدير الناشر في تقديمه بشر القراء بأن داره _كما عودتهم_ أتتهم بإبداع فكري جديد ، ليحرك البرك الآسنة ، ويرج الأدمغة المتكلسة ، وقد صدق قلمه ونطق بغير ما يهواه حلمه ، فإبداعه أثار البرك النتنة ، وحرك المياه العفنة ، واستطاعا بإبداعهما أن يلفتا الأنظار لمحل الرائحة وسوءة النائحة ، ويجعلوا (أكماما) لأنوفهم منها وممن يحركونها ،

كما ادعى أن هذا العمل (يسلّط أنوار الحق على ظلمات الباطل، فتتلاشى خرافات الضلال وأساطيره، بأقلامٍ جريئة لا تخاف في الحقّ لومة لائم.11) وقد حصل ذلك لكن بمعناه الحقيقي ، وليس كما أراده كاتبه،

فقد كان الكتاب سببا في ظهور الأقلام المخلصة والألسن الطاهرة ، فسلطت نور الحق على عتمة الباطل التي أثارها بكتابه ، ولم تمر أسابيع على صدور (الباطل) حتى تلاشت الضلالات ، وانكشفت الظلمات ، فتوارى الكتاب وكاتبه وناشره ومن طبل له ، وردوا على أعقابهم خاسئين ،

كما افتخر الناشر بأن عمل داره هذا يأتي بعد أبحاث وكتب شبيهة ذكرها مفتخرا بها منتفخا ، ومجرد سماعك لعناوينها ينبئك عن مضمونها " أمي كاملة عقل ودين" و" سراق الله، الإسلام السياسي في المغرب،) "نظرية آذان الأنعام دراسة قرآنية علمية لأبحاث داروين في الخلق والتطور" والكل يعرف داروين وحقيقته وعقيدته ..،

ولا يخفى أسلوب وفكر العلمانية الإلحادية في خطاب المقدم ، وعبارات الحقد والكره ، وترديده للكلمات التي لا ينفك الزنادقة في خطاباتهم ومقالاتهم يفتتحون بها ويختمون ، من مثل : كذب الأفّاكين وخفافيش فقه الظّلام، الذين يحرّفون الكلام عن مواضعه ليشتروا بآيات الله ثمنا قليلا.

كما أن الناشر لم يختلف عن الكاتب في أساليبه وفي منهج الكذب والتضليل ، إذ لم يتردد في وصف أيلال بأنه (قدم الأدلة والوثائق التي لا تقبل الشك على أن (محمد بن إسماعيل البخاري) لا علاقة له بجل إن لم نقل بكلّ ما نُسب له في ما يسمى « صحيح البخاري . » ولن نزيد في تعليقنا عليه على المثل القائل : البهتان لا يسرج الحصان وضرب الدفوف لا يغزل الصوف ، كما رمى بتهمة جاهزة وكذبة خطيرة إذ قال (وأنه لا يوجد إجماع حتى بين السلفيين أنفسهم على هذا الكتاب (الصحيح) ، سعيا وكدحا منه في زرع فكرة أن صحيح البخاري محل خلاف ونزاع ليس فقط بين معارضيه أو من الغرباء عنه ، بل بين السلفيين أنفسهم ، وهو إفك مبين وافتراء عظيم ، لا دليل له ولا برهان على ذلك ، كما لم يتردد في وصف الجامع الصحيح بأنه لقيط !! وحكم حكمه النافد بأنه من جملة مصنفات مجهولة النسب والمصدر ، واستمر في ادعاءاته الكاذبة مقتفيا كلمات الكاتب عاملا بمكاييله ، زاعما أن شخصية البخاري (أحيطت بهالة من التعظيم والتقديس لدرجة أنه يمنع عليك أن تفكر حتى في نقدها أو الاقتراب منها ،) وهو كذلك كذب وبهتان كما سنبينه في بابه ،

وعلى غرار أيلال فقد استبق الردود وهاجم المخالفين المفترضين قبل أن يظهروا فبدأهم بالهجوم والإزدراء بقوله (الذين يحرّفون الكلام عن مواضعه ليشتروا بآيات الله ثمنا قليلا 11).وحكم عليهم قبل أن ينطقوا بأنهم (سيمارسون هويتهم المفضلة السب والشتم واللعن) طالبا منهم الصبر حتى إتمام قراءة الكتاب ثم الحكم ، وهذا هروب منه إلى المظلومية وتمثيل لدور الضحية ، قبل الوقائع والأحداث ،

فالمعروف بداهة أن أي قارئ لا يحكم على الكتاب إلا بعد قراءته ، وفهم مضامينه ، ولا يتصور أن يحكم أحد على الكتاب من عنوانه ، ! أما وقد قرأنا الكتاب وفهمنا سطوره وأبدينا مستوره ، فلم يكذب ظننا ، ولم يزعزع ثقتنا ، بل خرج كما يتوقع أن يكون مشروع عمل بتحالف علماني رافضي ،

هذه الرافضية التي حاول أن يزكيها ويبرق وجهها بالبزاق ، ويظهر امتعاظه من أفعال وتصرفات الشيعة الإيرانيين ، وما ذلك إلا تطبيق لمبدإ من مبادئهم الذي هو التقية والتدليس ،

ليعلن على غرار من ذكرنا أسماءهم في صفحات من هذا الكتاب عن تكذيبه لعدة أحاديث ووقائع من سيرة الرسول ﷺ وسننه ومنها حادثة الإسراء والمعراج ، التي ثبتت بالقرآن والسنة. داعيا الباحثين (إلى أن يقارنوا بين الديانة الزراديشتية التي كان مهدها بلاد فارس قبل مجيء الإسلام، وبين بعض ما ورد في كتاب " صحيح البخاري" سيما في مسألة «المعراج » ، ليقفوا على تأثير الديانة بل الديانات

والتقاليد الفارسية القديمة على هذا الكتاب وتشبعه أيضا ببعض العادات التي كانت معروفة لدى أهل فارس، ص13)

إن تشكيكه في أحاديث الرسول ﷺ وتشبيهه لها بأساطير وخرافات الديانات الوهمية الأخرى لا يدع مجالا للشك في عقيدة الشخصين ، فادعاء التشابه بين الإسلام والزراديشتية ، فكرة تبناها الكاتب والناشر ، وهي بحد ذاتها اتهام للإسلام ورمي له بالخرافة ، وهو ادعاء صريح أن الإسلام يستورد أفكاره ومناهجه من حضارات سابقة له ، وأن لتلك الحضارات أو الديانات تأثيرا في تشريعاته وتكوينه ، وهي التهمة نفسها التي رمى بها بعض مشركي مكة رسول الله ﷺ ، قال تعالى : وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا () وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (الفرقان 5)

ويقول جل وعلا : وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (النحل 103) وقد تعددت الروايات في تفسير قوله بشر وماذا عنوا بهذا البشر فقيل : جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل غيره ([4])

ثم يختم بآيات بينات في الدعوة إلى تدبر القرآن والتحذير من الإعراض عنه ، وأنه عز وجل لم يفرط في الكتاب من شيء ، وهو خلاف المراد ، وصرخته هي مجرد كلمة حق أريد بها باطل ، وسنبين ذلك في مواضعه إن شاء الله ،

[4] ـ أخرج الحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان ، عن ابن عباس في قوله : { إنما يعلمه بشر } قال : قالوا إنما يعلم محمداً عبدة بن الحضرمي ـ وهو صاحب الكتب ـ فقال الله : { لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين } .

وأخرج آدم بن أبي إياس وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان ، عن مجاهد { ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر } قال : قول قريش : إنما يعلم محمداً بن الحضرمي وهو صاحب كتب { لسان الذي يلحدون إليه أعجمي } يتكلم بالرومية { وهذا لسان عربي مبين } .

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال : يقولون إنما يعلم محمداً عبدة بن الحضرمي كان يسمى مقيس . انظر الدر المنثور في التأويل بالمأثور

مصدر ما سطر في الكتاب

عند سماعك لاسم الكتاب الناطح للسماء ، وعدك لصفحاته الثمانين بعد المائتين ، يخيل إليك أنك أمــام بحث لا نظير له ، وقنبلة لا طاقة لأحد بمواجهتها ، لكنك ما إن تقرأ بعض سطوره حتى تتبــين أنــه أبعد ما يكون عن منهج البحث وقانون التأليف وأسلوب التصنيف ، كيف لا ومثله لا يحق له الخوض في الفن بأي وجه كان ، بالنقد أو التصحيح أو غيرها ، فالفن له رجاله وهم بحق رجال أســطوريون بالمعنى الإيجابي ، فمن له الحق والقدرة في الإنتخاب والنقد هم أهل هذه الصناعة المجتهدون في هذا الأمر ، ممن فهموا هذا الشأن حتى صار ملكة راسخة لديهم ، وممن نالوا لقب أئمة أفذاذ ، ويستحقون وصف جهابذة نقاد ، وليس الأمر موكولاً إلى محترفي أو مبتدئي تحريك الفأرة وضغط الأزرار !.

يُنبئك المؤلِّف عن مرجعيته عندما ادَّعي أنَّ النصوصَ الحديثية مجرد نصوص تاريخيَّة لا قُدسيَّة لهــا، بل لم يتردد في وصفه (بالتراث المحض) فهو يوظِّف المنهج التَّاريخي الغربي المستعار من بيئة غير إسْلامية ويُسقطه على " النص الشرعي"، وعلى البيئة الإسلامية ، وهذا والله جنوحٌ متعمــد مقــصود بالنَّص الحديثي عن قدسيته وشرعيته، وإخضاعٌ له لظروف اجتماعية ملوثة، وإلزامٌ له أن ينطبق على وقته وعصره ، وأن لا يعْدوَها ، كما هو معهود من خطاباتهم وصيحاتهم ونبحاتهم ، وقد لمسنا ذلــك وبيناه في مواضعه ، وغرضه نسفٌ صلاحية الإسلام جملة وتفصيلا لكل عــصر وزمــان، ووقْــتٍ وأوان، وهذا ديدن العلمانيين ومن لف لفهم ، والكاتب ظن أن له صوتا جهوريا وحلقا أسطوريا ، وأنه أتي فصاحة لم يؤتها غيره فوظف صوته بوقا لهم.

فالكاتب لم يكلف إلا سبابته اللاصقة للفأرة ، ولا يزيد شيئا على الضغط على (كوبي ثــم كــولي) أو بالأحرى على نسخ ثم لصق ، فغالب الظن أن حاسوبه ذو مشغل عربي ، ولم يزد الكاتب مــن تلقــاء نفسه ولا استقاء من قريحته إلا بعض الأسطر القليلة يحشوها بين الفصول ، فهدفه هو إثارة الشبهات ، وتكثير الصفحات ، وغرضه الشهرة والصدارة مع الربح والتجارة ، وهذه نماذج من ذلك :

11 صفحة 6 للعنوان والبياض + 5 بياض = 11

10 صفحات وأكثر من أضواء على السنة لأبي رية ، وإلا فما نقله عن أبي رية وصبحي وأوزون ونحوهم أكثر من أن يحصى

3 صفحات 24/23/22 وهي أحاديث عن فضل القرآن وقراءته وتلاوته لاداعي لسردها إلا لما ذكرنا

2 صفحات صفحة 32 و33 من موقع المنجد

4 صفحات من صفحة عماد حسن على الفيسبوك من صفحة 45 الي 48

4 صفحات 52/49 من صبحي منصور وزكريا أوزون باعتراف منه .

7 صفحات من أضواء على السنة لأبي رية من 53 إلى 60
6 صفحات من فتح الباري بواسطة المكتبة الشاملة من ص 90 إلى 97
6 صفحات من عبد الفتاح عساكر من 123 إلى 129
صفحة 132 هي مقالة للشيخ محمد العمراوي المالكي عن موطأ الإمام مالك
11 صفحة من منتدى السودان من ص 133 إلى 144
4 صفحات من موقع مركز الأبحاث العقائدية الشيعي. من 145 إلى 148
وهذا رابطه : http://www.aqaed.com/faq/3444 /
12 صفحة من الفصل المعنون ب (بخاريات) من مواقع متنوعة وبعضها عن شريط سمعي لـ عدنان ابراهيم من 149 إلى 160
4 صفحات من: (النسخة الأصلية لصحيح البخاري). والجدول الذي فيه الفصل من الصفحة 165 إلى 168 مسروق من الموقع التالي :
//www.ahlalhdeeth.com/…/archive/index.php/t-274745
وما تبقى من الفصل مسروق من مقالة للأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ منشورة بمجلة دعوة الحق عام 1991 تحت عنوان: مخطوطات صحيح البخاري بخزانة القرويين بفاس.

75 صفحة لعرض صور المخطوطات وبياناتها، مخطوط البخاري الموجود بمكتبة السعودية من 165 إلى 240 وقسم كبير ، كله مسروق من الموقع التالي
http://www.ahlalhdeeth.com/…/archive/index.php/t-274745.html
15 صفحة لمناقشة نسخة منجانا ورد الشيخ السلفي أحمد بن فارس السلوم من 240 إلى 255 ([5])

فهذه حوالي 175 صفحة مقتبسة –على الأقل– أو ثبتت سرقتها أو نقلها من مواقع دون تعديل أو تغيير، فقط لملء الصفحات وتضخيم الكتاب ، فأي بحث يدعي وأي جهد هذا الذي استغرق سنوات ، ومثل هذا العمل لا يكلف أسبوعا واحدا ، نقول سرقات رغم أن "السارق والمسروق " لا صلة لهما بالعلم ولا محيطه ،
فكتاب كهذا ليس مثيرا للجدل كما سماه أنصاره وكما طبلوا له ، بل هو مثير للعجب ، فالكتاب هو تلخيص أو إعادة نشر لكتب الحاقدين الآخرين من أمثال زكريا أوزون في كتابه جناية البخاري ، وابن قرناس في كتابه المسمى (الحديث والقرآن) فكل دارس للكتابين يتبين أن عمل أيلال ما هو إلا إعادة صياغة لشبهاتهم بطريقته الخاصة ،

[5] ـ أغلب هذه المعلومات مقتبسة من مقال للأستاذ الكنبوري منشور بجريدة هوية بريس

قال الأستاذ الكنبوري بعد سرده لسرقاته وفضحه لمكنوناته : ــ زيادة على هذا: مراجع صاحبنا هي: منتدى السودان على الأنترنت، الفيسبوك، مقال للبحيري. أما المراجع الأخرى من كتب أمهات الحديث التي لا يعرف عنها صاحبنا شيئا فهي موجودة بداخل الدراسات التي سرقها، والقارئ قد يتوهم أن صاحبها فتحها وأطل فيها.

قال أحد الأخوة الغيورين في مقال له في الموضوع : ومن المضحكات أن كتاب أيلال يعجُّ باقتباسات لا حصر لها من مواقع الأنترنت وبعض المقالات ، ثم يقف حيالها عاجزا عن الإفاضة والإضافة ، فهل هذا "جهدُ سنين"؟ أم هو عمل المحتالين الذين يسطون على أفكار الآخرين، ثم ينسجون منها كتابا، كما فعل أيلال الذي ادَّعى أنه حسمَ الجدل حول صحيح البخاري ، وأنه قد توصل إلى ما عزب عن غيره من أن هذا الكتاب "أسطورة كانت وانتهت"، مع أن عمله في الكتاب لا يختلف منهجيا تجاوزا عن أي عمل يقوم به المبتدئون في البحث العلمي، ينقل من هنا وهناك، ثم يجعله نصا متراكما وفقرات آخذ بعضها بعناق بعض ثم يخرجه إلى القراء ليضحك على أذقانهم ويستخف بعقولهم رافعا عقيرته: "هاؤم اقرؤوا كتابيه"!.[6]

[6] ـ هو محمد بوالروايح في مقال له بعنوان : رشيد أيلال والتجني على صحيح البخاري(2)

قدوة الكاتب وحقيقة بعض من نقل عنهم

كما أسلفنا فالكاتب لم يساهم في كتابه إلا بسبابته ، ولم يرم من قوسه إلا بماوسه ، معتمدا في نقولاته وسرقاته على جملة ممن عرفوا بانحرافهم عن جادة الصواب ، من أشخاص أو طوائف من الرافضة وأتباعهم وكثير من المتعالمين الذين ينتسبون إلى الحداثة والتنوير والعقلانية ، وغيرهم ممن ابتليت بهم الأمة في العصر الحاضر ممن عارضوا الأحاديث الصحيحة بأهوائهم ، وبلبلوا أفكار بعض المسلمين بشبهاتهم . الذين يهرفون بما لا يعرفون ، ويقولون ما لا يعلمون ، ويتجاهلون ما يعرفون ، والكاتب إنما يغرف من وعاءهم الكدر النجس ، ويستقي من بركتهم الملوثة ، وسنعرف عليهم ونذكر بعضا من حقائقهم في هذه الأسطر ،

فمنهم وعلى رأسهم :

_ **محمود أبو ريه** : كاتب مصري كان منتسباً إلى الأزهر في صدر شبابه، فلما انتقل إلى مرحلة الثانوية الأزهرية أعياه أن ينجح فيها، أكثر من مرة، ثم فصل فعمل مصححاً للأخطاء المطبعية بجريدة في بلده، ثم موظفاً في دائرة البلدية حتى أحيل إلى التقاعد، من مصنفاته التي طعن فيها في السنة المطهرة والسيرة الواردة فيها: أضواء على السنة، وقصة الحديث المحمدي، ألّف كتاباً استهزأ فيه براوية الإسلام أبي هريرة (شيخ المضيرة (أبو هريرة) رضي الله عنه وأنكر حديث الذبابة الذي في الصحيح.. وقد حاكمه الأزهر على كتابيه، ومنع نشرهما. [7]

_ **أحمد صبحي منصور**، هو مفكر مصري. كان يعمل مدرسًا في جامعة الأزهر، لكنه فُصل في الثمانينيات بسبب انحرافاته.. وإنكاره لـ السنة النبوية القولية، وتأسيسه المنهج القرآني الذي يكتفي بالقرآن مصدرًا وحيدًا للتشريع الإسلامي. إذ تبرأ من السنة النبوية، زاعماً أن السنة عمل شيطانى، ورواتها مجرمون خونة، فتبرأت منه الجامعة، غادر مصر إلى الولايات المتحدة واستقر بها وقضى فيها بعض الوقت، ثم عاد إلى القاهرة ليعمل في مركز ابن خلدون. وبعد المشكلات القضائية التي واجهها المركز ومديره في عام 2000، هاجر إلى الولايات المتحدة، ليعمل مدرسًا في جامعة هارفارد، كما عمل مع المتنبئ رشاد خليفة،

من كتبه "لماذا القرآن" والقرآن وكفى، و"قراءة فى صحيح البخارى" والمسلم العاصى، وعذاب القبر والثعبان الأقرع، وغيرها

_ **محمد بن ديب شحرور** : هو رجل سوري كان في الأصل شيوعياً واشتراكياً قبل أن يبتعث إلى روسيا، وكان سبب بعثته إلى روسيا انتسابه للحزب الشيوعي... وقد اكتمل تأثره بالمستشرقين خلال

[7] - ينظر : السنة ومكانتها فى التشريع للدكتور السباعى ص466

دراسته في ايرلندة « دبلن » ، لدراسة الماجستير والدكتوراه مـــا بـــين (1970م – 1980م) فـــي الهندسة المدنية أيضًا. من كتبه

من آرائه : السنة ليست وحياً وأن الفقه هو من التراث ، وأن الفقهـــاء مـــن حجّـــر الإســـلام ، وأن الماركسية هي مصدر التفكير وأن فهم القرآن يعتمد على العقل فقط. فقد قام بدراسة للقـــرآن الكـــريم محاولا تأويله تحت ذريعة القراءة المعاصرة، ومن أخطر ما قاله: (ولهذا فالقرآن لابد أن يكون قـــابلا للتأويل، وتأويله يجب أن يكون متحركًا وفق الأرضية العلمية لأمة ما، في عصر ما، على الرغم مـــن ثبات صيغته).[8] وحكم شحرور أيضا وفقا لتفسيره المبتدع على اليهود والنصارى بأنّهم مسلمون !

كما يدعو الدكتور شحرور دعوة صريحة إلى رفض أقوال السلف من علماء وفقهاء ومفسرين، واتباع قواعد المنهج العلمي في دراسة القرآن، فقال: (إننا في القرآن والسبع المثاني غير مقيدين بأي شـــيء قاله السلف ، إننا مقيدون فقط بقواعد البحث العلمي والتفكير الموضوعي ، وبالأرضية العلميـــة فـــي عصرنا؛) ومن أعاجيبه قوله في تفسير آيات الحجاب : إن الحجاب الذي أمر الله المؤمنات به هـــو: تغطية الصدر والفرج والإليتين !! كما يضاف إلى جانب دعوته إلى تحديث الشريعة وعـــصرنتها ، تشكيكه بالحدود الشرعية كقطع يد السارق، وإنكاره تعدد الزوجـــات ، وإنكـــاره الحجـــاب الـــشرعي وتجويزه ظهور المرأة عارية تماما ، وتنصيف أرث المرأة، وغير ذلك من أنواع التحريـــف واللعـــب بكتاب الله تعالى وتشريعاته . من كتبه (الكتاب والقرآن.. قراءة معاصرة)،

_عبد الفتاح عساكر: مصري قرآني (أريكي) من مبادئه أن المسيحي المصري عنده أفضل مـــن أي إنسان آخر في العالم كله، وحبه فرض عين عليه قبل الصلاة والصوم والزكاة والحج.

ومن أقواله: "أنا مسيحي ولا إسلام لي إلا بمسيحيتي وأحب جميع من يحبون السيد المـــسيح رســـول المحبة على الأرض ولو تخليت عن مسيحيتي فلست مسلمًا".

ونفى عساكر وجود عذاب في القبر وما يسمى بـــ "الثعبان الأقرع"، ونفىَ المرويات والأحاديث التـــي تقول بـــ "رضاعة الكبير" واعتبرها "بدعة" و"سفالة" و"انحطاط" ولا وجود لها، «ورجم الزاني» «وقتل المرتد» ويقول : الدجال بدعة في دين الله لأنها تُخالف كتاب الله اخترعها الرواة...!.

_زكريا أوزون : هو كاتب سوري لا يختلف عن الأربعة المشار إليهم ، وقد ذكره الكاتـــب بتحريـــف اسمه ولا ندري أهو خطأ مصبعي أم متعمد للتمويه ، وزكريا هذا لا يذكر إلا مقرونا بكتابـــه اللئـــيم **(جناية البخاري – إنقاذ الدين من إمام المحدثين)** يقدم المؤلف رؤية خاصة به تتمثل في أن نأخذ من

[8] - ينظر : التحريف المعاصر في الدين ، ص27 - 31

الحديث النبوي الحكمة والموعظة الحسنة التي يمكن أن يتقبلها عقل كل إنسان ، أما الأحاديث التي تعارض العلم والمنطق والذوق السليم فيمكن أن نتركها دون حرج.

ومن أولى كلماته التي سطرها كإهداء يمكنك معرفة حقيقة الكتاب وعقيدة كاتبه ، إذ أهدى فأهذى قائلا إلى كل من يحترم العقل ويقدره. إلى كل من يحتكم إلى العقل في الحكم على النقل. إلى كل من أضاء شمعة الإبداع في ظلام التقليد الأعمى والتبعية.

ثم يطرح الكاتب أسئلة عديدة: تتمثل في التساؤل: هل الحديث وحي منزل؟ أو مصدرا للتشريع، أو مقدس؟ وهل كل الصحابة عدول ثقاة ؟ وهل يوافق الحديث المعطيات العلمية، والنظم والأعراف السائدة اليوم،؟ وهل وحد الأمة؟ وما ذا نأخذ من الحديث النبوي،؟ وهل وفق البخاري في صحيحه؟ وهي الأسئلة نفسها التي أعادها الكاتب أيلال في كتابه ، ومما قاله في كتابه : إن البخاري أول من خلط بين الوحي المنزل وبين كلام البشر؛ ونذكر أن الكتاب ليس الجناية الأولى للكاتب السوري 'زكريا أوزون' وإنما له في الأسواق ثلاث جنايات هي 'جناية سيبويه .. الرفض التام لما في النحو من أوهام' و'جناية الشافعي .. تخليص الأمة من فقه الأئمة' بالإضافة إلى كتبه الساخرة من أركان الإسلام مثل "الصلاة.. عسكرة الرحمان" و"الزكاة إتاوة العربان" و"لفق المسلمون إذ قالوا"،

اسلام بحيري ، إعلامي مصري له مقالات في جريدة المصري اليوم ، وبرنامج في قناة القاهرة والناس في طعنه في ثوابت الدين على رأسها صحيح البخاري ، أثار ببرنامجه الجدل في الأوساط الدينية، بعد أن ناقش من خلاله بعض الأحاديث والآيات غير المقنعة من وجهة نظره، وأصدر من خلاله بعض العبارات المسيئة للنبي والصحابة والأئمة. له مشروع فكري لمحاولة تنقيح التراث والتعامل الحر المباشر مع النصوص المقدسة. قال على فتح مكة إنه فاشية، و إن الإسلام لم يعرف معنى الدولة في عهد الرسول، وتدرج في الطعن حتى وصل به الأمر إلى التطاول على آيات القرآن، وأن بعضا منها «تحصيل حاصل» وليس لها أهمية لتواجدها داخل الكتاب الكريم. وقال «إن كل آيات القرآن لا تناسب كل العصور،»». ووصل به الأمر للتشكيك في قدرة الله، ببرنامجه ، كما طالب البحيري، بحرق كتب الأئمة البخاري، ومسلم، والشافعي .. من أقواله : إن من الممكن «أن يدخل الجنة غير المسلم» ويقول : أنا أقوم بتحويل النصوص إلى نصوص عصرية ويفهمها كل خلق الله بأبسط الطرق التنويرية بعيدًا عن أخطاء البخاري وصحيح مسلم ،.. ويجب على الرئيس اليوم أن يعلم دور المثقف وأهميته وأن يضرب بيد من حديد على كل الإسلاميين «يعنى من يقفون وراء الإسلام لخراب البلاد»، .. للأسف داعش لا تختلق شيئا من عندها هي تطبق ما هو موجود في كتب البخاري ومسلم والمذاهب الأربعة ، لا يخفى معاداته لجميع الطوائف الإسلامية الإخوان والسلفيين وغيرهم.

صالح أبو بكر: هو من مصر أيضاً، لا يخالف ولا يختلف عن السابقين في الطعن في السنة وإنكارها وقد ألف كتاباً من مجلدين في نقد صحيح البخاري أسماه "الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها"، والذي تابع فيه (محمود أبو رية،) وقد أمرت لجنة البحوث الأزهرية بمنع هذا الكتاب ومصادرته بسبب تشكيكه بأصح كتب الحديث، ألا وهو صحيح البخاري.

ـ **أحمد زكي أبو شادي** (1892ـ 1955)، في كتابه "ثورة الإسلام"، الذي قال فيه (ص44): "هذه سنن ابن ماجة والبخاري، وجميع كتب الحديث والسنة طافحة بأحاديث وأخبار لا يمكن أن يقبل صحتها العقل، ولا نرضى نسبتها إلى الرسول، وأغلبها يدعو إلى السخرية بالإسلام والمسلمين والنبي الأعظم، والعياذ بالله".

ـ **محمد صادق النجمي** : شيعي رافضي من كتبه : (تأملات فى الصحيحين،)

عماد حسن : كتابه أقوى مترجم له ومفصح عنه واسم كتابه " أمي كاملة عقل ودين " فعنوان الكتاب بحد ذاته تكذيب للحديث واتهام وطعن في الرسول ،

ـ **عدنان إبراهيم** : من مواليد غزة لكنه مقيم في النمسا وله مركز ومسجد جعله كمسجد ضرار للتفريق بين المؤمنين. ابتدأ منهجه ودينه بالطعن في معاوية رضي الله عنه ثم هبط ليطعن في أزواج النبي ثم في أبي هريرة ثم أنس بن مالك ثم طلحة بن عبيد الله ثم المغيرة ثم أبي بكر وعمر ثم جملة الصحابة ثم العلماء فلم يدع منهم أحدا ولم يذر. ثم في بني أمية والعباسين أجمعين إلى آخر طعوناته.
ثم مدح الشيعة الإمامية وأثنى على علمائها كالصدر وعلي شريعتي وياسر الحبيب الطاعن في أم المؤمنين. ثم يعترض على أهل السنة عموما ويصفهم بأوصاف التضليل والتجهيل والنقص.
وهو ينكر وجود المسيح الدجال، والمهدي، والمسيح بن مريم، كما أنه يشكك في الصحيحين، ويقدم أدلة، ويدعي تحكيم العقل، وعدم الالتزام بالكتب المنقولة، وحديثه .
فكل هؤلاء وجدنا بصمتهم الفكرية ولمستهم ظاهرة في كتاب: "صحيح البخاري، نهاية أسطورة"
و لا ريب أن هؤلاء أناس قد انتكست قلوبهم ، وعمي عليهم مطلوبهم ، وغلظت طباعهم ، وكثف عن معرفة الله وشرعه ودينه حجابهم ، فهم في مهامة الغي يعمهون ، وفي ريبهم يترددون ، ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون ،

ومن جعل الغراب له دليلا ** يمر به على جيف الكلاب

قال تعالى :﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (112) وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ (الأنعام 113) صدق الله العظيم

من هم الناقمون على البخاري وأشباهه

إن المتتبع للمعركة يستوقفه محيط الدائرة الذي تدور حوله وتجول ، إذ تتسع وتضيق ، وتمتد وتتكمش ، تتزيا بألوان مختلفة ، وتسوق بمواضيع متنوعة، وتعنون بأسماء وألقاب متفاوتة ، خداعا وتمويها ، ولكن سرعان ما تعود إلى مربط الفرس الذي هو صحيح البخاري فلماذا البخاري في كل وقت ، ؟ ذلك أن الهدف والغاية واحدة والمهاجمون الناقمون كثر ، تعددت الأصوات والألوان ، والهدف واحد .
الناقمون على الإمام البخاري أصناف وأجناس ، صنف أعمى الله بصيرته ، فضل سعيه وتشتت أمره ، من الشيعة الكاذبين والرافضة الضالين ، الذين يحقدون على البخاري لأنه يحوي ما يدل على ضلالهم وحمقهم ، وما يفند ادعاءاتهم وأباطيلهم ،
وصنف أعماه حب المال والشهرة فجاسوا في ديارنا يطلبون كبارنا ليشتهروا في تنقصهم ، فتارة مع أبي هريرة ومرة مع البخاري و أخرى مع ابن تيمية وثالثة مع آخر ، فلن تكف الوكزات ، ولن تنتهي الحملات ، فهذه سنة الله في الخلق .
وصنف من الزنادقة الملحدين والخونة المفسدين ، ممن يعيشون بين أظهرنا ، من أبناء جلدتنا ولغتنا ، ويتظاهرون بالإنتماء إلينا ، وهم متشعبون متنوعون ، مختلفون في النيات متحدون في الوسيلة والهدف ، فلابد أن تكون لنا فكرة ولو موجزة عن هذه الحفنة المفخخة من المفكرين ، لكن يفكرون بلا عقل ويتكلمون بلا علم ، لنعرف حقيقتهم وأفكارهم وأهدافهم ودوافعهم ، علما أن تفصيل ذلك يستوجب كتبا ومجلدات ، لكن لا بأس أن نعطي لمحة مختصرة ،
فالموجة يحركها من يسمون أنفسهم المفكرين أو الحداثيين ، وهم يعنون بالوصف أن لهم ومن حقهم التفكير وإبداء الرأي والنقد وأن لعقولهم كامل الحرية والإستقلال ، فما تقبله هو الشرع وهو المقدس ، ولو كان يعد من الفحش والغباء ، وما ترفضه هو التخلف والرجعية ، ولو كان منزلا من السماء ، فالعقل عندهم لا حدود له ، ولا قيد ولا شرع يضبط سرحانه ، وأنه هو أحق بالتشريع وأجدر بالتحكيم

، فأنتجوا عقائد واقتناعات غريبة تبنوها في أفكارهم وأحزابهم وأعمالهم وسلوكهم وأقوالهم، وهي التي _حسب زعمهم_ ينبغي أن تكون وتسود وإن كانت تناقض مسمى الإسلام أو الدين ، فالـــدين عنـــدهم أفيون الشعوب ، بل الدين عندهم هو سبب التخلف والتحجر وموجب الرجعية والتقهقر ، أولئك الـــذين يبغون بشريعة الجاهلية المعاصرة بدلا من الإسلام.

الناقمون على الإمام البخاري وصحيحه ودينه طبقات على مراتب بعضها شر من بعـــض، يجمعهـــم العداء لهذا الكتاب العظيم ، فمنهم: من علا في الباطل صوته، ورسخت في البغضاء قدمه، وطال في الإقذاع لسانه ، فجرى به بنانه ، وبسط فيه رواقه وهم _جميعهم_ من أغمار الناس، ممن لم ينبت في العلم شاربهم، ولم يقو فيه ساعدهم، ولم يتسع فيه نظرهم، فتجد فيهم الصحفي الذي يريد سبقا إعلاميا، والكاتب المبتدئ الذي لا يحسن التهجي لأبجديات الشريعة وعلومها، وقد تجد فيهم المثقف بيد أنه مـــن أساتذة الفلسفة المحيرة [9] وعبيد الهوى والعقل ، وهم ينضوون تحت مسمى العلمانية ، يتفكهون بروثها ويتخمرون بكؤوسها ، والعلمانية هي اللادينية ، وهي الإلحاد ، ولكنهم لا يقبلون وصـــفهم بـــاللفظتين الأخيرتين تقية وتسترا ، فما هي العلمانية ؟ ومن هم جنودها ؟

[9] - ويجب التنبيه أننا لا نعمم الحكم في كل صنف أو جنس على جميع أفراده ، فهناك من أساتذة الفلسفة أتقياء صالحون وأوفياء مخلصون ، وكذلك من الصحفيين والإعلاميين نعرف منهم الكثير ممن نور الله بصيرتهم وأنار طريقهم ، إلا أنهم قلة مقارنة مع الضالين المضلين

من هم العلمانيون

تعددت الأوصاف وكثرت الألقاب والمعنى والهدف واحد ، وتكثير الأسماء إنما هو للتخفي والهــروب من الفضيحة ، فعندما كشف مصطلح العلمانية ألقى بعضهم مسمى الحداثة ، والعقلانية .. الخ

العلمانية ترجمة خاطئة _متعمدة_ لكلمة (Secularism) في الإنجليزية، أو (secularity) بالفرنسية ، وهي كلمة لا صلة لها بلفظ "العلم" ومشتقاته على الإطلاق. فالعلم في الإنجليزيـــة والفرنـــسية معنـــاه (Science) والمذهب العلمي نطلق عليه كلمة (Scientism) والنسبة إلى العلم هي (Scientific) أو (Scientifique) في الفرنسية. ثم إن زيادة الألف والنون غير قياسية في اللغة العربية، أي في الاسم المنسوب، وإنما جاءت سماعاً ثم كثرت في كلام المتأخرين كقولهم: (روحاني، وجسماني، ونوراني..) والترجمة الصحيحة للكلمة هي (اللادينية) أو (الدنيوية) لا بمعنى ما يقابل الأخروية فحسب، بل بمعنى أخص هو ما لا صلة له بالدين، أو ما كانت علاقته بالدين علاقة تضاد.[10]

وأقول بأن أي تعاريف أخرى للعلمانية مخالفة لهذه المعاني غير صحيحة !! فالعلمانية ليست الأسلوب العلمي وليست العالمية أو العلمية أو الحداثة أو العقلانية ، كما يدعون ، فهذا خلط للأوراق .

فالعلمانية تعنى أننا كبشر قادرين على بناء دولتنا وحياتنا الشخصية وأنظمتنا الـــسياسية والاجتماعيـــة والاقتصادية وتحديد مواقفنا من الأحداث السياسية اعتمادا على عقولنا المجردة ،ولسنا بحاجـــة إلـــى رسالات سماوية ، وأنبياء حتى نعرف الحق من الباطل في هذه الأمور، ومعنى ذلك أن عقولنا قـــادرة على تحديد معاني العدل والحرية والمساواة وحقوق الإنسان، وتحديد مناهج الإصلاح بصورة أفـــضل وأعدل وأعلم مما أمرنا الله سبحانه وتعالى، بل إن الأديان السماوية هي منبـــع التعـــصب والتخلـــف والجمود والجاهلية والسذاجة[11]

والعلمانية مبادئ خاطئة،!! و انتشارها يعود لمتاجرتها بالشعارات والأهداف العامة، وركوبها الحصان المادي، ولمساندتها من أوربا وأمريكا، وهي دول قوية وغنية، ولقدرتها الفائقة على تـــشويه المبـــادئ الإسلامية والدينية وغير ذلك، فهي وبلا شك عملية تزوير متقنة تحتاج *صفحات كثيرة* حتى نثبـــت أنها مبادئ خاطئة، وقد صنفت حولها عشرات الكتب والمجلدات ،

يقوم بعض مؤيدي العلمانية بين فترة وأخرى بإعطائها تعريفات جديدة،، منها أنها ظاهرة كونية معقدة وبسيطة في آن واحد،! وأنها تعني المجتمع المدني،! وأنها شأن بالغ التعقيد والتنوع! وأنها تعني حقوق الإنسان وسيادة الأمة والديمقراطية ، ومبدأ فصل السلطات، وتعني الفصل بين التعليم الديني والتعلـــيم المدني..الخ.. لكن هذا التفسير لم يضف للعلمانية جديداً لأن هذه ليست العلمانية فالعلمانية تعني فصل

---

[10] - كتاب : العلمانية نشأتها وتطورها - الشيخ سفر بن عبد الرحمن الحوالي

[11] - كتاب : العلمانية في ميزان العقل - للدويهيس ص7

الدين عن الدولة، وتعني رفض الإيمان الصحيح بالله سبحانه وتعالى، ورفض اتباع أنبيائه ودينه وهي تبني حياتها كدولة وأفراد على آراء واقتناعات الفلاسفة المتناقضين، وعلى الأهواء الشخصية والشهوات والملذات ، واستبعاد الروحيات والإستهزاء بالغيبيات ،

وقد أذكى المستشرقون المخربون في كيان الأمة الإسلامية النزعة العقلية في الدراسات كلها فضلاً عن الدراسات العقدية. ((إذ أن الاستعمار الصليبي والصهيوني، فَشِلَ حين فَرَضَ العَلمانية بجنوده؛ فقد أحس المسلمون به، فتحصنوا منه.! وحين فرض العلمانية بعملائه الذين رباهم في مدارسه، وربطهم بفلكه، واستعبدهم بالجاه والمال؛ رفض المسلمون ذلك، فما استطاعوا أن يصلوا إلى قلوبهم ، والمحاولة اليوم خَطِرةٌ حقًا، فإن العلمانية تُفرضُ بحقٍّ يَدَّعي لنفسه العمل للإسلام، ويَنسِب إلى نفسه الريادة، ويَصف حركَته بالبَعث، ويُهياء له المناخ ليكون إمامًا، ولتكون دعوته نهضة. وهي في حقيقتها عَلمانية... أو عصرية... أو تغريب... أو ما شئت من الأسماء))[12]

ولم يتجرأ العلمانيون العرب على إعلان حربهم الصريحة على الإسلام، ولهذا يقولون كذباً ونفاقاً ومكراً أنهم مسلمون، وأنهم يريدون الإسلام، !! وأن اختلافهم وصراعهم هو مع جماعات إسلامية، واجتهادات متطرفة وخاطئة ولكن هذه ليست الحقيقة لأنهم أهل الأفكار الرأسمالية والشيوعية والليبرالية والاشتراكية والعنصرية، ويرفعون بعض أو أغلب شعاراتها وأهدافها،

ومن وصل منهم للحكم اضطهدوا علماء المسلمين، وسجنوا بعضهم، وقتلوا بعضهم، وحاربوا أهل الصلاة والمساجد ،، !

وكان ولا زال العلمانيون هم المدافعون عن كُتاب عرب متهمين بالإلحاد والزندقة وهم الذين يضعون دائماً أيديهم بأيدي أعداء الإسلام . فالعلمانيون طابور خامس أعلن خيانته العقائدية للإسلام[13]

هؤلاء إذن هم الحفنة المفخخة ببرامج الغرب ، المشتغلة لإرضائه ، الملقحة بأفكاره ، وليس غرضي في الرد عليهم هو إرشادهم ووعظهم ، فإنهم لا يرعوون، وعن غيهم ليس يعودون، إذ هم أعداء حقيقة لا مجازا، ومناوئون صدقا لا ادعاء، فهم ماديون ملحدون لكن بلباس المؤمنين ، أبناء جلدتنا لكن ليسوا أبناء عقيدتنا ، يتظاهرون بنصرتنا لينالوا من ديننا وعقيدتنا.

ولذا كان خطرهم أشد وسمهم أنفذ ، لأنه إذا كانت هذه الفتن من عند الكفار، فنحن على بينة منهم، لكن الأمر يكون أدهى وأمر حينما تخرج هذه الفتن من بني جلدتنا، وممن يتكلمون بألسنتنا.

---

[12] - كتاب : القول السديد في وجوب الاهتمام بالتوحيد كتبه : إسلام محمود دربالة

[13] - كتاب : العلمانية في ميزان العقل - للدويهيس

حفنة القرآنيين وبيان ضلالهم

إلى جانب العلمانيين ، هناك فرقة أخرى ، طائفة ضالة انتسبت للقــرآن كــذبا وزورا ، وضـــررهم ومكايدهم لا تقل عن الطائفة السابقة ، تلك طائفة "القرآنيين" الذين اتخذوا اسماً لطائفتهم مــن القــرآن الكريم وهو اسم براق يجذب الناس ويجعلهم يقبلون بحسن نية، ولكنه اسم يخفي تحته حركة مخربــة للدين كله تحت رعاية ودعم المشروع الأمريكي., ويلزمهم على مذهبهم ترك الكتاب والسنة ،
ظهرتْ هذه الطائفة نهاية القرن التاسع عشر في الهند بتخطيط وإيعاز من الإستعمار الإنجليزي قــصد إضعاف جموع المسلمين هناك وإضعافهم عن مواجهة العدو المستعمر الغربي تزعمها (ســيد أحمــد خان) صاحب اللسان الأعجمي والقلب المفتون. وهو أول من أظهر الروح الانهزامية أمــام الأعــداء المستعمرين، وكان متعاوناً مع الإنجليز وسعى في إخماد ثورة 1857م وكافأته الحكومــة الإنجليزيــة براتب شهري ،
وقد كان "سيد خان" أول رجل في الهند الحديثة ينادي بضرورة وجود تفسير جديد للإســلام: تفــسير تحرري وحديث وتقدمي، وقد وصف الأستاذ العلاّمة السيد "أبو الحسن علي الحسني الندوي" مدرســته التي أنشأها بأنها قامت ((على أساس تقليد الحضارة الغربية وأسسها المادية، واقتباس العلوم العصرية بحذافيرها وعلى علاّتها، وتفسير الإسلام والقرآن تفسيراً يطابق ما وصلت إليه المدنيــة والمعلومــات الحديثة في القرن التاسع عشر المسيحي، ويطابق هوى الغربيين وآراءهم وأذواقهم والاستهانة بمــا لا يثبته الحس والتجربة ولا تقرره علوم الطبيعة في بادئ النظر من الحقائق الغيبية))[14]
قال عنه الشيخ ناصر العقل: "إن حركة السيد أحمد خان هي أول اتجاه علماني فكري حديث قام بشكل منظم في العالم الإسلامي" (الجاهلية الجديدة، ص40) .

ولم يكن "سيد خان" أول ممثل للنزعة العصرانية فحسب، بل كان نموذجاً كاملاً لها، وكل الذين جاؤوا من بعده لم يضيفوا شيئاً جديداً بل كانوا يعيدون صياغة أفكاره بصورة أو بأخرى.
ثم انتقل هذا الفكر إلى البلاد العربية فتبناه المصري (رشاد خليفة) وهو من مدعي النبــوة ، وخلفــه تلميذه وخلفه أحمد صبحي منصور .
ولا تنفصل هذه الطائفة بحال عن محاولات تشويه القرآن الكريم عبــر مراكــز دراســات أمريكيــة ومحاولة إصدار قرآن جديد باسم "الفرقان الحق". إنهم يعملون ليل نهار على ضرب ونسف الأســس التي يقوم عليها الإسلام.. يعملون على تشويه القرآن ، ويحاولون إلغاء السنة بعد التشكيك فيها حتى لا يبقى للمسلمين شيء من دينهم.. لكن محاولاتهم تبوء دائماً بالفشل {ويمكــرون ويمكــر الله والله خيــر

[14] - "الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية" للأستاذ الندوي، صفحة 65 طبعة دار القلم بالكويت- طبعة 5

الماكرين}. هؤلاء إذا هم القرآنيون وهذه قصة ظهورهم ، ويعرفون بمصطلح (الأريكيون) اشتقاقا من حديث (**لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أَمرت به أو نَهيت عنه ، فيقول : بيننا وبينكم هذا القرآن ، فما وجدنا فيه من حلال حلّلناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرَّمناه ، ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا وإنه مثل القرآن أو أعظم** ") وهذا الحديث من أشد ما يغيظهم ويؤرقهم ولذا يصطلحون عليه استهزاء بحديث الأريكة ومن تم وسموا وسُموا بـ(الأريكيين) أو (منكروا السنة) وإنكار السنة كفر وزندقة ومروق ،

قال محمود محمد مزروعة: (وهذه الدعوى قديمة ، والعداء لرسول الله ﷺ ولسنته موروث . لكن الجديد هو هذه الفئة من أعداء الله ورسوله والمسلمين ، منكري سنة رسول الله ﷺ –التي بدأت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين الميلادي في بلاد الهند، ثم انتقلت إلى باكستان ، وما تزال. وأعجب أمر هؤلاء أنهم يُنْسَبون إلى القرآن المجيد ، فهم يحبون أن يسموا أنفسهم "القرآنيون " نسبة إلى القرآن كتاب الله المجيد ظلمًا وزورا . وقد اختاروا هذه النسبة إيهامًا للناس بأنهم ملتزمون بكتاب الله القرآن . هذا من جانب ومن جانب آخر يشيرون من طرف خفي إلى أن غيرهم من المسلمين الذين يؤمنون بسنة رسول الله ﷺ ويعملون بها ليسوا قرآنيين ، وأنهم اشتغلوا بالسنة وتركوا القرآن ،–وأيضًا– حتى يجنبوا أنفسهم المؤاخذة ، ويقطعوا سبل الاعتراض عليهم ، لأنه من ذا الذي يعترض على طائفة أعلنت أنها تنتسب إلى القرآن وتتمسك به ؟.[15]

وليس من المستغرب وجود مثل هذه الطائفة ، فأعداء الإسلام كُثُر ، ومنكرو السنة مضت بهم القرون جيلًا بعد جيل ، وقد أخبر عنهم رسول الله ﷺ كما في الحديث المشار إليه أعلاه وهو ما ينكرونه ويتضايقون منه ويسمونه بحديث الأريكة .

والمسلم المؤمن يجب عليه أن يؤمن بأحاديث الرسول ﷺ كلها – إن صحت عنه – وألا يرد شيئاً منها ؛ لأن أحاديثه وسنته ﷺ وحي من الله ، والذي يرد حديث رسول الله ﷺ فقد رد الوحي من الله . قال تعالى : { والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى } النجم / 1 – 6 .

وقد أوجب الله تعالى على الناس طاعة نبيه ﷺ وأمر بذلك في آيات كثيرة من القرآن نذكر منها : قال الله تعالى : { قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين } آل عمران32 . وقال : { من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا } النساء / 80 . وقال : {يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا } النساء / 59 . وقال : { وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة

[15] ـ شبهات القرآنيين حول السنة النبوية المؤلف : أ.د. محمود محمد مزروعة

وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون } النور / 56 . وغير ذلك من الآيات الكثيرة . فطاعة الرسول هي باتباع أوامره واجتناب ما نهى عنه ، وأوامره ونواهيه هي السنة ومنكر السنة كافر مرتد .

قال السيوطي رحمه الله في رسالته "مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة" : اعلموا رحمكم الله أن من أنكر أن كون حديث النبي ﷺ قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجة كفر وخرج عن دائرة الإسلام ، وحشر مع اليهود والنصارى أو مع من شاء الله من فرق الكفرة اهـ

وهؤلاء الذين يريدون الإكتفاء بالقرآن _ القرآنيين_ ، مذهبهم هذا قديم حذر الرسول ﷺ منه في أكثر من حديث كما سيأتي. ومن أوضح الأدلة على بطلان هذا المذهب أن القائلين به لا يعلمون به !! إذ كيف يصلي هؤلاء ؟ وكم صلاة يصلون في اليوم والليلة ؟ وكم ركعة ؟ وما هي الأحوال التي تجب فيها الزكاة ؟ وما هو نصابها ؟ وما القدر الواجب إخراجها منها ؟ وكيف يحجون ويعتمرون ؟ وكم مرة يطوفون بالكعبة ؟ وكم مرة يسعون بين الصفا والمروة ؟ ... وأحكام أخرى كثيرة لم يرد تفصيلها في القرآن ، وإنما ذكرها القرآن مجملة ، وبينها الرسول ﷺ بسنته . فهل يترك هؤلاء العمل بهذه الأحكام بحجة أنها لم ترد في القرآن ؟ إن كان جوابهم نعم فقد حكموا على أنفسهم بالكفر لإنكارهم ما هو معلوم من الدين بالضرورة وأجمع المسلمون عليه إجماعاً قطعياً .!! وإن كان جوابهم أنهم لا يتركون العمل بهذه الأحكام فقد حكموا ببطلان مذهبهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – بعد ذكره للآيات التي تحث على اتباع الرسول ﷺ – ، قال :

فهذه النصوص توجب اتباع الرسول وإن لم نجد ما قاله منصوصا بعينه في الكتاب ، كما أن تلك الآيات توجب اتباع الكتاب وإن لم نجد ما في الكتاب منصوصاً بعينه في حديث الرسول غير الكتاب . فعلينا أن نتبع الكتاب وعلينا أن نتبع الرسول ، واتباع أحدهما هو اتباع الآخر ؛ فإن الرسول بلَّغ الكتاب ، والكتاب أمر بطاعة الرسول ، ولا يختلف الكتاب والرسول ألبتة كما لا يخالف الكتاب بعضه بعضاً قال تعالى: { ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً (النساء} ، والأحاديث كثيرة عن النبي ﷺ في وجوب اتباع الكتاب ، وفى وجوب اتباع سنته كقوله : " **لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أَمرت به أو نَهيت عنه ، فيقول : بيننا وبينكم هذا القرآن ، فما وجدنا فيه من حلال حلّلناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرَّمناه ، ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا وإنه مثل القرآن أو أعظم** " ، هذا الحديث في السنن والمسانيد مأثور عن النبي ﷺ من عدة جهات من حديث أبي ثعلبة وأبى رافع وأبي هريرة وغيرهم . وفى صحيح مسلم عنه من حديث جابر أنه قال في خطبة الوداع : " **وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده كتاب الله تعالى** " (وللحاكم : " **كتاب الله وسنتي** " صححه الألباني في صحيح الجامع 2937) ،

وسنة رسول الله ﷺ تفسر القرآن كما فسرت أعداد الصلوات وقدر القراءة فيها والجهر والمخافتة وكما فسرت فرائض الزكاة ونصبها ، وكما فسرت المناسك وقدر الطواف بالبيت والسعي ورمي الجمار ونحو ذلك .

وهذه السنة إذا ثبتت فإن المسلمين كلهم متفقون على وجوب اتباعها وقد يكون من سنته ما يظن أنه مخالف لظاهر القرآن وزيادة عليه ، كالسنة المفسرة لنصاب السرقة والموجبة لرجم الزاني المحصن فهذه السنة أيضا مما يجب اتباعه عند الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر طوائف المسلمين .[16]

فالحرام ما حرمه الله في كتابه، أو حرمه رسوله ﷺ في سنته، كما أن الواجب ما أو جبه الله أو أوجبه رسوله ﷺ ومن زعم الاكتفاء بالقرآن الكريم والاستغناء به عن السنة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وكان في زعمه للإسلام واكتفائه بالقرآن كاذباً. وبيان ذلك أن السنة شارحة للقرآن مبينة له، وقد تأتي منشئة للأحكام، لأنها وحي من الله تعالى إلى رسوله الكريم ﷺ كما قال تعالى: **(وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى)** [النجم:3، 4] وقال تعالى: **(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)** [الحشر: 7]. فالذي جاء به الرسول ﷺ حق كما أن القرآن حق .

"يقول البربهاري: (إذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر فلا يريده ويريد القرآن فلا شكَّ أنَّه رجلٌ قد احتوى على الزندقة، فقُم من عنده ودَعْه). وقال (وإذا سمعتَ الرجل يطعن على الآثار أو يردُّ الآثار أو يريد غير الآثار فاتَّهمه على الإسلام، ولا تشك أنَّه صاحب هوى مبتدع).

والناس يظلون متّحدين ما دام يجمعهم حقّ مشترك ، وهذا الحق هو الكتاب والسنة وإجماع السلف ، وإنما يأتي التفرق والاختلاف من ترك بعضهم بعضَ الحق ، فيتفرقون شذر مذر ، وهذا واقع القرآنيين ؛ فإنهم الآن أربع فرق متباينة ، فلم يجمعهم إنكارهم للسنة ، فكيف يطالبون المسلمين بترك السنة بُغية الاتحاد ؟ بئس ما تمنّوا وساء ما حكموا !

... وقد سبقهم إلى ذلك – في عصور سالفة – بعض الزنادقة والمارقين . فما كان حالهم في الظهور والافتضاح إلا شراً ممن جاهروا بالكفر والعصيان ومحاربة كتاب الله عز وجل ، بل غدت الأمة الإسلامية تتقى شرهم أكثر مما تتقى مجاهرة الكافر بكفره، والفاسق بفسقه) .

وقد تبين أن الشبهات التي يتزيون بها سبقوا إلى معظمها من منكري السنة قديماً وحديثاً ، فمقولة " حسبنا كتاب الله " هي مقولة الخوارج القدامى ، وإثارة قضيتي تأخر تدوين السنة وروايتها بالمعنى سبقهم إليها المستشرقون ، إلا أن القرآنيين تميزوا بالجهل المطبق بالسنة عموماً وبكلام أهل العلم في علومها ، ، وتميزوا أيضاً بالجرأة وقلة الأدب في رد السنة ،

---

16 - " مجموع الفتاوى " (19 / 84 - 86) بتصرف يسير.

وأخيراً فإننا لا نستطيع إلا أن نرتاب في أمر هؤلاء الناس الذين قرروا إطلاق أنفسهم من ربقة القرآن الكريم وأحكامه، قبل أن يقرروا إطلاقها من مقتضيات السنة وأحكامها . ولكن شق عليهم أن يواجهوا الناس بخروجهم على القرآن الكريم وتعليماته، فأضافوا إلى القرآن الكريم ما لا مضمون لـــه إلا مـــا تهواه أنفسهم ويتفق مع رغائبهم وأغراضهم ... وكان غرضهم الوحيد من ذلك هو أن يبعـــدوا الـــسنة عن طريقهم ويقطعوا ما بينها وبين القرآن الكريم من علاقة التفسير والتكامل والبيان .

"نعم" إن الاقتصار على الكتاب رأى قوم لا خلاق لهم، خارجين عن الطريقة المثلى، وخارجين عـــن السنة المطهرة، فأداهم ذلك إلى الانخلاع عن الجماعة، وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله فـــضلوا وأضلوا") .[17]

وقد صدق فيهم قول الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى : **إن أخوف ما أخاف على أمتـــي ثلاث : زلة عالم وجدال منافق بالقرآن ودنيا تفتح عليهم** (الطبرانى ، والدارقطنى عن معاذ)

وفي رواية : **إن أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان**،[18] وعن ابن عباس قال : خطبنا عمر فقال (إن أخوف ما أخاف عليكم تغير الزمان وزيغة عالم وجدال المنافق بالقرآن وأئمة مـــضلون يضلون الناس بغير علم).[19]

والذئب أخبث ما يكون إذا بدا   متلبساً بين النعاج إهابا

(تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ) [البقرة:118]،

[17] - وهنالك جهود كثيرة في الرد على هؤلاء وكشف فضائحهم وبواطيلهم، من أشهرها: "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي" لمصطفى السباعي، و"دراسات في الحديث النبوي" لمحمد الأعظمي، و"الأنوار الكاشفة" للمعلمي اليماني، و"حجية السنة" لعبد الغني عبد الخالق، و"دفاع عن السنة" لمحمد أبو شهبة، و"السنة المفترى عليها" للبهنساوي، و"موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي" لمحمد بن إسماعيل السلفي، و"زوابع في وجه السنة قديمًا وحديثًا" لصلاح مقبول.

[18] - أخرجه أحمد (22/1 ، رقم 143) وابن أبى الدنيا فى ذم الغيبة (ص 91 ، رقم 8) وفى الصمت (ص 109 ، رقم 148) وابن عدى (104/3 ترجمة 640 ديلم بن غزوان أبو غالب) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (284/2 ، رقم 1777) ، والضياء (343/1 ، رقم 235) .
وأخرجه الطبرانى (237/18 ، رقم 593) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (283/2 ، رقم 1775) . وأخرجه أيضًا : البزار كما فى كشف الأستار (97/1 ، رقم 170) . قال المنذرى (75/1) : رواه الطبرانى فى الكبير والبزار ورواته محتج بهم فى الصحيح . وقال الهيثمى (187/1) : رواه الطبرانى فى الكبير والبزار ورجاله رجال الصحيح .

[19] - [كنز العمال 29401] وأخرجه أيضًا : البيهقى فى المدخل إلى السنن الكبرى (443/1 ، رقم 833)

الفئات العصرية المارقة مواقفها ومساعيها ومن يدسها

قال تعالى : **بل ادارك علمهم في الاخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون**

تشهد هذه المرحلة من تاريخ الأمة الإسلامية هجمات غير مسبوقة في حجمها أو كثافتها من جهة، ومن جهة أخرى من حيث تنوعها وتباين منطلقاتها، وتشترك معظم هذه الهجمات في كونها موجهة للعقيدة والأمة الإسلامية وأصول الدين والشريعة.

وهذه الهجمات تأتي في سياق حرب الإسلام من داخله وباستعمال أبناء جلدته ، بعد انكسار موجة الهجوم على الإسلام من خارجه، كما كان الشأن في صدر الإسلام، فبعد أن فشلت جهود كفار قريش وأعوانهم في الصد عن دين الله تحولوا لإستراتيجية الحرب من الداخل، كما حكى القرآن الكريم عن مكرهم الجديد إذ يقول بعضهم لبعض : "آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ"، و منذ ذلك الوقت نشأت ظاهرة النفاق والمكر والدسيسة التي لا تزال إلى اليوم، رغم أنها في أحيان كثيرة لا تخفي نفسها!!

وقد شهد التاريخ الإسلامي ردةً تصدى لها الصديق رضي الله عنه، ومن بعده جاءت فتنة خلق القرآن فواجهها الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، أما اليوم فإن الفتن لا تجد إماماً يتصدى لها ويقف في وجهها، ومع تقديرنا للجهود المباركة التي يقدمها بعض علمائنا ودعاتنا، فإن ما تواجهه الأمة يحتاج أضعاف ما هو مبذول لذلك من وقت وجهد وفكر ومال.

وهذه الهجمات على العقيدة الإسلامية وأصول الدين والشريعة يمكن إجمالها في المجالات التالية:

* رعاية المنحرفين من القرآنيين والعقلانيين والمرتدين وفسح المجال لهم في وسائل الإعلام المختلفة ، وزيادة نشاطهم وتشجيعهم والدفاع عنهم ،

* محاولة ترسيخ أحقية من يسمونهم "المثقفين" أو المفكرين" من الملاحدة والماركسيين وغيرهم في تناول أمور الإسلام، وعدم قصره على علماء الشريعة !!

* محاولة ضرب أسس فهم الدين من معرفة النصوص ومعرفة اللغة ومعرفة أصول الاستنباط (أصول الفقه)، بالدعوة لمنهج جديد في إثبات النصوص الشرعية وترسيخ مناهج الألسنيات في معرفة اللغة، والمطالبة بتطوير أصول الفقه.

* السعي لتكوين تيارات منحرفة وشاذة داخل الصف الإسلامي وإعطاءها الحق في تقديم رؤيتها للإسلام ، كتجمع المرتدين عن الإسلام ، أو تيار الإسلام النسوي، أو المسلمين الشاذين جنسيا!!

* تكثيف المطالبة بعلمنة الإسلام في شؤون الحكم، بدعوى الخوف من النزاعات والصراعات الطائفية
* الجهود الشيعية – الإيرانية وغيرها– الرامية لنشر التشيع وزرع عقائده الباطلة بين المسلمين .
* الدعم والتشجيع اليهودي واليساري للطرق الصوفية في العالم، لضرب منهج التمسك بالكتاب والسنة ، والعودة للخرافات والبدع والمنكرات، والاستسلام لأعدائنا باسم التسامح والأخوة الإنسانية.
لعل هذه أهم الهجمات التي تواجهها العقيدة وأصول الشريعة الإسلامية اليوم. والحقيقة أن كل واحدة من هذه الهجمات منفردة تحتاج لجهود ضخمة لمقاومتها وصدها فكيف وهي مجتمعة!!.[20]

وهذه الجهود والمحاولات والدسائس والمؤامرات أعطت أكلها للمتربصين والكائدين ، حيث مكنت من زرع نباتات خبيثة وفئات مفخخة داخل جسم الأمة الإسلامية ، وهي في أغلبها فئات واعية بما يراد منها مدركة لمخططاتها ، بيد أن هناك فئات أخرى ميعت وقيدت وسيقت لتنفيذ هذه المخططات فهي تسعى لذلك بحسن نية دون وعي ولا إدراك لما يراد منها ، ولا فهم لما يؤول إليه أمرها ،
ولهذا فإننا _عند تأملنا_ في مجمل هذه الطوائف والحركات الموجودة حاليا في مجتمعاتنا ، والتي تبث سمومها بين أظهرنا ، نجد أنها لا تختلف عن بعضها بكثير ، وأغلب المتتبعين يرون أنها فرق متباينة وفي بعض الأحيان متضادة أو متناحرة ، لكن من وجهة شرعية عقائدية هي جيش واحد منقسم إلى كتائب وفيلقات، فقد اختلفوا فقط في التموقع ونوع الأسلحة التي يحملونها، لكنهم متفقون متوافقون على عدو وهدف واحد، وسيرى المتتبع كذلك أنها تسير وفق المخططات والمناهج المرسومة المشار إليها.
ولمعرفة حقائقهم وكنههم عليك النظر إليهم من زاوية بعيدة لترى أنه وإن اختلفت ألوانهم وأسماؤهم فهم يتفقون في الهدف ، تعددت الأسماء وتنوعت التيارات ، ولكن الهدف من وراء كل ذلك واحد .
ولهم عقائد ومناهج و أصول في العقيدة والفقه وأهداف ، يكادون يتفقون على معظمها نذكر منها ، :
1 ـ السعي إلى إلغاء باب الكفر بالطاغوت وباب المرتد من كتب الفقه وإلغاء باب التكفير بحق وتسمية ذلك تطرفا وغلوا ، وخارجية وحرورية وتيار تكفيري ،
2ـ ، إلغاء باب الجهاد وتسميته بالتطرف والغلو والإرهاب _ولوكان جهادا بالكلمة_ ، واستبداله بالجهاد السياسي الهش على الطريقة العلمانية ،
3ـ في باب المصدر والتلقي ، فهم معتزلة يقدمون العقل على النقل ، وزادوا على المعتزلة القدماء بالسير على ما يسمى بالمنهج التجريبي وهو أن الأصل الشك في كل شيء حتى المسلمات العقدية إلى أن تثبت ، وزادوا على المعتزلة تقديم الهوى ومتطلبات العصر الحديث على النص ،
4ـ وفي باب الفقه تتبع الرخص ، والأخذ بأسهل ما قيل وأنسب وأخف ما قيل بحيث يركبون من ذلك فقها جديدا ويميلون فقهيا إلى أن يوافق الأطروحات العلمانية وما يوافق النظام العالمي الجديد ، وما

[20] - مجلة الراصد مع تصرف واختصار شديد

يوافق الأهواء ، وتسمية ذلك فقه تيسير ، خصوصا قضايا المرأة والحكم والسياسة وما يُسمونه بـــالفن والغناء والتمثيل وما يتعلق بالحرية ،والتصوير ،والأزياء واللباس .. الخ

وطريقتهم في ذلك استعراض خلاف العلماء ،وكل قول قيل وكل شاردة وواردة وكل هفوة وزلة ، فما وافق الوقت والعصر فهو الراجح ، فهذه أسباب الترجيح عندهم وهذا أصل مبتدع في هذا الباب ومـــن باب المكر والحيلة فبدل أن يقولوا هذا يوافق العصر والهوى يجعلون لافتة لهم للوقاية مـــن الـــشناعة والذم فيقولون قال به العالم الفلاني ،

5ـ من أصولهم محاولة تعويد الناس على الخلاف وإطلاع العامة على ذلك لكـــي لا ينبـــذهم النـــاس ويرفضونهم ، وإنما يتسترون خلف لافتة أن المسألة فيها خلاف فلماذا التشدد والمعارضة ،

6ـ من أصولهم وسلاحهم رفع شعار الحرية والحوار لكن بغير الضوابط الشرعية ،

7 ـ موقفهم من الاجتهاد فتحه على مصراعيه لكل من هب ودب ، واتخاذه ذريعة رسمية لكي يقولوا ما يناسبهم باسم الاجتهاد ، ويشرعوا ما يحلوا لهم ،

8ـ موقفهم من الإجماع التشكيك والرد ، لأنه عائق في بعض القضايا المهمة عندهم ،

9ـ موقفهم من الصحابة والسلف عموما التحقير والازدراء والطعن والإستهزاء

10ـ موقفهم من التاريخ الإسلامي تناوله بحقد وتشويه ودس وتسفيه .

11ـ موقفهم من أي دولة إسلامية ترفع شعار الإسلام الصحيح وتطبق الـــشريعة تطبيقـــا صـــادقا ، موقف العداء مستعملين جميع أساليب التشويه والتشنيع والاتهام بالغلو والتطرف ،

12ـ موقفهم من العلماء وطلبة العلم مختلف حسب مصالحهم ، فالعلماء وطلبة العلم عندهم أقسام

13ـ موقفهم من الصحوة محاولة تمييعها وتشتيتها وتهيئتها لتقبل الواقع والتنازلات ،

14ـ موقفهم من المرتدين و أهل البدع مهزوز ، فيميلون إلى التعاطف معهم والـــدفاع عـــنهم وعـــن رموزهم ، والتعاطف مع الأقليات المنحرفة ،

15ـ موقفهم من الشعائر الدينية والأركان الخمسة الإزدراء واللامبالاة

ـ أما بالنسبة للتوحيد التميع والإنهزامية، أما الصلاة فيميلون إلى التسهيل فيها حسب الإمكان والمتاح من الأقوال التيسيرية ،فصلاة الجماعة في المسجد سنة ويجوز إمامة المرأة للرجال ، ويجوز الجمـــع مطلقا ، وتارك الصلاة مطلقا ولو مدى الحياة لا يكفر ، إلى غير ذلك .

ونحن أوردنا مجمل أفكارهم ومعتقداتهم على وجه الإجمال ، وإلا فمنهم من هو أبعد عن مسائل الدين من الآخر ، والهوة تظهر أكثر إذا ما قارنا بين العلمانيين والعصرانيين ، لكـــن مـــن جهـــة العقيـــدة الصحيحة والمنهج السليم فكلهم في خندق واحد .

ونحن نستطيع أن نجمل هذه الصور والأشكال ، وهذه الأصناف في نوعين اثنــين . النــوع الأول ؛ أعداء للإسلام أعلنوا عداءهم في وضوح ، ونابذوا المسلمين فــي جــلاء ، مــن أمثــال الــصليبيين والشيوعيين والعلمانيين الصريحين ، وأصناف الملاحدة عامة ، الذين أعلنوا عن إلحادهم ، ومــوقفهم في كل الأمور ، وهؤلاء ضررهم قليل ، وخطرهم معروف ، لأن عداءهم معلن ، وكفــرهم ســافر ، فالمسلمون منهم على حذر ، ومن كيدهم ومكرهم على ترقب وتوجس .

أما النوع الثاني ؛ فهم المنافقون الزنادقة الذين يظهرون غير ما يبطنون ، يتدثرون بعباءة الإســلام ، ويصطنعون الحرص عليه ، والدعوة إليه والعمل على وحدة الأمة ، وبينما يعلنون ذلك يسعون إلــى تحقيق أغراضهم الخبيثة من القضاء على الإسلام عن طريق التشكيك في مصادره الموحى بهــا مــن عند الله –عز وجل –وبخاصة السنة النبوية المطهرة . وذلك بإثارة الشبهات ضد سنة رســول الله – صلى الله عليه وسلم–، والزعم بأنها ليست من الدين ، ولا صلة لها بالتشريع الإسلامي، ويزعمون أن القرآن هو المصدر الوحيد للشريعة الإسلامية . وعندما يتناولون القرآن يتناولونه كأي منهج حديث أو كتاب مطبوع ، يتأولونه حسب الأهواء والمصالح والأطماع، فتأويلهم وتفسيرهم هو الصحيح الصالح، كما رأينا في غير ما موضع من كتبهم ومقالاتهم عبارات الإشادة بالعقل وكأنه حكرٌ عليهم، حجر على غيرهم، ولم يستحيوا أن يصفوا أنفسهم بأهل العقل والتفكير ، والثقافة والتنوير ، فعلى هــذا المفهــوم غيرهم لا يمتلك العقل ولا يفكر ، وحتى إن فكلا وقال لا يقبل منه قول ولا تفكير

إنهم فريق التحف الإسلام وتبطَّن الكفر، يحمل بين فكيه لساناً مسلماً، وبين جنبيه قلباً كــافراً مظلمــاً، يحرص كل الحرص على أن يطفئ نور الإسلام ويهدم عز المسلمين، فلم يجد أعون لــه علــى هــذا الغرض السيئ، من أن يتناول القرآن بالتحريف والتبديل، والتأويل الفاسد الذي لا يقوم على أساس من الدين، ولا يستند إلى أصل من اللغة، ولا يرتكز على دليل من العقل...ونحن لا نخشى على الإســلام من أعدائه بالقدر الذي نخشى عليه من أدعيائه. لسان حالهم:

لن تستريح قلوبنا إلا إذا لم يبق في الأرض الفسيحة مسلم

ولذا نقول إنه صح أن توصف تلك الشرذمة بما جاء في الحديث **(أخوف ما أخاف على أمتي ..)**

وعن زياد بن حدير؛ قال: "قال لي عمر رضي الله عنه: هل تعرف ما يهدم الإسلام ؟ قال: قلت: لا **!** قال: يهدمه: **زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين**". رواه الدارمي

وما رأيت فئة يأكل الدليل الواحد أدلتها جميعًا كهؤلاء الزنادقة المارقين ؛ فهم عند أنفــسهم كــالجمرة المتوقدة: لا يشبعها حطبُ الدنيا، ولكن غرفة من الماء تأكل الجمرة، وهم مخذولون بقوة لله؛

فإنهم كقطيعٍ لا عقول لهم يكفي لإسكاتهم ماء وأعلاف

الكاتب وبحثه كله متناقضات وتخبطات

يتخيل الكاتب ويتصور أن ما كتبه يتعمق في ماضينا الديني تحليلاً وتمحيصاً, فيظن أنه قدم صورة جذابة لم نعتد عليها, أو أنها فكرة تستحق التأمل والتنويه, وأنه حرك صخرة طالما أخافت أو أثقلت السابقين واللاحقين ، ظانا أنه قد نجح في إثارة النقع، وتحريك المياه الآسنة، في ثقافة اعتادت السكون والصمت ، وما هو إلا كمن يكذب ويصدق نفسه في كذبتها ، كما صور نفسه زعيما (لثورة علمية غير مسبوقة أيضا،) إلا إن هذا الكتاب لم يظهر من معالجة كاتبه أي رؤية تعبر عن فكر سديد, ولا رأي يجذب الناظر له سوى البهرجة وإثارة القارئ بعنوانه الضخم ، دونما التوصل لحقيقة مجردة يمكن أن نعتبرها اكتشافا أو مناقشة أو إثارة ,

إن الكتاب _كمصادره_ كله قدح وطعن وتنقيص واتهام لمقام العلماء المخلصين والصحابة المطهرين ، بل للوحي وصاحبه ، نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى ، ثم يتظاهر الزنادقة المأجورون بالتعقل والحلم ، ويدعون إلى الحوار العلمي الهادئ ، ويستنكرون السب والشتم ، ويتظاهرون بالمظلومية ، ويمثلون دور الضحية ،

تلمس ذلك من تذبذب الكاتب في أساليبه وتناقضه في معاييره ، فتلفاه يقبل أساليب وحججا للإستدلال لرأي وزعم ما ، ثم ينقضها من أساسها عندما لا تؤيد مزاعمه ولا تزكي منحاه في مكان آخر ، فعندما لا يجد ما يعضد به رأيه وينصر به هواه إلا الحديث ، يورده باستيفاء ويسرده باحتفاء ، خذ مثالا على ذلك عندما أراد إثبات رأيه في النهي عن تدوين الحديث أتى بكل ما جادت به فأرته ، مستدلا بالأحاديث والآثار على أن النبي ﷺ منع تدوين الحديث ، يقول (والآثار تدل دلالة قطعية على منع الرسول لأصحابه من تدوين كلامه")ص19) وقبلها قال (..بعجالة سنورد بعض الأحاديث .. والتي تمنع تدوين الأحاديث، كما سنورد بعض الآثار عن صحابته الكرام والخلفاء الراشدين..) ص17) فها هو ذا يستدل على أن الرسول منع صحابته من تدوين الحديث ، وأن الصحابة رضوان الله عليهم حافظوا على طاعة أمره ﷺ في منع كتابة الحديث. ثم يستدل لرأيه بعين الحديث ، بغثه وسمينه ، وقويه وهزيله ، أفلا يكون ذلك شبيها بمن ينكر قدرة زيد على النطق مستشهدا بشهادة زيد بفمه ، فلو كان زيد أبكم ما تأتى له أن يقول ذلك بفمه ،! وفي مقابل هذا يشنع على رواة الحديث ومن يجيز روايته بل ذهب أبعد من ذلك إذ ينكر الحديث جملة وتفصيلا ويعتبره خرافة فيقول ("لا يمكننا بأي حال من الأحوال اعتبار خرافة الحديث علمًا ، لأنها لا تملك من العلم شيئًا ، ومنهجها منهج أهواء، وأسلوبها انتقائي مزاجي، يخضع لأقوال الرجال" ص 48)

ومن المثير أنه استشهد بحديث لمنع التدوين ورد على الأحاديث الأخرى المجيزة أنها مصطنعة مكذوبة فقال (تم إيجاد وصنع أحاديث أخرى تأذن بتدوين كلام الرسول 19) فالحديث الذي يوافق هواه ويؤيد منحاه هو قوي صحيح وعشرات غيره مكذوبه مصطنعة إنما تم إيجادها لتكذيب أيلال ليس إلا.

قال الأستاذ أحمد السرار[21] في مقال له في هذا الموضوع : من جهة أخرى، لم يخضع الكتاب لمنهج علميّ في الاستدلال على فرضية أسطورية "صحيح البخاري".. فقد مزج بين إنكاره لعلم الرجال، وعلم الجرح والتعديل، وغيرها من العلوم التي تتأسس عليها الرواية الإسلامية، وفي نفس الوقت اعتمد على الروايات الإسلامية لإثبات طرحه، دون أن يميز بين الصحيح والضعيف، وهذا خلل في المنهج والمنطلقات والتصورات. أهـ

كما أطنب في ذكر آثار الصحابة الذين منعوا كتابة وتدوين الحديث ، وإن كان لا يكن أي توقير ولا تصديق للصحابة ، فتراه ينتقص منهم ويتهمهم في أكثر من ستة مواضع .يقول (ومن يقدس الصحابة ما عليه إلا قراءة القرآن، سيما سورة التوبة التي يسميها البعض بالفاضحة، ص52) ويقول في معرض حديثه عن علاقة الصحابة بالدين وأقوال الرسول منتقصا منهم (صنعوا الدّين بشكله الحالي، وهم فئة الصحابة على مختلف طبقاتهم وأنواعهم وتصنيفاتهم وعلمهم وجهلهم ونفاقهم وصدقهم وفسقهم و إيمانهم و إلخ..41) فلماذا يستدل لرأيه ومذهبه بأقوال وروايات أوليك المنافقين والفاسقين .. ؟

ومن تناقضاته أنه ينتقد ابن حجر العسقلاني و يتهمه بالتبرير المتعسف و التزوير ثم لاينفك ينقل عنه ومن أمثلة تخبطاته وتقوله وتعمده الكذب ، محاولة لصق تهمة تقديم الحديث على القرآن يقول في ص: 20: (...و أصبح التشريع يؤخذ بالأساس من الحديث بدل القرآن) وما نعلمه ويعلمه كل الناس أن علماء الأصول وهم أهل استنباط الأحكام وغيرهم جعلوا القرآن في المرتبة الأولى، وما رأينا ولا سمعنا عن أحد ممن ينتسب لهذا الدين أنه يقدم الحديث على القرآن ، أو يدعي ذلك أو يقبله ، أصوليا كان أو فقيها أو محدثا أو غيره .

ومن علامة جهله وتخبطه أن الكاتب لم يفرق بين عملية التدوين وعملية الجمع، فتدوين القرآن (مثلاً) كان في عصر النبوة ، أما جمعه في مصحف واحد فكان بعد موته صلى الله عليه وسلم.. كذلك الأحاديث النبوية تم تدوينها في عصر النبوة ، لكن عملية جمعها كانت في عصر عمر بن عبد العزيز –رحمه الله– الذي أمر بجمع ما تم تدوينه من قِبل الصّحابة والتّابعين

كذلك من أمثلة كذبه ومغالطاته ادعاؤه أن كتاب صحيح البخاري كان وما فتئ يلقى انتقادا كبيرا منذ تأليفه إلى عصرنا ، ولا ندري أي انتقاد وأي جدل يقصد ، وأي حديث يظنه مناقضا أو مخالفا للعلم والعقل والقرآن (ومن الكتب التراثية التي لقيت انتقادا كبيرا منذ تأليفها كتاب «الجامع المسند الصحيح

[21] - باحث متخصص في الفكر الإسلامي والأديان // مقال له على جريدة هسبريس دجنبر 2017

المختصر ..» الشهير بالجامع الصحيح أو صحيح البخاري، حيث أُنجزت العديد من الدراسات والبحوث والتحقيقات التي تناولته بالانتقاد ، لإبراز الأحاديث والآثار الواردة فيه، سيما الأحاديث المناقضة للعقل والعلم والقرآن، والأحاديث المنحولة والمأخوذة من الإسرائيليات، وغيرها من البحوث التي صار معها « صحيح البخاري » من أكثر الكتب إثارة للجدل على مرّ التاريخ الإسلامي.(ص8)

ومن مغالطته وتعمد كذبه إسقاط تهم منعدمة الوجود ثم البحث عن ما يشهد لها ويثبتها ، وذلك بإعطاء قراءات هي مجرد احتمالات وافتراضات غير واقعة ولا حاصلة . وغالبا ما يرميها ويضرب عنها دون تكلف البحث عن دليل ولا محاولته .

ومنها اتهام خصومه أنهم يقدسون البخاري ويقدمونه على الرسول ، الذي وصفه بحبيبه زعما وإيهاما، إذ يستهينون ويقبلون نسبة الخطأ إلى الرسول عوض البخاري ، (حتى بات لديهم أهون ألف مرة أن ينسب الخطأ إلى الحبيب المصطفى من أن ينسب إلى البخاري، (ص76) وليته يعطي مثالا واحدا أو دليلا واضحا ، وأين يجده ؟

ومن تناقضات الكاتب، وتخبطه فيما هو أبعد عنه ، محاولة وصفه وتمييزه للمتواتر والآحاد ، رغم أنه لا يميز هذا عن ذاك ، إذ قال في سياق اعتراضه على حديث في صحيح البخاري فقال: "والمعلوم من ديننا ، وكما تواتر عن نبينا ، أن النوم من نواقض الوضوء"(ص 155)، فهذا الحديث ليس من المتواتر ، في حين أن الأحاديث التي انتقدها وردها هي المتواترة ك حديث: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله"، فقد روي عن رسول الله من تسعة عشر نفسا ،

ومن تخبطاته محاولته تعليل الحديث بروايات ومتابعات ضعيفة ساقطة لا تصح.. فكيف يعتمد على روايات كاذبة أو ضعيفة في إعلال الأحاديث الصحيحة ؟ لأنه كما قال الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح: "الضعيف لا يُعَلُّ به الصحيح". وهذا من بديهيات علم الحديث .

ومن تخبطاته خلط أصول الفقه بمباحث الحديث ، حيث يصفع ويركل ويتفل ويقفز ، ويفعل كل شيء من أجل أن يبين أن البخاري أكذوبة وشخصيته أسطورة ،

كما لم يستحي حين قال عن الأزهر (حيث تخرج من هاته المؤسسات فقهاء ومحدثون -من الأزهر مثلا- بدأوا يناقشون هاته المرويات ويمحصونها ، ويأخذون منها ويدعون وينتقدون، 7) وقد سبق أن بينا أن مقصوده عندما يتحدث عن خريجي الأزهر وفقهاءه إنما هو صبحي وأبو رية ، وليت شعري أي عقل وأي فكر هذا الذي ينكر وصف رجال القرن الثاني والثالث بالفقهاء والمحدثين ثم يحكم بها على من لم يستطع تخطي عتبة الثانوية ، عندما يتحمل العقل أن يطعن ويشتم ويستهزئ برجال كل حياتهم صلاة وقيام وذكر وصيام وحديث وقرآن ، ثم يتجرأ على وصفه العملاء بذلك فعلى العقل السلام.

أما طرحه لأفكار وادعاءات ثم نقضها فحدث ولا حرج ، من ذلك قوله (والأخطر من ذلك أن هؤلاء الشيوخ لم يطرحوا على أنفسهم، ولو لحظة في خلوة مع الذات، لماذا تأخر تدوين السنة لحوالي مائة سنة على وفاة الرسول ﷺ ، وهي بهاته القيمة في التشريع؟" ص21) لاحظ كيف يبالغ الرجل في الجـزم بأنه سباق إلى التفكير في هذه القضية "الخطيرة"، ويحكم –عن غير علم– على العلماء أن أحدهم لـم يسأل "ولو لحظة في خلوة مع الذات". ثم يعود ويناقض حكمه حين يصل إلى مبحث سماه "عذر أقبح من زلة" فيتحدث عن المبررات التي قدمها العلماء لتأخر تصنيف الحديث،

ومن دلائل سخافته ولوازم تفاهته ، أن الكتاب سماه نهاية أسطورة البخـاري ، لكـن نـسبة مناقـشة موضوعه ضئيلة جدا ، فإذا استثنينا التسعين صفحة التي ملأها بصور من المخطوطات ، قد نجـد أن موضوع إنهاء الأسطورة لم يأخذ حتى ثلث كتابه ، فقد خصص صفحات لمناقشة تـدوين الحـديث ، وعدالة الصحابة ، وأورد أقوال المتقدمين في الصحيحين وأيهما أصح ... فما علاقة تصحيح البخاري بجواز أو منع التدوين ، وما علاقته باختلافات الصحابة ؟ وما علاقته بمباحث الأصول ؟

كما بدأ بالإشادة بالعقل واسما كتابه هو وناشره بكتاب العقل ، وافتخـر بأنـه مـن البـاحثين الـذين يستخدمون العقل .. وكأن العقل حكر عليهم ، يستأثرون به ، وغيرهم لا يعد ما في جمجمته عقلا

يقول الأستاذ أحمد السرار في مقال له : (على العموم ، الكاتب خرق مراحل البحث العلمي، وانطلـق من مقدمات خاطئة ترفض علوم الحديث (علم الرجال، علم الجرح والتعديل، علم الرواية والدرايـة، علم مصطلح الحديث، طرق التحمل والأداء، الخ) وحاول من خلال عقله نقد "صحيح البخاري" الـذي تأسس على هذه العلوم، وهذه معادلة لا تستقيم. اهـ

ومما ينبغي أن يذكر هنا _ في الأخير_ أنّ المقالات والبحوث والكتب –ونحوها– إنّما ينتفع بها طالب الحق المنصف الذي يطلب الحق بدليله، وأمّا غيره فكما قَالَ تعالى :

{ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ} البقرة.

قلبه الحقائق بأحلام وأوهام

بعدما فرغ الكاتب من جمع ما يمكن جمعه من شبهات واعتراضات ، وبعد سرده لأقوال العلماء أهـل الفن النجباء في شخص البخاري ، خيل إليه أنه وضع أسا متقنا ومهد تمهيدا رصينا ، فرفع من حـدة لغته وأمضى قلمه ولسانه وأطلق لهما العنان بكل عبارات الطعن والشتم من جهة ، وبحكايـة أوهـام وأحلام واتهامات مصطنعة متكلفة فارغة من جهة أخرى ، وعبارات التهديد والتخويف والتخجيل من جهة ثالثة ، فكما يرى القارئ لصفحاته وظف جميع الوسائل واستعمل جميع اللغـات فقـط ليرهـب الخصم أو يخجله ، ونسي أن ما هو بصدده سبق أن طبل له بأغنيات البحث ، وألحان الفكر والعقل ، والحق أن الخرافات والضلالات المسطرة في الكتاب أبعد ما تكون عن البحث العلمي وعـن الـرأي الحر المستنير ، فإن روائح الحقد والضغينة تنبعث من بين ثناياه يشمها السليم والمزكوم ،

إنما هو بحث عن نقاط وأساليب لترهيب الخصوم وتخجيلهم وتخويفهم ، ومحاولة التأثير على نفـسية القارئة والقارئ الساذج ، فهو طرب على أوتار التخجيـل والتخويـف ، بحكـم أن للكاتـب جهـات ومناصرين يدافعون عنه ويصفقون له كيفما كان عرضه ، وبأي لغة جاء مشروعه ، لأنه كيفما كـان وبأي لون كان فهو طعن في السنة والقرآن وضرب للإسلام ، وقد استغل الظرفية الراهنة واللحظات المزرية التي يمر بها الإسلام _من تكالب الأعداء ورميه عن قوس واحدة ، واصطفاف الكل في صف واحد ضد ما سمي بالإرهاب _ ليهيئ موطئا لقدمه ، ولا طريق أسهل وأقصر إلـى الـشهرة مـن ضرب الإسلام واتهامه ، فالطريقة المثلى والعلامة الفضلى للشهرة والربح والسُلم الأقصر إلى المجـد الأثيل والذكر الأصيل ، هو انتقاد الإسلام ورمي أهله وتراثه بالإرهاب ، فالأعداء سيصفقون والأهـل سيخجلون وينكمشون ، و كما يقال : كل من أراد الشهرة بالباطل فليس له إلا الأكابر .

قد يتضاحك المعنيون والمؤيدون ويتظاهرون بالتغابي والبراءة ولكننا نضع لهم هذه الجمل من كتـاب الأسطورة ، وليؤولوها بما شاءوا : (فما أسس للفكر الإرهابي المدمر، إلا مرويات تناقلتها كتب التراث، ومنها صحيح البخاري، ص119) أليس هذا اتهاما صريحا بأن الإسلام منبع الإرهـاب وأن الإرهـاب يستمد شرعيته ونصوصه من كتب الحديث عند المسلمين ،؟

ثم أين وجد الكاتب مثل هذه الصور وأين شهدها ، ألا يكون ذلك من باب التضليل والتدليس المتعمـد، والتمويه الممنهج ، والاحتيال في ترويج الباطل.. ؟؟!

(حتى أصبح لدى هؤلاء أهون ألف مرة أن تطعن في القرآن على أن تطعن في صحيح البخاري، ..
لأن إ سلامهم مؤسس على مضامين هذا الكتاب البشري، ولا علاقة له بالقرآن... لكنهم استطاعوا الوصول إلى سحب القرآن من حياة الناس،119) .. بدل تحكيم مقتضياته في حياتهم،)

ويحق لنا _ويجدر بنا_ أن نسائل كل من يطبل للكاتب وكتابه ونستفسرهم عن حقيقة وجنس من يقدم الحديث على القرآن من الشيوخ ؟! وليمثلوا لنا بصورة واحدة عن إسلام مبني علـــى كتـــاب أو رأي بشري ولا علاقة له بالقرآن ! وما معنى أن نحكم مقتضيات القرآن ؟! هل في القرآن ما يـــدل علـــى وجوب _أو على الأقل_ جواز العري والتبرج ؟ فآيات الحجاب أنكرها وادعى أن الحجاب غير وارد في القرآن ، وآيات الزنا جحدها وادعى أن القرآن لا يحرم الزنا ، وآيات الرجم وعقاب السرقة والزنا ، وآيات الجهاد .. الخ ، كل هذا أنكره واستنكره هو وقرناؤه، فما معنى تحكيم القرآن يا سيادة الكاتب ، ودون أن أثبت لك علاقتنا بالقرآن ، وما يقوله الحديث في القرآن .. فمواقفك من الأحكـــام الـــسابقة دليل وشرح وتوضيح لدعوتك إلى تحكيم القرآن ، وحنينك إلى الرجوع إليـــه ، لـــيس إلـــى تقديـــسه وتحكيمه ! بل الرجوع لما تبقى فيه من روح ، لشنقه والإجهاز عليه ! فهمنا الآن لماذا تتباكى علـــى هجر القرآن ، تقصد هجرنا انتقاده والطعن فيه ،!! ففي عصرنا ويا للأسف كل من لم ينتقـــد الـــدين ويتبرأ منه فليس مثقفا وليس تنويريا ، و كل من التزم به وتبناه فهو رجعي بدوي ، والكل يعلم أن هذا قلب للحقائق وتتويج للباطل ، لكن من يقدر على نصرة الحق في زمن الغربة ،؟! والحمـــد لله الـــذي أنعمنا بالعقل وهدانا إلى سبيله القويم .

وهذه نماذج أخرى من عبارات التدليس والتضليل وقلب الحقائق ، نوردها دون تعليق :

حتى بات لديهم أهون ألف مرة أن ينسب الخطأ إلى الحبيب المصطفى من أن ينسب إلى البخاري ، (ص 76)

حتى أصبح لدى هؤلاء أهون ألف مرة أن تطعن في القرآن على أن تطعن في صحيح البخاري ،)

لأن إسلامهم مؤسس على مضامين هذا الكتاب البشري ، ولا علاقة له بالقرآن ، (ص119)

فما أسس للفكر الإرهابي المدمر ، إلا مرويات تناقلتها كتب التراث ، (ص 119)

بل إن من يتصفح هذا الكتاب سيقف على إساءات كبيرة في حق الله ، وفي حق نبيه ، وفي حق كتاب الله ، وفي حق أمهات المؤمنين ، وفي حق الإنسانية جمعاء ،119 .. ليقف القارئ على حجم الإساءة لديننا ولنبينا ، الواردة في هذا الكتاب ، وحتى يعرف من أين جاءنا الإرهاب؟ ،(ص 149)

سيكتشف حقيقة مجموعة كبيرة من الأحاديث المسيئة للإسلام ولنبي الإسلام ، بل لرب العالمين داخل هذا الكتاب ، (ص 149) ... الخ . وفـــي ص: 7يقـــول : (...ومعارضة لمقتضيات المنطق والعقل ، ومعارضتها أيضا لصريح النصوص القرآنية) ، و في نفس الصفحة يقول : (... الأحاديث المناقضة للعقل والعلم والقرآن) (ص 7، ويقول في نفس الصفحة أيضا: (... فصار لدينا كتاب فوق النقد ، وفوق العلم ، وفوق العقل ، بل فوق القرآن نفسه) ،

فهلا أتى بحديث واحد من صحيح البخاري أو غيره يناقض العقل أو العلم أو القرآن، أو يـــسيء إلـــى مقام الألوهية، أو يسيء إلى مقام النبوة، وليذكر اسم عالم واحد من علماء الحديث قال بأن صـــحيح

البخاري كتاب فوق النقد، وفوق العلم، وفوق العقل، بل فوق القرآن نفسه، وأن البخاري مكانته تفــوق مكانة الأنبياء إن هذا مجرد ادعاء من غير دليل.

فيا أيها العبد المحدث نفسه   ألا هل على دعواك جئت بحجة

فإن أنت لم تفعل فإنك كاذب   وذو الصدق يبدو صدقه بالأدلة

هكذا دأبه ونهجه فيما كتب ، ويفترض بك أيها القارئ أن تصدق أن له شواهد وأمثلة كثيــرة ، ومــن أحالك إلى غائب ما أنصفك ، إنك ترى أن الكاتب لا يكاد يخرج عن النقول حتى يجف مداده ويخرس لسانه ، ويحيلك إلى مجهول ، عنوان يجعل العمي حذاقا ، أرعد ولم يسح ، فهلا ذكــر شــاهدين أو ثلاثا من كل نوع ، بل هلا ذكر واحدا ثابتا ، أو غير ثابت لادعائه الأثيم ، بأن فيها ما يسيء إلى مقام الألوهية ، فأين وجد ما يسيء ، أم أن هذا الحد هو ما جادت به قريحة الرافضة ومواقعهم ،
(لكن اكتفينا بهذين المثالين ليعرف القارئ ماذا نقصد) ، فكأن القارئ سيعرف مرادك بمثال واحد أما إن أكثرت الأمثلة فلن يفهم شيئا ، هذا مفهوم عبارته ،

والمجد لا يشرى بقولٍ كاذبِ   إن كنت تبغي المجد يوماً فانصبِ

تكلف التأويل ومنطق التهويل

ويواصل الكاتب عواء ويسطر هراء ، بسعيه لقلب حقيقة لفظ ومعنى جملة اتفق أهل اللغة جميعهم والمحدثون كلهم على أنه إنما يستعمل في الإشادة المدح ، فكلف على الجملة أن تكون ذما رغم أنف اللغة واللغويين وغيرهم ،

هذا عندما رأى أن يستشهد بقول المديني شيخ البخاري ("دعوا قوله فإنه ما رأى مثل نفسه") ص90 ويدعي أن المديني إنما يعيب البخاري ويذمه بهذه العبارة ، فيكلف العبارة مالا تطيق ويحملها مالا تحتمل ولا تتحمل ، ليجعل ما هو مدح ذما ، ويصور الحق باطلا والقاعدة فرعا والمتفق عليه شاذا وغريبا منكرا ، ويرد على من رضعوا العربية من ثدي أمهاتهم ، ليصور من رأيه عين الصواب ومن زعمه فصل الخطاب ،

ويجدر بنا أن نسرد بعض الكلم مما جاءت فيه هذه المقولة ، في كلام السابقين وخطاباتهم وكتبهم ، لنبين معنى الكلمة وما تدل وترمز له ، وفيم يستعملها العرب الأقحاح والمعاجم الصحاح !؟

_قال الذهبي في معجم شيوخه: أحمد بن عبد الحليم – وساق نسبه – ... تقي الدين، شيخنا وشيخ الإسلام، وفريد لعصر علماً ومعرفة، وشجاعة وذكاء، وتنويراً إلهياً، وكرماً ونصحاً للأمة، .. إلى أن قال : ومحاسنه كثيرة، وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي، فلو حلفت بين الركن والمقام، لحلفت: إني ما رأيت بعيني مثله، وأنه ما رأى مثل نفسه.[22]

_. . . أبو سعد الحافظ الرازي الحنفي ؛ كان إماماً فاضلا. طاف الدنيا ولقي الشيوخ وأثنى عليه العلماء؛ وكان ورعاً زاهداً فاضلا، إمام أهل زمانه بغير مدافعة، **أو ما رأي مثل نفسه في كل فن،** وكان يقال له: شيخ العدلية [23]

_قال ابن القطان : .. بل هو ثقة حافظ وكان محمد بن يعقوب الفرجي يقول من أراد أن ينظر إلى أحمد بن حنبل واسحاق وتلك الطبقة فلينظر إلى ابن الطهراني ، وقال أبو بكر بن جابر الرملي ما رأى مثل نفسه ولا رأيت أنا مثله.[24]

_ومن شيوخ أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي: أحمد بن طاهر بن المنجم، فكان يقول عنه: إنه ما رأى مثل نفسه، يعني ابن المنجم. قال ابن فارس: وما رأيت مثله.[25]

_... أبو الحسن المروزي، الكاتب. كان صاحب بلاغة، وفصاحة، وشعر، وترسل فائق. ذكره ابن السمعاني، فقال: لعله ما رأى مثل نفسه في فنه.[26]

---

[22] - أنظر (طبقات الحنابلة لابن رجب 390،389)./ وشذرات الذهب في أخبار من ذهب - ابن العماد

[23] - أنظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة / وكتاب : الوافي بالوفيات

[24] - تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلاني (110/9)

[25] - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. للذهبي (224/26)

[26] - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. للذهبي (419/36)

ولو شئنا الإحاطة بالمواضع التي جاءت فيها هذه المقولة لتطلب مجلدا ، فأين العقل المطموس ، ومن الذي يكذب على اللغة ويرغم عليها أن توافق منحاه ؟

فاقرأ الرواية مرة أخرى : .. أتيت علي بن المديني فرأيت محمد بن إسماعيل جالسا عن يمينه وكان إذا حدث ألتفت إليه مهابة له ، وقال البخاري ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني وربما كنت أغرب عليه قال حامد بن أحمد فذكر هذا الكلام لعلي بن المديني فقال لي دع قوله هو ما رأى مثل نفسه ، أهـ

فقول البخاري ما استصغرت نفسي .. يعنى : إذا حضرت في مجلسه أشعر حقيقة بأنني طالب وأنه أعلى مني .. وعندما يحكون قول البخاري لابن المديني يقول : دع قوله ، أي دعكم من مقالته فالحقيقة أن البخاري ما رأى مثل نفسه ، أي لا مثيل له ولا نظير في الفن ،

إن كلام ابن المديني وسياقه لا يدلان إلا على مدح البخاري وتعظيمه والإفتخار به ، ولا يحتمل غيرها ، ولا يقبل عكسها ، فهذا مما لا يرتاب فيه لغوي ولا محدث ، فليهلك من هلك عن بينة و يحيا من حييّ عن بينة .

وبعد ... فقد ملأ أزيد من سبع صفحات كاملة من مقدمة فتح الباري ثم اعتذر بأنه (كان الهدف من ورائه أن يقف القارئ على حجم التقديس الذي لقيه البخاري من الشيوخ المسلمين ،) وكل ما أتى به هو شهادات عشرات إن لم نقل مئات العلماء الراسخين في حق البخاري ، وفي مكانته ومنقبته ، فهل نكذب المئات من أهل الفن والصنعة ونتهمهم ، لنؤيد أطروحات غلام لا يعرف من الفن إلا اسمه ؟

تشبعه بالمذهب المادي

وبعد أن سرد ما عده حسب ذهنه البارع أسطورة الشخص عاد الكاتب ليستغرب كيفية تأليف الصحيح والمدة التي استغرقها ، متسائلا بنوع من الإزدراء (كأن صحيح البخاري هذا بحث في علم البيولوجيا ، أو في علم الأنثربولوجيا ، وغيره من العلوم الحقة التي جاءت بنظريات قلبت مفهوم الكون ، و أفادت البشرية بطريقة أنقذتها من الضلال إلى الهداية ،) ص 109 . [27]

ليثبت مذهبه المادي ، وأفكاره الملوثة بحب الماديات والتنكر للروحيات ، فهذا تحقير وتنقيص من كتاب الصحيح ، ومقارنته بعلم من علوم المادة الموضوعة وتفضيلها عليه ، دليل أننا أمام شخص لا يؤمن بدين ولا برسول ، فصحيح البخاري الخرافي يزيد الناس ضلالا وتخلفا ، والعلوم العصرية هي التي أنقدت البشرية من الضلال إلى الهداية ، رغم أن علم الأحياء أو علم الحياة وعلم الإنسان وغيرها من العلوم لتؤكد ضرورة التدين ، وأن الحاجة إلى الدين موجودة عند جميع الناس في كل العصور

---

[27] - الأنثروبولوجيا تعني باللغة اليونانية علم الإنسان ، وتدرس نشأة الإنسان وتطوره وتميزه عن المجموعات الحيوانية ،كما أنها تقسم الجماعات الإنسانية إلى سلالات وفق أسس بيولوجية، وتدرس ثقافته ونشاطه. // و البيولوجيا : علم الأحياء أو علم الحياة

وفي جميع المجتمعات، فالإنسان منذ القدم وهو يبحث عن إله يعبده، ويتوسل إليه، يعتقد أنه قوي مسيطر على الكون، خالق كل شيء، حي لا يموت))،

هذ الدين الذي انسلختم منه أيها الماديون ودعوتم الناس إلى اتباعكم وتصديقكم فيه ، هو رأس الأمور وسيد العلوم وقائدها ، فالقرآن – وهو مصدر الحقائق الدينية والعلمية – والكون كلاهما من عند الله وصنعه ، أنزل القرآن بالحق كما خلق الكون بالحق ، فلا ينبغي للإنسان حصر الحق في قسم دون آخر ، ومن ثم لا يتصور تصادم الحق مع نفسه . ويتفقان أيضا (القرآن والعلم أو الكون) في الغاية والهدف ، وهو إسعاد البشرية وتذليل صعوبات الحياة ،) . لكن تعبير الكاتب يبين أن علوم الحياة والإنسان هي التي يجب أن يفتخر بها ، وهي التي لا يستغرب إن مكث فيها ست عشرة سنة ، أما علوم الدين فلا تكلف ذلك ولا تستحقه ،

قال تعالى . **(بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون)** ... سورة النمل

كذبه على خصومه
وتضليله وتدليسه

بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه!

رغم النقولات والسرقات والأخذ بما ثبت وما لم يثبت بان للكاتب أن كل ذلك لم يطعمه نجعا ولم يجد منه نفعا ، فطفق يختلق الأكاذيب على خصمه ليرد عليها ، ومن أعلى مراتب الغباء ، وأقوى الأدلة على العجز وتكلف المراء ، أن يكذب المرء على خصمه ليسهل عليه الرد بعد ذلك.

والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى ، والكتاب كله تزوير وتلفيق ، خذ على سبيل المثال لا الحصر وصفه للنبي ﷺ بالهذيان في حديث السحر ، المروي عن عائشة إذ قَالَتْ: "سُحِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حَتَّى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ، وَمَا فَعَلَهُ..**) ولكن الكاتب حرف الكلام وزور المعنى لتوافق هواه وتؤيد مسعاه ، حيث قال "اعتقدوا أن رسول الله كان يتخيل أنه يقوم بالعمل ولم يقم به .... وذلك من الهذيان، وهاته الإساءة من الإساءات التي لم يتورع من ألف هذا الكتاب عن تدوينها فيه" ص154) فهذا تزوير للغة وتلاعب بالحديث وتحريف للقرآن ، ففي الحديث كما رأيتم يخيل إليه والكاتب عنون له بقوله يهذي وعلق عليه بقوله : وذلك من الهذيان ، وما بين التخييل والهذيان مسافة سنوات ضوئية ، فالهذيان من هذى يَهْذي هَذَياناً ، الهَذَيانُ كلام غير معقول مثل كلام المبرسم والمعتوه كما في العين ، وفي لسان العرب : تكلم بكلام غير معقول في مرض أَو غيره وهَذى إِذا هذَرَ بكلام لا يفهم) فأين التخييل من الهذيان يا عقلاء ؟ وهل في الحديث ما يشبه مثل هذا ؟ وإذا كان هذا يعتبر هذيانا فهل نبي الله موسى عليه السلام يهذي أيضا عندما رأى حبال وعصي السحرة كما قال تعالى **(يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى)** طه

والمؤسف والمحرج أن الكاتب الصحفي عنون لهذه الأكذوبة بعنوان عريض كاذب بقوله : **(الرسول يسحر فيهذي)** فلم يترك لك الفرصة لتحين الظن أو لتضع احتمالات .

كما لا يتردد الكاتب في صنع التهم وادعاء أشياء لا وجود لها حين يقول في الصفحة الثامنة مثلا:

"ثم حمل سلاح التفسيق والتكفير والزندقة في وجه كل من ينكر أحاديث في هذا الكتاب أو يوجه إليها سهام انتقاداته، حتى لو عارضت متونها كتاب الله الموحى إلى نبيه، فصار لدينا كتاب فوق النقد وفوق العلم، وفوق العقل بل فوق القرآن نفسه لدى معظم الشيوخ مع كامل الأسف"

ومن ذلك باختصار : محاولته لصق تهمة ادعاء النبوة في أم البخاري بسبب رؤيا رأتها ..

ومنها تضليله وتدليسه بقوله إن الفقهاء (انكبوا على الحديث) وتركوا القرآن وهجروه ..

_ ومن ذلك : جزمه أن الصحابة أهملوا دفن الرسول ﷺ ثلاثة أيام حتى انتفخ ..
– اتهامه الصحابة بأنهم بسبب نزاعهم على الحكم أهملوا دفن الرسول وتغافلوا عنه ...
– سرحان مخيلته في عد حساب الركعات التي صلاها البخاري وجعل منها 600 ألف وهذا كذب
– سعيه لإثبات اعتقاد الكمال في البخاري ،،، وأنه يسيء لمقام الألوهية .. الخ
– اتهامه لرجال الحديث بقوله (وهجروا كتاب الله، لصالح مرويات ظنية الثبوت (ص18)
– ادعاؤه أن سورة التوبة فضحت الصحابة ، وكشفت نفاقهم ، وهي إنما جاءت تزكية للصحابة وتنقية لبيئتهم من أوساخ النفاق وفضحا لأعدائهم الحقيقيين الذين ما نزال نعاني من هذا الصنف ومكايده.
_وسمه خصومه بوصف هو وأمثاله أحق وأجدر به (فيسهل على ذوي النفوس الخبيثة أن تزّور وتغير في الدين كيفما شاءت تحت مسمى السنة، أو الحديث، 20) والحقيقة أن السعي للتزوير والتغيير والتلاعب بالنصوص هو ديدنهم وطبع لهم ،
–ادعاؤه أن أنصار الحديث يخالفون الحديث والقرآن ، مع أن العكس هو الصحيح وهو الظاهر للعيان (حتى أصبح لدى هؤلاء أهون ألف مرة أن تطعن في القرآن على أن تطعن في صحيح البخاري، 119)
حتى بات لديهم أهون ألف مرة أن ينسب الخطأ إلى الحبيب المصطفى من أن ينسب إلى البخاري،76
ادعاؤه أن رجال الحديث يختلقون ويبحثون عن أي دليل لتبرير مذهبهم والإعتذار عن ذنبهم في تدوين الحديث (إن هؤلاء الشيوخ الذين يبحثون عن أي دليل كيفما كان، من أجل تبرير آفة تدوين الحديث،27)
_نسب إلى علماء السنة أنهم لم ينتقدوا صحيح البخاري، وكأنّهم اعتقدوا فيه العصمة، مع أنّهم قد مارسوا النقد العلمي لصحيح البخاري، وخالفوه في أحاديث قليلة،

عليّ والله فيما لفقوا كذبوا ... ككذب أولاد يعقوب على الذيّب

ومن يعتلق حبل الدعاوى ترد به فحبل الدعاوى ذو خيوطٍ ضعيفة

ونذكر **من مواطن تضليله وتدليسه** ما جاء في صفحة 147 في معرض ذكره وسرده لمن اتهموا البخاري ، أو انتقصوا من عمله ، قائلا (ومن الأسماء الكبيرة التي جرحت البخاري، والتي تعتبر من رتبة البخاري في الحديث أبو زرعة الذي يعدّ من حفّاظ الحديث، ويعد علماً من أعلام الرجال، قال الفاضل النووي فيه: انتهى الحفظ – حفظ الحديث – إلى أربعة من أهل خراسان : أبو زرعة و... !
ثم اكتفى _كما رأيت_ بذكر أبي زرعة وأتم الكلام بنقاط ثلاثة وانتهى ، وأغفل تتمة الكلام تضليلا وأوجه الكذب والتضليل في العبارة متعددة متنوعة ،

أولا : الشهادة ليست للنووي والكاتب نسبها للنووي قائلا (قال الفاضل النووي فيه) بل إنك تجدها في جميع المصادر منسوبة إلى الإمام أحمد بن حنبل، في رواية لابنه عبد الله .
ثانيا : العبارة الكاملة فيها ذكر أبي زرعة متبوعا بالإمام البخاري كثاني الأربعة ،! ولذلك أبتر الكاتب الجملة واكتفى بوضع النقط الثلاث ، وتتمة الكلام هكذا : انتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خراسان: أبو زرعة الرازى، ومحمد بن إسماعيل البخارى، وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندى، يعنى الدارمى، والحسن بن شجاع البلخى.
ثالثا : بتره للعبارة وإسقاط تتمتها ليس صدفة ولا مبرر لإسقاطها ، بل كان متعمدا لأنه يريد رفع مقام أبي زرعة والتنقيص من البخاري بذكر ما قاله الأول عن الثاني ، ولا يناسب أن يذكر البخاري هنا من ضمن الأربعة الذين انتهى إليهم العلم والصدارة ،

هذه فقط أمثلة تبين بعضا من تخبطات الكاتب وبشاعة كذبه المتعمد والتضليل الممنهج وغيرها كثير، ولا يسعنا إلا أن نقول له : أعد نظرا يا باحث ، فما هكذا تورد الإبل ، وما هكذا تكون البحوث ونختم له بالحكمة المشهورة ،

البهتان لا يسرج الحصان وضرب الدفوف لا يغزل الصوف

جهله بالإمام البخاري

كان يفترض بالكاتب الذي خصص بحثه لشخص البخاري أن يعرف عنه ولو أدنى الحقيقة وأولى المعلومات ، فتخصيص كتاب ضخم بإشهار سابق وإطراء بالغ ثم يأتي الكتاب ويظهر من كتبه أنه يجهل أبسط الأشياء عن عنوانه وموضوعه ، ذلك يشبه من يدعي قدرته على صنع السيارة وهو لا يميز بين أجزائها أو من يدعى الطب ولا يميز بين المعدة والأمعاء ،

فقصر باع الكاتب لم يكن في علم الحديث ورجاله وفروعه فحسب ، بل في شخص البخاري وحقيقته وأصله ، مما جعله يشك أحيانا في وجود البخاري وأحيانا في عربيته ، وحينا في عدالته ، يقول في صفحة 164 (**سيما إذا علمنا أن الشيخ البخاري ذو أصل فارسي، فاللغة العربية ليست لغته الأصلية،**) وكأن الكاتب لم يقدر على الرجوع إلى ترجمة البخاري قط ، طيلة سبعة عشر سنة التي أمضاها في جمع صفحات بحثه ،

إنه لم يعلم أن جده الأكبر بردزبه هو الذي كان فارسيا على دين قومه ومات على المجوسية، أما ابنه المغيرة فقد أسلم على يد اليمان الجعفي والي بخارى. أما أبوه إسماعيل فقد كان عالما جليلا، من رواة الحديث الثقات، سمع من حماد بن زيد والإمام مالك وصافح بن المبارك ، وروى عنه العراقيون ، وأخبر عند موته أنه لا يعلم في ماله درهماً من حرام، ولا درهماً من شبهة!!

هذه سيرة أبيه وأجداده، فكيف يدلس المدلسون ويقدح القادحون في الإمام البخاري وفي علمه وعربيته كيف والبخاري يشترط في المحدِّث أن يكون عالما بالعربية، مُتقنا لفنونها وعلومها، فهل يُعقل أن يشترط البخاري شروطا في غيره وهي منتفية فيه ؟.

إن من يطعن في علم البخاري وقدرته على التعلم أو حفظ الحديث لأصله الفارسي، لهو أكبر الجاهلين وأغبى الأغبياء ، ألم يدر أن أبا نواس الذي يعد أشهر شعراء العصر العباسي كان فارسيا، ألم يسمع عن زياد الأعجم (المتوفى سنة 100هـ) الذي وصل في الشعر والشاعرية إلى مرتبة عالية وقد لقبوه بالأعجم بسبب لكنة فارسية بقيت بلسانه ، ألم يعلم أن سيبويه واضع علم النحو فارسي، وأن أغلب العلماء ممن تركوا بصمتهم في شتى الفنون أعجميون ، كأبي بكر الرازي وابن سينا وغيرهم كثير من العلماء والمبدعين، وأن الأصل العربي لم يكن يوما شرطا لإتقان اللغة أو لطلب العلم ، بل أين تعلم الكاتب نفسه العربية ؟ فنحن نعلم أنه أمازيغي ، وأبوه وأجداده كذلك ، فهلا طعنا في نسبة الكاتب إليه بدعوى أنه بربري لم يتعلم العربية !

فأقسم بالرحمن إنك واهم   أضل من الخفاش في ضوء ضحوة

لقد برز النفوذ العربي في بلدان فارس بعد الفتوحات الإسلامية ، وقوى ذلك هجرة كثير من القبائل العربية إلى الأراضي الإيرانية والإقامة فيها, واختلاطهم بالإيرانيين. وأقبل الفرس وخاصة الإيرانيين على تعلم العربية لغة القرآن والحديث, وأصبح كثير من علماء العربية في اللغة والنحو والفقه والتفسير والتاريخ من أصل فارسي, وكان من نتيجة ذلك إهمال اللغة الفارسية قرنين من الزمان, حتى تحولت إلى لغة عاميّة في القرى والأماكن النائية شرق البلاد.

وإذا أردت معرفة المزيد عما أشرنا إليه ، فما عليك إلا أن تراجع قائمة العلماء والفقهاء والأدباء الذين خدموا الدين، والعلم والأدب والفن ، فتجد الكثيرين منهم ينحدرون من أصول فارسية .

فهل نطعن في كل العلوم وكل العلماء الذين لم تكن الجزيرة العربية أصلهم ، ولم تكن العربية لغة أجدادهم .؟

إنا إذا لمن الظالمين

الإستشهاد برأي الشيعة لضرب السنة

كما هو معلوم فإن الكاتب لم يتورع في نقل كل ما يعضد مذهبه ويقوي أطروحته من الغث والسمين ، والصحيح والهزيل ، وبما أن هدفه وهدف من طبع له هو ضرب السنة بمعناها الحديثي ، وإسقاطها من مكانتها ، وتنقية طريقه منها ، فقد اعتمد أقوال جميع الطوائف والنحل ، من القرآنيين إلى الملحدين مرورا بالعلمانية والنصرانية وغيرها ، بل حتى الشيعة طالما حكى عنهم بألفاظ محببة حنونة ك (إخواننا الشيعة) ، (وهم نسبة مهمة من المسلمين) فينقل آراء الشيعة وأباطيلهم وترهاتهم ليضرب بها السنة وينقض بها الحديث ، وفي معنى هذا قال في صفحة 130 (ولإسقاط الخرافة يكفي أن يعلم أي إنسان، أن الشيعة وهم نسبة مهمة من المسلمين، لا يؤمنون بصحيح البخاري) وكان أحرى بالكاتب أن يمثل بمن هم أعلى من الشيعة علما وأكثر جمعا ، هلا مثل بالصينيين الذين تجاوزوا المليار أو الهنود ! فهؤلاء لا يؤمنون بالبخاري ولا يسمعون عنه، !

أولا يدري أن نسبة كبيرة من (المسلمين) لا يصلون ولا يزكون تكاسلا أو جحودا ، فهل نسقط هذين الركنين لأن (نسبة مهمة من المسلمين) لا يلتزمونه ؟! فأبئس بها من حجة وأعجب به من دليل ،

وكما هو معلوم فالشيعة فرقة ضالة بإجماع الأمة , و قولهم ليس بحجة في الدين , بل هو كقول اليهود و النصارى مرفوض جملة و تفصيلاً .

ويكفي في بيان كذب الروافض وتفنيد دعواهم .. أن علي بن أبي طالب هو عند أكثرهم إله خـالق، وعند بعضهم نبي ناطق، والقرآن عندهم محرف ، ومن مبادئهم التقية ، وهي حقيقة النفاق ، فهل يستشهد برأي هؤلاء لضرب فئة كيفما كانت ،؟

و لسهولة الرد على النصارى والمبتدعة إذا ما استدلوا بأقوال الشيعة , ما عليك إلا نقل إجماع علماء الأمة من الصحابة و التابعين و من خلَفهم من العلماء الربانيين في أن هذه الفرقة ليس لها من الإسلام حظ و لا نصيب و ذلك بعد بيان حجية الإجماع في الإسلام .

وهنا يوظف حجته وشبهته التي طعن بها في الحديث ورجاله ، فقد استنتج أن علم الرجال أكذوبة وخرافة ، بانيا نتيجته على مقدمة أن الرواة يستدلون على الحقيقة بالرجال ! (إن علم الرجال يعني ببساطة أن المحدثين يستدلون على الحقيقة بالرجال،ص 51) وها هو ذا يستدل على بطلان الحديث وعلم الرجال بآراء وأهواء الرجال (الشيعة) ، وشتان مابين رجال ورجال ، والحق أننا نحن معشر أهل السنة لا نعرف الحق بالرجال وإنما نعرف الرجال بالحق ، فبالحقيقة نستدل على الرجال ، وهذا هو مبدأ علم الجرح والتعديل ،

كرر نفس الهبال والخبال وبنفس الأسلوب ونفس السلاح ، بطعنه في علم الجرح والتعديل ، مدعيا أنه أكذوبة وأنه يخضع للأهواء المذهبية ، (وأيضا تعديل وتجريح الرجال خضع للأهواء المذهبية، فرجال السنة الموثقون لديهم يضعفهم الشيعة ورواة الشيعة الموثقون لديهم يضعفهم السنة وهكذا ، 51)

هكذا إذا يحاول بكل الوسائل الطعن في السنة وأهلها وعلومها ولو بعلل واهية وأدلة مضحكة .

إننا معشر أهل السنة نؤمن ونجزم أن الحق معصوم وثابت ، وأمّا الرجال فأعراض زائلون ، يقاسون بالحق ولا يقاس الحق بهم ! ! وكثير منا يعلم ويردد قول مالك رحمه الله : (يؤخذ من قول كل أحد ويرد إلا صاحب هذا القبر – صلى الله عليه وسلم –) .

هذه هي ميزة أهل السنة والجماعة دون غيرهم : إن انتسابهم وانتماءهم إنما هو للكتاب والسنة ، ومتبوعهم وقدوتهم إنما هو محمد – صلى الله عليه وسلم – ، وأما الرجال عندهم فأدلاء على الحق [] ، فما وافق من كلامهم الحق أخذوا به وما لا فلا .

وهذا هو صمام الأمان في العمل الإسلامي .. أن يرى القادة السبيل القاصد لتحقيق الأهداف ، وتمتلك القاعدة الفرقان بين الحق والباطل ، فلا تضع القائد مكان الحق أو الرجل مكان البرهان .. بل تختار قائدها وفق برنامج عمله ، وليس لكونه ملهماً أو تاريخياً ! !

فتقديس الرجال والإستدلال بالرجال هو دأب الكاتب ومن لف لفه ، وسلك مسلكه ،

نطق ولم يرد

في قراءتي لسطور الكاتب التي ربما من القلائل التي جادت بها قريحته وسطرها قلمه ، وضعت أصبعي على عبارة غير مستغربة بذاتها ، فنحن نسمع بها في كل الصفحات والمحطات العلمانية ، لكنهم عندما توقفهم على حقيقة الأمر وباطن الفكرة ينكرون ذلك أو يؤولون ،
حيث قال في صفحة 74 في معرض سرده للأسباب التي حتمت عليه اختيار صحيح البخاري ، قال (لنقف على شذراته اللماعة الصالحة لعصرنا ومصرنا)
ولعمر الله إن هذا هو المعروف عليهم ، والمعهود منهم ، فهم الداعون إلى عرض النصوص القرآنية على الحداثة والتطور رضوخاً لضغط الواقع ، فما وافق منها متطلبات العصر والحداثة يقبل ، وما يخالفها من القرآن فضلا عن غيره يجب أن يطرح ، ثم يؤول الشرع ليوافقه ، فرضى الصهاينة أولى ، وصداقة الغرب أحرى ، فدعكم من شنشنة أهل الجمود المتعصبين لمذهب الآباء والجدود ،
لقد حاول الكاتب ، تزكية مبدئه المتهاوى ، الداعي إلى تحكيم العقل حتى في النصوص الثابتة ، والآيات المحكمة ، فالعقل لا يعلوه قانون ، وأعرب عن امتعاضه من مقولة (السلف) ، لأنها تلجم حرية رأيه ، وتقيد مساحة عقله ، وتقف في وجه تقدمه ،
وما علم الجهول أن كل ما حاول نقده ونقضه ، هو مجموعة أعضاء لجسم واحد ، أنى آلمت واحدا منها تألمت الأخرى ، وإن ألغيت واحدا منها فهو بمثابة اغتيال وقتل الجميع ، فالسنة والكتاب وجهان لعملة واحدة _كما يقولون في تعابيرهم _، ومجموعهما هو الدين كله ، والإيمان ببعض الكتاب دون بعضه هو الكفر البواح ، المناقض للدين ،
وبناء على ما قلنا فالإستدلال بأقوال السلف واعتماد تفسير السلف ، ونهج منهج السلف ، ليس تقييدا للعقل ولا عبادة للبشر ، بل هو الدين أكتعه ، وهو الخير كله ، لأن النبي ﷺ شهد لأولئك السلف بالخيرية والصفاء والطهر والنقاء ، فتكذيبهم تكذيب للرسول ، والإنحراف عن منهجهم ومخالفة نهجهم ، هو ابتداع وتلاعب بالدين ، وهو الشر كله ، والإمام مالك رحمه الله يقول في مقولة مشهورة عنه : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها

اللغة السوقية والفكر الهجين (ممارسة الجنس)

لم يكلف الكاتب _الذي نصب نفسه مدافعا عن القرآن وعن نبي الإسلام _حسب زعمه_ لم يكلف نفسه أدنى احترام وتوقير في حديثه عن الرسول ﷺ فجرده من كل خصوصية ، وأنزله منزلة عامة الناس ، فطفق يتحدث عنه كما يعلق على السياسي الشعوبي في جريدته الأثيمة ، بألفاظ نابية وعبارات من التوقير خالية ، _ يمارس الجنس ..._ انشغاله بالجميلات .. وما كنا ننتظر منه أحسن من هذا ، فالقتاد لا يثمر عنبا ، ولو كان يحمل في صدره أدنى اعتبار وتقدير لهذا النبي ما قبلت نفسه أن يقول هذا ولو في معرض النقد أو المحاكاة .

كان يمكن للكاتب أن يدعو إلى النقد البنَّاء بكلمات مزيَّنة بمسحة من الحبِّ والأدب ، ولكنَّ الكاتب لم يجد بدّاً من التعبير بلغة الهدَّامين واصطلاحات الحاقدين ممن نقل عنهم .

فأساء الكاتب بألفاظه وعباراته أيما إساءة للجناب النبوي الكريم المعظم بوصفه بما يتنزه العقلاء عن ذكره في أهليهم فضلا عن أحب الناس إليكم وأعظمها في قلوبهم ، أرخى العنان للسان وأسنان الضغن وقلم نبت قصبُه في الدِّمَن .

ألفاظ وأوصاف لا تغتفر مع حسن النية وسلامة الطوية ، فكيف إذا ظهر سوء النية وخبث الطوية ، وقد ظهر وشهد على ذلك القلم المأجور والدفتر المسطور ،

كما أنه لا يتورع من ذكر ألفاظ يتحاشى العاقل ذكرها في مجامع الناس فضلا عن تسطيرها في كتاب منشور ، فلا يكاد يطوى كتب الآخرين ويغلق صفحاتهم _وإن كان ذلك نادرا_ إلا يمد المقصور ويفضح من نفسه المستور ، بل تراه ينقل الألفاظ بلغطها وغلطها وركاكتها ،

(إن علم الحديث الذي يدعيه الشيوخ ما هو إلا علم الكذب وسلق البيض. ص126)

والكتاب لم يتناول "صحيح البخاري" سواء من حيث المنهج الذي بُني عليه، أو من حيث الصَّنعة الحديثية؛ وإنما حاول التعامل مع الإمام البخاري وكتابه، بكلام عامي من صفحات التواصل الاجتماعي، وشبكة الإنترنت، والموسوعات الإلكترونية، التي لا ترقى إلى مستوى التخصص في الموضوع ، وأحيانا بكلام سوقي (حلايقي) بعيد الموضوعية والعقلنة .

وتلك لعمر الله _(الرويبضة) وقد نطقت .. فلا أحيا الله لسانها ولا أسمع صوتها

الباب الثاني :

شبهات وطعون حول البخاري وكتابه الصحيح

علام تركيزهم على البخاري ؟

لك أن تتساءل : لماذا كل هذا الحقد على الإمام البخاري؟ ولماذا البخاري بالذات لا غيره ؟ إذا قال قائل هو الجامع أو المكثر ، فقد سبقه غير واحد في الرواية والتصنيف ومنها مصنفات أكثر حجما وأوسع رواية ، مثل موطأ مالك، ومصنف عبد الرزاق، ومصنف ابن أبي شيبة، ومسند الإمام أحمد، وغيرها من الكتب التي تفوق صحيح البخاري حجمًا ، فالبخاري ليس أول من كتب ،! وليس كتابه أكبر ما صنف ، فلماذا الحمل على البخاري – رحمه الله – والتشنيع عليه، واستهدافه في كل جولة؟ مع أن غيره من علماء الحديث شاركه في رواية أغلب الأحاديث؟

إن البخاري لم يخترع، ولم يصطنع ، ولم يشطح به الخيال!. ولا امتلكه حب الجاه والمال ، إنما نقل ما سمعه من شيوخه الثقات، مما سمعوه من شيوخهم، إلى أن وصل النقل إلى الرسول ﷺ أو إلى الصحابي الذي روى عن الرسول ﷺ . عملا بوصية الرسول وطلبا لرضى البارئ .

والناقل لا يطلب منه إلا التأكد من صحة ما نقل ، واستيفاء شروط النقل ، ولا يكون مسئولاً عن ذات الشيء المنقول، لأن ناقل الكفر ليس بكافر بمجرد نقله لذلك ،! وهم (المهاجمون) يدركون ذلك ويعرفونه ، لكن المعركة لم تقم على كونه كذب أو دلس أو جمع ، بل كونه حفظ وأتقن ، وبنى صرحا شامخا تذوب شبهاتهم وتنسف مخططاتهم بمجرد الإقتراب منه ، لذلك يحاولون وكلما فشلت محاولة جددوا أخرى ، فلم تضع ولن تضع المعركة أوزارها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ،

وإذا فهمت عزيزي القارئ محيط ودوافع المعركة ، ستدرك لا محالة أنها لن تنتهي ، وأن أهداف وآمال تلك الفئة التي أوقدت فتيلها ، هو قتل ودفن كل ما هو ديني ، أو على الأقل طرده من المجتمع وتجريم التدين والدعوة إليه ، وذلك لا يتأتى مادام مقام صاحب الشريعة عظيما في نفوس المسلمين ، وما دامت لرجالها وعلمائها مكانة وقدسية وتعظيم في نفوس متابعيهم ، فلا بد إذن من النيل من شخصهم وعرضهم ، إذ أنهم كلما أتوا بمشروع لإسقاط الدين أو شبهة لتفكيكه ، أو دعوى للنيل منه ومن نبيه الكريم ، وجدوا جيشا من الأحاديث ، وخاصة البخاري صادا مانعا لهم ، مفندا لشبهاتهم وادعائهم ، لأنَّ أحاديثَ توقير مقام النبي ﷺ أخرجها الإمامُ البخاريُّ في كتابه الجامع الصحيح بأسانيد صحاح نظيفة، وألفاظ جليلة رفيعة.. فيغيظون حقدا على البخاري لأنهم إن لم ينهوا أسطورة البخاري لا يمكنهم بحال من الأحوال إسقاط القرآن أو إلغاء بعض نصوصه كما يأملون ،

فالبخاري باعتباره أصح الكتب ، إذا تمكنوا من اتهامه وإسقاطه سقطت السنة كلها ، فليس إذن غرضهم في البخاري ولكن في الحديث المروي برمته ، وقد صرح الكاتب بذلك في صفحة 243 حيث قال ("نحن اتخذنا البخاري نموذجًا فقط لباقي هاته الكتب المسماة كتب الحديث") .

وقد صرح بذلك غيره ممن اقتدى بهم قائلاً : " ونخصّ الصحيحين بالبحث ، لأنّه إذا سقط ما قيل في حقّهما سقط ما قيل في حق غيرهما بالأولوية " .

إن كل هذا الحقد الذي ما فتئ يقطر من أنوفهم ورؤوس أصابعهم في حق الإمام البخاري، ما هو إلا جزء يسير مما تخفيه صدورهم من عدائهم لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولرواتها من الأئمة الأعلام قديماً وحديثاً ، وما هو إلا كأس من بحور البغضاء والضغينة التي تغمرهم ،

ومما يؤكد ما قلناه أن الأحاديث التي يطنطنون بها لم ينفرد بها البخاري وإنما هي موجودة في موطأ مالك قبل البخاري وموجودة في صحيح مسلم وفي كتب التفسير التي ظهرت بعد البخاري كابن كثير على سبيل المثال ، وإنما ركزوا على البخاري لأنه صاحب الراية ورأس الحربة ،

بل الأدهى أن الأمر لم يقتصر على البخاري أو الصحيحين أو على الحديث ، بل تعدى كل ذلك وامتد ليصل درجة النيل من النصوص القرآنية نفسها ، إذن فالخصومة ليست مع الحديث فقط ولا مع رجال الحديث فحسب ولا مع السنة وحدها ، والمشروع مفضوح ظاهر للعميان ، فقد تكررت وتعددت المحاولات وتنوعت الأساليب والهدف واحد ، فأيلال ليس السباق إلى الفكرة ، بل سبقه مصريون وتونسيون ، وما فتئ العلمانيون يرددون نفس الشعارات على صفحاتهم وفي مجامعهم ،

فلا تغتر عزيزي القارئ بالشعارات الرنانة والتبريرات الكاذبة ، من مثل : إصلاح الحقل الديني ، تنزيه النبي من الأحاديث المكذوبة ، تنقية السنة .. المرونة .. مسايرة العصر .. الخ ، فهم لا يؤمنون بالنبي ولا بكتابه ، ولا يكنون لهما أي تقدير ولا احترام ، بل يكنون لهما الحقد والبغضاء ، ولو تتبعت أفاعيلهم وأقاويلهم لوجدت ذلك صريحا واضحا ، **(وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ)**

إن السعي إلى النيل من البخاري وصحيحه والطعن فيه ووسمه بالأسطورة!! ليدل دلالة قوية على الصدمة التي يحدثها (الجامع الصحيح) للإمام البخاري في نفوس اللادينيين المتسترين ب(البحث العلمي) والفكر التنويري وما شابه ذلك من زخرفة الأقوال ورونقة الأشكال!!

لقد أعماهم الحقد على كل ما يتصل بالسنة ورواتها، فصبوه صباً عليهم ، واختص البخارى بأشد أنواع الحقد ؛ لأنه جمع أصح الروايات، وبذل أقصى الجهود، وأحاط الدين بأقوى السياج ،

وذنب البخارى عندهم، أنه أخلص وبذل حياته وصحته وماله في جمع السنة، ونقد الحديث، واستخلص صحيحه من صفوة الصفوة من الحديث، ورسم المناهج، وقعد القواعد، وأصل الأصول ،

من أجل ذلك عابوه وشتموه، وحاولوا تشويه صورته، ونطحوه بقرون حقدهم، يريدون القضاء على جهوده ، وإبادة عمله ، ولو استطاعوا لأخرجوا رفاته ، فصبوا عليه ويلاتهم. ولكن هيهات فما هم إلا كما قال القائل : كناطح صخرة يوماً ليوهنها *** فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

مكانة البخاري

إنه لو أردنا استقصاء مناقب البخاري ومكانة البخاري وسعة اطلاعه ونفوذ نظره وشدة احتياطه فـــي "صحيحه" لما وسعت ذلك كتب وأسفار ، فالرجل ملئت بكتبه وشراحها خزانات ، وخصصت لمناقبه وفضائله كراسات ، منزلة البخاري معروفة بين الناس، لا تحتاج لبيانها؛ فهو المجمع علـــى فـــضله، المقدم في علمه، الرائد في فنه، بعلمه وعمله، واتِّباعه للسُّنة وإخلاصه – بلغ صِيتُه آلافـــاق، وأثنـــى عليه العلماء؛ وكتبوا عنه قديما وحديثا الكثير حتى قال الحافظ ابن حجر بعد ذكر كلام العلماء فيـــه : "ولو فتحتُ بابَ ثناء الأئمة عليه، ممَّن تأخَّر عن عصره؛ لفني القِرْطاس، ونفدت الأنفاس؛ فذاك بحـــرٌ لا ساحل له".[[28]]

ونقل عن قتيبة بن سعيد قوله: "جالستُ الفقهاءَ والزهَّاد والعبَّاد، فما رأيتُ منذ عقلتُ مثلَ محمـــدٍ بـــن إسماعيل، وهو في زمانه كعمر في الصحابة"[[29]]، وقال: "لو كان محمد في الصحابة لكان آية"[[30]].

وقال ابن السبكي عن الإمام البخاري :[هو إمام المسلمين وقدوة الموحدين وشيخ المؤمنين والمعـــول عليه في أحاديث سيد المرسلين وحافظ نظام الدين] .

وقال الحافظ العلّم عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: قد رأيت العلماء بالحرمين، والحجـــاز، والـــشام، والعراقين فما رأيت فيهم أجمع من البخاري. هو أفقهنا، وأعلمنا، وأغوصنا، وأكثرنا طلباً.

وبلغ من محبَّتهم للبخاري ما قاله يحيى بنُ جعفرٍ البِيكَنْدِي: "لو قدرتُ أن أزيد في عمـــر محمـــد بـــن إسماعيل من عمري لفعلت؛ فإن موتي يكون موت رجلٍ واحدٍ، وموته ذهابُ العلم"[[31]].

وكما كان البخاري متميزاً في عقله وعلمه، كان متميزاً في سيرته وأخلاقه. وكان فيـــه مـــن الـــورع والتقوى ما يدعو للدهشة والإعجاب، ويكفي في ذلك قوله: "إني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أنِّـــي اغتبتُ أحدًا" [[32]]. وكان يقول: ما اغتبت أحداً قط منذ علمت أن الغيبة حرام. وكان حريصاً جداً فـــي كلامه عن الرجال في الجرح والتعديل، فإن أكثر ما يقول عند الجرح: سكتوا عنه، فيه نظر، تركـــوه، ونحو هذا، وقلّ أن يقول: كذاب، أو وضّاع، وإنما يقول: كذّبه فلان، ورماه فلان؛ أي: بالكذب.

وكان قليل الأكل، كثير الإحسان إلى الطلبة، مفرط الكرم، كثير العبادة، إلى آخر هذه الـــصفات التـــي يتحلّى بها عظماء المسلمين ولهذه الأسباب أيضاً لقّب الإمام النووي الإمام البخاري بإمام المحـــدثين، ولقبه غيره من العلماء بأمير المؤمنين في الحديث.

---

[28] - هدى الساري 258/2 .
[29] - سير أعلام النبلاء (12/ 431).
[30] - مقدمة فتح الباري (506).
[31] - تاريخ بغداد (2/ 24) وتهذيب الكمال (3/ 1172) وتاريخ الإسلام (18/ 254).
[32] - طبقات الحنابلة (1/ 276) وسير أعلام النبلاء (12/ 439) ومقدمة فتح الباري (505).

ومع علمه وحفظه وحسن أخلاقه كان آيةً في العبادة، لم يشغله الحديث عن القرآن؛ إذ كان يختم في كل يوم من رمضان ختمة[33]، ويصلي في آخر الليل ثلاث عشرة ركعة[34].

وكان فيه خشوعٌ عجيبٌ؛ قام يصلِّي يومًا، فلسعه زنبورٌ سبع عشرة مرة، حتى تورَّم جسدُه، ولم يقطع صلاته حتى أتمها! فقالوا له في ذلك؛ فقال: "كنتُ في سورةٍ، فأحببت أن أُتِمَّها"[35].

هذا هو الإمام البخاري وهذه بعض مناقبه ولمحة عن مكانته ، وقليل من بحره المديد وركنه الشديد، أما كتابه فقد تتابع على خدمته ملايين العلماء، وتنافس في روايته وشرحه وتحقيقه والتعريف برجاله، ودراسة أسانيده، والتأليف في تراجمه، والتدقيق في شروطه لرواية الحديث... ملايين الحكماء والفقهاء والأدباء.. وتلقته الأمة الإسلامية جمعاء بالقبول..

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة" (ص86)، «ولا يبلغ تصحيح مسلم مبلغ تصحيح البخاري. بل كتاب البخاري أجلُّ ما صُنِّف في هذا الباب. والبخاري من أعرف خلق الله بالحديث وعِلله، مع فقهه فيه. وقد ذكر الترمذي أنه لم ير أحداً أعلم بالعلل منه. اهـ

وهذا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد -وهو من الأئمة الفحول في معرفة العلل- كان إذا ذكر البخاري يقول: ذاك الكبش النطاح! يعني: أنه لا يغلبه أحد إذا واجهه، والإمام مسلم رحمه الله في الحكاية المشهورة التي أوردها ابن حجر العسقلاني أكثر من مرة: لما سأل مسلم البخاري -و مسلم معروف أنه من تلاميذ البخاري ، تتلمذ عليه خمس سنوات- عن حديث كفارة المجلس، البخاري قال: هذا حديث مليح وله علة، فارتعد مسلم وتغير وجهه، وقال: أخبرنيها، فلما أخبره الإمام البخاري بهذه العلة، قال له مسلم : دعني أقبل قدميك يا أستاذ الأستاذين، وطبيب الحديث في علله، أشهد أنه لا يبْغضك إلا حاسد.

هذا غيض من فيض ما قيل في هذا الإمام العلم الفطين وكتابه المتين، فلْيعلم ناقده عن أي عظيم يتكلم. ثم يأتي في عصرنا من يتجرأ على التنقيص من البخاري والنيل منه ، ولو وجدوا في زمانه لما صلحوا أن يصبوا على البخاري وضوءه، ولا أن يغسلوا رجله لأنهم أقل من أظافر رجل البخاري. فالبخاري كان يحضر مجلسه آلاف وليس في وجهه شعيرة، ولك أن تعجب من وقاحتهم وجرأتهم على الإمام وصحيحه ، الذي أصبح كتاب الأمة جميعها ، فصحيح البخاري ليس ملكاً للبخاري ، لقد قُرئ مئات الألوف من المرات على مئات الألوف من العلماء عبر القرون، واتفق الكل على هذا الكتاب، ولم يعارضه معارض مع الحاجة إلى معارضة مثله، فعندما يقرأ الكتاب على مئات الآلاف عبر القرون، فالكتاب لم يعد ملك البخاري ، إنما صار ملك الأمة جميعها، كأن عقول الأمة جميعاً نقحت

33 - تاريخ بغداد (2/ 12) وتهذيب الكمال (3/ 1170).

34 - طبقات الشافعية الكبرى (2/ 220) وسير أعلام النبلاء (441).

35 - تاريخ بغداد (2/ 12) وتهذيب الكمال (3/ 1170) وطبقات الشافعية الكبرى (2/ 223).

كتاب البخاري ، وكل عالم من هؤلاء العلماء نظر في كتاب البخاري ، حتى قال ابن خزيمة –و ابن خزيمة من طبقة البخاري وإن كان توفي بعده– قال: نظرت في هذه الكتب فلم أر أجود من كتاب محمد بن إسماعيل ، الذي هو البخاري ، وقال: ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل ، وحسبك هذه الشهادات! والأئمة كلهم: البخاري عندهم محل اتفاق،

ولقد أجمعتْ الأُمَّةُ على أنَّ صحيح البخاريِّ أصحُّ هذه الكتب، بل هو أصح كتاب بعد كتاب الله، لما لصاحبه –أعني البخاري– من مزيد دِقَّةٍ في شروط انتقاءه للأحاديث، و لم يكن الإجماعُ اعتباطيا ولا عاطفيا، وإنما كان بعد استقراءٍ وتتبعٍ واستعراضٍ لأحاديثه من طرف كبار المحدثين والنقاد، فوجدوها على درجةٍ عاليةٍ من الصِّحة،

لقد جنى الكاتب على الحديث ورجاله بل على الدين كله وتعمد الكذب وبالغ في التدليس والتضليل ، إذ شبه الإمام البخاري رحمه الله في شخصيته و مكانته بين المسلمين ب (بولس) في النصرانية _وبولس كان يهوديا من ألد أعداء المسيح_ ، قائلا (و إني أكاد أجزم أن شخصية البخاري لدينا نحن معظم المسلمين، توازي شخصية بولس الرسول لدى المسيحيين،108)

فلم يتردد الكاتب في تشبيه الشيخ البخاري ومقارنته باليهودي المتنبئ الذي حرف النصرانية وهدم دينها ،وحولها إلى التثليث والشرك ، فالبخاري حسب رأي الكاتب الغمر لا يختلف عن بولس ، اليهودي الذي ادعى رؤية المسيح في السماء بعد رفعه، وقد نحل ذلك من الوثنيات المختلفة التي كانت تقدس بعض البشر وتعتبرهم أبناء الله. { وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} (التوبة30) إذن فالبخاري _حسب مفهوم هذه المقارنة_ حرف دين النبي وزور الوقائع وبدل دين الله ليجعل من نفسه شخصية خيالية مقدسة .

(..وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) يس

دفاعنا عن البخاري

إنه ينبغي أن نبين للمخالف أنّ دفاعنا عن الصحيحين وعن كتب السنة جملة، ليس عاطفة وتقليدا محضا، أو ادعاء أن صاحبي الصحيح معصومان-كما قد يظن البعض وربما صرح بعضهم !! سبحانك هذا بهتان عظيم، فأهل السنة ليس عندهم معصوم إلاّ الرسل والأنبياء في تبليغ الرسالة-، بل دفاعنا عن الصحيحين نتاج معرفتنا بواقع الكتابين ودقة المنهجية التي سلكها مؤلفا الكتاب، وشدة تحريهما في تحقيق شرطهما، والنقد التفصيلي يدل على هذا، بل ويدعو للإعجاب والثقة بهذين الكتابين حتى نالا لقب أصح الكتب بعد كتاب الله، وحظيا بقبول الأمة- بالجملة - ، ومما يدل على أهمية سلوك هذا المنهج في مناقشة الأحاديث المنتقدة أن بعض من يتبنى هذا التوجه يتفاجأ بهذه التفصيلات الدقيقة، ويصرح بأنه لأوّل مرة يسمعها، وأن الذي تعلمه _ وهو ما يروجه الأعداء ويشهره الخصماء _ أن سبب التعظيم لهذين الكتابين التقليد والعاطفة فحسب!.

إننا ننتفض ضد كل من يسيء لهذا الدين ورجاله ، ليس تقديسا لهم ولا تمجيدا ولا عاطفة ولا تقليدا ، إنما غيرتنا عليهم هي بحد ذاتها غيرة على الدين ودب عن حماه ، ننتفض ونغار دفاعا عن الإمام البخاريِّ وغيره من الرجال الذين خلدهم التاريخ بأعمالهم وإخلاصهم وجهادهم ، دفاعا عن البخاري باعتباره راويا لخير الكلام وجامعا لأقوال خير الأنام ، دفاعا لا تقديسا ولا تمجيدا ، ونصلاة للحق لا تقليدا ، ففي البخاريٌّ هويتنا وانتمائنا، وفنه أصالتنا ، وما سطره هو شرعنا ،

دفاعنا عن البخاري دفاع عن الحق بالحق ، ودمغا للباطل بالبرهان والصدق ، فلسنا كغيرنا ممن يغيرون ويبدلون ، ويحرفون ويؤولون لدفع ما يعترض به المعترضون ، فإن ديننا ليس كسائر الأديان التي يدافع عنها أهلها كما يدافع المحامي عن موكله المبطل بتمويه باطله ، وتصويره بغير صورته ، وإنما دفاعنا عن ديننا ورجاله هو إظهار حقيقتهما ، وإزالة ما عرض من التمويه والتلبيس عليهما ، فالغيرة على هذا الدين ورجاله هي التي ألصقت القلم بين أصابعنا وحركت بالتبيان ألسنتنا ، وهي التي دفعت الفقيه والسياسي والمفكر والمصلح محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي (ت 1376 هـ/1956 م) ؛ لكتابة ورقاته التي سماها: "الدفاع عن الصحيحين دفاع عن الإسلام".

يبرز فيها الفقيه الحجوي _رحمه الله_ خطورة مآلات التطفل والجرأة على هذا الكتاب بقوله:

"إذا ساء ظن المسلمين بالصحابة ورجال البخاري ومسلم وأئمة الدين نقلة الشرع المطهر، واتهموهم وكذبوا الكتب الصحيحة التي وقع الإجماع على قبولها؛ وهي الحجة التي بين أيدينا وأيدي المسلمين في عموم الأرض أو دخلهم التشكيك فيها، صارت ديانتنا إلى ما صارت إليه ديانة اليهود والنصارى

المطعون في كتبهم، وصرنا نطعن ديننا بيدنا، وليس لذلك من فائدة سوى شفاء صدورهم، وصاروا يقولون لنا نحن وإياكم في الهوى سوا".

وقال: "لا ينبغي لمسلم أن يتجرأ على البخاري ومسلم بالطعن والتكذيب في أحد أحاديثهما بحجج واهية ظهرت له قبل التثبت؛ إذ إن من المعلوم إجماع الأمة على تلقي أحاديثهما بالقبول، وقد احتاج إليهما جميع المذاهب الأربعة وعليهما أسست معاهد الفقه والدين.

وهل نتوصل إلى سنة نبينا صلى الله عليه وسلم المبينة للقرآن إلا بهما وبالسنن الأربعة والموطأ ومسند أحمد؛ ؟!! والعمدة كل العمدة على الصحيحين".

ومن هنا فإن دفاع العلماء والدعاة عن الصحيحين وأمثالهما من المراجع الأساسية في دين الإسلام ؛ لا يعني أن لتلك المراجع قدسية أو أن لأصحابها العصمة ؛!! ولكنه نوع من الصيانة لها وصونها عن العبث واللعب، وعن المقاصد الخبيثة والنوايا الشريرة التي تغذيها كراهية البعض لهذا الدين الحنيف ومصادره ورجاله .

هل البخاري كامل ، وما حد الكمال

حين تتساق وراء ما سطره الكاتب من كلمات ... وتحاول التأمل في تراكيبها ودلالاتها ، تجد نفسك قد تجاوزت الحد الذي يمكنك من خلاله فهم مابين السطور ، فلفهم الكتاب وخربشاته عليك أن تضع نفسك في مقام محاور طفل دون سن التعليم ، وإلا لن تفهم استفسارا ولن تجد جوابا ، ولهذا قد تفحمك بعض العبارات فتقف عاجزا عن الجواب عليها ، لأنك في الأخير تحس أنك تحاور من لن يتمكن من فهم كلماتك واستيعاب فكرتك ، والنموذج من هذه السطور وهذه النتيجة المستنتجة ،

لقد استنتج الكاتب بعقله الخارق وفكره الأسطوري ، حكما لم يسبق أن دار في مخيلة أحد ، فاستنتج _بناء على مقدمات فكاهية ذكرها_ أن البخاري وكتابه يسيء إلى مقام النبوة ومقام الألوهية ، وأحيلكم على هذا النموذج من صفحة 88 ندعه يوضح بنفسه كالطفل البريء كيف استنبط هذا الحكم الفريد والقول السديد ، فيقول : (إذن فكتاب صحيح البخاري كامل لا خطأ فيه .. والكامل لا يصدر إلا عن الكامل وبالتالي فالشيخ البخاري هو إنسان كامل..) إنه لما سمعهم يقولون (صحيح البخاري) فهم بعقله _البريء من العلوم_ ، أن في الوصف إساءة منهم لمقام الألوهية ، فمعنى الصحيح أنه كامل والكامل لا يكون إلا من كامل ، فالبخاري إذن يدعي _أو يدعى عليه_ الكمال ، وبالتالي (..فالبخاري أكمل من الجميع وينازع الله صفة الكمال، ص89)

فعلى منطق هذا الكويتب من ألف كتابا فعليه أن يتعمد فيه أخطاء ، أو يبتر منه كلمات ، أو يحشوه بأكاذيب وخرافات ، لأنه إن كان كتابه كاملا فقد أساء لمقام الألوهية ،!! ونفس المنطق في من بنى دارا فعليه أن يضعها على أساس هش ، أو يوقف عمله قبل الإتمام ، وإلا ، بأن جعلها كاملة صحيحة فقد كفر لأنه صنع شيئا كاملا وبالتالي فهذا ادعاء منه للكمال ، وعليه فهو مسيء إلى الله ، وهكذا ..

إنه منطق العاجزين ، الذين يركبون كل مريضة ونحيفة فقط ليتصفوا بصفة الراكب ،

إن هذا تخليط وإيهام ، فمن ذا الذي قال من المسلمين أو اعتقد أو ادعى أن البخاري كامل ، ؟

قال الشيخ سمرين: وفي كلامه مغالطة منطقية، حيث إن قوله: "الكامل لا يصدر إلا عن كامل"، لا ينتج منه أن من كان كتابه كاملا كان هو إذن كاملا، وذلك أن القول بأن كل كامل لا يصدر منه إلا قول كامل، لا يساوي أن كل قول كامل لا يصدر إلا من كامل، "فإن قولك كل إنسان حيوان، لا يلزم منه عكسٌ عام، وهو أن كل حيوان إنسان" .[36]

فماذا يقصد الكاتب بقوله عن خصومه إن البخاري عندهم أكمل من الجميع وأنه ينازع الله في صفة الكمال؟ ومن أين أتى بهذه المغالطة ؟ والواقع المشاهد يكذبه ، والتاريخ يفنده ،

[36] - بيع الوهم

إن إحكام الصنعة وإتقان العمل ليس ادعاء للكمال ، لأن أي إنسان قد يتقن عملاً ما إتقاناً لا ترى فيه خطئا _رغم نقص الإنسان وضعفه_ . فكيف ينكر أن يكون عملُ البخاري متقناً وصنعه محكما ؟

ولا أظن الكاتب أو القارئ سيفقد كثيراً من الأعمال البشرية حوله، ومن الصنائع المتقنة غاية الإتقان، وتؤدّي الغرض منها على صورة بالغة الدقّة ، فهل ننكر إحكامها وإكمالها ، أم نتعمد عيبها وإفسادها ، لئلا ينازع الله في كماله ؟!!

ولعل الكويتب قد استقرّ في ذهنه أن الإنسان عمومًا غير معصوم ، فظنّ أن عدم عصمة الإنسان يستلزم أن يخطئ في كل عمل! وهذا غير صحيح؛ فإن غير المعصوم لا يكون غير معصوم في كل عمل، بمعنى أنه سيخطئ في كل عمل لا محالة ، بل شأن الإنسان أن يصيب وأن يخطئ ، فما الذي يمنع (عقلاً) أن يكون البخاري قد أصاب في صحيحه ولم يخطئ فيه، وإن كان يخطئ في مؤلفاته وأعماله الأخرى؟!! إذن فمسألة العصمة لا علاقة لها بإتقان البخاري لصحيحه. أما مسألة الكمال ومنازعة الله في كماله ... إلى آخر النفثات والزفرات فلا موضع لها ولا عقل يستسيغها ،

فدع عنك الكتابة لست منها ولو غرقت ثيابك في المداد

لقد سبق وأن بينا عقيدة أهل السنة وقمة صدقها ، وقوة تماسكها ، ومتانتها وشدة ثباتها ، وهذه الطرائف المضحكة التي يحاول بها الكاتب نقد ونقض صرح البخاري وحرق بستانه لن تفلح ، وريحه لن تنفح ولن تلفح ، ولن تسقط فيه ورقا من شجر ولن يناله منها شعر ولا وبر .

وما يمكن أن يناله الكاتب وكل من حدا حذوه وتخندق معه هو دعوات وسخطات ، أو غمزات وضحكات ، ولن يذكر في التاريخ إلا للإستهزاء وضرب المثل في الغباء والبلادة ، كما هو حال من سبقه ، وأنى له أن يذكر بالحمد ، وينعت بالفهد ، لأنه لم يسلك لذلك مسلكه ، وحاله:

وفي الهيجاء ما جربت نفسي ولكن في الهزيمة كالغزال

إذا ما تردى في الضلالة جاهلُ فما عذر من يأبى الهدى وهو عارفُ
يظنون أن لن ينسف الله ما بنوا ولـن يثبت البنيان والله ناسفُ
سيلقون بؤساً بعد بؤسٍ ومحنةً فلا العيش فياحٌ ولا الظل وارف

الرؤيا الصادقة جزء من النبوة

استنكر الكاتب الرواية القائلة بأن البخاري فقد بصره في طفولته وأن أمه رأت في منامها إبراهيم الخليل وأخبرها أن ابنها قد استعاد بصره بسبب دعائها أو بكائها ، ثم يواصل انتقاده العامي السوقي مستغربا الرواية والرؤيا ، ولا ندري أهو استغباء القراء والمثقفين ، أم اعتراف وإشهاد بالغباء والجهل ؟ ودون أن ندخل في تفاصيل القصة هل هي صحيحة نقلا وعقلا أم لا ، نقف عند ألفاظ الكاتب الخداعة ، فماذا تفهم أيها القارئ من هذه العبارة : (ما يلاحظ في هاته القصة هو أن الإمام البخاري بلغت أهميته الكبرى، أن أوحى الله إلى أمه عبر نبي الله إبراهيم في المنام، ... وكأن أم البخاري كانت نبية يوحى إليها!! ص77) فهل هو اعتراف من الكاتب بجهله بحقيقة الرؤيا ، والفرق بينها وبين النبوة ، أم محاولة منه استسمان ذي ورم ، وخداع ذي صمم ؟!! فهل كل من قص رؤيا فقد ادعى النبوة ؟ ألا يعرف الكويتب أن الرؤيا جزء من النبوة ؟ فقد وردت أحاديث صحيحة عديدة في ذلك منه قوله ﷺ (رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ)[37] وقوله :« الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ ».[38] وقوله ﷺ (لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلا الْمُبَشِّرَاتُ) ، قَالُوا : وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ ؟ قَالَ : (الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ..) .[39] فهل ينكر الرؤيا ، أم يحاول إثبات تهمة ادعاء الوحي ؟ فذلك لم يفهمه منه إلا هو ، أما مسائل النبوة فهو أمر مفروغ منه لدى عامة المسلمين قبل علمائهم ،

ويسترسل في طرح أسئلة أشبه بمحادثات الأطفال المذللين مع أمهم الحنون ، ولماذا ابراهيم ؟ ألا يمكنها أن ترى استعادة ابنها لبصره بدون ابراهيم ،؟ أي شخص رجع إليه بصره يمكن أن يعرف ؟ المسرحية !! ... الخ ، إنه بحث مقزز وكلام مشمئز ،

كلها أسئلة لاتسمن ولا تشبع ، ولا تغني من تلطيخ الحقيقة شيئا ، ولن يكسب بها الكاتب وما كتبه تشجيعا ولا إعجابا ، أما الرؤيا إن كانت ثابتة من حيث الرواية فهي مقبولة عقلا وشرعا ، أما حواشي الكلام لماذا ابراهيم ؟ ولماذا فلان ولم يك فلانا ؟ فذلك الأمر لله له أن يري للنائم رسولا من الرسل أو نبيا من الأنبياء أو غيرهم ، ولا خلاف في ذلك ، _(أي في رؤية الأنبياء ومن دونهم)_ إنما موضع الخلاف في هذا الباب هو في رؤية الله تعالى _في المنام طبعا_ هل يمكن ويقبل أم لا ، فخالف فيه المعتزلة والجهمية الجمهورَ ، وذلك مبسط في مواضعه [40]

---

[37] - صحيح البخارى(6989)

[38] - صحيح مسلم (6053)

[39] - أخرجه البخارى (2564/6 ، رقم 6589) . رواه مالك في الموطأ بشرح الزرقاني (451/4) وغيرهم

[40] - انظر تمام المنة ببعض ما اتفق عليه أهل السنة /وليد بن راشد بن عبدالعزيز السعيدان : حكى ابن تيمية والقاضي عياض والقاضي أبو يعلى إجماع أهل العلم على إمكانية رؤية الله تعالى في المنام ، بل ونقل في سراج الطالبين على منهاج العابدين اتفاق الصحابة والتابعين على إمكانية ذلك ،

وذكر الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" عن القاضي عياض أنه قال: لم يختلف العلماء في جواز رؤية الله تعالى في المنام. انتهى. وذكر النووي في "شرح مسلم" عن القاضي أنه قال: اتفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى في المنام وصحتها. انتهى المقصود من كلامه.

قال الشيخ : حمود التويجري في كتاب الرويا: .. أصدق المؤمنين حديثًا أصدقهم رؤيا. قال النـــووي: ظاهره أنه على إطلاقه لأن غير الصادق في حديثه يتطرق الخلل إلى رؤياه وحكايتـــه إياهـــا. وقـــال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي قوله: «أصدقهم رؤيا أصدقهم حديثًا» وذلـــك لأن الأمثـــال إنمـــا تضرب له على مقتضى أحواله من تخليط وتحقيق وكذب وصدق وهزل وجدّ ومعصية وطاعة..

ونقل الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" عن المهلب أنه قال: الناس على ثـــلاث درجـــات، الأنبيـــاء ورؤياهم كلها صدق وقد يقع فيها ما يحتاج إلى تعبير، والصالحون والأغلب على رؤياهم الصدق وقد يقع فيها ما لا يحتاج إلى تعبير، ومن عداهم يقع في رؤياهم الصدق والأضغاث وهم على ثلاثة أقسام. مستورون فالغالب استواء الحال في حقهم، وفسقة والغالب على رؤياهم الأضغاث ويقل فيها الـــصدق، وكفار ويندر في رؤياهم الصدق جدًا، ويشير إلى ذلك قوله – صلى الله عليه وســـلم –: «وأصـــدقهم رؤيا أصدقهم حديثًا» وقد وقعت الرؤيا الصادقة من بعض الكفار كما في رؤيا صاحبي الـــسجن مـــع يوسف عليه السّلام ورؤيا ملكهما وغير ذلك..

وقال ابن حجر: إن الرؤيا الصحيحة وإن اختصت غالبًا بأهل الصلاح فقد تقع لغيرهم. انتهى.

فالرؤيا كما رأيت قد تصدق لبعض الفساق بل قد تقع من بعض الكفار فكيف بأهل الصلاح والإيمان**!!**

أما تندره وتدرعه بتردد الراوي هل بدعائها أم ببكائها ، فذاك ليس مشكلا ولا تناقـــضا ، وهمـــا فـــي غالب الأحيان متلازمان ، فإن كان دعاء فهو مع البكاء أبلغ وأخشع ، وإن كان بكاء فالبكاء والشكوى لله هو في حد ذاته دعاء ، فلا اضطراب ولا تباعد بين السببين ، فاستمسك بالوثقى أو لتبق أشقى ،

أما السعي لصنع أسطورة من البخاري ، أو إثبات علم الغيب له ، فهذا من أوهام الكاتب ومن أحلامه المسبوكة ، لكنها أحلام مستيقظ ، أما أحلام النائم فقد تصدق ،

ودعك من البحث الكوميدي والخطاب الفكاهي ، (رجل ذباب) فأولئك الرجـــال يبحثـــون وينقحـــون ليميزوا الخبيث من الطيب ، ويختاروا الصحيح من السقيم ، أما الذباب فمن عادتـــه أن يبحـــث عـــن مواضع العفن وروائح الخبث ، فما هكذا يا رشيد تورد الإبل ، فأورد بحثك موردا معينا ، ومـــصدرا رصينا ، أو جرب القصص المسرحية ، ودع عنك هذا الفن ورجاله.. الكتاب كله مجرد شطحة فـــي فلكلور، أو نفثة من مصدور.. ولله در القائل :

طلب الحديث طريقة / الماضين من أهل الرشاد * فاسلك سبيلهم تنل / درجاتهم يوم المعاد

وللحافظ أبي طاهر السلفي رحمه الله :

دين النبي وشرعه أخباره / وأجل علم يقتنى آثاره

من كان مشتغلا بها وبنشرها / بين البرية لا عفت آثاره

اتهام البخاري في عقيدته

يبدو أن أسنان الكاتب تزداد حدة فصلا بعد فصل ، ولا يكاد ينهي جملة مـن الطعـون والإتهامـات الكاذبة حتى يفتتح حزمة أخرى لا تقل كذبا وجناية وركاكة ،
فلم يقف الحد عند مناقشة كتب الحديث أيهما أصح ، ولا مناقشة أسطورة الحفظ ، ولا كذبة الإجماع ، بل وصل به الأمر إلى إيراد كل ما عرضه له مستعرضه ، إن لم يكن جاء من مخيلته_ فاتهم شخص البخاري في عقيدته ودينه وإلحاقه بزمرة الضالين المضلين، و أصحاب الزيغ والعقائد الفاسدة.
وقد زعم كثير من أهل الأهواء_الذين يتربصون بالدين وأهله_ أن الإمام البخاري قال : لفظي بالقرآن مخلوق، ولكن بعد التحقيق تبين أن نسبة هذا القول للإمام البخاري رحمه الله يعد بهتانا وشـهادة زور عليه وانه براء من هذه المقالة _براءة الذئب من دم يوسف_، قال نصر بن محمد : سمعت محمد بـن إسماعيل البخاري يقول : (من زعم أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب ، فإني لـم أقلـه)[41]
وقال أبو عمر والخفاف : (أتيت البخاري فناظرته في الأحاديث حتى طابت نفسي، فقلت : يا أبا عبد الله هاهنا أحد يحكي عنك أنك قلت هذه المقالة . فقال : يا أبا عمرو أحفظ ما أقول لك : من زعم مـن أهل نيسابور وقومس والري وهمذان وحلوان وبغداد والكوفة والبصرة ومكة والمدينة أني قلت لفظـي بالقرآن مخلوق فهو كذاب، فإني لم أقله، إلا أني قلت أفعال العباد مخلوقة)[42]
وهذه التهمة الجائرة هي التي باعدت بين الإمامين البخاري والذهلي ، في قصته التي تلي هذا الفصل، فهي قصة واحدة متحدة ، ولكن الكاتب ما فتئ يجزئ الحكاية تعتيما وتمويها ، ويعدد للقصة الواحـدة فصولا تكثيرا للصفحات وترديدا للشطحات ، فالحكاية إذن إن لم تكن حسدا فهي وشاية كاذبة ، وقـد تكون سوء فهم بين الإمامين ليس إلا ، وهو المتبادر ، إلا أن الكاتب لا يهمه الراجح والصواب ما دام في الحكاية ما ينصر به هواه ، إذ بإمكانه أن يرجع _بسهولة_ إلى كتب البخاري ليقف علـى عقيـدة البخاري الصافية النقية ، في مسألة خلق القرآن وغيرها ، كيف لا والبخاري له كتاب اسـمه (خلـق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل،) ولكن الكاتب لا يـسره إبـداء الحقيقـة واتبـاع الطريقة ، وهذا شأن كل كاتب تزوير ، وقاصد تجارة ، الذي يتاجر بكل شيء مقابل لا شيء ،
والمعروف عن البخاري أنه يقول في كتابه **"وما قرئ و حفظ و كتب ليس بمخلوق**[43]**"**
و قال أبو عبد الله بن محمد إسماعيل سمعت عبد الله بن سعيد يقول سمعت يحيى بن سعيد يقـول مـا زلت أسمع من أصحابنا يقولون إن أفعال العباد مخلوقة قال أبـو عبـد الله : حركـاتهم وأصـواتهم

---

41 - طبقات الحنابلة 1 / 277، سير أعلام النبلاء 12 / 457 .
42 - تاريخ بغداد 2 / 32 مقدمة فتح الباري 492، سير أعلام النبلاء 12 / 457-458 .
43 - [خلق أفعال العباد - البخاري] دار المعارف السعودية _ ص 115 رقم 413

واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة **فأما القرآن المتلو المبين المثبت فـي المـصاحف المـسطور المكتـوب الموعى في القلوب فهو كلام الله ليس بخلق** ، قال الله بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وقال إسحاق بن إبراهيم فأما الأوعية فمن يشك في خلقها قال الله تعالى وكتـاب مـسطور فـي رق منشور وقال بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ فذكر أنه يحفظ ويسطر قال وما يسطرون[44]

قال يوسف سمرين حفظه الله : وعليه فيكون الذهلي فهم مقصده خطأ، فتهمته غير صحيحة، ورغـم أنه أخطأ على البخاري إلا أن البخاري لم يترك روايته، لأن الحق كان عندهم فوق كل إنسان، وإنمـا لم يكن يسميه باسمه كاملا لثقل ما ناله من ذلك الاتهام، ولا يغش سامع الرواية في هذا أبدا، فإن كان السامع عالما فهو يعلم أنه يرويه عن الذهلي، وإلا فالراوي ثقة، لم يضعفه لأنه اتهمه خطئا .[45]

وحكايته وقصته مع الإمام الذهلي يجدر بنا أن نخصص لها فصلا لنحيط بالموضوع من كل جوانبه

[44] - [خلق أفعال العباد - البخاري] دار المعارف السعودية _ ص 47

[45] - بيع الوهم ص 59

بين البخاري والذهلي (المحنة)

الكلام عن محنة البخاري يثير في القلب شجونًا وأحزانًا كثيرة، ذلك لأن هذه المحنة بالذات ما زالت أصداؤها تتردد لوقتنا الحاضر، ولكن بصور مختلفة، وبأوجه جديدة، وما زالت ضروب هذه المحنة وأقرانها تقع كل يوم، وفي كل عصر وجيل، ولب هذه المحنة وأسها وأساسها الغيرة والحسد بين الأقران، فهي كما قال البخاري رحمه الله نفسه في وصيته: لا يسلم عالم متقدم على أقرانه من ثلاثة أمور: طعن الجهلاء، وملامة الأصدقاء، وحسد العلماء، وهو عين ما جرى للبخاري في محنته، وهذه بعض فصولها:[46]

خرج البخاري رحمه الله في رحلة علمية طويلة لسماع الحديث، وطلب العلم؛ فطاف البلاد، ودخل العواصم، والتقى مع آلاف الشيوخ، ولم يترك بقعة من بقاع العالم الإسلامي المعروفة بالعلم والحديث إلا زارها ودخلها، فطاف خراسان كلها، ودخل العراق؛ فزار بغداد والبصرة الكوفة مرات كثيرة، ودخل الشام والحجاز واليمن ومصر، وكان كلما دخل بلدًا انهال عليه الآلاف من أهلها من طلبة العلم وغيرهم للاستفادة من علمه الغزير، وأدبه الوفير، وسمته وهديه، وكان الناس يستقبلونه استقبال الملوك والخلفاء والعظماء، ويبالغون في تعظيمه وتبجيله واحترامه.

وبدأت فصول محنة البخاري عندما توجه إلى مدينة نيسابور؛ وهي من المدن الكبيرة في خراسان؛ فلما وصل إليها خرج إليه أهلها عن بكرة أبيهم، فلقد استقبله أربعة آلاف رجل ركبانًا على الخيل، سوى من ركب بغلا أو حمارًا، وسوى الرجالة، وخرج الولاة والعلماء كافة لاستقباله قبل أن يصل المدينة بمرحلتين أو ثلاثة []، وبالغوا في إكرامه بصورة لم تكن لأحد قبل، ولا حتى بعده.

ومن روعة الاستقبال، وعظيم التقدير والاحترام الذي وجده البخاري بنيسابور قرر المقام فيها لفترة طويلة، واتخذ فيها دارًا، وأخذ علماء نيسابور في حض طلبة العلم على السماع من البخاري، وكان رأس علماء نيسابور وقتها الإمام محمد بن يحيى الذهلي، وكان رأسًا متبوعًا مطاعًا، ليس في نيسابور وحدها، بل في خراسان كلها، فالناس يطيعونه أكثر من طاعتهم للخليفة والوالي، وكان الذهلي ممن حض الناس على الجلوس للبخاري، وحضور مجالسه ودروسه، والذهلي نفسه كان ممن استفاد كثيرًا من البخاري، حتى إنه كان يمشي خلف البخاري في الجنائز يسأله عن الأسماء والكني والعلل، والبخاري يمر فيها مثل السهم.

ومع استقرار البخاري في نيسابور أخذت مجالس التحديث تخلو شيئًا فشيئًا من طلاب الحديث لصالح مجلس البخاري، حتى ظهر الخلل في مجلس كبير علماء نيسابور محمد بن يحيى الذهلي نفسه، عندها

---

[46] ـ شريف عبدالعزيز الزهيري

تحركت النوازع البشرية المركوزة في قلوب الأقران، فدب الحسد في قلب الذهلي، وتسللت الغيرة المذمومة إلى نفسه شيئًا فشيئًا، حتى وصل الأمر به لأن يخوض في حق البخاري، ويتكلم فيه، ويرميه بتهمة هو بريء منها،

وهذه التهمة هي تهمة اللفظية؛ وهي تعني قول القائل: أن لفظي بالقرآن مخلوق، فقد قال – يعني الذهلي – لأصحاب الحديث إن البخاري يقول: اللفظ بالقرآن مخلوق فامتحنوه في المجلس، فلما حضر الناس مجلس البخاري قام إليه رجل فقال: يا أبا عبد الله ما تقول في اللفظ بالقرآن: مخلوق هو أم غير مخلوق؟ فأعرض عنه البخاري ولم يجب، فأعاد الرجل السؤال ثلاث مرات، فالتفت إليه البخاري، وقال القرآن كلام الله غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة، والامتحان بدعة، أي أن البخاري قد أدرك مغزى السؤال، وعلم أنه من جنس السؤالات التي لا يراد بها وجه الله عز وجل، وإنما يراد بها امتحان العلماء، وإثارة الفتن والفرقة بين الناس، فشغب الرجل السائل على مجلس البخاري؛ فقام البخاري من مجلسه، وجلس في منزله. [47]

قال الشيخ علي بن نايف الشحود في (المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام)

..فمن المعلوم أن البخاري رحمه الله عندما قدم نيسابور كان الذهلي نفسه يحث تلاميذه وطلابه على حضور مجلسه ، فلما أقبل الناس على الإمام وذاع صيته ، دخل في نفسه ما لا يسلم منه بشر ، فقال عبارته تلك ، قال الحاكم أبو عبد الله سمعت محمد بن حامد البزاز قال سمعت الحسن بن محمد بن جابر يقول : سمعت محمد بن يحيى قال لنا لما ورد محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور : " اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح ، فاسمعوا منه فذهب الناس إليه ، وأقبلوا على السماع منه حتى ظهر الخلل في مجلس محمد بن يحيى فحسده بعد ذلك وتكلم فيه " .

وقال أبو أحمد بن عدي ذكر لي جماعة من المشايخ أن محمد بن إسماعيل لما ورد نيسابور اجتمع الناس عليه ، فحسده بعض من كان في ذلك الوقت من مشايخ نيسابور لما رأوا إقبال الناس إليه ، واجتماعهم عليه ، فقال لأصحاب الحديث : " إن محمد بن إسماعيل يقول : (اللفظ بالقرآن مخلوق) ، فامتحِنوه في المجلس ،....اهـ

---

47 - ولعل البعض لا يدري ما المراد بمسألة اللفظية هذه؛ لذلك يحسن أن نبين معناها في عجالة؛ ذلك أنه خلال فتنة القول بخلق القرآن، وامتحان الخلفاء: المأمون والمعتصم والواثق للناس فيها، التبس الأمر على بعض الناس؛ فتوقف البعض في المسألة، وقال البعض الآخر أن لفظنا بالقرآن مخلوق، وكان أول من قال أن اللفظ بالقرآن مخلوق هو الفقيه الكرابيسي؛ فأنكر عليه الإمام أحمد بشدة، واعتبره من قبيل البدع، وسبيلا للتجهم والاعتزال، وقال الإمام أحمد: من قال القرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: القرآن كلام الله ولا يقول: غير مخلوق ولا مخلوق فهو واقفي، ومن قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع، فرد الفقيه الكرابيسي وأوضح المسألة فقال: تلفظك بالقرآن: يعني غير الملفوظ من باب أن أفعالنا مخلوقة، ومع ذلك أنكر الإمام أحمد عليه هذه المقولة، وذهب إلى أن يعرض الإنسان عن هذه الكلمة بالكلية حتى لا تفتح بابًا للتجهم والابتداع في الدين.

والخلاصة أن مسالة اللفظ يراد بها أمران: أحدهما الملفوظ نفسه؛ وهو غير مقدرو للعبد، ولا فعل له فيه، والثاني التلفظ به، والأداء له، وهو فعل العبد، فإطلاق الخلق على اللفظ قد يوهم المعنى الأول، وهو خطأ، وإطلاق نفي الخلق عليه قد يوهم المعنى الثاني، وهو خطأ أيضًا، فمنعا الإطلاقين، أما إذا فصَّل القائل في المسألة، وفرق بين اللفظ والملفوظ فقال: إن الملفوظ هو كلام الله عز وجل، والمتلو هو القرآن المسموع بالآذان وبالأمراء من فم الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وهي حروف وكلمات وسور وآيات، تلاه جبريل وبلَّغه جبريل عن الله تعالى، وهو صفة من صفات الله، وبالتالي الملفوظ غير مخلوق، أما لفظ العباد وأصواتهم وحركاتهم وأداؤهم كل ذلك مخلوق لله، بائن عنه، فهذا حق وصواب تمامًا لا مرية فيه، وهذا ما كان يقول به البخاري.

وكان البخاري رحمه الله ينكر نسبة هذا القول إليه ، ويؤكد في كل مكان أنه لم يقل أن لفظه بالقرآن مخلوق؛- كما نقل عنه محمد بن نصر المروزي - : " من زعم أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب ، فإني لم أقله ، إلا أني قلت أفعال العباد مخلوقة " ،

وعندما سأله الحافظ أبو عمرو الخفاف عن هذه المسألة؛ فقال له: يا أبا عمرو احفظ ما أقول لك: من زعم من أهل نيسابور وقومي والري وهمذان وحلوان وبغداد والكوفة والبصرة ومكة والمدينة أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذلك؛ فإني لم أقله، إلا أني قلت: أفعال العباد مخلوقة، ومعنى هذا التصريح أن الذهلي الذي خاض في حق البخاري، وشوه سيرته ومكانته قد بني حملته على البخاري على لازم قول البخاري أن الأفعال مخلوقة، فقال الذهلي: إن البخاري يقول إن ألفاظنا من أفعالنا، وأفعالنا مخلوقة، وإذا هو يقول إن لفظي بالقرآن مخلوق، ولازم القول ليس بلازم كما هو مذهب جمهور المحققين من العلماء إلا إذا التزمه صاحب القول: أما إذا نفاه وتبرأ منه فلا يلزمه، ولا يشنع عليه بسببه، قال الذهبي: ونعوذ بالله من الهوى والمراء في الدين، وأن نكفر مسلمًا موحدًا بلازم قوله، وهو يفرق ذلك اللازم، وينزه ويعظم الرب، لذلك كان البخاري، ينفي في كل موطن هذه التهمة عن نفسه، ويتبرأ منهما.

فالعبارة كما رأيتم سليمة ، لكنها نقلها عنه بعض الحساد والمغرضين المتربصين بالدين وأهله ، وأشاعوا عنه أنه يقول باللفظ ، وحملوا عبارته ما لا تحتمل .

ولذا لم يلتفت العلماء وأئمة الجرح والتعديل إلى ذلك بل عدوه من كلام الأقران بعضهم في بعض ، وأصلوا قاعدتهم المعروفة وهي أن " كلام الأقران يطوى ولا يروى " ، ولذا قال الذهبي رحمه الله في (السير 456/12) بعد أن ذكر أن بعضهم ترك حديث البخاري لما بلغه أنه يقول باللفظ : " قلت إن تركا حديثه أو لم يتركاه ، البخاري ثقة مأمون محتج به في العالم " .

وقد تكلم كثير من العلماء الثقات في بعض ، ولم يكن ذلك موجباً لإسقاط ثقتهم وعدالتهم فتلكم أبن أبي ذئب في الإمام مالك ، وتكلم سلمة بن دينار في الزهري ، وتكلم عمرو بن علي الفلاس في علي بن المديني والعكس ، وتكلم أحمد بن أبي الحواري في هشام بن عمار ، وتكلم أبو نعيم في أبي عبد الله بن مندة ، ولم يلتفت أهل العلم في هذا النحو إلا ببيان وحجة ، ولم يسقطوا عدالتهم إلا ببرهان ثابت وجرح مفسر يتابعه غيره عليه ، قال الحافظ رحمه الله في (لسان الميزان 201/1) : " قلت كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به ، ولا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد لا ينجو منه إلا من عصم الله ، وما علمت أن عصراً من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى النبيين والصديقين ، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس ، فاللهم لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم "

موقف أبي زرعة من الصحيحين

وركب الكاتب أيضاً عبارة لأبي زرعة ينتقد فيها صاحبي الصحيح لإخراجهم لبعض الرواة كأحمد بن عيسى المصري ، وأنه اعتبرهم متظاهرين بالحديث ، وأنهم إنما أرادوا التصدر وصرف وجوه الناس إليهم ، وقبل أن يحكي مقالة أبي زرعة وطن لمقصده بقوله : ومن الأسماء الكبيرة التي جرحت البخاري .. أبو زرعة الذي يعدّ من حفّاظ الحديث ، ويعد علماً من أعلام الرجال ،

ثم شرع في نقل الحكاية مع بعض التعديل الخاطئ على العبارة إذ حذف المساحة بين عمرو وقال وحولها إلى ما بين عمرو وواوه ، ليصير عمرو عمرا .. والحكاية من مصادرها كما يلي :

فقد نقل الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد 227/4) عن سعيد بن عمرو ، قال شهدت أبا زرعة يعنى الرازي ذكر كتاب الصحيح الذي ألفه مسلم بن الحجاج ، ثم الصائغ على مثاله – يعني البخاري فقال لي أبو زرعة : " هؤلاء قوم أرادوا التقدم قبل أوانه ، فعملوا شيئا يتشوفون به ، ألفوا كتاباً لم يسبقوا إليه ليقيموا لأنفسهم رياسة قبل وقتها " ، وأتاه ذات يوم وأنا شاهد رجل بكتاب الصحيح من رواية مسلم ، فجعل ينظر فيه ، فإذا حديث عن أسباط بن نصر ، فقال أبو زرعة ، ما أبعد هذا من الصحيح ، يدخل في كتابه أسباط بن نصر ، ثم رأى في كتابه قطن بن نسير ، فقال لي : وهذا أطم من الأول " .

والجواب أن يقال : إن هذا الجرح من أبي زرعة مفسر ، فسره هو بنفسه ، وبين سبب إيراده ، وهو إخراجه لبعض هؤلاء الرواة المنتقدين الذين ذكر بعضهم ، وقد ذكر مسلم تبرير ذلك والرد عليه بعد هذا الكلام ، ولهذا لم ينقله الكاتب المحرف لأنه لا يتفق مع هواه وما أراد .

وهو أحد الوجوه التي ذكرها الإمام ابن الصلاح في كتابه " صيانة صحيح مسلم (96/1) ، ونقلها عنه النووي في شرحه (24/1) والتي وجَّه فيها إخراج الإمام مسلم لبعض الضعاف أو المتوسطين .

وهو أن يعلو بالشخص الضعيف إسناده وهو عنده من رواية الثقات نازل ، فيقتصر على العالي ، ولا يطول بإضافة النازل إليه ، مكتفياً بمعرفه أهل الشأن في ذلك ، وهذا العذر قد روي عن مسلم تنصيصاً ، حيث قال عندما ذكر له إنكار أبي زرعة : " إنما أدخلت من حديث أسباط و قطن و أحمد، ما قد رواه الثقات عن شيوخهم ، إلا أنه ربما وقع إلي عنهم بارتفاع ، ويكون عندي من رواية أوثق منهم بنزول فأقتصر على ذلك ، وأصل الحديث معروف من رواية الثقات " .

ولا أدل من أن الصواب كان مع الإمام مسلم أن الخطيب نفسه ، الذي نقل هذه العبارة : " وثَّق أحمد بن عيسى ، ولم يلتفت إلى قول من تكلم فيه ، فكان مع الإمام مسلم ، فلماذا لم يورد الكاتب كلام الخطيب الذي يقول فيه بعد ذلك : " قلت : " وما رأيت لمن تكلم في أحمد بن عيسى حجة توجب ترك

الاحتجاج بحديثه " ، وعبارة الذهبي في الميزان بعد إيراده لكلام أبي زرعة نفسه : " قلت احـتج بـه أرباب الصحاح ، ولم أر له حديثا منكرا فأورده " .

والثابت عن مسلم رحمه الله قوله : " عرضت كتابي هذا على أبي زرعة الرازي ، فكلّ ما أشار أنّ له علّة تركته ، وكلّ ما قال أنّه صحيح وليس له علّة أخرجته " .[48]

وقد بينا قبل أوجه التدليس والتضليل الممنهجين في هذه الحكايـة ، إذ نـسبها لغيـر قائلهـا ولغيـر مصدرها، ثم بترها المغرض لأنها لا تخدم توجهه ولا تزكي مقصده ، وحـذفها كـذلك لـئلا يـذكر البخاري من ضمن الأربعة المشهود لهم بالعلم والصدارة ،

ووفاء لمنهجه .. أورد كلمة يتسوقون وهي مرجوحة رواية ومعنى ، فالمعروف أن الإمـام البخـاري ومن على شاكلته لم يقصدوا من تأليفهم تجارة ولا بيعا ، وذلك يعرفه القاصي والـداني ، والأقـرب الأنسب هو يتشوفون كما في أغلب المصادر ،

وبعد .. فتلك التهم كما أسلفنا منقولة حرفيا من مواقع شيعية حاقدة ، وخاصة هذا الفصل المعنون ب: البخاري مجروح ومتروك الحديث. كل حروفه وكلماته مسروقة من موقع مركز الأبحـاث العقائديـة الشيعي. _كما بين ذلك الأستاذ الكنبوري_ وهذا رابطه http://www.aqaed.com/faq/3444/

ولا يستبعد أن يعود الكاتب غدا أو بعد غد ، لبحث ضخم في الرد على الشيعة أو بعض كتبهم وينقـل من مواقع وكتب السنة ويوظف مقالاتهم وردودهم ، وهكذا ، تستمر التجارة ، وتتكاثر الأرباح ، ولـو سقطت السماء على الأرض لكان فيها للبعض خير كثير ،

يظنون ألن ينسف الله ما بنوا ولن يثبت البنيان والله ناسفُ
سيلقون بؤساً بعد بؤسٍ ومحنةً فلا العيش فياحٌ ولا الظل وارف

[48] ـ المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام جمع وإعداد : علي بن نايف الشحود

هل في صحيح البخاري أحاديث ضعيفة؟

هذا السؤال يفرض علينا قبل كل شيء _وقبل الولوج إلى الإجابة وتفصيل الموضوع_ إحصاء عدد أحاديث البخاري فنقف أولا لعرض عدد أحاديث صحيح البخاري ، والعدد كما سترى يختلف ، ولعل الإختلاف والتفاوت بالنقص والزيادة راجع لاختلاف الروايات ، أو المتابعات والمعلقات ونحوها.

جاء في الفتح : قال الشيخ تقي الدين بن الصلاح فيما رويناه عنه في علوم الحديث عدد أحاديث صحيح البخاري سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون (7275) بالأحاديث المكررة قال وقيل إنها بإسقاط المكرر أربعة آلاف هكذا أطلق بن الصلاح وتبعه الشيخ محي الدين النووي في مختصره [49]

قال الحافظ العراقي هذا مسلم في رواية الفربري ، وأما رواية حماد بن شاكر فهي دونها بمئتي حديث ودون ذلك هذه بمئة حديث رواية إبراهيم بن معقل .

وجاء في النكت مثل ما سبق إذ قال : "والمراد بهذا العدد (يعني عدد أحاديث صحيح البخاري) رواية محمد بن يوسف الفربري فأما رواية حماد بن شاكر فهي دونها بمائتي حديث، وأنقص الروايات رواية إبراهيم بن معقل النسفي، فإنها تنقص عن رواية الفربري ثلاثمائة حديث". انتهى.[50]

إذا عرفنا عدد أحاديث الصحيح _وسلمنا بأنه لا يخلو من الضعيف_ يمكننا عمل مقارنة بينهما لنعرف نسبة الضعيف في مجموع الكتاب ، جاء في موقع الإسلام سؤال وجواب قوله : مجموع أحاديث صحيح البخاري بالمكرر – بترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله – بلغ (7563) حديثا فإذا عرفنا أن الانتقادات الموجهة لا تتجاوز بضع عشرات ، وأن أكثر هذه الانتقادات إنما هي موجهة لأمور تتعلق بالأسانيد ورسومها ، أو لأمور تتعلق ببلوغ درجة أصح الصحيح ، أو تتعلق بكلمة أو كلمتين من الحديث ، وأما الانتقادات المتعلقة بأمور تؤثر في صحة المتن فهي نادرة نحو الحديث والحديثين والثلاثة – إذا عرفنا ذلك كله أدركنا أن إطلاق الصحة على جميع ما في البخاري من متون مسندة في صلب الكتاب إطلاق صحيح لا يجوز إنكاره .

وحرر عبد الله بن عبد الرحمن رمزي مقالا في جواب له على موقع ملتقى أهل الحديث فتعمق وأجاد قائلا : .. نتساءل أولا كم تبلغ دقة البخاري بالنسبة إلى عدد الأحاديث ؟ يجيب أهل الفن المختصون :
يبلغ عدد أحاديث صحيح البخاري = 7032 حديث ، تبلغ جملة مرويات المجروحين = 23 حديث
دقة البخاري في اختيار الأحاديث = 7023 − 23 / 7023 = 99.6 %

---

[49] ـ فتح الباري 465/1
[50] ـ النكت على كتاب ابن الصلاح – لابن حجر 297/1 وانظر أيضا : التقييد والإيضاح ص27

بالنظر إلى أسانيد الأحاديث التي رواها المجروحون، وعددها 23 حديثا، نجد أن 21 حديثا منها أورد له البخاري طريقا آخر، رجاله عدول، وكأن البخاري يورد الحديث من الطرق القوي، ثم يضيف إليه إسنادا يضم الراوي المجروح لبيان انتفاء العلة أو الضعف في رواية الراوي المجروح، وهو بهذا يعزز مرتبة الراوي الضعيف، ولبيان أن الراوي الضعيف ليس معناه أن كل مروياته ضعيفة.
إذن لم يبق من 23 حديثا من أحاديث المجروحين سوى حديثين فقط ، وهما ليسا من أصول الكتاب.
ولذلك كانت الأحاديث المنتقدة – التي تصفو بعد استبعاد الأنواع المذكورة في بداية البحث – قليلة جدا ، وقد وصفها الحافظ ابن الصلاح بأنها "أحرف يسيرة " أهـ

أما الإمام النووي _كما نقله عنه البقاعيُّ في النُّكت الوفيَّة بما في شرح الألفية_ ، فقال :" إن مما ضعف من أحاديثهما – يعني الصحيحين– مبنيٌّ على علل ليست بقادحة".[51]
وأجاب الحافظُ ابن حجر في هدي الساري مقدمة فتح الباري ص 346) عما انتقده الدارقطني من أحاديث حديثا حديثا فكفى وشفى.
والحافظُ ابنُ حجر لما وقف على ما تُوهمه عبارة الحميدي .. من القدح في الصحيح حَمِيَ طبعُه ، فقال _في جوابٍ علمي لا عصبية فيه ولا مسْرح للخرافة ولا للأسطورة بين كلماته_: "...وأما تجويزه – يعني الحميدي– أن يُزاد في صحيح البخاري ما ليس منه فهذا ينافي ما عليه العلماء من الحكم بتصحيح جميع ما أورده البخاريُّ في كتابه، لأنه إذا جاز في واحدٍ لا بعينه جاز في كل فردٍ فرد، فلا يبقى لأحد الوُثوق بما في الكتاب المذكور، واتفاق العلماء ينافي ذلك...وقد أطنبتُ في هذا الموضع لئلا يغتر ضعيف بكلام الحميدي فيعتمده وهو ظاهر الفساد" انظر الفتح161/7.
وقال العلامة أحمد محمد شاكر :[الحق الذي لا مرية فيه عند أهل العلم بالحديث من المحققين وممن اهتدى بهديهم وتبعهم على بصيرة من الأمر : أن أحاديث الصحيحين صحيحة كلها . ليس في واحد منها مطعن أو ضعف . وإنما انتقد الدارقطني وغيره من الحفاظ بعض الأحاديث . على معنى أن ما انتقدوه لم يبلغ في الصحة الدرجة العليا التي التزمها كل واحد منهما في كتابه . وأما صحة الحديث في نفسه فلم يخالف أحد فيها . فلا يهولنك إرجاف المرجفين . وزعم الزاعمين أن في الصحيحين أحاديث غير صحيحة وتتبع الأحاديث التي تكلموا فيها وانقدها على القواعد الدقيقة التي سار عليها أئمة أهل العلم واحكم عن بينة . والله الهادي إلى سواء السبيل]([52]).

[51] - النُّكت الوفيَّة بما في شرح الألفية 180/1 من طبعة مكتبة الرشد الرياض 2007م)
[52] - الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ص35

قال خالد السبع العلمي :[53] سأذكر بعض الأقوال التي تُبين وتُوضح حال الصحيحين وما ذُكر فيها من أحاديث، وأنه صحيح أنه قد انتُقِد عليها بعض الأحاديث إلا أن أغلب ذلك مردود والقادح فيها ضعيف.
قال الحافظ بن حجر في هدي الساري (ص 383) بعدما ذكر عدد الأحاديث المنتقدة على الصحيحين : "وليست كلها قادحة، بل أكثرها الجواب عنه ظاهر والقدح فيه مُندَفع، وبعضها الجواب عنه محتمل، واليسر منه في الجواب عنه تعسّف". يقصد في رد وجه الضعف تكلّف، أي أن الأظهر أنها ضعيفة لعدم إمكانية رد سبب الضعف الموجه لهذا الحديث بوجه قوي.
وقال (ص348) عن الأحاديث المنتَقَدَة :"وقد حررتها وحققتها وقسمتها وفصلتها، لا يظهر منها ما يؤثر في أصل موضوع الكتاب بحمد الله إلا النادر".
وهذا يعني أنها قليلة وقليلة جداً لذا عبّر عنها بالنادر، وإذا كان الحال هكذا فلا يطلق تضعيف الأحاديث لصحيح البخاري لاسيما أن أكثر الطاعنين الآن إنما هم من أصحاب الأهواء وأهل البدع، فمن يريد أن يُنكر بعض الأحاديث التي تخالف مذهبهم ، سواء كان المذهب العقلي الذي يريد أن يحكم على الأحاديث صحةً وضعفاً وفقاً لما وافق عقولهم المريضة، ووفقاً لما فهموه، فإن وافق عقولهم صححوه وإلا ضعّفوه، بل تجرّأ بعضهم على القرآن الكريم، ولكن لم يستطع القول بالتضعيف، لذا أوّلَ الآية أو الآيات وأخرجها عن مرادها لتوافق عقله و ....، كمن فسر الطير الأبابيل بالطاعون أو نحو ذلك من الأمراض السارية المهلكة. نسأل الله العِصمة، وما هذا إلا تحكيم للعقل بالقرآن، أما السنة فاستطاعوا أن يقولوا بضعف الحديث، وإن لم يكونوا أهلاً لذلك، ولكنه الهوى والشيطان.
ولا يفهم القارئ لهذا الكلام أنه طعن في كل من ضعَّف حديثاً في الصحيحين أو أحدهما ، فالبعض يقصد رضوان الله تعالى بذلك ، وإن كنت أرى أنه جانبَ الصواب في ذلك.
ولذا قال الحافظ (ص246) قبل سرد الأحاديث المنتقدة على البخاري رحمه الله :" وقبل الخوض فيه ينبغي لكل منصفٍ أن يعلم أن هذه الأحاديث وإن كان أكثرها لا يقدح في أصل موضوع الكتاب فإن جميعها وارد من جهة أخرى ..." ثم ذكر كلام ابن الصلاح رحمه الله في تلقي الأمة لكتابيهما بالقبول إلا أحاديث يسيرة : " فهو مستثنى مما ذكرناه لعدم الإجماع على تلقيه بالقبول". قال الحافظ : "وهذا احتراز حسن". وقد يفهم البعض تضعيف الأحاديث من هذه الجملة وليس كذلك ، وجلُّ ما فيها وقع إجماع الأمة على تلقيها بالقبول.
ولذا قال الإمام العُقَيلي : " لما ألف البخاري كتاب الصحيح، عَرَضَه على أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعليّ بن المديني وغيرهم، فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة إلا في أربعة أحاديث".
قال العقيلي :"والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة".

[53] - حرره خالد السبع العلمي على موقع ملتقى أهل الحديث بعنوان _(الرد على من قال بضعف احاديث في البخاري ومسلم) 2004/1/18 م

ولا أريد أن أطيل أكثر ويكفي أخيراً أن أنقل وأذكر هنا الجواب العام الذي ذكره الحافظ ابن حجر في هدي الساري (ص246–247) على من انتقد أحاديث في الصحيحين، وأنا أرجو أن تقرأ هذه الفقـــرة بتؤدة وبعين بصيرة غايتها الوصل للحق.

قال رحمه الله :" والجواب عنه على سبيل الإجمال ، أن نقول : لا ريب في تقديم البخاري ثـــم مـــسلم على أهل عصرهما ومن بعده من أئمة هذا الفن في معرفة الصحيح والمُعلَّل،

فإنهم لا يختلفون في أن عليّ بن المديني كان أعلم أقرانه بعلل الحديث وعنه أخذ البخاري ذلك ، حتى كان يقول : ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند عليّ بن المديني، ومع ذلك فكان عليّ بن المديني إذا بلغه ذلك عن البخاري يقول: دعوا قوله فإنه ما رأى مثل نفسه.

وكان محمد بن يحيى الذهلي أعلم أهل عصره بعلل حديث الزهري ، وقد استفاء منه ذلـــك الـــشيخان جميعاً.

وروى الفربري عن البخاري قال :" ما أدخلتُ في الصحيح حديثاً إلا بعـــد أن اســـتخرتُ الله تعـــالى وتيـــقـــنـــت صحّـــته.

وقال مكي بن عبد الله سمعت مسلم بن الحجاج يقول : عرضتُ كتابي هذا على أبي زرعة الـــرازي، فكل ما أشار أن له علـــة تركـــتـــه.

فـــإذا عُرِف وتقرر أنهما لا يخرجان من الحديث إلا ما لا علة له، أو له علة إلا أنهـــا غيـــر مـــؤثرة عندهما . فبتقدير توجيه كلام من انتقد عليهما يكون قوله معارضاً لتصحيحهما، ولا ريب في تقديمهما في ذلك على غيرهما ، فيندفع الاعتراض من حيث الجملة.

وأخيراً أقول ما قاله الحافظ (ص383) :" فإذا تأمل المنصف ما حررته من ذلك عَظُـــم مقـــدار هـــذا المُصنِّف – يقصد الإمام البخاري رحمه الله – في نفسه، وجل تصنيفه في عينه، وعَذَر الأئمة من أهل العلم في تلقّيه بالقبول والتسليم ، وتقديمهم له على كل مُصنّف في الحديث والقديم.

وليسا سواء من يدفع بالصدر فلا يـــأمن دعوى العصبية ، ومن يدفع بيد الإنـــصاف علـــى القواعـــد المرضية والضوابط المرعية.

فلله الحمد الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والله المستعان وعليه التكلان.

(تتمة) أقوال العلماء وأهل الفن في الصحيحين

لقد اتفق علماء الأمة قديماً وحديثاً على أن صحيح الإمام البخاري وصحيح الإمام مسلم هما أصحُّ كتابين بعد كتاب الله عز وجل ، وأن الأحاديث المسندة المتصلة المذكورة فيهما أحاديث صحيحة ثابتة عن رسول الله ﷺ .

قال الإمام النووي رحمه الله : [اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصحَّ الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم وتلقتهما الأمة بالقبول . وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة . وقد صحَّ أن مسلماً كان ممن يستفيد من البخاري ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث]([54]).

وقال الإمام النسائي:[ما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب البخاري] المصدر السابق .

وقال ابن الصلاح : [أول من صنف في الصحيح ، البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، وتلاه أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ومسلم مع أنه أخذ عن البخاري واستفاد منه فإنه يشارك البخاري في كثير من شيوخه وكتاباهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز]([55]).

ويقول الشهرزوري: جميع ما حكم مسلم بصحته من هذا الكتاب فهو مقطوع بصحته، والعلم النظري حاصل بصحته في نفس الأمر، وهكذا ما حكم البخاري بصحته في كتابه، وذلك لأن الأمة تلقت ذلك بالقبول، سوى من لا يعتد بخلافه ووفاقه في الإجماع، والذي نختاره أن تلقي الأمة للخبر المنحط عن درجة التواتر بالقبول يوجب العلم النظري بصدقة.([56])

ويقول أبو المعالي الجويني: لو حلف إنسان بطلاق امرأته أن ما في كتابي البخاري ومسلم مما حكما بصحته من قول النبي ﷺ لما ألزمته الطلاق ولا حنثته لإجماع علماء المسلمين على صحتهما[57]

وقال الشوكاني :[واعلم أن ما كان من الأحاديث في الصحيحين أو أحدهما جاز الاحتجاج به من دون بحث، لأنهما التزما الصحة وتلقت ما فيهما الأمة بالقبول]([58]).

وقال الذهبي :[وأما جامع البخاري الصحيح فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله تعالى]([59]).

---

[54] - شرح النووي على صحيح مسلم 24/1

[55] - هدي الساري ص12

[56] - انظر صيانة صحيح مسلم: 85/1.

[57] - .(- صيانة صحيح مسلم: 86/1.)

[58] - نيل الأوطار 22/1

[59] - الحطة في ذكر الصحاح الستة ص312

وقال ولي الله الدهلوي :[أما الصحيحان فقد اتفق المحدثون على أن جميع ما فيهما من المتصل المرفوع صحيح بالقطع وأنهما متواتران إلى مصنفيهما، وأن كل من يهون أمرهما فهو مبتدع متبع غير سبيل المؤمنين]([60]).

وقال الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله :[كيف والصحيحان هما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى باتفاق علماء المسلمين من المحدثين وغيرهم فقد امتازا على غيرهما من كتب السنة بتفردهما بجمع أصح الأحاديث الصحيحة وطرح الأحاديث الضعيفة والمتون المنكرة على قواعد متينة وشروط دقيقة وقد وفقوا في ذلك توفيقاً بالغاً لم يوفق إليه من بعدهم ممن نحا نحوهم في جمع الصحيح؛ كابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم ، حتى صار عرفاً عاماً أن الحديث إذا أخرجه الشيخان أو أحدهما فقد جاوز القنطرة ودخل في طريق الصحة والسلامة . ولا ريب في ذلك وأنه هو الأصل عندنا]([61]).

إذن كما قلنا وبينا في غير موضع أن الأمة تلقته بالقبول ، وحينما نقول الأمة فنعني الأمة الشريفة العالمة المخلصة ، أما الزنادقة ومن تخندق معهم فلا حكم لهم ولا التفات لشخيرهم

[60] - حجة الله البالغة 249/1

[61] - مقدمة الألباني لشرح العقيدة الطحاوية ص14-15

أيهما أو أيها أصح ؟

إنه ليس ينفع الكاتب في أطروحته إيراد أقوال المتقدمين من أتباع المذاهب وتلامذة الشيوخ في شيخهم أو فقيههم ، فذلك من باب تصيد الأدلة والتنقيب عن العلل لدى الخصم ،

أما البخاري فلا خلاف في أنه أعلم بالحديث والرجال وأفقه من مسلم. وكلاهما من أئمة هذا الشأن. وأعلم هذه الأمة بعلم العلل هم ستة : أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، وأبو زرعة الرازي، وأبو حاتم الرازي، والبخاري، والدراقطني ، رحمهم الله جميعا .

وشرط البخاري أشد من شرط مسلم، وهو أعلم منه بالعلل وبالفقه. وهو لا يكتفي بمجرد المعاصرة بين الراويين _غير المدلسين_ في الحديث المعنعن ليحكم عليه بالاتصال، بل لا بد من ثبوت التحديث بين هذين ولو مرة واحدة ، بخلاف مسلم الذي يكتفي بالمعاصرة ، ولذلك كان سبب أغلب الأحاديث الضعيفة عند مسلم، هو انقطاع في السند. وما تبقى هو نتيجة ضعفٍ من الراوي. وهذا لا يقدح بإمامة البخاري ولا مسلم، ولا بمكانة صحيحيهما.

ونحن لا يشرفنا ولا يليق بنا أن ندخل في التفاصيل أيهما أصح أو أيها أولى وأرجح ، فهي كلها صحيحة وكلها تتناول أحاديث خير البرية ، والكتب تختلف وتترجح من حيث الطريقة أو الصنعة والدقة ، ومن حيث مزج الحديث بالفقه ، ومن حيث طرق الحديث وتصنيفه في مكان واحد ، ونحوها.

فإذن نستفيد من هذا كله أن جانب التفضيل لصحيح مسلم على صحيح البخاري أو للموطأ عليهما لا من حيث الأصحية ، ولكن باعتبارات أخرى رآها بعض العلماء ، ورأى بعضهم خلافها ، والمسألة اجتهادية وكل له وجهة هو موليها . هذا من ناحية العموم والإجمال .

والكاتب لا يجدر به _لو كان منصفا أن يدخل في النقاش أيهما أصح ، لأن مراده نسف أطروحة الحديث ، وليس مناقشة الرواة والأسانيد وتمييز الحسن والضعيف والعالي من النازل، والراجح والأرجح والصحيح والأصح ، فالذي ينكر وجود أو إضاءة النجوم لا يناقش أكثرها بريقا وأولها تشريقا ،

وعلى أي ، فالواجب أن تبقى لهذه الكتب المنزلة اللائقة من الإجلال والإعظام والتقدير كما هي في قلوب الناس ، ولا يجوز بحال السعي وراء التشكيك ، أو إثارة الشبه بأحاديثها .

فإن هذه المراجع الأساسية ذات الثوابت ، والتي عليها اعتماد أهل العلم في معرفة الأحكام الشرعية ، لا يجوز الطعن فيها ، ولا المساس بها ، بما يخدش مصداقيتها في قلوب الناس ، عالمهم وجاهلهم .

وإنما يتكلم عن هذه المسائل كبار أهل الاختصاص من المحدثين والحفاظ ، وليس لغيرهم الخوض فيها بما يزعزع الثوابت ، ويشكك في الأصول ، ويثير الفتن .

انتقاد المتقدمين

وضعنا هذا الفصل وإن كان قد يتبادر للقارئ أن ما فيه مكرر مع سابقيه ، نعم يدخل فيما قالـه أهـل الفن في الصحيحين لكنه يختلف عنهما في كونه يتناول بالتحديد مـا انتقـده المتقـدمون _وخاصـة الدارقطني_ وطريقتهم المسلوكة في النقد، وأجوبة العلماء عن ذلك .. الخ فنقول قبل ذلك :
إن مراجعة بعض أحاديث الصحيحين من طرف العلماء المتقدمين وإعلال بعض منها ، وإن كانت تعد على رؤوس أصابع اليد الواحدة ، لا يدل بحال من الأحوال على أنها دون مرتبة الـصحة ، أو أنهـا قابلة للأخذ والرد ، إلى ما لانهاية ، ويخضع أيضا لشروط وضوابط .
فما اتفق عليه الشيخان لا سبيل إلى القول بضعف شيء منه ، لاتفاق الأمة على تلقي ما اتفقـا عليـه بالقبول . قال شيخ الإسلام : " لا يتفقان على حديث إلا ويكون صحيحا لا ريب فيه ، قد اتفـق أهـل العلم على صحته " انتهى .[62]
وما عدا ذلك ، فقد تكلم على بعض منه بعض الحفاظ ، وغالب ما في البخاري منه سالم من التضعيف عند التحقيق . وما عدا ما تُكُلم فيه ، فقد وقع اتفاق الأمة على صحته .

لقد تعرض العلماء منذ أمد بعيد لهذه الانتقادات وأماطوا اللثام عنها ، وبينوا أنها لا تقدح أبداً في أصل موضوع الكتاب ، فهذا النقد لم يكن من قبل الطعن فيها بالضعف وعدم الصحة ، وإنما كان من قبـل أنها لم تبلغ الدرجة العليا التي اشترطها صاحبا الصحيح والتزمها كل واحد منهم في كتابه ، كما يقول الإمام : النووي رحمه الله (شرح مسلم 27/1) : " قد استدرك جماعة على البخاري و مـسلم أحاديـث أخلاًّ بشرطهما فيها ونزلت عن درجة ما التزماه " أهــ
قال أبو عمرو بن الصلاح : " ما انفرد به البخاري أو مسلم مندرج في قبيل ما يقطع بصحته ، لتلقي الأمة كل واحد من كتابيهما بالقبول ، على الوجه الذي فصلناه من حالهما فيما سبق ، سـوى أحـرف يسيرة تكلم عليها بعض أهل النقد من الحفاظ كالدارقطني وغيره ، وهي معروفة عند أهل هذا الشأن " انتهى."[63] ففي صحيح مسلم خاصة ، جملة من الأحاديث ، تكلم عليها بعض العلمـاء ، بالتـضعيف والإعلال ، منهم أبو الحسن الدارقطني ، وأبو علي النيسابوري ، وأبو الفضل بن عمار ، وأبو علـي الغساني ، وأبو الحسين العطار ، وأبو مسعود الدمشقي وأبو عبد الله الذهبي .
وفي صحيح البخاري بعض ذلك ، إلا أنه قليل جدا ، وقد يسلم هذا القليل أيضا .[64]

---

[62] - "مجموع الفتاوى"(20/18)
[63] - مقدمة ابن الصلاح" (ص10) .
[64] - انظر : "كتاب الإلزامات والتتبع" لأبي الحسن الدارقطني ، "ميزان الاعتدال" (4/39-40) ، "مقدمة الفتح" (344) ، "شرح مسلم للنووي" (27/1) ، "سلسلة الأحاديث الضعيفة" (142/1) (2/471-475) (218/5) .

قال ابن الصلاح في مقدمة شرح مسلم له : " ما أخذ عليهما – يعني على البخاري ومسلم – وقدح فيه معتمد من الحفاظ فهو مستثنى مما ذكرناه لعدم الإجماع على تلقيه بالقبول " انتهى .

واختلف كلام الشيخ محي الدين في هذه المواضع ؛ فقال في مقدمة شرح مسلم ما نصه : " قد استدرك جماعة على البخاري ومسلم أحاديث أخلا فيها بشرطهما ونزلت عن درجة ما التزماه ، وقد ألف الدارقطني في ذلك ، ولأبي مسعود الدمشقي أيضا عليهما استدراك ، ولأبي علي الغساني في جزء العلل من التقييد استدراك عليهما . وقد أجيب عن ذلك أو أكثره "

وقال في مقدمة شرح البخاري : " قد استدرك الدارقطني على البخاري ومسلم أحاديث فطعن في بعضها ، وذلك الطعن مبني على قواعد لبعض المحدثين ضعيفة جدا مخالفة لما عليه الجمهور من أهل الفقه والأصول وغيرهم فلا تغتر بذلك " .

قال الحافظ : " وسيظهر من سياقها والبحث فيها على التفصيل أنها ليست كلها كذلك ،

وقد فصلَّ الحافظُ ابن حجر الكلام على الأحاديث المنتقدة على صحيح البخاري في الفصل الثامن من مقدمته لفتح الباري ،والمسماة هدي الساري ، فذكر الأحاديث المنتقدة ،وأجاب عليها جواباً إجمالياً وجواباً مفصلاً][65]. ثم ذكر الجواب التفصيلي عن كل حديث انتقد على البخاري .

فجَعْلُ انتقاد بعض الأحاديث في الصحيحين – لكونهما أخلا بشرطهما فيها في نظر الناقد مع كونها صحيحة ، وقد يكون الصواب معهما – مبرراً للتشكيك فيهما ، ورد أحاديثهما جملةً ، ليس مسلك المنصفين ، وإنما مبناه الهوى والتعصب .

وقد كفانا أئمة الإسلام وحفاظ الأمة – الذين اشتغلوا بالصحيحين ، وأفنوا فيهما أعمارهم بحثاً وشرحاً وتدريساً وتتبعاً وسبراً لأحاديثهما – مؤونة الرد على هذه الشبهة ودحضها .

وخلاصة الأمر أنَّ مَنْ طعن في أحاديث البخاري ومسلم فكلامه مردود عليه، حيث إنَّ أهل هذا الشأن من الحفاظ وأهل الحديث أجابوا عن ذلك أجوبة قاطعة واضحة . وإنَّ الطعن في البخاري ومسلم ما هو إلا طعنٌ في السنَّة النبوية ، ومن يطعن في السنة النبوية يخشى عليه من الزندقة .اهـ

ويجب أن يعلم أن هؤلاء العلماء وغيرهم لم يطلقوا هذه الأحكام على الصحيحين جزافاً، وإنما جاءت هذه الأحكام بعد أن درسوا الصحيحين دراسة واعية على بصيرة وهدى . فقد درس آلاف العلماء من الحفاظ وغيرهم أسانيد البخاري ومسلم دراسة مستفيضة فوصلوا إلى ما وصلوا إليه وهو الحق وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟.

---

[65] - هدي الساري ص 506

وأوسع من انتقده هو الإمام الدارقطني رحمه الله في كتابه (التتبع لما في الصحيحين) والدراقطني من حيث هو إمام في العلل . لكن ما انتقده الدراقطني رحمه كان من جهة الأسانيد لا من جهة المتون ولم ينتقده في كل صحيحه كما يشوش المضللون.

وقد عقد الإمام ابن حجر العسقلاني في مقدمته لشرح صحيح البخاري، فصلاً خاصاً أورد فيه الأحاديث التي انتقدها الإمام الحافظ الدارقطني وغيره من النقاد على "صحيح البخاري" حديثاً حديثاً على سياق الكتاب، وأجاب عنها، وبلغ عدد هذه الأحاديث المنتقدة مائة وعشرة أحاديث منها ما انفرد بتخريجه وهي ثمانية وسبعون حديثاً، والباقي شاركه مسلم في تخريجها .
وجل انتقادات الدارقطني فنيّة غامضة على غير أهل الاختصاص في الحديث النبوي . !!
قال العلامة جمال الدين القاسمي في هذا الانتقاد: " من عظم منزلة البخاري ما يدريه فلاسفة المحققين ، وذلك لأن معيار فضلِ المؤلف وعِظَمِ تأليفه مدارُه على نسبة خطئه مع صوابه؛ فمن كان خطؤه قليلاً يُعدّ، فهو برهان على دقة نظمه، وجودة تخيّره، فإذا قيس هذا العدد المنتقد بعدّة الأصل [..] كانت نسبته إليه نحو عشر العشر. ففي كل مئة حديث منها حديثُ منظور فيه، فما أوسع نظر إمام يوجد في كل مئة من مروياته على سعة هذا الفن السّعة المدهشة حديث واحد تُكلّم فيه، فللّه درّه! ".
وقد قسم الحافظ الأحاديث المنتقدة في صحيح البخاري إلى ستة أقسام وذكر الرد الإجمالي على كل قسم منها ثم ذكر الأحاديث المنتقدة حديثاً حديثاً وأجاب عنها، بعد أن قسمها إلى ستة أقسام
وقال : " ينبغي لكل منصف أن يعلم أن هذه الأحاديث وإن كان أكثرها لا يقدح في أصل موضوع الكتاب فإن جميعها واردٌ من جهة أخرى "، وذكر عن الإمام أبي عمر بن الصلاح: "أن المواضع المتنازع في صحتها لم يحصل لها من التلقي ما حصل لمعظم الكتاب".

ونعود إلى ما أشرنا إليه قبل من تقسيم ابن حجر الأحاديث المنتقدة لستة أقسام، لنقف عليها وقفات مختصرة ، وهي :
القسم الأول : **ما تختلف الرواة فيه بالزيادة والنقص من رجال الإسناد.**
فإن أخرج صاحب الصحيح الطرق المزيدة وعلله الناقد بالطريق الناقصة فهو تعليل مردود ، لأن الراوي إن كان سمعه فالزيادة لا تضر لأنه قد يكون سمعه بواسطة عن شيخه، ثم لقيه فسمعه منه، وإن كان لم يسمعه في الطريق الناقصة فهو منقطع والمنقطع من قسم الضعيف ، والضعيف لا يعل الصحيح.
القسم الثاني: **ما تختلف الرواة فيه بتغير رجال بعض الإسناد.**

فالجواب عنه إن أمكن الجمع بأن يكون الحديث عند ذلك الراوي على الوجهين جميعاً، فأخرجهما المصنف، ولم يقتصر على أحدهما حيث يكون المختلفون في ذلك متعادلين في الحفظ والعدل، وإن امتنع بأن يكون المختلفون غير متعادلين بل متقاربين في الحفظ، والعدد فيخرج المصنف الطريق الراجحة، ويعرض عن الطريق المرجوحة أو يشير إليها

القسم الثالث: ما تفرد بعض الرواة بزيادة فيه دون من هو أكثر عدداً أو أضبط ممن لم يذكرها.

فهذا لا يؤثر التعليل به إلا إذا كانت الزيادة منافية بحيث يتعذر الجمع، أما إذا كانت الزيادة لا منافاة فيها بحيث تكون كالحديث المستقل فلا

القسم الرابع: ما تفرد به بعض الرواة ممن ضعف من الرواة، وليس في الصحيح من هذا القبيل غير حديثين (رقم 37 و 43).

القسم الخامس: ما حكم فيه بالوهم على بعض رجاله، فمنه ما يؤثر ذلك الوهم قدحاً، ومنه لا يؤثر.

القسم السادس: ما اختلف فيه بتغير بعض ألفاظ المتن.

فهذا أكثره لا يترتب عليه قدح لإمكان الجمع في المختلف من ذلك أو الترجيح، على أن الدارقطني وغيره من أئمة النقد لم يتعرضوا لاستيفاء ذلك من الكتابين كما تعرضوا لذلك في الإسناد.

ثم قال المؤلف قبل الشروع في استعراض الأحاديث المئة وعشرة واحداً واحداً:

" فهذه جملة أقسام ما انتقده الأئمة على الصحيح، وقد حررتها وحققتها، وقسمتها، وفصّلتها. لا يظهر منها ما يؤثر في أصل موضوع الكتاب بحمد الله إلا النادر ".

وختم الحافظ ابن حجر هذا الفصل بقوله : " هذا جميع ما تعقبه الحفاظ النقاد العارفون بعلل الأسانيد، المطّلعون على خفايا الطرق، وليست كلها قادحة، بل أكثرها الجواب عنه ظاهر والقدح فيه مندفع، وبعضها الجواب عنه محتمل، واليسير منه في الجواب عنه تعسف... ".

" فإذا تأمل المنصف ما حررته من ذلك عَظُم مقدار هذا المُصنَّف (يعني: صحيح البخاري) في نفسه، وجلّ تصنيفه في عينه، وعذر الأئمة من أهل العلم في تلقيه بالقبول والتسليم، وتقديمهم له على كل مصنف في الحديث والقديم،

ومن خلال هذه الأقسام التي ذكرها ابن حجر يتضح أن الإمام البخاري يخرج الأحاديث الصحيحة وقد يتبعها أحياناً بالأحاديث المعلولة أو يشير إليها، وإذا لم يكن الترجيح بين الرواة المختلفين باعتبار العدد أو الحفظ أو غيرها من المرجحات أو القرائن فإن البخاري يخرج الوجهين.

وقد أشار الإمام الذهبي إلى هذا فقال: "وإن تساوى العدد واختلف الحافظان، ولم يترجح الحكم لأحدهما على الآخر، فهذا الضرب يسوق البخاري ومسلم الوجهين منه في كتابيهما وبالأولى سوقهما لما اختلف في لفظه إذا أمكن جمع معناه"

فعلى الشباب وطلبة العلم أن يحفظوا هذا ليردوا به على الطاعنين ، ومن طمس الله على بصيرته ، ممن يريدون الركوب على هذه الشبهات للتصدر والشهرة ،

إنّ مخالفة بعض كبار النقّاد للبخاري في عدد قليل جدًّا من أحاديث كتابه، لا يبيح لمن لم يتعمّق في علم الحديث تعمُّق أولئك النقّاد أن ينتقد أحاديث أخرى لم ينتقدوها، فكيف بانتقاد الكتاب برمته وصاحبه في حقيقته ؟ ولا يجعل تضعيف أحاديث البخاري حقًّا مُشَاعًا لكل من أحب ذلك، بل لا شك أنه ليس من حقِّ غير العالم بالسنّة أن يُدخل نفسه في مناقشة الحديث الذي وقع فيه الاختلاف بين البخاري والإمام الآخر الذي خالفه؛ لأن هذه المناقشة تستلزم أن يُنصِّب نَفْسَه حَكَمًا بين علماء وأئمة السنّة، ومَنْ هو الذي يَتَصَوّر أن هذه المنزلة مُمكنةٌ لكل أحد؟!

وما كل الوقود كنار موسى // وما كل الفواطم كالبتول

منهج المتقدمين في النقد والتصحيح

إن الكاتب لا يعرف منهج المحدّثين في التصحيح والتضعيف، وتمييز المقبول من غير المقبول، ولذلك كان تصوُّره خاطئاً.. فممّا ينبغي له علمه: أن المحدّثين ونقَّاد الحديث (كالبخاري) كانوا يسيرون في نقدهم للحديث الواحد ضمن خطوات دقيقة جدًّا، منها أنهم يحرصون كل الحرص على مشاورة أهل العلم سواهم، وسماع آرائهم حول ذلك الحديث، ومناقشتهم حول تلك الآراء. فليس (صحيح البخاري) جهدًا لشخص واحد دون أي إعانة من علماء عصره من شيوخه وأقرانه، بل يكاد يكون جهدًا جماعيًّا. وقد نصَّ أحد قدماء المحدّثين على هذا المنهج الذي كان يتّبعه المحدثون لنقْدِ السنة، فقد قال أبو عبد الله الحاكم (ت 405هـ =1014م) في أثناء كلامه عن شروط الحكم على الحديث بالصحّة: "وليس لهذا النوع من العلم عونٌ أكثر من مذاكرة أهل الفهم والمعرفة، ليظهر ما يَخْفَى من علّة الحديث".

معرفة علوم الحديث للحاكم (238).

وقد قال أبو جعفر العقيلي (ت 322هـ =934م): "لمّا ألّف البخاري كتاب الصحيح عرضه على أحمد بن حنبل ويحيي بن معين وعلي بن المديني وغيرهم، فاستحسنوه، وشهدوا له بالصحّة إلا في أربعة أحاديث، والقول فيها قول البخاري، وهي صحيحة" هدي الساري لابن حجر (9).

وبمثل هذا التعاون لا يُستكثر على أحد عباقرة الأمّة الإسلاميّة، بل على أحد عباقرة البشر: أن يخرج عملاً عظيمًا كـ (صحيح البخاري)، إذا ما توفّرت له أسبابُ الإتقانِ التي توفّرت له.

الأسطورة

إذا عرفنا حقيقة الأسطورة لغويا فهمنا تهوك المغرضين وتهتهتهم ، فالبخاري بالنسبة إليهم أسطورة لا يدركون كنهها ولا يحيطون بجوانبها ، ليس لأن شخصه أو فنه أو عصره خيالي أو غـامض ، بـل لكونه أعجزهم وألجمهم ، ولأنهم لا تربطهم بفنه وعلمه صلة .

هذا الفصل الذي سماه "أسطورة البخاري" مع الذي يليه يشكلان الفكرة الجوهرية للكتاب. قـصد منـه الكاتب الناقل إبراز هالة التقديس (المزعزمة) التي حفت بشخص البخاري، والأساطير التـي نـسجت حول حياته وقدراته وكراماته والإجماع المزعوم حول صحيحه. _حسب قوله_ وهو في كل ذلك عالة على النجمي صاحب كتاب "أضواء على الصحيحن" الذي أخذ منه كل مادة الفصل، أفكـاره وأدلتـه وعباراته، وهو أذكى من أن يقوم بسلخ الفصل كما هو في الكتاب، إنما يقدم ويؤخر بنوع من المكـر؛ تمويها على القارئ وتضليلا أن يتفطن لسرقته، وانظر إن شئت الفصل الثالث من كتاب أضواء علـى الصحيحين، من صفحة 75 إلى 91، وقارنه بالفصل الثالث من الأسطورة ستصاب بالذعر والدهـشة؛ أنى لباحث بكل هذه الجرأة ؟![66]

إن الأسطورة –حقا– هي وصف كتاب تتابع على خدمته ملايين العلماء، وتنافس في روايته وشـرحه وتحقيقه والتعريف برجاله، ودراسة أسانيده، والتأليف في تراجمه، والتـدقيق فـي شـروطه لروايـة الحديث... ملايين الحكماء والفقهاء والأدباء.. وتلقته الأمة الإسلامية جمعاء بـالقبول_ بالأسـطورة!! وإن ذلك ليدل دلالة قوية على الصدمة التي يحدثها (الجامع الصحيح) للإمام البخـاري فـي نفـوس اللادينيين المتسترين ب(البحث العلمي)!! فقد اصطدموا بشموخه وثباته ، سارعوا وبرعـوا وقفـزوا ونبزوا ، فبقي جدار الحديث وصرح البخاري شامخا ما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا

إن البخاري لمّا ألّف كتابه ، كان زمنه مليئًا بملايين المسلمين، وألوف العلمـاء والمعتنـين بـالعلوم الإسلاميّة وعلوم السنة خاصّة. فلو كان ما كتبه اختلاقًا وخرافة، لتسارع الناس إلـى إنكـاره، وإلـى محاسبة الفاعل، بل كان للبخاري حُسّاد ومنافسون له، كما هو متوقّع لكل عالم يتميز على أقرانه، وقد اشتهر في سيرته ما واجهوه به من الأذى المتكرّر، إلى وفاته رحمه الله. ومع ذلك كُلّه: لم يطعن أحدٌ في كتابه، ولا شكك أحدٌ في زمنه ولا بعد زمنه فيه، بل تلقّته الأمةُ بالقبول، دون منازع أو منكر، هل يمكن أن يحصل ذلك، مع عدم قداسة البخاري عند المسلمين، بل مع وجود المشاركين له في علمـه، بل مع وجود المنافسين له وأصحاب الغيرة الذين لم يتأخروا عن إيذائه؛ فلماذا لم يطعنوا فـي كتابـه، وما بالهم آذوه في أمور عديدة دون أن يتجرؤوا على الطعن في كتابه؟!!

---

[66] ـ عن مقال للأستاذ خالد التليدي بعنوان : مراجعة كتاب "صحيح البخاري: نهاية أسطورة"

الحفظ الأسطوري

تعجبني مقالة للكنبوري _في رده على صاحب الأسطورة_ وفضلت أن أصدر بها ، حيث قال:
وأما الحفظ الأسطوري للبخاري، فنحن لا نحسم فيه، لكن لا نشك فيه أيضا ، والأخ الكريم لم يطلع على الدراسات العلمية الحديثة في الغرب ــ إذا كان الغرب هو المقياس ــ حول اشتغال الذاكرة في المجتمعات الشفاهية. كان علماء في الكنيسة المسيحية يحفظون الكتاب المقدس عن ظهر قلب، على ما فيه من التفاصيل والأحداث والأسماء. وقد كان التدريس عند المسلمين واليهود يعتمد على الذاكرة، ولم يكن الطفل يبلغ العشر سنوات حتى يمتلئ جوفه بالقرآن والحديث ومنظومات الفقه والنحو وغير ذلك، أو بالتوراة وأقسام من التلمود ،
وإذا كان علينا أن نشك في حفظ البخاري فعلينا أن نشك أيضا في جزء كبير من التراث الإسلامي لأنه كتب من الذاكرة، فالناس لم تكن لديها مطابع وصحف ومراجع ومكتبات عمومية أو مذكرات لتسجيل الملاحظات، كل شيء كان يتم في الذاكرة. أهـ
وكذلك في الصحابة والتابعين حفاظ ، منهم من يحفظ الحديث أو القصة، أو القصيدة بمجرد سماعها، وقد روي عن الشعبي عامر بن شراحبيل التابعي المشهور أنه قال: (ما كتبت سوداء في بيضاء) مع كثرة أحاديثه، وكثرة ما يحفظه من القصص والأخبار، والقصائد والأشعار، ونحو ذلك، ومع ذلك لم يكن يكتب، بل كان يعتمد على الحفظ، وأن بعضهم لم يكن يطلب من المحدث أن يعيد شيئاً بل متى سمع الشيء حفظه لأول مرة ولو لم يتكرر، حتى إن بعضهم كان إذا مر باللهو أو بالكلام الباطل، والقصص الخرافية ونحوها يسد أذنيه، مخافة أن يدخل فيها شيء باطل فيبقى في ذهنه، ،
إذن ما سماه بالحفظ الأسطوري _قدحا وتنقيصا للإمام_ لا يستأثر به البخاري ولا يختص به عن غيره !! بل هناك من حفظ كتب الحديث وهناك من حفظ كتب الفقه وغيرها _بعد القرآن طبعا ،
وفي مثل هذا يقول الروياني،[67] أحد أئمة الشافعية : لَوْ احْتَرَقَتْ كُتُبُ الشَّافِعِيِّ أَمْلَيْتُهَا مِنْ حِفْظِي ،
وقد رأينا وسمعنا أيام كنا في المناطق السوسية عجائز يحفظن الشيخ خليل ، مع أميتهن وأعجميتهن ، بل رأينا من الفقهاء وطلبة العلم من يحفظ آلاف الأبيات من المنظوم وآلاف الصفحات من المنثور ، بعد حفظ القرآن وقسط كبير من الأحاديث _طبعا_، بل رأينا من يحفظ القرآن الكريم بالسبع أو العشر _بالإضافة إلى المتون_ ولا زال الكثير منهم حيا يرزق ، فهل هذا كله أسطورة وخرافة ؟
وهل يقبل الكاتب أن قصيدة لا تكفيها صفحات يؤلفها الشاعر في صحرائه ثم يلقيها في السوق أو الموسم يتلقفها كل من سمعها كما قرأها الشاعر ، فتتداول بحروفها وكلماتها ، بين الرجال والصبيان

[67] الروياني صاحب البحر عبد الواحد بن إسماعيل، أبو المحاسن الروياني، من أهل طبرستان، أحد أئمة الشافعية، ولد سنة 415، ورحل إلى الآفاق حتى بلغ ما وراء النهر، وحصل علوما جمة وسمع الحديث الكثير، وصنف كتبا في المذهب، وقد صنف كتبا في الاصول والفروع، منها بحر المذهب، وكتاب مناصيص الامام الشافعي، وكتاب الكافي، وحلية المؤمن، من ذلك البحر في الفروع، وهو حافل كامل شامل للغرائب وغيرها، وله كتب في الخلاف أيضا.

والجواري والغلمان ، بدون سبورة ولا لوحة ولا حاسوب ، هذا حفظ من أجل الحفظ فقط أو من أجل السمر والتندر ، فكيف بمن ولج الفن بإيمان وعقيدة ، ورجاء ثواب ومحمدة ، جو لا يصفه إلا من عاشه ومارسه ،

فإذا كانت القصائد والخطابات ، من المعلقات إلى الأصمعيات قد حفظت ورويت ونقلت عبر قرون _باعتبار أن بعض شعراء قد عاش قبل الإسلام بقرن ونصف_ فكيف لا تتفرغ قلوب وعقول الرجال الأكفاء لحفظ أحاديث وآثار أحب الخلائق إليهم ، وهل يستحيل عقلا أن يحفظ الرجل عشرات الأخبار بأسانيدها ، بغض النظر عن ميزة عصرهم وبيئتهم وفراغ أوقاتهم من هموم الدنيا ومشاغل الحياة ،

بل إنك تلفاهم يحفظون سجلات الأنساب والأيام ، كل شخص بسلسلة نسبه أبا بعد أب وجدا بعد جد من عاصروه ومن لم يدركوه ، ومن أحبوه ومن خالفوه ،

إننا اليوم لم نعد ننكر وجود من يتمتعون بمواهب فذة، وبذاكرة خارقة إذ أصبحنا نرى على شاشات التلفاز، وفي الإنترنت أطفالاً وشباباً من الجنسين يحيرون العقول بتوقد ذاكرتهم واتساعها، وقدرتهم على الحفظ والاستذكار والاستحضار.

بل إنك تجد الشاب في عصرنا المهوس بكرة القدم يحفظ كل شاذة وفادة عن لاعبيها ومدربيها ودوراتها منذ أزيد من نصف قرن ، فيحدثك عمن لعب النهاية في تاريخ كذا ومن أقصاه في النصف ، ومن سجل وفي أي دقيقة ، ويحدثك عن اللاعب الفلاني ومشواره ومن أين بدأ وبكم اشترته الفرقة الفلانية وكم سجل في سنة كذا .. والفائز بالكرة الذهبية في سنة كذا ... الخ

كل هذا عند شاب منشغل بالدراسة والعمل ومواقع التواصل والألعاب والجلسات والسهرات ، ولأنه يعشق هذا الفن حفظ كل شيء عنه وعن أهله وهو ما يعد أصعب من حفظ سند من ثلاثة أشخاص إلى سبعة ، مع العلم أن في البخاري نوعا من الأسانيد تسمى الثلاثيات أي لم يكن بين البخاري وبين الرسول إلا ثلاث رجال .

ولكن لا ينتظر من عقولكم أن تدرك هذا ولا أن تصدقه ، فالمشلول الأعمى لا يتصور أن هناك من يقدر على المشي والقفز ، وخلاصة القول (من جهل شيئاً عاداه).

لقد كانت الأمة العربية على عهد نزول القرآن وقبله متمتعة بخصائص العروبة الكاملة التي منها سرعة الحفظ وسيلان الأذهان، حتى كانت قلوبهم أناجيلهم، وعقولهم سجلات أنسابهم وأيامهم، وحوافظهم دواوين أشعارهم ومفاخرهم، فلما جاء القرآن بهرهم بقوة بيانه وأخذ عليهم مشاعرهم بسطوة سلطانه واستأثر بكريم مواهبهم في لفظه ومعناه، فخلعوا عليه حياتهم حين علموا أنه روح الحياة ، وحق أن لا يوصف بالعلم إلا من هو كذلك ،

الأرقام الصماء

بوب فصلا زعما منه أنه أحاط بالأسطورة من كل جانب وتوهم أنها في لحظات نزعها ، ولم يبق إلا عرض الأرقام ، فراح يستعين بالقدرات الحسابية لآخرين ليقوم بعملية إحصاء تمكنه من تكذيب مجموعة من الروايات الأخرى .

لقد رام الكاتب من خلال فصله هذا محاكمة البخاري للغة الأرقام الصماء –بتعبيره– وقسمة عدد الأحاديث على الساعات والأيام، واعتمد في ذلك على مقال لعبد الفتاح عساكر _أحد منكري السنة_ نقله بكامله مع عزو إليه.

وواصل الكاتب يناقش معدل الأيام ومعدل الاستجابة الإلهية ومعدل الرحلات البشرية في سياق تعليقه على رحلات البخاري شرقا وغربا لجمع الأحاديث، ومعدل الحفظ اليومي بالدقائق والثواني، ومعدل الأحاديث التي تلقاها البخاري عن شيوخه، ثم يعرج إلى ذكر ما سماه (النمو العددي للأحاديث) محاولا اصطناع أدلة منها على أن الأحاديث تختلق وتصطنع فقال : (النمو العددي للأحاديث كلما بعدث عن زمن الحدث لا يترك مجالا للشك بأن الأحاديث كانت تصطنع على مجال واسع.126) ثم كتب تقسيما افتراضيا لأحاديث البخاري والسنوات التي من المفترض أن يجمع فيها مثل كتابه فادعى أن ذلك يتطلب (أزيد من ألف و ستمائة سنة، بمعنى أن البخاري لا زال إلى يومنا هذا يجمع أحاديث رسول الله،128) ثم يخلص إلى النتيجة قائلا :"الأرقام لا تكذب ولا تترك مجالا للشك ،إن علم الحديث الذي يدعيه الشيوخ ما هو إلا علم الكذب وسلق البيض"126)

فالأدهى أنه تجاوز كل حدود العقل وإمكانيات البشر وصلاحيات التفكير ، فراح يقرر ويقدر معدل استجابة الله تعالى لاستخارته ، وافترض أن تكون الإستجابة في يوم ، واضعا الذات الإلهية وصاحب العظمة موضع البشر المخلوق الضعيف الجهول ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون

فمجرد طرحه وتخيله للفكرة الأثيمة ينبئك عن عقيدة الكاتب وجهله وتلاعبه بأقدس المقدسات ، وكأنه تعالى يحتاج ساعات ليتوصل بطلب موقع من البخاري ، ليفتح .. ويقرر .. وو ويجيب أو يستجيب في أجل .. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، سبحانك هذا بهتان عظيم ، سبحانك جلت قدرتك وتقدست أسماؤك وعظم ثناؤك .

إن الكاتب _ومن نقل عنه_ لم يعرفوا مقصود العلماء من تلك الأعداد للأحاديث، وما هو مرادهم من (الحديث) في ذلك السياق.. حيث إنهم يقصدون بذلك (أوّلاً): أحاديث النبي –صلى الله عليه وسلم– والصحابة والتابعين، ولذلك لمّا قال الإمام أحمد "صحّ من الحديث سبعمائة ألف، وكسر" فسّره البيهقي

بقوله: "أراد ما صحّ من: الأحاديث، وأقاويل الصحابة وفتاوى من أخذ عنهم من التابعين". تهذيب الكمال للمزّي 96/19-97)، وانظر بمعناه في البحر الذي زخر للسيوطي (743/2).

ويقصدون ثانياً: الأسانيد المكرّرة والطرق المتعدّدة للحديث الواحد، فيعدّون كل إسنادٍ حديثاً، فتتعدّد الأحاديث (بمعنى الأسانيد) للمتن الواحد. وهذا ما فسّر به جماعةٌ من العلماء كلام البخاري وغيره؛ لأن هذا هو اصطلاحهم بالحديث. فانظر علوم الحديث لابن الصلاح (20-21)، والنكت للزركشي (181/1-182)، والنكت لابن حجر (297/1)، والبحر الذي زخر للسيوطي (743/2-748).

ومن ثَمَّ يكون العَدَدُ الذي يذكر هنا ليس المقصود به متون الأحاديث، حتى يتصوّر ذلك التصوّر الذي جعله يستكثر تمكّن البخاري من نقدها؛ لأنّ ذلك العدد أكثره ممّا يُروى عن غير النبيّ -صلى الله عليه وسلم-، فهو لا يدخل في شرط البخاري في صحيحه، الذي اشترط أن يذكر فيه ما صحّ عن النبيّ -صلى الله عليه وسلم- دون غيره.

ثم إن هذا العدد سيتضاءل جدًّا أيضًا، إذا فهمناه كما كان المحدّثون يستعملونه، وهو أنهم أرادوا به الأسانيد، لا المتون. وإذا اتخذنا مثلا حديث "**إنما الأعمال بالنيات...**" فقد رواه عن يحيى بن سعيد الأنصاري أكثر من ثلاثمائة راوٍ (كما ذكره الحافظ ابن حجر في فتح البارى 11/1)، فكم رواه عن كل واحدٍ من هؤلاء الثلاثمائة؟! فهذه مئات الأحاديث لمتن واحد. والبخاري ليس مضطرًّا للنظر في كل تلك الأسانيد للحكم على الحديث بالصحّة، بل يكفيه منها ما يدلّ على عدم الوقوع في الكذب والخطأ، ليحكم بناءً على أدلّة موافقة ذلك الحديث للواقع أنه حديثٌ صحيح.

وقد أجاب الحافظ ابن حجر (ت851هـ=1447م) عن مسألة أخرى، فجاء جوابه كأنه جوابٌ على الكاتب الناقد، فقال في كتابه النكت على كتاب ابن الصلاح (297/1-298): "قد يطلقون هذه العبارة على الموقوفات والمقطوعات، والمكرّرات... ويزيد ذلك وضوحاً: أن الحافظ الجوزقي ذكر أنه استخرج على جميع ما في الصحيحين حديثًا حديثًا، فكان مجموع ذلك خمسة وعشرين ألف طريق وأربعمائة وثمانين طريقاً. فإذا كان الشيخان مع ضيق شرطهما بلغ جملةُ كتابيهما بالمكرّر هذا القدر، فما لم يخرجاه من الطرق للمتون التي أخرجاها لعله يبلغ هذا القدر أيضًا [أي يبلغ العددان خمسين ألفاً]. وما لم يخرجاه من المتون من الصحيح الذي لم يبلغ شرطهما لعله يبلغ هذا القدر أيضًا أو يقرب منه [أي تبلغ الأعداد الثلاثة 50 ألفًا + 50 ألفًا = مائة ألف]. فإذا انضاف إلى ذلك ما جاء من الصحابة والتابعين، تمّت العدّة التي ذكر البخاري أنه يحفظها". يعني: من الحديث الصحيح، وأمّا غير الصحيح، فإنه إذا بلغ الصحيح أكثر من مائة ألف إسناد، فالضعيف سيبلغ أضعاف هذا العدد.

عدم وجود نسخة مكتوبة بخط البخاري

إنه لمن المؤسف المضحك في نفس الوقت ، أن يخصص الكاتب ما يزيد على ثلث كتابه لمناقشة إمكانية وجود النسخة الأصلية أو عدم وجودها ، والمضحك أنه جرد من نفسه خصما يجادله ويحاججه ويفترض أجوبات ويصطنع اعتراضات وهكذا.. تقعر في الوجه ، وتفنن في العبارات ، وتمديد الكلمات ، صراع بلا حلبة ولا خصم ، بل هو عض على الأسنان ليس إلا،

إن الإصرار على المطالبة بالنسخة الأصلية لن ينفع حتى في رواج كتاب السيد أيلال لأن كل قارئ سيطالب بالنسخة الخطية الأولى حتى يصدق بأن أيلال هو الذي صنف الكتاب، وأكثر من ذلك يمكننا أن نسأل أين هي النسخة الأصلية للقرآن الكريم، والنسخة الأصلية للأناجيل، والنسخ الأصلية لكتب أرسطو وأفلاطون التي انطلقت منها النهضة الغربية والتنوير الأوروبي، وبالتبع فالمطالبة بالنسخ الأصلية لمصادر التراث ستجر فوضى ثقافية وفكرية في العالم كله، ولا تعدو أن تكون مطالبة صبيانية تلتصق بالأطفال الذين لا يؤمنون إلا بالمحسوسات وتعجز عقولهم عن فهم المجردات.

كما أن المطالبة بالنسخة الأصلية لصحيح البخاري جهل فظيع بطرق تحمل الحديث وطرق أدائه، فالرواية من الكتاب تعد أضعف تلك الطرق، والمعروف عند علماء الصنعة الحديثية أن طرق التحمل (أي أقسام تلقي الحديث ونقله) ثمانية وهي:

1_السماع من الشيخ 2_والقراءة على الشيخ 3_ والإجازة 4_ والمناولة 5_والمكاتبة . 6_وإعلام الشيخ. 7_والوصية / الكتاب. 8_ والوجادة ،

ولكل واحد من هذه الأقسام عند علماء الحديث مبحث خاص وأمثلة ليس هذا محل ذكرها [68]

ومثال الوجادة أن يقف على كتاب شخص فيه أحاديث يرويها بخطه ولم يلقه ، أو لقيه ولكن لم يسمع منه ذلك الذي وجده بخطه ولا له منه إجازة ولا نحوها .

قال بعض العلماء قد ذكر ابن الصلاح حكم الوجادة المجردة وهي ما لا يكون فيها للواجد إجازة ممن وجد ذلك بخطه ولم يتعرض لحكم الوجادة مع الإجازة وقد استعمل ذلك غير واحد من أهل الحديث كقول بعضهم وجدت بخط فلان وأجازه لي وقد لا يصرح بالإجازة كقول عبد الله بن أحمد وجدت بخط أبي حدثنا فلان وهذا ليس فيه شيء .

والمروي بالوجادة المجردة في حكم المنقطع والمرسل ، وقال بعضهم الأولى جعله في حكم المعلق وأجاز جماعة من المتقدمين الرواية بالوجادة مما ليس لهم به سماع ولا إجازة .

---

[68] - يراجع : مقدمة ابن الصلاح : 62 . الإلماع للقاضي عياض : 99 . تقريب النووي : 2 .

وأما جواز العمل اعتمادا على ما يوثق به منها فقد روي عن بعض المالكية أن معظم المحدثين والفقهاء من المالكيين وغيرهم لا يرون العمل بذلك ، وحكي عن الشافعي وطائفة من نظار أصحابه جواز العمل بذلك.

قلت قطع بعض المحققين من أصحابه في أصول الفقه بوجوب العمل به عند حصول الثقة به وقال لو عرض ما ذكرناه على جملة المحدثين لأبوه ،

وما قطع به هو الذي لا يتجه غيره في الأعصار المتأخرة فإنه لو توقف العمل فيها على الرواية لانسد باب العمل بالمنقول لتعذر شرط الرواية فيها على ما تقدم في النوع الأول والله أعلم

وقال الزيعلي في معرض نقد حديث ابن عكيم في جلود الميتة : " الكتاب والوجادة والمناولة كلها مرجوحات ؛ لما فيها من شبه الانقطاع بعدم المشافهة ") .

فهؤلاء دائماً ينظرون إلى العلم على أنه مجرد (وجادات) والوجادة تعلم أنها شيء مفقود يتم العثور عليها في معزل عن صاحبها ، يهتمون بالآثار والأحجار ، لا بالقلوب والأفكار ، مبلغ علمهم أن يعثروا على شقة حجر أو قطعة جلد ، أو شريحة ورق ثم يخضعونها لأبحاث معملية ليقولوا أنها ترجع إلى عام كذا وكذا، هذه هي أقدم مخطوطة .

و تعلم جيداً _كما سبق _ أن الوجادة لا يثبت بها إسناد في علم الحديث اللهم إلا الوجادات الصحيحة ككتب الشيخ الموجودة في خزانته ومكتوبة بخطه ويقرأ منها ابنه فهذه وجادة صحيحة لا غبار عليها. أما الوجادات المنفصلة عن صاحبها فهي مطعون فيها.

أما في الإسلام فالأمر مختلف ، فالعلم يُسلم يداً بيد ، مشافهة ، ويساند ذلك الكتب والمخطوطات ، العلم عندنا يحفظ في الصدور وهذا هو منهج القرآن الكريم قال تعالى : بَلْ هُوَ آَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآَيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (49) [العنكبوت]

صحيح البخاري مثله مثل القرآن ومثله مثل باقي كتب أهل السنة تم تسليمها من عالم إلى تلميذه يداً بيد مشافهة وحفظاً في القلوب ، ثم دونوا هذا في كتب ، فمن الكتب ما بقى ومنها ما اندثر والذي كان أكثر أثراً هو الحفظ في الصدر.

قال الشيخ العمراوي : إن عدم وجود نسخة مكتوبة بخط اليد من (الجامع الصحيح) ترجع إلى زمن الإمام البخاري، لا علاقة له بصحة الكتاب من عدمها، لما عرف من أن الوجادة من أضعف طرق التحمل في الحديث، قال القاضي عياض –رحمه الله–:"فمعظم المحدثين ، والفقهاء من المالكية وغيرهم، لا يرون العمل به وحكي عن الشافعي جواز العمل به، وقالت به طائفة من نظار أصحابه..." . وأن العمدة في صحة الكتاب هي الرواية عن طريق السماع أو العرض–القراءة على

الشيخ- أو المناولة، أو الكتابة، أو الإجازة... واتصال الأسانيد، وضبط الرواة، وعدالتهم.. وكل ذلك موجود في صحيح البخاري، بأتم وجوه الوجود وأعلاها.. فقد رواه عنه رواية مباشرة ما يناهز تسعين ألفا من الرواة... .وتسلسلت روايته جيلا بعد جيل إلى عصرنا هذا، حيث لا تزال الرواية بطرقها المعهودة، وقوانينها المعروفة قائمة في مدارس متعددة.. قال الحافظ الذهبي:"وأما الصحيح، فهو أعلى ما وقع لنا من الكتب الستة، في أول ما سمعت الحديث...وهو أعلى الكتب الستة سندا إلى النبي ﷺ في شيء كثير من الأحاديث ، وذلك لأن أبا عبد الله أسن الجماعة، وأقدمهم لقيا للكبار، أخذ عن جماعة يروي الأئمة الخمسة عن رجل عنهم". وقال الأستاذ الكبير والمحقق الخبير سيدي محمد المنوني -رحمه الله-:"روى الجامع الصحيح -مباشرة- عن مؤلفه :محمد بن إسماعيل البخاري جم غفير من الرواة، وكان الذي وصل إلى الغرب الإسلامي طريقتان اثنتان:

أ - طريق النسفي :إبراهيم بن معقل بن الحجاج، المتوفى عام:295.

ب - طريق الفربري: محمد بن يوسف بن مطر بن صالح، المتوفى عام 320. وأكثر الرويات من طريقه... وقد دخلت هذه الطريقة الأخيرة إلى المغرب في وقت مبكر، وانتقلت بواسطة روايات اشتهر منها ستة، يتصل أصحابها بالفربري مباشرة.

1- رواية أبي علي بن السكن:سعيد بن عثمان بن سعيد المصري، المتوفى عام:353.

2- رواية أبي زيد المروزي: محمد بن أحمد بن عبد الله، المتوفى عام 371.

3- رواية أبي أحمد الجرجاني: محمد بن محمد بن يوسف، المتوفى عام 373.

4- رواية أبي إسحاق المستملي:إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم البلخي، المتوفى عام 376.

5- رواية السرخسي :عبد الله بن أحمد بن حمويه الحموي، المتوفى عام 381.

6- رواية أبي الهيثم الكُشمَيهَني: محمد بن مكي بن زُرَّراع، المتوفى عام 389...".

وأصل ما ذكره الأستاذ المنوني، للقاضي عياض في (المشارق) حيث قال -رحمه الله- :"وأما الكتاب الجامع المسند الصحيح المختصر من آثار رسول الله ﷺ للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المولد والمنشأ والدار، الجعفي النسب بالولاء، فقد وصل إلينا من رواية أبي عبد الله محمد بن يوسف الفربري -وأكثر الرويات من طريقه- ومن رواية إبراهيم بن معقل النسفي عن البخاري. ولم يصل إلينا من غير هذين الطريقين عنه، ولا دخل المغرب والأندلس إلا عنهما على كثرة رواة البخاري عنه لكتابه.... فأما رواية الفربري، فرويناها من طرق كثيرة، منها: طريق الحافظ أبي ذر عبد بن أحمد الهروي. وطريق أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي. وطريق أبي الحسن علي بن خلف القابسي. وطريق كريمة بنت محمد المروزية. وطريق أبي علي سعيد بن عثمان بن السكن البغدادي. وطريق أبي علي إسماعيل بن محمد الكشاني... وأما رواية أبي إسحاق النسفي، فكتب إلي

بها الشيخ الحافظ أبو علي الحسين بن محمد الغساني، وسمعت على القاضي أبي عبد الله التميمي كثيرا مما قيد منها عنه.. ".

7- وقال الإمام أبو سليمان الخطابي :" وقد سمعنا معظم هذا الكتاب، من رواية إبراهيم بن معقل النسفي، حدثناه خلف بن محمد الخيام،قال: حدثنا إبراهيم بن معقل عنه. وسمعنا سائر الكتاب، إلا أحاديث من آخره، من طريق محمد بن يوسف الفربري، حدثنيه محمد بن خالد بن الحسن، قال:حدثني الفربري عنه".

وقد نقل غير واحد ممن كتب عن رواة الجامع الصحيح: أن محمد بن يوسف الفربري قال : إنه آخر من بقي من رواة الجامع الصحيح.. وكانت وفاته عام 320. كما سبق ذكر ذلك.. وقد استدرك الحافظ ابن حجر على هذا فقال:" وذكر الفربري أنه سمعه منه تسعون ألفا، وأنه لم يبق من يرويه غيره. وأطلق ذلك بناء على ما في علمه. وقد تأخر بعده بتسع سنين: أبو طلحة منصور بن محمد بن علي بن قريبة البزدوي. وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وثلمائة.[69]

قال الأستاذ أحمد السرار في مقال له : القول بأسطورية شخصية البخاري وكتابه "الجامع الصحيح" بسبب غياب المخطوط الأصلي للكتاب، حيث يقول: "تتحدى هؤلاء الشيوخ المداحين، أن يقدموا لنا المخطوطة الأصلية التي خطها الشيخ البخاري عندما كان يؤلف كتابه الجامع الصحيح... لا يوجد في العالم أجمع مخطوطة واحدة بخط محمد بن إسماعيل البخاري، لصحيح البخاري". ويقول "إن صحيح البخاري كتاب مجهول المؤلف، لا أصول له، ولا حقيقة لوجوده، فهو كتاب لقيط، جمع بين طياته أهواء أناس، وضعوا فيه ما أرادوا ليبرروا أفعالهم، ويؤسسوا عليها كهنوتهم.

وهذه مجازفة علمية كبيرة، لأن فرضيته تقوم على غياب المخطوط الأصلي، فإذا ظهر المخطوط المفقود، سينتهي كتاب "نهاية أسطورة"، كما انتهت الكثير من الحقائق التاريخية بعد ظهور (مخطوطات البحر الميت وغيرها)، وما غاب عن الكاتب أنه يوجد في الفاتيكان ما يعادل 20 مليون مخطوط إسلامي، ناهيك عن ما سرقه نابليون من مصر، وما سرقه المستعمر من بغداد والمغرب العربي من كنوز علمية، أما ما أتلفه من مخطوطات علمية وتاريخية، وما أحرقه من تراث المسلمين، فلا يمكن إحصاءه.. ولو انطلقنا من هذه الفرضية فإننا سنقول بخرافة وأسطورية سقراط وأفلاطون وأرسطو، وغيرهم من أعلام الفكر الغربي (اليوناني)، لأن جل كتبهم تفتقر إلى المخطوط الأصلي.

من جهة أخرى إذا اعتمدنا على نفس منهج الكتاب في الاستدلال على أسطورة الإمام البخاري وكتابه، فإننا سنقول بأسطورية "القرآن الكريم" أيضاً، لغياب المخطوط الأصلي الذي كان عند حفصة بنت

[69] مقال في الموضوع لشيخنا : محمد العمراوي رئيس المجلس العلمي المحلي سابقا بسيدي سليمان

عمر –رضي الله عنها– والذي قيل بأنه أُحرق.. فهل غياب المخطوط الأصلي "للقرآن الكـريم" هـو حجة قوية ترقى إلى مستوى القول بأسطوريته، وأسطورية الصحابة الذين كتبوه ؟.[70]

والعقل يؤيد كلامنا ، فلو أن جميع نسخ البخاري التي بين أيدينا الآن قد اندرست واندثرت ثـم كتبـت نسخ أخرى حديثة غيرها بخطنا وعلى ورقنا وبحبرنا ، فهل يحق لمن يأتي بعد ألف عام مثلاً ويقـول إن نسخة البخاري الموجودة بين أيدينا الآن ليست هي التي ألفها البخاري !! فهي ترجـع إلـى عـام 1430هـ ومكتوبة بحبر جديد وورق مختلف لم يكن على عهد البخاري؟؟!!!

هل يجوز هذا الكلام؟ وهل يظن هؤلاء أن الورق والجلد يعيش أبد الدهر وحتى قيام الساعة ؟!

إن الذي يطعن في نسبة الصحيح إلى صاحبه بهذا المعيار الواهي ، وعلى هذا المبدأ الفاسد فيوماً مـا سوف يطعن في نسبة إسناد القرآن إلى النبي ﷺ ذلك أن أقدم نسخة كتبت على عهد النبي مفقودة الآن ، بل إن النسخة التي (يقال) إنها النسخة العثمانية وعليها دمه ، من الباحثين من أثبت أنها ليست هي النسخة العثمانية !!

ومن يعتلق حبل الدعاوى ترد به   فحبل الدعاوى ذو خيوطٍ ضعيفة

ولابد أن يعلم هؤلاء المتهوكون التائهون ، أن صحيح البخاري وغيره من كتب السنة لا يزال يـصلنا بالإسناد حتى هذه اللحظة ، وأن تأتأهم وتمتمتهم لم تسمعها أذنهم فضلا عن غيرهم .

لكن ومهما نعقوا ومخرقوا   عليهم ألف دليل ينطق

إن مثل هذا المنهج الذي تأسس عليه الكتاب، والمنطلقات التي بنى عليها فرضية "أسـطورة صـحيح البخاري" لا تستحق نقاشا ولا التفاتة ، ولا ترقى إلى درجة التشكيك فيه ، بله إسقاطه أو الإعلان عن نهايته ، بل هي أشبه بنطح صخرة أو محاولة الوقوف على إبرة .

ولا يمكن أن يكون هناك شيء علمي يستطيع أن يطيح بالإمام البخاري وصحيحه وفنه ، لأن صـحيح البخاري هو العلم ذاته فكيف يمكن أن يقوض العلم نفسه.

[70] - منشور على موقع هسبريس بتاريخ 1-دجنبر-2017 للأستاذ أحمد السرار باحث متخصص في الفكر الإسلامي والأديان

الباب الثالث:

شبهاته حول الرسول ﷺ وصحابته

وفيه مبحثان

المبحث الأول: شبهات وطعون حول الصحابة .

المبحث الثاني: شبهات حول الرسول ﷺ .

الفصل الأول
شبهات وطعون حول الصحابة

مكانة الصحابة

إن جميع شبهات الكاتب تكاد تتفق أو تتقارب في مضمونها ودلالتها ومقاصدها ، إلا أن بعضها أعـم من بعض ، فالكاتب كمن هيأ للماء عدة سواقي ، ولكن غزارة الماء وقوة الوادي نسفت كل حواجزه ، وأذابت كل لبناته ، فقد طعن في الحديث برمته وأنكر أن يكون هناك شيء اسمه الحـديث ، فمـدلول كلمة الحديث في التنزيل هو القرآن ، فإن لم تمرر الفكرة فقد هيأ وأعد ما دونها ، وهو أن الحديث قد نهى ﷺ وبعض أصحابه عن كتابته وتدوينه بل التحديث به ، فإن لم تقبل فإن عددا من الـصحابة وثلة من التابعين وأغلب المحدثين متهمون ، قبليون ، سياسيون ، يضعون الأحاديث ..الخ فإن لم تجد الفكرة نفعا فإن هناك عدة أحاديث تتعارض مع نصوص القرآن أو تحط من قيمة الإسلام ،..الخ ،

ألا ترى أنه لا رأي لديه يقر ، ولا موقف مستقر ، فمن نكران الحديث برمته ، إلى تجـريم وتبـديع كتابته ، إلى اتهام أصحابه ورجاله ، وهكذا حال التائهين ، كالجرذان لهم عدة جحـور كلمـا أغلقـت جحرا أطلوا عليك من آخر ، فلا يستحيون إن فضحت خطتهم ، ولا يتراجعون إن فندت ادعـاءاتهم ، ولا ينكمشون ولو صفعت خدودهم ،

أما صحابة رسول الله ﷺ فهم فوق كل انتقاد ، وهم إنما يريدون بالقدح والطعن فيهم إلغاء مفهـوم القدوة ، الذي ضاع منهم ، كما ضاع ممن يحركونهم من الغرب ، بل إن التنقيص من قدر الـصحابة يستلزم الشك في الدين ، ذلك أن الله تعالى لم يكن لينصر رسوله على أمم الكفر والشرك، ثم يحيطـه بجماعة من المنافقين يربيهم ويعلمهم ويؤاكلهم ويجالسهم ويعيش دهره معهم، وهم خونـة فجـرة، لا يؤتمنون على وحي، ولا يصلحون لحمل الرسالة، وتبليغ الدين، فأي طعن في الله تعـالى فـوق هـذا الطعن؟! وأي تكذيب لوعد الله بالنصر والتمكين وإكمال الدين فوق هذا التكذيب؟!.

وكيف يسعى رسول الله ﷺ لهداية أمم الأرض من حوله، وهو عاجز عن أن يصطفي جماعة قليلة من بطانته ؟!. وأي نصر وفتح يهبه الله له، وهو لا يفتأ يؤاكل ويجالس، بل ويصاهر ويناسب كفـاراً منافقين سيسعون إلى تغيير القرآن وتبديله؟!.

هذا ما يسعون إليه ، يريدون الحط من مكانة الصحابة، والصحابة لا شيء يحط من مكانتهم ، ومــن سعى إلى ذلك قلنا له ما قاله الأعشى : كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يَوْماً لِيَفْلِقَهَا * فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِلُ .

وقد وقفت على مقالة محكمة مناسبة لمنافقي زماننا وجديرة بذكرها ، قَال أَبُو زُرْعَــةَ الــرَّازِيَّ : إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُل يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُول اللَّهِ ﷺ فَاعْلَمْ أَنَّهُ زِنْدِيقٌ ؛ لأَنَّ الرَّسُول ﷺ عِنْدَنَا حَقٌّ ، وَالْقُرْآنَ حَقٌّ ، وَإِنَّمَا أَدَّى إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ أَصْحَابُ رَسُول اللَّهِ ﷺ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يَجْرَحُوا شُهُودَنَا لِيُبْطِلُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ ، وَالْجَرْحُ أَوْلَى بِهِمْ ، وَهُمْ زَنَادِقَةٌ ([71]) .

وقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: إن الله نظر في قلوب العبــاد ، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العبــاد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه .اهــ

ولقد عد العلماء قديماً الطعن في أصحاب رسول الله ﷺ علامة على أهل البدع والزندقــة الــذين يريدون إبطال الشريعة بجرح رواتها ، وعن الإمام أحمد أنه قال : إذا رأيت رجلاً يذكر أحــداً مــن أصحاب رسول الله ﷺ بسوء ــ فاتهمه على الإسلام . وقال الإمام البربهــاري : واعلــم أن مــن تناول أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه إنما أراد محمداً، وقد آذاه في قبره !!

فإذا كان خالد بن الوليد وهو سيف الله المسلول وغيره ممن أسلم بعد الحديبية لم يدرك مكانة من سبقه من أهل بدر فكيف بمن لم يحصل له شرف الصحبة بالنسبة إلى أولئك الأخيار، إن البون لشاسع وإن الشقة لبعيدة فما أبعد الثرى عن الثريا،

والصحابة هم أعلم الناس بالكتاب والسنة ، والآيات القرآنية والأحاديث النبويــة فــي تزكيــة معتقــد الصحابة وأصول إيمانهم ظاهرة الدلالة. ولن نتمكن من سرد كل الأحاديث الثابتة الواردة في فــضلهم ومناقبهم ، والقرآن الكريم زكاهم وشهد لهم بالخير والفلاح كما في قوله تعالى {وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [الحديد:]. وفي قوله تعالى: { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}[72] وقال –تعالى–: (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا)(البقرة: من الآية137)

وقال –تعالى–: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)(البقرة: من الآية143)

وقال ﷺ : **(إن خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم).**

فمكانة الصحابة رضوان الله عليهم واضحة جلية في القرآن والسنة الشاهدين على فضل أولئك الأخيار ، فصحابة رسول الله ﷺ كلهم عدول بتعديل الله تعالى لهم وثنائه عليهم وثناء رسوله ﷺ .

ومن ثم استفاض علماء السلف في بيان مكانتهم وعدالتهم، وإليك بعض هذه الأقوال:–

---

[71] - الكفاية ص49 . أبو زرعة متوفى سنة 264هـ

[72] - [الفتح:] وانظر سورة [التوبة آية: 100. و: 117]. والفتح29/ وآل عمران 174) كلها آيات جاءت ي فضل الصحابة وتزكيتهم

قال النووي في التقريب: " الصَّحَابةُ كلُّهم عُدولٌ, من لابسَ الفِتنَ وغيرهُم, بإجْمَاعِ مــن يُعتــدُّ بــهِ.[73] "وقال الحافظ ابن حجر _رحمه الله_ في الإصابة: ("اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة").

وقال الخطيب البغدادي في الكفاية : عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعــديل الله لهــم وإخبــاره عــن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن. ثم ساق الآيات الدالة على ذلك .. وقال (في ذلك آيات يكثــر ايرادها ويطول تعدادها ووصف رسول الله ﷺ الصحابة مثل ذلك وأطنب في تعظــيمهم وأحــسن الثناء عليهم) ثم أورد ما جاء في ذلك من أحاديث وقال : والأخبار في هذا المعنى تتسع وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن وجميع ذلك يقتضى طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له فهو علــى هــذه الصفة.. وقد برأهم الله من ذلك ورفع اقدارهم .. على انه لو لم يرد من الله عز و جل ورسوله فــيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأمــوال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم ابد الآبدين هذا مذهب كافة العلمــاء ومن يعتد بقوله من الفقهاء [74]

وليس المراد من إبعاد التهم وتحقيق العدالة إثبات العصمة لهم مــن الــذنوب أو الغلــط و الــسهو ، واستحالة المعصية منهم !!، فهذا لم يقل به عاقل ولا عالم ، بل الحكم على العموم ، وإلا فقد تــصدر من بعض الأفراد أخطاء وذنوب ، ولكن نسبتهم كنسبة الشعرة السوداء في جلد الثور الأبــيض ، فــلا يعتقد المسلم أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره ، بل يجوز علــيهم الــذنوب في الجملة .والقدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاســنهم ، ولكنهم ليسوا فساقا ولا منافقين ، ولا جهلة كما وصفتهم أيها الكويتب ! فهذا الخطاب وهذا الغيظ ينبئ عن مكانتك وعقيدتك ، فانظر تفسير قوله تعالى (لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّار (الفتح)) لتجد داءك أو دواءك ،

فلا رحم الرحمن من لا يحبهم وأخزى معاديهم بدنيا وآخرة

---

[73] - التقريب مع التدريب 214/2

[74] - [الكفاية في علم الرواية - الخطيب البغدادي /49/1]

اتهام الصحابة
(بين عمر وأبي هريرة)

إذا تقررت لديك أيها القارئ مصادر الكاتب ، زال عنك العجب والإستغراب ، وأنا بـدوري عنـدما وقفت على تقوله وطعنه في الصحابة واتهامهم بالفسق والزندقة والسرقة وغيرها ، أوصاف لا يقبلون بها في أنفسهم وينتفضون هم أنفسهم عند وصفهم بها ، عندما قرأت ذلك عمتني الدهشة ، من أين جاء هذا الأفاك بمثل هذا ، ولما بحثت وجدت أن أغلب القصص والروايات من مصادر الشيعة ،

إذا كان الغراب دليل قوم ... يمر بهم على جيف الكلاب

فهم الذين لا يألون جهدا في شتم صحابة رسول الله ص وسبهم ولعنهم بل وتكفيرهم ، وقد نال كبـار الصحابة ورواة الحديث منهم أكبر قسط وأعلى سقف من ذلك ، وما أكثر ما تقولوه على أبي هريـرة وما كتبوه عنه من الكذب والبهتان ، وما اصطنعوا من التهم واختلقوا من القـصص الكاذبـة حولـه ليتهموه ، لا لشيء إلا لكونه راويا لأكثر الأحاديث التي لا تروقهم وتفضح ضلالاتهم ..

قال الحاكم أبو عبد الله [75] (وإنما يتكلم في أمر أبي هريرة لدفع أخباره ، من قد أعمى الله قلـوبهم ، فلا يفهمون معاني الأخبار، إما معطل جهمي يسمع أخباره التي يرويها خلاف مـذهبهم –الـذي هـو كفر– فيشتمون أبا هريرة ويرمونه بما الله تعالى نزهه عنه ، تمويها على الرعاع والسفل أن أخباره لا تثبت بها الحجة ، وإما خارجي يرى السيف على أمة محمد ﷺ أو قدري اعتزل الإسلام وأهلـه ، أو جاهل يتعاطى الفقه ويطلبه من غير مظانه، إذا سمع أخبار أبي هريرة فيما يخالف مذهب من قلـد تكلم في أبي هريرة ودفع أخباره . انتهى بتصرف.

فقصة _أو بالأحرى ادعاء_ اتهام عمر لأبي هريرة (رضي الله عنهما) بالسرقة ، وقفت عليهـا فـي مصنف عبد الرزاق وطبقات ابن سعد ،

والخبر هكذا : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل أبا هريرة على البحرين فرجع أبو هريرة بعشرة آلاف، درهم ، فقال له عمر: "من أين أتيت بها؟" وفي رواية قال له : "يا عدو الله من أين أتيت بهذا ؟ قال : أنا لست عدواً لله بل أنا عدو من عاداهما ، هذا خيلٌ نُتجت وهذا رقيق وغلة – أي أشياء تخصني ، فأخذ عمر بن الخطاب منه جزءاً من هذا المال .

ولما أراد عمر أن يستعمل أبا هريرة مرة أخرى ، أبى _امتنع_ أبو هريرة ، فقال له عمـر:" كيـف ترفض العمل وقد قبله من هو خير منك ؟ فقال له أبو هريرة : من هو ؟ قال : يوسف عليه الـسلام ، عندما{ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ } فقال له أبو هريرة : يوسف نبي ابن نبي ابن

---

[75] - (المتوفي سنة 405هـ) في المستدرك 586/3عن إمام الأئمة ابن خزيمة (المتوفى 311هـ):

نبي ابن نبي ، لكن أنا أبو هريرة ابن أميمة ، وأنا أخشى أن أقول بغير علم وأقضي بغيـــر حكـــم أو يضرب ظهري وينتزع مالي ويشتم عرضي" .

وعن أيوب السختياني، عن محمد بن سيرين "أن عمر استعمل أبا هريرة على البحرين، فقدم بعـــشرة آلاف، فقال له عمر: استأثرت بهذه الأموال يا عدو الله وعدو كتابه؟ فقال أبو هريرة: فقلـــت: لـــست بعدو الله وعدو كتابه، ولكن عدو من عاداهما، قال: فمن أين لك؟ قلت: خيل نتجت، وغلى رقيق لـــي، وأعطية تتابعت، فنظروا فوجدوه كما قال".

فلم يكن عمر رضي الله عنه شاكاً في أمانة أبي هريرة رضي الله عنه، حين عزله عن ولاية البحرين، وإنما أراد بمساءلته له وعزله أن يقطع التساؤل حول ما نمى عنده من مال بعد ولايته للبحرين ، وإن كان ذلك المال محدوداً ، ولكن كما يقول المثل: "إذا لبس الفقير جديداً قيل: من أعطاك هذا" ؟ !!

وعلى افتراض أنه كان شاكاً في أمانته ، فإن هذا الشك قد زال بعد سؤاله له عن مصدر هذا المـــال، وجواب أبي هريرة المقنع على سؤاله.

ومما يؤكد اقتناع عمر رضي الله عنه بجوابه، وزوال شكه في أمانته، دعوته له لولاية البحرين مـــرة أخرى. فقد جاء في نفس الرواية "أنه لما كان بعد ذلك، دعا عمر ليوليه، فأبى أبو هريرة .

فلا تخفى على أحد سياسة عمر رضي الله عنه ، وطريقة تعامله مع كل الملفات ، ومتابعتـــه الـــولاة والعمال ومساءلتهم لأدنى ما يرفع عنهم أو يقال ضدهم ، مهما علت مراتبهم، وسمت منـــازلهم فـــي السبق إلى الإسلام، والفضل فيه،

إن عمر رضي الله عنه لا يترك الصحابة في أعمالهم على الولايات كثيرا حتى لا يدنسهم العمـــل أو تؤثر السياسة على قلوبهم ودينهم ، وكان يشاطرهم أموالهم وأخذا بالأحوط لا عن ريبة ،

فغرضه قطع الطريق أمام تلاعب الشيطان واستيلاء حب المال على ولاته وعماله ، ففي دســـتوره أن الذي يلي أمرا من أمور المسلمين ، له رزقه ورزق عياله وكسوته ، من مال المسلمين، وليتخذ خادما، أو يتخذ مسكنا، _إن شاء_ لكن عليه مقابل ذلك، أن يقف كل وقته وجهده وهمه لأمور المسلمين ، فإذا تأثل مالا أكثر مما يمكن أن يوفره من رزقه المقرر له من بيت مال المسلمين ، _ولـــومن تجـــارة أو حرفة أخرى_ كان معنى ذلك أنه بذل من جهده ووقته وهمه نصيبا كبيرا أو صغيرا ليس ملكـــا لـــه، وإنما هو ملك للمسلمين، وعلى هذا الاعتبار- فيما يتراءى لنا- اعتمد عمر رضي الله عنه فـــي هـــذه المسألة وأشباهها ، لذا نراه يحاسب أبا هريرة ويحاسب من هو دونه، ومن هو أعلى منه في مراتـــب الصحبة والفضل، كسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أحد السابقين الأولين للإسلام، وأحد العـــشرة المبشرين بالجنة، ومجابي الدعوة منهم، كما سيأتي ،

وأصل العقوبة بمصادرة الأموال جاءت بها السنة، ونص بعض الفقهاء على مصادرة بعض الأموال ، فقد ثبت أن النبي ﷺ _في حديث أبي حميد الساعدي_ قال للرجل الذي استعمله علـــى الـــصدقات وهو ابن اللتبية « **فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا ؟!! ثم صـــــادر ما كان معه من تلك الهدايا** »([76])

وثبت عن عمر أنه صادر بعض عماله ممن اشتبه في أنهم تأثلوا مالا أثناء عملهم، ما كان ليجتمع لهم لو اقتصرت مواردهم على أرزاقهم وما يصيبون من الفيء والغنائم ، فأخذ شطر أموالهم لما اكتسبوها بجاه العمل واختلط ما يختصون به بذلك فجعل أموالهم بينهم وبين المسلمين شطرين .

وقد تعددت الحوادث والصور ، فمن ذلك ما صنعه مع خالد بن الوليد – رضي الله عنه) حين عزله – في قصة مثيرة– وصادر منه اثني عشر ألفا [77]

وما فعله محمد بن مسلمة مع عمرو بن العاص حين كان واليا على مصر بأمر من عمر بن الخطـــاب – رضي الله عنهم جميعاً – إذ قاسمه ماله ،

بل ما فعله عمر مع ابنه عبد الله نفسه ،!! فعن عبد الله بن عمر ــ رضي الله عنهمـــا ــ أنـــه قـــال: اشتريتُ إبلاً وارتجَعْـتُها إلى الحمى فلما سَمَنَتْ قدِمْتُ بها، قال: فدخل عُمرُ السوق فرأى إبلاً سمانًا، فقال: لِمَن هذه؟ فقيل: لعبدالله ابن عمر، فجعل يقول: يا عبد الله بَخٍ بَخٍ ابن أمير المؤمنين. قال: فجئته أسعى، فقُلتُ: مالك يا أمير المؤمنين؟ قال: ما هذه الإبل ؟ فقُلتُ: إبلٌ هزيلة اشتريتها وبعثتُ بها إلـــى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون، قال: فقال: ارعَوا إبل ابنِ أمير المؤمنين، أُسْقُوا إبـــل ابـــن أميـــرِ المؤمنين. يا عبدالله بن عُمر، أغْدُ على رأسِ مالك واجعلْ باقيه في بيت مال المسلمين.[78]

فعمر بن الخطاب كره أو خشي أن يتكسب عبد الله بن عمر بسمعة أبيه ،فمنعه من اتخاذ الإبل وحرمه فضلها ، فهل يعد هذا اتهاما من عمر لابنه ؟ وهل من حق عمر بن الخطاب أن يأخذ مال ابنه قـــسرا ً منه وأن يضعه في بيت مال المسلمين ،؟ وهل يفهم من إذعان عبد الله لحكم أبيـــه أن الأمـــوال حقـــا ليست من حقه ،؟ فما أجيب به في هذه الواقعة يحكم به في قصة أبي هريرة .

أما ما يدعيه الأفاكون وما أورده في صفحة 52 عن الجاني صاحب (جناية البخاري) مـــن أن عمـــر منعه من الحديث ، تدليسا وتضليلا ، محاولا تأييد ادعائه بأوهام لا وجود لها في أي كتاب معتمـــد أو غير معتمد ، فقد بينا موقف عمر وسبب منعه الصحابة من الحديث .

---

[76] - أخرجه البخاري في كتاب (الحيل) باب احتيال العامل يهدى له برقم (6464) ومسلم في كتاب (الإمارة) 27.

[77] - القصة نقلها الذهبي- سير أعلام النبلاء، ج: 1، ص: 380- في ترجمته لخالد بن الوليد، ت: 78-

[78] - (سعيد بن منصور ، وابن أبى شيبة ، والبيهقى) [كنز العمال ج 12 ص659 ح 36006]

اختلاف الصحابة
وانتقاد بعضهم لبعض

بداية لابد أن نشير إلى عموم الشبهة التي تثار حول هذا الباب ، من اختلاف الصحابة ، وتعارضهم ، وانتقاد بعضهم لبعض الخ.. حتى يكون القارئ على بينة من حقيقة الأمر ومن جميع جوانبه ،
فما ينقل عن الصحابة من اختلاف في التفسير، وفي فهم بعض الأحاديث، لم يترتب عليه شيء من المفاسد ، .. وذلك أن الاختلاف ينقسم إلى قسمين: اختلاف تنوع، واختلاف تضاد([79])، وغالب ما ينقل عن الصحابة في تفسير بعض الآيات، من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–.
قال: «الخلاف بين السلف في التفسير قليل، وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع ، لا اختلاف تضاد». ([80]) ...
ثم ذكر –رحمه الله– أن اختلاف التنوع يرجع إلى أمرين:
الأول: أن يعبر كل واحد من السلف بعبارة غير عبارة صاحبه، تدل على المعنى في المسمى غير المعنى الآخر، مع اتحاد المسمى مثال ذلك تفسيرهم للصراط المستقيم فيقول بعضهم: بأنه هو القرآن أو اتباع القرآن، ويقول آخر: هو الإسلام، أو دين الإسلام، ويقول آخر: هو السنة والجماعة، ويقول آخر: طريق العبودية، أو طريق الخوف والرجاء والحب، أو امتثال المأمور واجتناب المحظور، أو متابعة الكتاب والسنة أو العمل بطاعة الله أو نحو هذه الأسماء والعبارات.
... الثاني: أن يذكر كل واحد من السلف الاسم العام ببعض أنواعه على سبيل التمثيل، وتنبيه المستمع على النوع، لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه، مثل سائل أعجمي سأل عن مسمى لفظ (الخبز) فأُري رغيفاً وقيل له: هذا ، فالإشارة إلى نوع هذا، لا إلى هذا الرغيف وحده.([81])
ثم قال شيخ الإسلام رحمه الله : « وعامة الاختلاف الثابت عن مفسري السلف من الصحابة والتابعين هو من هذا الباب». ([82])
أما اختلاف الصحابة الراجع إلى القسم الثاني وهو اختلاف التضاد فما يثبت عنهم من ذلك سواء في التفسير، أو في الأحكام، فقليل وهو ليس في الأصول العامة المشهورة في الدين، وإنما في بعض المسائل الدقيقة التي هي محل اجتهاد ونظر.

---

[79] - انظر: مجموع الفتاوى 58/6.
[80] - انظر: مقدمة في أصول التفسير لشيخ الاسلام ابن تيمية ص10-12،
[81] - نفس المصدر
[82] - مجموع الفتاوى 381/13.

هذا ولنعلم أن العلماء قد ذكروا وبينوا أسباب الاختلاف والتعارض الشكلي والظاهري بين بعض الأحاديث ، ومنها:

1- أن يفعل النبي ﷺ الفعل على وجهين إشارة إلى الجواز، فيروي صحابي ما شاهده في الحالة الأولى ، ويروي الثاني ما شاهده في الحالة الثانية كأحاديث صلاة الوتر أنها سبع ركعات أو تسع أو إحدى عشرة .
2- اختلاف الصحابة في حكاية حال شاهدوها من رسول الله ﷺ مثل: اختلافهم في حجته ﷺ هل كان فيها قارنًا أو مفردًا أو متمتعًا؟ والحالات الثلاث جائزة ومشروعة مأخوذة من النصوص الشرعية .
3- اختلاف الصحابة في فهم المراد من حديث النبي ﷺ فهذا يفهم الوجوب وذاك يفهم الاستحباب.
4- أن يسمع الصحابي حكمًا جديدًا ناسخًا لحكم سابق ولا يكون الصحابي الآخر قد سمع ذلك الحكم الجديد، فيظل يروي الحكم الأول على ما سمع .

وغير ذلك من الأسباب العلمية والدينية والواقعية التي جعل منها المستشرقون والعلمانيون ذريعة لافتراءاتهم . ولكن ذلك خلاف لا يضر بل هو محمود كما سترى من بعض أقوال السلف.

قال الإمام قوام السنة: «إنا وجدنا أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم اختلفوا في أحكام الدين، فلم يفترقوا، ولم يصيروا شيعاً، بل إن الأمة استفادت بسبب اختلاف الصحابة في الاجتهاد، مع عدم التفرق والتمزق، من الدروس والعبر، ما كان سبباً في اجتماع الأمة لا تفرقها، ووحدتها لا تمزقها،

ولذا لما رأى خيار السلف من بعد الصحابة هذه الثمار الطيبة المباركة لاجتهادات الصحابة، وأثرها في الأمة، وما حصل بسببها من الرحمة للأمة والتوسعة في الاجتهاد والترجيح بين أقوالهم، ما كرهوا اختلاف الصحابة بل أظهروا الفرح والرضا به.

قال عمر بن عبد العزيز –رحمه الله–: (ما يسرني أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا). ([83])

وفي رواية أخرى عنه: (ما يسرني أن لي باختلافهم حمر النعم). ([84])

وقال القاسم بن محمد –رحمه الله–: (لقد نفع الله باختلاف أصحاب النبي ﷺ في أعمالهم، لا يعمل العامل بعمل رجل منهم، إلا رأى أنه في سعة ورأى خيراً منه قد عمله))

[83] - نقله شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى 80/3، والشاطبي في الموافقات ... 125/4.
[84] - ذكره الشاطبي في الموفقات 125/4.

وقال أيضاً: (لقد أعجبني قول عمر بن عبد العزيز: ما أحب أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، لأنه لو كان قولاً واحداً، كان الناس في ضيق، وإنهم أئمة يقتدى بهم، فلو أخذ بقوله رجل منهم كان في سعة)) قال الشاطبي–رحمه الله–:«وبمثل ذلك قال جماعة من العلماء».)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: «ولهذا كان بعض العلماء يقول إجماعهم حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة،([85]) وظل الخلاف في حياتهم لا يراد به إلا الوصول إلى الحق والتمسك به.

هذا كله في التفسير والأحكام والإجتهادات والتأويلات ، فإذا كان الإختلاف فيما سبق لم يفض إلى مفسدة في الدين، ولا يضر المسلم والإسلام بشيء ، فبالأحرى والأولى المسائل الخبرية والعلمية والنظرية كما مثل الكاتب نقلا عن قرنائه ،

اختلافهم في حديث الرؤية

واختلاف الصحابة رضوان الله عليهم في نوعية وحقيقة رؤيته ﷺ لله _ فقالت طائفة بعين رأسه وقالت أخرى بعين قلبه ، وقال الآخرون مرة بهذه ومرة بتلك ، _ اختلاف ليس فيه أي ضرر ولا إلغاء لبعض الأحكام ، ولا يترك غموضا لا يسع بقاؤه للأمة ، فالنبي ﷺ رأى ربه وكفى ، لا يضرني إن رآه بهذه ولا ينفعني إن كان بتلك ،

قال ابن حجر رحمه الله (852 هـ): "جاءت عن ابن عباس أخبار مطلقة، وأخرى مقيدة فيجب حمل مطلقها على مقيدها... وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر، وإثباته على رؤية القلب، ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب، لا مجرد حصول العلم؛ لأنه ﷺ كان عالما بالله على الدوام، بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه، كما يخلق الرؤية بالعين لغيره، والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلا، ولو جرت العادة خلقها في العين"([86])

قال السفاريني (1118هـ): "... وإذا علم ما حررناه فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة – رضي الله عنهم – بأن يحمل نفيها على رؤية البصر، وإثباته على رؤية القلب كما قاله الحافظ ابن حجر في شرح البخاري"[87].

[85] - مجموع الفتاوى 80/30.
[86] - فتح الباري 474/8
[87] - لوامع الأنوار البهية 254/2-255.وقد بحث مسألة الرؤية من 250/2 إلى 256/2.

سورة التوبة فضحت المنافقين ليس الصحابة

في معرض تعرضه لمقام الصحابة ، وتعريضه والطعن بهم ، وهجمته الشعواء ضدهم ، أحال القارئ على سورة التوبة قائلا : (ولمن يقدس الصحابة ما عليه إلا قراءة القرآن، سيما سورة التوبة التي يسميها البعض بالفاضحة، فقد ورد فيها كثيرا من الانتقاد لهم، وأظهرت حقائق العديد منهم،) ص 52

لقد حاول بل مارس التضليل والتدليس العلني ، الذي لا يخفى على المبتدئين وعامة المسلمين ، بله علمائهم ، فرام بذلك وحاول إيهام القارئ أن القرآن كله مليء بالآيات والسور التي تتهم الصحابة وتذم صنيعهم وتفضح مكنونهم ، وليس العكس ! فهم حسب ادعائه عصابة بدوية متناحرة متناطحة ، وبطانة فاسدة فاسقة ، مع أن كل ما في القرآن _إن كان قرآنيا وإن كان يؤمن به_ إنما هو الثناء على الصحابة وتمجيدهم وتزكيتهم ، والرضا عنهم ([88])

ففي أي قرآن وجد الكاتب ما ادعاه وبأي كتاب يؤيد مسعاه ؟ أهو ما جاء في سورة التوبة ؟ فهذا يدل على جهل كاتبه وغباء مدعيه ، ولم يدر الغمر أن مضمون السورة ضد ادعاءه لا معه ، وليس فيها ما يؤيده ، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم ، وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال " فسورة التوبة نزلت بعد غزوة تبوك ، وتبوك هي التي أثنت على المؤمنين وزكتهم ، وميزت أهل النفاق وفضحتهم ،

وحتى إن أبى الماكرون إلا تعريف أولئك المنافقين بالصحابة ، فإن عدد من تخلف عن غزوة تبوك _ممن كذبوا الله ورسوله_ لا يتجاوز ثمانين رجلا ، وبالمقابل فعدد المسلمين المشاركين فاق الثلاثين ألفا ، والسورة ذمت وفضحت المتخلفين والمستهزئين ، والساعين في خلق الفتنة بين المسلمين !

لكنا نعود فنؤكد أن المنافقين ليسوا من الصحابة ولا من أهل الإيمان ، ولقد تحدثت السورة عن حالها ، وتعرضت لنوع من معاصري الصحابة ممن دخلوا بينهم مظهرين خلاف ما يبطنون ، وعكس ما يفعلون ، كحال منافقي زماننا ، (يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (التوبة)

فهل يدري الكاتب الغمر ومن معه أن المنافقين ليسوا من صحابة الرسول ﷺ ؟! وأن الله نهاه عن الصلاة عليهم والقيام على قبرهم ، ؟ (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (التوبة84) ، وهل له علم بمصطلح وحقيقة الصحابي وتعريفه وعلى من يطلق ،؟ ولا أظن ذلك .

بل لم يدر الجهلاء أن سورة التوبة فيها أيضا قسط كبير للثناء على الصحابة وإظهار فضلهم ومحامدهم ، اقرأ قوله تعالى : لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ

---

[88] أنظر الآيات القرآنية : {الفتح: 18-29/19}. {آل عمران: 110}. {التوبة: 88-89}. {التوبة:100}. {التوبة:117} {الكهف: 28}. {الحشر:8-9}.

الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (88)... وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ {التوبة:100} وقوله جل شأنه : لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ {التوبة:117}.

فمن يخاطب ربنا سبحانه في السورة إذن إذا كانت فاضحة للصحابة ،؟ ومن الذي يأمره الله سبحانه بقوله : قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ .. قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآَخِرِ.. لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا .. الآيات ؟ ومنهم ومنهم .. ومنهم .. الخ . بل إن الكاتب لو كان يحسن قراءة القرآن ولو كان يريد الحقيقة والصواب لقرأ السورة نفسها ، قبل أن يُقول القرآن ما لم يقله ، ويكذب على الله ، ويجادل بغير علم ولا هدى ، فلو قرأ هذه الآية وحدها لكفت (لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ () إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ {التوبة:(45) فبربك اشرح لي هذين الآيتين وعلى ماذا تعود ضمائر الخطاب فيها إن كانت السورة تفضح الصحابة فمن المخاطب في الآية إذا ؟ (وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (التوبة56)

أليس من الجهل والخبال ، والسفه والضلال ، أن يعتمد الكاتب في الإستدلال لادعائه بما يناقضه وينسفه ، وأنى له أن يجد في القرآن ما يؤيد دعواه أو يقوي مسعاه ، فمن حفظ الله للقرآن ، صونه من تلاعب المضللين وتأويل المبطلين ،

إن جرم الطعن في الصحابة رضوان الله عليهم واتهامهم وتنقيصهم ، الذي ملأ به الكاتب صفحاته ، لا يزيد الكاتب علما وشهرة ، ولا ينقص الإسلام شرفا ومهابة ، وظن بالصحابة طعن في الدين كله، وهل جاءنا الدين إلا عن طريقهم؟! وهل وصول الإسلام إلينا إلا ثمرة من ثمار دعوتهم وجهادهم؟!

ومن هنا كان قول أهل السنة والجماعة، أن من ادعى وجود التحريف في القرآن فهو كافر، ومن قال قولاً يفضي إلى تضليل الأمة فهو كافر.

أخيرا نبين أن للسورة أسماء عديدة منها: براءة ، التوبة ، المقشقشة ، المبعثرة ، المشردة ، المخزية ، الفاضحة ، المثيرة ، الحافرة ، المنكلة ، المدمدمة ، لأن فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق أي تبرىء منه ، وتبعثر عن أسرار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها ، وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم عليهم . أقول : عن المنافقين لا عن الصحابة !!

أهملوا دفن الرسول

أما وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وما حدث يومه فهو معروف لدى الصغير والكبير من المسلمين ولم يذكر أو يشر أحد من السابقين أن سبب تأخير دفن الرسول ﷺ هو نزاع الصحابة وخلافهم ، بل تأخير دفن الرسول ﷺ يعود لأسباب منها: أولا: الصدمة وعدم استساغة المصيبة وتصديقها،
ثم بعد أن خطب أبو بكر رضي الله عنه بخطبته الشهيرة ، وأيقنوا أن الرسول مات ، أوقفهم التفكير في كيفية غسله ، وموضع دفنه، فاختلفوا أيضا أين يدفن ؟ ، فمنهم من قال : في مسجده . ومنهم من قال : في (البقيع) حيث دفن ابنه إبراهيم وأصحابه ، ومنهم من قال : يحمل إلى (القدس) عند قبر أبيه إبراهيم عليه السلام . حتى أزال الشك الصديق أيضا رضي الله عنه ، فقال سمعت رسول الله [ﷺ] يقول : **' ما دفن نبي إلا حيث يموت '** .([89])

ثالثا ، ومن الحاجات التي ربما تكون قد دعت إلى ذلك التأخير ، حرص جميع الصحابة رضوان الله عليهم على الصلاة عليه ، فقد صلى عليه جميع الناس ، الرجال والنساء والصبيان ، خلال اليوم الواحد ، صلوا أرسالا – أي جماعات متفرقين –، لم يؤمهم إمام واحد ، وإنما كان يدخل الجمع منهم حجرته الشريفة عليه الصلاة والسلام فيصلون عليه فرادى ، وهذا لا بد أن يستغرق كثيرا من الوقت كي يدرك الجميع هذه الفضيلة .
جاء في " موطأ مالك " (231/1) : " أنه بلغه أنه صلى الناس عليه أفذاذا لا يؤمهم أحد " اهـ.
وعن سعيد بن المسيب قال : لما توفي رسول الله ﷺ وضع على سريره , فكان الناس يدخلون زمرا زمرا يصلون عليه ويخرجون ولم يؤمهم أحد .[90]
إذن فقد كان اختلافهم في شأن غسله ﷺ ، ومن يغسله ، وأين يدفن ، والصلاة عليه ، كل ذلك مما يستغرق كثيرا من الوقت ، ويدعو إلى بعض التأخر .
ومنها رابعا : تجهيز رسول الله ﷺ ودفنه
ومنها خامسا : الاهتمام بجمع شمل الأمة وحمايتها من التفرق المؤذن بذهابها. فقد بايع المسلمون أبا بكر بالخلافة، في سقيفة بني ساعدة، حتى لا يجد الشيطان سبيلاً إلى تفريق كلمتهم، وتمزيق شملهم، ولا تلعب الأهواء بقلوبهم، وليفارق رسول الله ﷺ هذه الدنيا وكلمة المسلمين واحدة، وشملهم منتظم، وعليهم أمير يتولى أمورهم،
قال سعيد بن زيد : بايعوا الصديق يوم مات النبى ﷺ كرهوا بقاء بعض يوم وليسوا فى جماعة .

---

[89] ـ أخرجه مالك في ' الموطأ ' ، وابن ماجه في (السنن) .
[90] ـ رواه ابن أبي شيبة في " المصنف " (430/7)

إذن فقد كان موته ﷺ أمراً عظيماً وحدثا مفجعا ، دهش له الناس، وطاشت قلوبهم، فمنهم من خُبل، ومنهم من أصمت، ومنهم من أقعد إلى الأرض ، وكـــان ممن أخرس عثمان رضي الله عنـــه، حتـــى جعل يذهب به ويجاء، ولا يستطيع كلاماً، وكان ممن أقعد علي رضي الله عنه، فلم يـــستطع حراكـــاً، وأما عبد الله بن أنيس فأضني حتى مات كمدا .. !والمصيبة إذا عظمت أذهلت ، وقد قال أبو سعيد : ما نفضنا أيدينا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا.

فكيف يقال بعد ذلك (أهملوا دفنه)، وهل يمكن لهؤلاء الصحب أن يدفنوا _بسهولة_ قـــدوتهم ونـــور عينهم وأحب الناس إليهم عقب وفاته ببرودة وسهولة ؟! ولهذا استغربت فاطمة دفن أبيها وحثي التراب عليه ، فقالت رضي الله عنها لأنس بن مالك: أطابت أنفـــسكم أن تحثـــوا علـــى رســـول الله ﷺ التراب؟!

قال الزرقاني رحمه الله : " إنما أخروا دفنه لاختلافهم في موته أو في محل دفنه ، أو لاشتغالهم فـــي أمر البيعة بالخلافة حتى استقر الأمر على الصديق ، ولدهشتهم من ذلك الأمر الهائل الذي ما وقع قبله ولا بعده مثله ، فصار بعضهم كجسد بلا روح ، وبعضهم عاجزا عن النطق ، وبعضهم عن المشي ، أو لخوف هجوم عدو ، أو لصلاة جم غفير عليه " انتهى من " شرح الموطأ " (94/2)

كم استـغرق الصحابة لدفن الرسول

ومع هذه الأسباب والأحداث المتنوعة التي ذكرناها ؛ فإن الأمر كله لم يستغرق سوى شيء يسير من نهار الاثنين ، وليلة الثلاثاء ونهاره ، ثم دفن عليه الصلاة والسلام وسط ليلة الأربعاء ، أي إن الأمـــر كله لم يستغرق أكثر من (34) ساعة في أعلى تقدير ، وهذا وقت ليس بالطويـــل ، ولا يكـــاد يكفـــي لتحقيق جميع الأسباب والأمور السالفة .

فكيف إذا علمنا أن كثيرا من المحدثين قالوا إنه عليه الصلاة والسلام توفي يوم الإثنين، ودفـــن يـــوم الثلاثاء ، وليس ليلة الأربعاء ، فهذا يوم وليلة فقط وليس ثلاثة أيام كما يدعي الكاتب .

فقد اختلف المحدثون والمؤرخون في اليوم الذي دفن فيه النبي ﷺ ، وذلك على قولين :

القول الأول : أنه دفن ليلة الأربعاء ، وهو الذي عليه الأكثرون ، واستدلوا لذلك بما روي عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : (تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ ، وَدُفِنَ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ) [91]

وقال المحققون في: إسناده محتمل للتحسين . وذكروا متابعاته التي يحسن لأجلها .

[91] رواه أحمد في " المسند " (300/41)

قال ابن كثير رحمه الله – بعد أن ذكر القول الثاني في دفنه عليه الصلاة والسلام يوم الثلاثــاء – : " هو قول غريب ، والمشهور عن الجمهور ما أسلفناه من أنه عليه الصلاة والسلام توفي يوم الاثنــين ، ودفن ليلة الأربعاء " انتهى من " البداية والنهاية " (292/5)

القول الثاني : أنه دفن يوم الثلاثاء ، وقد وردت بذلك مجموعة من الأدلة والآثار ، حتى قال ابن عبــد البر رحمه الله : " أكثر الآثار على أنه دفن يوم الثلاثاء ، وهو قول أكثر أهل الأخبار " انتهى مــن " الاستذكار " (56/3)

وجاء في " موطأ مالك " (231/1) : " أنه بلغه أن رسول الله ﷺ توفي يوم الاثنين ، ودفــن يــوم الثلاثاء ، وصلى الناس عليه أفذاذا لا يؤمهم أحد " انتهى.

وروى ابن أبي شيبة في " المصنف " (430/7) عن سعيد بن المسيب قال : " لما تــوفي رســول الله ﷺ وضع على سريره , فكان الناس يدخلون زمرا زمرا يصلون عليه ويخرجون ولم يؤمهم أحد , وتوفي يوم الإثنين , ودفن يوم الثلاثاء " انتهى.

وروى الترمذي في " الشمائل المحمدية " (ص/336) عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ : " تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ ، وَدُفِنَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ . قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ " انتهى.

وفي " شرح السنة " للبغوي (49/14): " قال عروة : توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين ، ودفن في آخر الليل من ليلة الثلاثاء ، أو مع الصبح ، " انتهى.

وروى البيهقي في " دلائل النبوة " (7/ 256) عن الأوزاعي قال : " توفي رســول الله ﷺ يــوم الإثنين في شهر ربيع الأول قبل أن ينتصف النهار ، ودفن يوم الثلاثاء " انتهى.

وروى البيهقي أيضا في " دلائل النبوة " (256/7) عن ابن جريج قال : أُخبرت أن النبي ﷺ مات في الضحى يوم الاثنين ، ودفن الغد في الضحى .

وعبارة الكاتب تثير الإشمئزاز والإستهجان ، أولا لأنها كلها كذب وإفك وبهتان ، وثانيا لأنها تدل مما تدل عليه على براكين من الحقد والضغينة المبيتة ، أفهكذا يكون البحث ، يا سيادة الباحث ؟

أما الكذب فمن عدة وجوه :

1 لأنه لم يرد في كتب الحديث شيء من ذلك فأين الدليل أن جسده تحلل وتعفن ؟ ! لا يوجد دليل صحيح واحد على ذلك ؛ لا من القرآن ولا من السنة ولا من أقوالِ الصحابةِ رضي الله عنهم، وإنما يوجد عكس ما تدعيه ؛!! جاء عن النبيِّ أنه قال " إن اللهَ حرم على الأرضِ أن تأكل أجسادَ الأنبياءِ ."[92]

[92] - رواه أبو داود 1047 ، وابن ماجه 1085 ، وهو في السلسلة الصحيحة 1527 للإمام الألباني،

2 لأن انتفاخ البطن ونتن الريحة مما ينزه في حق الرسول ويستحيل في حقه ، وشـــهادة الـــصحابة رضوان الله عليهم على عكـــس ادعائـــك ، **حدث وكيع عن ابن أبي خالد عن البهي : أن أبا بكر جاء إلى النبي ﷺ بعد وفاته، فأكب عليه، فقبله، وقال : بأبي أنت وأمي، ما أطيب حياتك، وما أطيب ميتتك .**

(قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : غسلت رسول الله فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئا ، وكان طيبا ـ ﷺ ـ حيا وميتا .[93]

وقد وقفت على أثر منسوب لـــ وكيع يدعي فيه ذلك ولكنه لا أصـــل لـــه ، قال البهي : وكان النبي ﷺ ترك يوما وليلة حتى ربا بطنه وانثنـــت خنـــصره . ولما حدث وكيع بهذا الحديث بمكة اجتمعت قريش، وأرادوا صلبه، ونصبوا خشبة ليصلبوه، فجاء سفيان بن عيينة، فقال : الله، الله، هذا فقيه أهل العراق، وابن فقيهه، وهذا حديث معروف . ثم قال ابن عيينة : **لم أكن سمعت هذا الحديث إلا أني أردت تخليصه .**[94]

وقد اعترف مختلقو هذا الخبر ومن رواه بدواعي وضع الخبر ، ولكنه رغم حسن نيـــتهم مرفـــوض ، فإن وكيعاً حين روى هذا رأى له حكمة ، و قال أن الله تعالى جعل الجسد الشريف يربوا حتى لا يفتتن به الناس و ينزلوه غير منزلته ، و حتى يثبت للمكذبين بموت رسول الله حقيقة وقوع القدر المقدور ،
وحتي يثبت الله للناس ولعمر بن الخطاب أن الرسول مات فيتركهم يدفنوه
ورغم وجاهة السبب الذي ذكره وكيع ليبرر ذلك إلا أن القول الفصل بخصوص روايتـــه أنهـــا غيـــر صحيحة ولم يثبت في حق رسول الله فهو حديث منكر منقطع لا حجة به ولا يلتفت إليه فالبهي هذا لم يدرك الصحابة ولم يسمع منهم ، بل إن الأئمة الكبار في زمن وكيع أنكروا هذا الحديث ،
3 _ الروايات كما سبق مجمعة على يوم وليلة ، وليس ثلاثة أيام كما يدعي الغويلم ، فالحق الحق والإنصاف الإنصاف يا مدعي البحث ، فما هذا من شيم أرباب الفكر والتنوير ، والكـــذب والإدعـــاء الباطل ، سلاح من لا علم ولا مبدأ له ،

فلم يتردد الكاتب في إطلاق نعوت وعبارات القدح لهذا الحدث الجلل ، لأن كل همه هو الطعـــن فـــي صحابة رسول الله ﷺ والنيل منهم ، وهم أحب الخلق إلى الله وإلى رسوله ،
فإذا كانت النقول الأخيرة التي سردتها على عجالة ، هي التي تجعلك _أيها الكاتب_ تتـــساءل ، عـــن الكتاب ومؤلفه ومن هو ؟ الخ فلك الحق أن تتساءل ولتبق على حيرتك وتشكيكك حتى تقضى نحبك ، أما نحن فقد فصلنا القول في كل حروفك ، ودمغنا أباطيلك ، والمسائل لم يعد فيها أي شـــك أو ريـــب لأولي الألباب ولكل المنصفين .

---

[93] - المستدرك على الصحيحين - كتاب الجنائز / 1339 85

[94] - { الراوي: عبدالله البهي مولى مصعب بن الزبير - خلاصة الدرجة: منكر منقطع الإسناد -: الذهبي - : سير أعلام النبلاء - الصفحة أو الرقم 160/9 }

الفصل الثاني

شبهات حول سيد البرية وخير الأنام

هل الرسول ينسى ؟

محاولة من الكاتب مرة أخرى إثبات أن السنة مناقضة للقرآن ، وسعيا منه إلى ضرب بعضهما ببعض أورد حديث النسيان الذي يقول فيه ﷺ (**يَرْحَمُهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً ، أَسْقَطْتُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا**) والحديث بهذا اللفظ لا اللفظ الذي ذكره الكاتب ،

وكون النبي ﷺ كان ينسى ثبت في أحاديث أخرى عن أُبَي بن كعب وعبد الله بن عباس وآثار عن ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم . ووقوع النسيان من النبي يكون على قسمين:

الأول: وقوع النسيان منه فيما ليس هو مأمورا فيه بالبلاغ مثل الأمور العادية و الحياتية فهذا جائز مطلقا لما جبل عليه من الطبيعة البشرية.

والثاني: وقوع النسيان منه فيما هو مأمور فيه بالبلاغ وهذا جائز بشرطين :

الشرط الأول: أن يقع منه النسيان بعد ما يقع منه تبليغه، وأما قبل تبليغه فلا يجوز عليه فيه النسيان أصلا ، الشرط الثاني: أن لا يستمر على نسيانه، بل يحصل له تذكرة إما بنفسه، وإما بغيره

وقال القاضي عياض رحمه الله: بجواز النسيان عليه ابتداء فيما ليس هو مأمور فيه بالبلاغ واختلفوا فيما هو مأمور فيه بالبلاغ والتعليم، و من ذهب إلى الإجازة قال: لا بد أن يتذكره أو يذكره به أحد

قال الإسماعيلي النسيان من النبي لشيء من القرآن يكون على قسمين:

أحدهما: نسيانه الذي يتذكره عن قرب، وذلك قائم بالطباع البشرية، وعليه يدل قوله في حديث ابن مسعود في السهو: **(إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون)**

وهذا القسم سريع الزوال، لظاهر قوله تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر9)

والثاني: أن يرفعه الله عن قلبه لنسخ تلاوته، وهو المشار إليه في قوله تعالى (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) الأعلى) وهذا القسم مشار إليه في قوله (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا) البقرة .

إذن فالنبي ﷺ ينسى ولكنه لم يكن ينسى نسياناً كليًّا، بل كان يذكر ما ينساه، ذكر ذلك القرطبي في تفسيره عن ابن عباس وقتادة ، وقال أيضاً أنه لم ينسَ شيئاً من القرآن بعد نزول هذه الآية عليه (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) الأعلى، ولكن اختلف أهل التفسير في معنى النسيان وفي الاستثناء، فمنهم من قال: النسيان على ظاهره بمعنى عدم الذكر، ومنهم من قال: النسيان معناه ترك العمل، أو معناه النسخ.

ولكن الطبري يرحمه الله لم يرجح هذا القول، بل رجح أن الإنشاء يكون بمشيئة الله له وهو مختص بالنسخ والرفع، قال في تفسيره (154/30): والقول الذي هو أولى بالصواب عندي قول من قال: فَلا تَنْسَى : فلا تنسى إلا أن نشاء نحن أن ننسيكه بنسخه ورفعه.

وخلاصة القول أن النبي ﷺ كان نادراً ما ينسى القرآن، ونسيانه بحكم أنه بشر كما قال: **إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون)**. متفق عليه.

ولكنه كان يذكر ما ينساه، وأنه لم ينس قط بعد أن أنزل الله عليه الآية الكريمة: (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى* إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) إلا ما شاء الله نسخه من القرآن نسخ تلاوة وحكم، حيث لم يعد مطلوباً منه حفظه ولا العمل به.

فهذا ليس قدحا في الرسول ولا في عقله وشريعته ، فإنه يعتريه ما يعتري غيره من البشر ، فقد نام عن صلاة الفجر مرة ، وتغافل عن صلاة العصر ، ونقص في عدد ركعات الصلاة ، وأصابه سحر كما أصابه سم ، وضرب حتى أدميت قدماه ، فهل نكذب كل هذه الروايات ونردها لنثبت أن رسولنا ليس كغيره من البشر ؟! وليس بعزيز على الله أن يجنبه ذلك ويبعده عنه ، ولكن لحكمة بالغة ،

غير أن نسيانه غير مؤثر على الشريعة ولا على القرآن ، فيمكن أن ينسيه الله آية أو بعض الآيات ، بل سورة _ إلى الأبد إن شاء، ويجوز أن ينسيه إياها لفترة ولكن يذكره بها فيما بعد ،

وجبريل عليه السلام _كان_ يعارضه القرآن مرة في العام وفي عامه الأخير له ﷺ عارضه[95] القرآن مرتين كما جاء في الحديث[96] ، بل كان ﷺ يعرض القرآن على أبي بن كعب ، ويطلب من بعض الصحابة القراءة ويستمع هو ﷺ فلا ينبغي أن ننسب لنبينا خوارق العادات ، وما أتي أتباع الأنبياء الضالون إلا من هذا الباب ،

---

[95] - يعارضه : يُدَارِسُه جميعَ ما نَزَل من القرآن، مِن المُعَارَضة : المُقابلة

[96] - الحديث : إن جبريل كان يعارضنى القرآن فى كل سنة مرة وإنه عارضنى العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلى وإنك أول أهل بيتى لحاقًا بى فاتقى الله واصبرى فإنه نعم السلف أنا لك (البخارى ، ومسلم ، وابن ماجه عن عائشة عن فاطمة) أخرجه البخارى (1326/3 ، رقم 3426) ، ومسلم (1905/4 ، رقم 2450) وابن ماجه (518/1 ، رقم 1621) . وأخرجه أيضًا : أحمد (282/6 ، رقم 26456) ، والطبرانى (418/22 ، رقم 1032) .

هل في إثبات سحره ﷺ إساءة أو تنقيص؟!

أول دليل استدل به هذا البئيس، مما يزعم أنه موضوع لأنه يسئ إلى النبي ﷺ ، هو حديث سحر اليهودي لبيد بن الأعصم للنبي ﷺ

وقد سبق أن وضحنا في معرض الإشارة إلى سياسته في التزوير والتلفيق والكذب على الخصوم ، بينا كذبه في وصفه للنبي ﷺ بالهذيان في حديث السحر ، فعائشة قَالَتْ: **حَتّىَ كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُخَيّلُ إِلَيْهِ أَنّهُ يَفْعَلُ الشّيْءَ، وَمَا يَفْعَلُهُ..)** أما الكاتب فقد حرف الكلام وزور المعنى لتوافق هواه وتؤيد مسعاه ، وقال "اعتقدوا أن رسول الله كان يتخيل أنه يقوم بالعمل ولم يقم به .... وذلك من الهذيان، وهاته الإساءة من الإساءات التي لم يتورع من ألف هذا الكتاب عن تدوينها فيه"154)

فهذا تزوير للحديث وللغة وتحريف للقرآن ، ففي الحديث كما رأيتم يخيل إليه والكاتب علق عليها بقوله يهذي من الهذيان ، وما بين التخييل والهذيان مابين المشرق والمغرب ، فالهذيان من هذى يَهْذِي هَذَياناً ،الهَذَيانُ كلام غير معقول مثل كلام المبرسم والمعتوه كما في العين ، وفي لسان العرب : تكلم بكلام غير معقول في مرض أَو غيره وهَذى إِذا هذَرَ بكلام لا يفهم) فأين التخييل الذي في الحديث من الهذيان الذي يدعيه ؟ وهل في الحديث ما يشبه مثل هذا ؟ وإذا كان هذا يعتبر هذيانا فهل نبي الله موسى عليه السلام يهذي أيضا عندما رأى حبال وعصي السحرة كما قال تعالى **(يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى)** طه.

والكاتب أمعن في تنقيص الرسول أو تضعيف الحديث رغم أنف اللغويين والمحدثين ، لأنه كما أسلفنا يضع تصورا وقناعة ثم يحاول تثبيتها ولو بتكلف في الأدلة واختلاق الأسباب ، وعنوانه العريض: **(الرسول يسحر فيهذي)** كافل بصدق ما قلناه .

ونقول: أولا إن حديث سحر النبي ﷺ حديث صحيح، فقد رواه البخاري ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث، وتلقاه أهل السنَّة والجماعة بالقبول ولم يروا فيه إساءة للنبي ﷺ ولا تعارضا مع القرآن وصحيح السنة النبوية.

ثانيا : قال ابن القيم : أما كونه يخيَّل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله: فليس في هذا ما يُدخل عليه داخلة في شيء من صدقه؛ لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا، وإنما هذا فيما يجوز أن يطرأ عليه في أمر دنياه التي لم يُبعث لسببها، ولا فُضّل من أجلها، وهو فيها عُرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أنه يخيَّل إليه مِن أمورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان" انتهى. "[97]

[97] - زاد المعاد" (124/4).

قال القاضي عياض رحمه الله : فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على تمييزه ومعتقده .

وأنقل هاهنا كلاما لبعض الأئمة يوضح بجلاء بأن هذا الحديث لـيس فيـه منقـصة للنبـي ﷺ ، والإشكال الذي تصوره فيه بعض الناس لا وزن له في ميزان العلم والشرع.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : " قال المازري : أنكر المبتدعة هذا الحديث ، وزعموا أنـه يحـط منصب النبوة ويشكك فيها , قالوا : وكل ما أدَّى إلى ذلك فهو باطل , وزعموا أن تجويز هـذا يعـدم الثقة بما شرعه من الشرائع إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثَمَّ (هناك) , وأنه يوحي إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء , قال المازري : وهذا كله مردود ؛ لأن الدليل قد قام على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليـغ , والمعجـزات شاهدات بتصديقه , فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل ،

قال المهلب : " صون النبي ﷺ من الشياطين لا يمنع إرادتهم كيده ، ففي الصحيح أن شـيطاناً أراد أن يفسد عليه صلاته فأمكنه الله منه، فكذلك السحر، ما ناله من ضرره لا يدخل نقصا على ما يتعلـق بالتبليغ، بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض من ضعف عن الكلام، أو عجز عن بعض الفعل، أو حدوث تخيل لا يستمر، بل يزول ويبطل الله كيد الشياطين" اهـ.[98]

وقال ابن القيم رحمه الله: "قد أنكر هذا طائفة من الناس، وقالوا: لا يجوز هذا عليـه، وظنُّـوه نقـصاً وعيباً، وليس الأمر كما زعموا، بل هو من جنس ما كان يعتريه من الأسقام والأوجاع، وهو مـرض من الأمراض، وإصابته به كإصابته بالسم لا فرق بينهما، وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضـي الله عنها أنها قالت: (سُحِر رسول الله حتى إن كان ليخيَّل إليه أنه يأتي نساءه ولم يأتهن، وذلك أشد ما يكون من السحر) قال القاضي عياض: والسحر مرض من الأمراض، وعارض من العلل، يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا يُنكر، ولا يَقدح في نبوته.[99]

من خلال هذا وغيره كثير نعلم بأن العلماء لا يرون في هذا الحديث إساءة للنبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ السحر لا تأثير له على تبليغه للرسالة والوحي، فتعرضه للسحر لم يؤثر في قواه العقلية أو صـفته الشرعية ، وإنما أثر في نوع من نشاطه البدني الخاص به .

ثالثا : وأما ابتلاؤه ﷺ بمثل هذا وإصابته بالسحر ففيه حكم عديدة لا تـدركها العقـول العلمانيـة المنتكسة ، فإصابته بالسحر من دلائل كونه بشرا يعتريه ما يعتري الناس، وهذا يصد ضعاف العقـول

---

[98] ـ انظر : "فتح الباري" (226/10، 227)

[99] ـ انظر : "زاد المعاد" (124/4) .

والإيمان عن إطرائه ﷺ بما يخرجه عن بشريته، أو يضفي عليه صفات الألوهية كما فعل بإخوانه من الأنبياء عليهم السلام.
ومن الحكم كذلك رفع درجة النبي ﷺ ، ومضاعفة أجره لما يقدره الله عليه من أنواع البلاء.
ومن الحكم كذلك بيان جواز وقوع السحر، وأن له حقيقة لا كما يدعي المنكرون، ومن الحكم أيضا بيان أن ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء ولو كان سحرا؛ وهذا الحديث يبعث الرجاء والأمل في قلب كل مسحور، ويبعد عنه القنوط من شفاء الله له، ويحفزه لطلب الشفاء، ومن الحكم تعليم الأمة أن الرقية تنفع في فك السحر، وقد ذكر العلماء أن سحره من أسباب نزول المعوذتين، وأنه ﷺ رقى بهما، وهذا من أهم الحكم فقد كانت تعرض للنبي ﷺ أمور كثيرة مرتبطة ببشريته ليشرع للأمة – بوحي من الله طبعا– ما يلزمها فعله حيال هذه العوارض، وهذا هو مقتضى الشرع والعقل، فالذي يشرع للبشرية لا بد أن يراعي بشريتهم بكل عوارضها الظاهرة والباطنة.
ومن الحكم كذلك ابتلاء الناس بهذا وفتنتهم به، وقد كانت تعرض للنبي ﷺ أمور كثيرة امتحن بها الناس، فتزعزع من في قلبه زيغ وثبت من رسخ الإيمان بقلبه، ولا زالت هذه العوارض فتنة للناس إلى يوم القيامة فهي وقود للشبه التي تشربها كثير من المفتونين من أمثال هذا الكاتب.

وإذا سلمنا بكون الكاتب من القرآنيين وحاشاه ، فسنأتيه بدليل آخر من القرآن إضافة إلى ما سبق ذكره من قصة موسى مع السحرة في آية طه ، لنبين أن القرآن يثبت أن الأنبياء أيضا يعتريهم ما يعتري غيرهم ، وأنهم ليسوا معصومين من وسوسة الشياطين ، غير أن الله يكشفه عنهم ويدفعه عنهم ،
يقول الله عز وجل في محكم التنزيل: (**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم**) [الحج 52].
يقول البغوي رحمه الله: "أكثر المفسرين قالوا: معنى قوله: (تمنى) أي: تلا وقرأ كتاب الله تعالى. "ألقى الشيطان في أمنيته" أي: في تلاوته، وأنا أقول [100] لئن جاز أن يلقي الشيطان في شيء من الوحي ما يأذن الله به –وهذا محاولة من الشيطان للتسلط على الأنبياء بلا شك– ثم ينسخ الله ما يلقي الشيطان وينفيه عن وحيه ويحكم آياته، فجواز تسلط الشيطان على ما هو دون الوحي من أحوال الأنبياء من باب أولى، ثم ينسخه الله هو الآخر ويدفعه عن أنبيائه وله في كل ذلك حكم بالغة.
فيظهر مما سبق أن سحر النبي ﷺ ووروده في الصحيحين شبهة باردة، ولا حجة فيها لعلماني ولا لغيره للطعن والقول بأن فيهما موضوعات.

---
[100] - عن مقال للشيخ : رضوان نافع (المشكل ليس في البخاري ومسلم إنما في العقل العلماني المتكلس)

شبهة محاولة الإنتحار

أصل الحديث في (صحيح البخاري) – مع فتح الباري برقم (6982) ، كتاب : التعبيــر ؛ بــاب : أول ما بديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة : حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليــث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ؛ ح؛ وحدثني عبد الله بن محمد ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، قــال الزهري : فأخبرني عروة ، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : فذكرت حديثاً طويلاً فيــه بيــان كيفية نزول الوحي في بدايته على رسولنا محمد ﷺ ، وفيه قول الزهري رحمه الله : (حتى حزن النبي ﷺ – فيما بلغنا – حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال ..)

أولا : بلاغ الزهري هذا حكمه الضعف سنداً ؛ لأنه سقط من إسناده اثنان علــى الأقــل ، وبلاغــات الزهري ليست بشيء كما هو الحال في مرسلاته ؛ فهي شبه الريح – أي لا أساس لها فهــي بمنزلــة الريح لا تثبت – فقد قال يحيى القطان :(مرسل الزهري شر من مرسل غيره ؛ لأنه حافظ ، وكلمــا يقدر أن يسمي سمى ؛ وإنما يترك من لا يستجيز أن يسميه !) ([101]) فإذا كان هذا حــال المرســل ؛ فكيف يكون حال البلاغ ؟

أما رواية ابن مردويه التي ذكرها الحافظ في (فتح الباري) 12 / 359– ، وأنها من طريق محمــد بن كثير ، عن معمر بإسقاط قوله : (فيما بلغنا) فتصير الرواية كلها من الحديث الأصلي ؛ أقــول : هذه الرواية ضعيفة أيضاً لا يحتج بها ؛ لأن محمد بن كثير هذا هو المصيصي ، وهو كثير الغلط كما في (التقريب 6291) وأما رواية ابن عباس رضي الله عنهما عند الطبري في (التاريخ) 300/2 ، والتي ذكرها ابن حجر في (الفتح 12 /361) ؛ فإنها واهية جداً بل موضوعة ، فالحمل فيهــا علــى محمد بن حميد الرازي ، وهو متهم بالكذب – بل كذبه صراحة بلديه أبو زرعة الرازي ، وهو أعرف به من غيره – فلا قيمة لروايته أصلاً ؛ وقد روى ابن إسحاق في (السيرة) كما في (ســيرة ابــن هشام) 1 / 267 – 270 ؛ حديث ابن عباس هذا ، وليس فيه زيادة ابن حميد الكذاب !!

والخلاصة : لقد تبين لي بحمد الله تعالى أن رواية إقدامه عليه الصلاة والسلام على الانتحــار مــن رؤوس الجبال ضعيفة سنداً ، باطلة متناً ؛ فالرسول ﷺ أرفع قدراً ، وأجل مكانة ، وأكثر ثباتاً من أن يقدم على الانتحار بسبب فترة الوحي وانقطاعه عنه . أ.هــ

إذا ، هذا ليس من المتن. فالزيادة ليست مسندة، وإنما علقها البخاري من قول الزهري، وغالب روايته عن تابعين. ومن المتفق عليه أن مرسل الزهري ضعيف لأنه يرسل عن متروكين. والبخاري أخــرج

[101] ـ انظر (شرح علل الترمذي) لابن رجب 1 / 284

هذا الحديث في عدة مواضع –كما ذكر– بدون هذه الزيادة. فكأنه أشار إلى بطلانها. ثم إنها ليست من الحديث، وإنما معلقة. وليست كل المعلقات صحيحة.

قال الألباني : هذا العزو للبخاري خطأ فاحش ذلك لأنه يوهم أن قصة التردي هذه صحيحة على شرط البخاري وليس كذلك وبيانه أن البخاري أخرجها في آخر حديث عائشة في بدء الـوحي) وهـو عنـد البخاري في أول (التعبير) (297/12 – 304 فتح) من طريق معمر : قال الزهـري : فـأخبرني عروة عن عائشة . . . فساق الحديث إلى قوله : (وفتر الوحي) وزاد الزهري : (حتى حزن النبي ﷺ – فيما بلغنا – حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما أوفى بـذروة جبل لكي يلقى منه نفسه تبدى له جبريل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقـر نفسه فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال لـه مثل ذلك) ..... إلى أن قال : قلت : ونستنتج مما سبق أن لهذه الزيادة علتين :

الأولى : تفرد معمر بها دون يونس وعقيل فهي شاذة .

الأخرى : أنها مرسلة معضلة فإن القائل : (فيما بلغنا) إنما هو الزهري كما هو ظاهر من الـسياق وبذلك جزم الحافظ في (الفتح) (302/12) وقال : (وهو من بلاغات الزهري وليس موصولا) ..واعلم أن هذه الزيادة لم تأت من طريق موصولة يحتج بها كما بينته في (سلسلة الأحاديث الضعيفة) برقم (4858) وأشرت إلى ذلك في التعليق على (مختصري لصحيح البخاري) يسر الله تمام طبعه[102]

ثم قال الألباني : وإذا عرفت عدم ثبوت هذه الزيادة فلنا الحق أن نقول إنها زيادة منكرة مـن حيـث المعنى لأنه لا يليق بالنبي ﷺ المعصوم أن يحاول قتل نفسه بالتردي من الجبل مهما كان الدافع له على ذلك وهو القائل : **(من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلـدا فيها أبدا)** أخرجه الشيخان وغيرهما وقد خرجته في (تخريج الحلال والحرام) برقم (447) أهـ

قال العيني في شرح البخاري : وهذا من بلاغات معمر ولم يسنده ولا ذكر راويه ولا أنـه قالـه ولا يعرف هذا من النبي ، أنظر السلسلة الضعيفة 1052 .اهـ

ويجدر بنا أن نقف مع القارئ عند كلمة (بلغنا) ليتأكد من نسبة الكلام وأصله ، فعائـشة التـي روت الحديث كانت مع النبي ﷺ تسأله ويجيبها تلازمه ويحدثها ، ولا يتصور منها أن تقول : بَلَغَنا.. ، بل الذي قال هذا كما أسلفنا هو الزهري وهو الظاهر ،

ومما يبيّن ضعف القصة : أن الرواية ذكرت أن سبب حزن النبي صلى الله عليـه وسـلم ومحاولتـه للانتحار ؛ إنما كان خوفاً من انقطاع الوحي والرسالة ، ولو كان هذا صحيحاً ، لكان ظهور جبريـل

---

[102] ـ دفاع عن الحديث النبوي والسيرة المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني (ص 40)

عليه السلام مرة واحدة وقوله : (إنك لرسول الله حقا) كافياً في تأكيد أنه مبعوث إلى العباد وتحقّق الاصطفاء له ، فلا معنى لأن يدخل الحزن في قلبه وأن يحاول الانتحار مرات ومرات – كما في رواية الزهري – .

ويؤكد د.عماد السيد الشربينى عدم صحة الزيادة الواردة في الحديث ، ويذكر مجموعة من الأدلة التي تثبت عدم صحتها ، ومنها :

– معارضتها لأصل من أصول الإسلام، وهو عصمة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بمعنى : حفظ الله ظواهرهم وبواطنهم، وتفكيرهم وخواطرهم، وسائراً أعمالهم، حفظاً كاملاً، فلا يقع منهم قط ما يشكك في نبوتهم ورسالاتهم، وهذا البلاغ المعمرى أو الزهرى، لم يبق لعصمة النبي ﷺ مكاناً في مدة الحزن اليائس التي تقول أقصوصة هذا البلاغ إنه ﷺ مكثها وهو يغدو مراراً كي يتردى من شواهق الجبال، ولاسيما على مذهب من يرى أن مدة فترة الوحي – وهى مدة الحزن اليائس – قد طالت إلى ثلاث سنوات، أو سنتين ونصف سنة، أو ستة أشهر، وفى هذا البلاغ الضعيف تصريح بأن صاحبه يذهب مذهب من يرى طول مدة فترة الوحي ، لأن ما ذكر فيه من الغدو مراراً لكي يلقى بنفسه من ذرا الشواهق يقتضى طول المدة، ولاسيما مع تمثل جبريل له وقوله : أنا جبريل، وأنت رسول الله حقاً، أكثر من مرة.

– يتعارض هذا البلاغ مع ما يجب أن يكون عليه النبي ﷺ من رسوخ الإيمان بنبوته، وكمال اليقين برسالته، ولا شك أن ما جاء في هذا البلاغ، من تبدى جبريل عليه السلام للنبي ﷺ كلما أوفى بذروة جبل لكي يلقى منها نفسه، وقوله له : يا محمد : أنت رسول الله حقاً، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل عليه السلام، فقال مثل ذلك – يصور مدى ما بلغه ذلك الحزن اليائس – في زعم قائليه – من نفس النبي ﷺ حتى جعله يتشكك في تبدي جبريل له، وفى إخباره أنه رسول الله حقاً، فالنبي ﷺ – كما تصرح به عبارة هذا البلاغ – لم يكد يسكن جأشه لتبدى جبريل له وإخباره أنه رسول الله حقاً حتى يعود إلى عزيمته في إلقاء نفسه من ذرا شواهق الجبال، فيتبدى له جبريل مرة أخرى، ويقول له : يا محمد، أنت رسول الله حقاً.

فأين سكون جأشه الذي أحدثه في نفسه تبدى جبريل له، وإخباره أنه رسول الله حقاً؟.

وأين رسوخ إيمانه برسالة ربه التي شرفه بها قبل فترة الوحي، وأنزل عليه في أول مراتب وحيها في غار حراء قرآناً يتلى، حتى يعود عن عزيمته لإلقاء نفسه من ذرا شواهق الجبال إذا طالت عليه فترة الوحي؟!.

إن ما تضمنه هذا البلاغ الضعيف يشمل أمرين :
أحدهما : ظاهر محسوس، يمكن مشاهدته ، والحكم بوجوده أو عدم وجوده بمقتضى إمكان مشاهدته حساً.
ثانيهما : باطن محجوب في داخل النفس، لا يمكن معرفته إلا بإخبار صاحبه الذي دار في نفسه، أو إخبار من أظهرهم عليه بنقل ثابت عنه. فذهاب النبي ﷺ إلى أعالي الجبال وشواهقها التي ألف الصعود إليها في أزمان خلواته وتطلعاته للتفكر في عجائب آيات الله الكونية ، وبدائع ملكوته ، أمر محسوس ، يمكن الحكم عليه برؤيته ومشاهدته، ولا حرج في أن يكون النبي ﷺ قد حزن في فترة الوحي اشتياقاً لأنوار الشهود الروحاني الأعلى الذي كان يغمره في أوقات نزول الوحي، ونزول آيات القرآن المبين ، حزناً كان يغدو منه إلى ذرا الجبال التي كانت مأنس روحه، تطلعاً إلى آفاق أشواقه لشهود تجليات أمين الوحي جبريل عليه السلام الذي سبق له أن تجلى في آفاقها بصورته الملائكية الروحانية العالية.
... وكون هذا الذهاب إلى ذرا شواهق الجبال لقصد التردي منها ليقتل نفسه – كما هو نص عبارة البلاغ الضعيف – أمر باطن محجوب بأستار الضمير في حنايا النفس، لا يعلمه، ولا يطلع عليه إلا الله علام الغيوب، وإلا صاحبه الذي دار في حنايا نفسه، وعزم على تحقيقه عملياً، وإلا من يظهره عليه صاحبه العليم به، بأخبار منه إليه، وكل ذلك لم يثبت!.[103]

وكون النبي ﷺ يرتاد قمم الجبال أو الأماكن التي ظهر له فيها جبريل ، إنما هو لاشتياقه إليه ، وإلى رسالة ربه وليس لقصد التردي كما يدعي المتوهمون .

على أن هناك مؤشرات أخرى تدل على ضعف هذه القصة فمن تلك المؤشرات مارواه الإمام البخاري عن عروة أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي حدثته أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: [لقيت من قومك ما لقيت!! وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذا عرضت نفسي على ابن عبدياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت –فانطلقت وأنا مهموم– على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب –وهو المسمى بقرن المنازل– الحديث ..
فهنا ذكر النبي ﷺ أن أشد ما وقع عليه ، هو ذلك الأذى النفسي الحاصل من تكذيب أهل الطائف له ، حتى إنه بقي مهموماً حزيناً لم يستفق إلا وهو بعيد عن الطائف ، نعم ، إن حزن النبي ﷺ على فتور الوحي ثابت في نصوص أخرى ، غير أن حزنه ما كان ليبلغ حد الرغبة في إلقاء نفسه من علو ، وإلا لكان هذا أجدر بالذكر من حادثة الطائف المذكورة هنا .

---

103 - رد شبهات حول عصمة النبى ﷺ فى ضوء السنة النبوية الشريفة المؤلف : عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى ص224

قال بعض الشيوخ في جواب عن الشبهة ، وبعد أن بين ضعف الأسانيد الواردة في ذلك ثـم بـين أن هناك مؤشرات تدل على ضعف هذه القصة ، قال :

ومع هذا كله ، وبفرض صحة هذه القصة جدلا ، فليس فيها ما يعيب شخص النبي ﷺ أو يقدح فـي عصمته ، وبيان ذلك أنه قد همّ – على فرض صحة الرواية– بأن يلقي بنفسه ، والهمّ هنا لم ينتقل إلى مرحلة التنفيذ ، وذلك شبيهٌ بما حكاه الله تعالى عن يوسف عليه السلام في قوله : { ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه } ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة : " ولهذا لما لـم يذكر عن يوسف توبة في قصة امرأة العزيز ، دلّ على أن يوسف لم يذنب أصلا في تلك القـصة " .

وهذا كحديث النبي ﷺ : **(ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له واحدة أو يمحوها الله)** متفق عليه .

وأيضاً : فإن تحريم قتل النفس لم يكن نازلاً في شريعته ﷺ ، إذ القصّة في بداية أمـر الـوحي ، فكيف تكون تلك الحادثة – على فرض صحّتها – مدخلاً للطعن فيه ﷺ ؟ .

ثم نقول : إن العصمة متحققة في هذه الحالة ، ووجه ذلك أن الله سبحانه وتعالى صـرف عنـه هـذا السوء ، كما صرف عنه قبل مبعثه حصول التعري ، وشرب الخمر ، والجلوس مع فتيـان قـريش ، وسماع الغناء .. وغير ذلك مما هو مبثوث في السيرة .([104])

وإخراج البخاري لهذه اللفظة لا يلزم منه أنه يُحكم بصحتها؛ لأنه إذا أخرج الحديث، وأظهر علته (كما حصل هنا)، فإنه يكون قد أبرز ما يدل على عدم صحته، كما نبَّه على ذلك أهل العلم، فـي مـواطن متعددة من صحيح البخاري. وبذلك يزول الإشكال بأن القصة لا تصح أصلاً.

وهكذا يتبيّن لك أخي القاريء أن الحادثة المذكورة قد اجتمع فيها الشذوذ في السند ، والنكارة في المتن ، وأنها مستبعدة عقلا ، وأن هذه الشبهة ليس لها أدنى حظ من النظر ، فلا هي ثابتة سنداً ، ولا هـي صالحةٌ للطعن في من شهد له أعداؤه قبل محبيه بسمو أخلاقه ورجاحة عقله وطهارة روحـه ، فـلا معنى لأن تُتخذ مطعنا في النبي الكريم . والحمد لله أولا وآخرا .

[104] ـ منقول من موقع الشبكة الاسلامية

الرسول ﷺ أبعد عن البذاءة

من المعلوم أن الإسلام دين المكارم والمحاسن والأخلاق الحميدة ، ومن الأمور المقررة المسلمة ، نهي الإسلام عن كل ما يؤذي الآخرين في القول أو في الفعل ، فكما لا يجوز السب والشتم والقذف والإستهزاء والتنابز ونحوها ، كذلك لا يجوز التصريح بالفحش أواسم العورة ، إلا إذا كانت هناك ضرورة أو اقتضتها المصلحة مثل الحدود ، إذ لا ينفع في الحدود الكنايات والتلميحات أو التعريضات، أوعند منازلة الأعداء لإغاظتهم ، وفيما عدا ذلك لا يجوز النطق بفحش الكلام ، فالإسلام قد حث على الحياء، وعده جزءا من أخلاق المسلم ، وشعبة من شعب إيمانه ،

وقد كان النبي ﷺ شديد الحياء. وهو القائل ﷺ : **إن الله حيي يحب الحياء، وستير يحب الستر، فإذا اغتسل أحدكم فليتوار ...**) والقائل { **الْحَيَاءُ مِنْ الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَالْبَذَاءُ مِنْ الْجَفَاءِ وَالْجَفَاءُ مِنْ النَّارِ** } بيد أنه لا ينبغي أن يصل الحياء بالمسلم إلى حد الخجل والتعقيد الذي يمنع الشخص من ممارسة حياته الطبيعية، فكل شيء زاد عن حده انقلب إلى ضده. فهذا ليس هو الحياء المطلوب شرعاً ، فالمسلم مطالب بأن يمارس حياته بصورة طبيعية متحلياً بأخلاق الإسلام الفاضلة ليس بلعان ولا طعان ولا فاحش ولا بذيء...

ونبينا ﷺ ليس بفاحش ولا متفحش ولا طعان ولا لعان ولا سخاب كما جاء في نصوص التوراة ، وإذا عرض له موقف يستدعي التصريح وترك الحياء صرح بما يريد إيثاراً للمصلحة ودفعاً للمفسدة، والأحاديث التي ذكرت في الباب صحيحة جاءت في هذا السياق واستدعتها الظروف والمواقف ، والصراحة في ذلك الوقت هي عين الحكمة والمصلحة، وقد قيل: لكل مقام مقال.

وفي هذا المعنى يقول المتنبي: وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلا = مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

والحكاية جاءت في سياق لا يقبل الحشمة والخجل ، فالمقام مقام العدل والمحاكمة ،

ففي موقف ماعز وحديث رجمه هناك ضرورة اقتضت أن يصرح الرسول ﷺ باللفظ الصريح ولا يكني عنه وذلك لأن الرسول في مقام تطبيق حدٍ على معترف بالزنا فأراد النبي صلى الله عليه وسلم من ماعز ألا يعترف على نفسه إلا بفعل قد كان منه صراحة لا من أمر قريب منه أو بعيد.

فهذا الحديث الذي ذكره الكاتب _مدعيا أنه يتهم النبي بالفحش والبذاءة ورام من خلاله أن يثبت أن البخاري وحديثه مكذوب _حديث صحيح ثابت لدى البخاري (6824)، ومسلم (1691) وأحمد وأبوداوود وغيرهم من أهل الحديث، ونصه كما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **لما أتى ماعز بن مالك النبي ﷺ قال له: لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت، قال: لا، يا رسول الله، قال: أنكتها لا يكني، قال: فعند ذلك أمر برجمه .**

وهذا الحديث حجة في شفقة رسول الله ﷺ وأنه جاء رحمة للعالمين، فلقد أخذ يلقنه حجة يستر بها نفسه لينجو من الرجم، ولكن الرجل كان قوي الإيمان وشديد الخوف من ربه، ففضل أن يرجم تطهيرا لجسده وتعجيلا للعقوبة لينجو من عذاب الله يوم القيامة. وقد أمر النبي ﷺ من ابتلي بشيء من المعاصي بالستر على نفسه، قال: **أيها الناس قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله، فمن أصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله، فإنه من يبدي لنا صفحته نقم عليه كتاب الله .**

فقضية مثل هذه لا يحسن فيها الخجل والحياء ، بل تستوجب النطق الصحيح والقول الصريح، فالرجل جاء إلى النبي ﷺ فقال إني زنيت فطهرني فأعرض عنه فقال إني زنيت حتى كررها أربع مرات والرسول ﷺ يعرض عنه، ثم لقنه النبي ﷺ ما يسقط عنه الحد، فسأله أبك جنون،؟ هل أحصنت؟ هل شربت الخمر؟ لعلك قبلت، لعلك غمزت، ! حتَّى ذكر له ماعز أنه فعل الزنا باللفظ الصريح الَّذي لا شُبْهة فيه ، ثم لما لم يجد له مخرجاً أمر به ليرجم ، ولم يستعمل النبى ﷺ هذا اللفظ إلا هذه المرة وفي هذا الموضع لدرء الحدّ ، و لم تسمع هذه الكلمة من رسول الله من قبل هذه الحادثة ولا من بعد... لأن الأمر يتعلق بحياة إنسان ،

والحدود كما قلنا لا تقام بالكنايات فالنبي ﷺ لا يريد أن يترك مجالا لاحتمال التجوز ، فالتثبُّت في أمر الإقرار مطلوب ، قال ابن قدامة في المغني : يعتبر في صحة الإقرار أن يذكر حقيقة الفعل , لتزول الشبهة ; لأن الزنى يعبر عما ليس بموجب للحد .

والزنا إنما يثبت بأحد شيئين: بالبينة أو الإقرار . فإذا لم تكن بينة ولا إقرار أو كان فيهما نوع غموض أوشبهة وجب درء الحد ، فعن معاذ بن جبل، وعبد اللَّه بن مسعود، وعقبة بن عامر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهم قالوا: إذا اشتبه عليك الحد فادرأه.

فرسول الله صلى الله عليه وسلم يريد درء الحد عن ماعز، ولا يريد منه أن يعترف بمستور تمحوه التوبة؛ ولولا أن القضية قضية نفس إنسانية لما سمعها أحد من لسانه صلى الله عليه وسلم.. لأن الحاجة هنا داعية للتصريح حتى يتبين الأمر جلياً ، ولأن الحدود تدرأ بالشبهات ،

وقد ثبت عن عمر قال : لأن أخطي في الحدود بالشبهات أحب إلي من أن أقيمها بالشبهات ([105])

ويطلب من الحكام درء الحدود بالشبهة ، روى الترمذي بسنده قال : عن عائشة قالت : قال رسول الله : – صلى الله عليه وسلم – « ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله ، فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة » ([106]) .

وفي رواية ابن ماجه : « ادفعوا الحدود ما وجدتم له مدفعا » ([107])

---

105 - قال السخاوي : أخرجه ابن حزم في الإيصال له بسند صحيح (المقاصد الحسنة ص 30) .

106 - سنن الترمذي - كتاب الحدود ، باب ما جاء في درء الحدود جـ 4 ص33 .

107 - سنن ابن ماجه - كتاب الحدود ، باب الستر على المؤمن ، ودفع الحدود بالشبهات جـ2 ص 850 .

أما حديث ... **من تعزى بعزاء الجاهلية**

معناه : أنه من يأتي بنعرات الجاهلية وأشياء كان يتعزى بها في الجاهلية كالنعرات التي تكون بين القبائل، وانتصار بعضهم لبعض بحق وبباطل؛ فمثل هذا يشنع عليه ولو استدعى الأمر التصريح وترك الكناية ، عقوبة له لما صدر منه من دعوى الجاهلية لأنه يدعو برجل من أهل النار وهو كما كانوا يقولون يا لبكر يا لتميم يا لهمدان فمن دعا كذلك من هؤلاء الجاهلية الذين من أهل النار كان مستحقا للعقوبة ، وجعل النبي ﷺ عقوبته أن يقابل بما يحتقره ويشينه ليكون ذلك استخفافا به وبالذي دعا إليه ، ولينتهي الناس عن ذلك في المستقبل فلا يعودن إليه .

فقوله : " **من تعزى بعزاء الجاهلية** " أي : انتسب وانتمى كقوله : يالفلان ، ويالبني فلان ، يقال : عزوت الرجل وعزيته : إذا نسبته ، وكذلك كل شيء تنسبه إلى شيء. وكما قيل لعطاء في حديث حدثه : إلى من تعزيه ؟ أي : إلى من تسنده .

ويروى في حديث آخر " **من لم يتعز بعزاء الله ، فليس منا** " وله وجهان : أحدهما : أن لا يتعزى بعزاء الجاهلية ، ودعوى القبائل ، ولكن يقول : ياللمسلمين ، فهذا عزاء الإسلام ، والوجه الآخر ، أن معنى التعزي في هذا الحديث التأسي والتصبر عند المصيبة ، فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، كما أمر الله عز وجل. وقوله بعزاء الله ، أي : بتعزية الله إياه ، فأقيم الاسم مقام المصدر.

وقوله : **بهن أبيه** ، يعني : ذكره . قلت : يقصد أن يقول له : اعضض بأير أبيك ، يجاهره بمثل هذا اللفظ الشنيع رداً لما أتى به من الانتماء إلى قبيلته ، والافتخار بهم.

وما هذا إلا لشدة تحريم التعصب للقوميات الجاهلية ، وتجريم الإنتساب إليها والإستنجاد بها .

قال الشنقيطي في أضواء البيان: فانظر كيف سمى النبي ﷺ ذلك النداء « **عزاء الجاهلية** » وأمر أن يقال للداعي به «**اعضض على هن أبيك**» أي فرجه، وأن يصرح له بذلك ولا يعبر عنه بالكناية .. فهذا يدل على شدة قبح هذا النداء، وشدة بغض النبي ﷺ له ....[108]

وهذا أمر تأديب ومبالغة في الزجر عن دعوى الجاهلية ، وهي _ كلمة عميقة في التقبيح والتهجين

وذكر ابن القيم الحكمة من ذكر هن الأب ، فقال في زاد المعاد: ذكر هن الأب لمن تعزى بعزاء الجاهلية فيقال له: اعضض هن أبيك، وكان ذكر هن الأب ها هنا أحسن تذكيرا لهذا المتكبر بدعوى الجاهلية بالعضو الذي خرج منه، وهو هن أبيه، فلا ينبغي له أن يتعدى طوره . انتهى.[109]

---

[108] - كتاب : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . للمؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ) 44/3

[109] - زاد المعاد في هدي خير العباد (438/2)

وإذا علم أن رؤساء الدعاة إلى نحو هذه القومية العربية: أبو جهل، وأبو لهب، والوليد بن المغيـرة، ونظراؤهم من رؤساء الكفرة ، زال العجب والإستغراب ،
فكل من نادى بالقوميات والعصبيات النسبية والقبلية ، فإنه _بالضرورة_ يقصد من ورائه القضاء على رابطة الإسلام وإزالتها بالكلية. فإن النداء بها معناه الحقيقي : دعوة إلى التخلي عن ديـن الإسـلام ، ورفض الرابطة السماوية رفضا باتا ،

فالتصريح بلفظ الفحش في هذا المقام أهون من الفعلة الشنيعة والدعوة الخطيرة التي قيلت من أجلها ، فلا احترام ولا تقدير يستحقه المتعزي بعزاء الجاهلية المنتسب لها ولعصبياتها ، فالمقام عنـد هـذا لا يحتمل تحسين الألفاظ وتحقيق الكلمات ، خاصة وأنه ضرب لمبادئ للعقيدة ولقيم الإسلام .
لذا قال ابن تيمية رحِمَهُ اللهُ: "فمتى ظَلَمَ المخاطِب لم نكن مأمورينَ أن نُجيبَه بالتي هي أحسن" اهـ.
وفي هذا المعنى يقول أحمد شوقي: وَالشَّرُّ إِنْ تَلْقَهُ بِالْخَيْرِ ضِقْتَ بِهِ = ذَرْعًا وَإِنْ تَلْقَهُ بِالشَّرِّ يَنْحَسِمِ .
وهذه الطريقة من الشتم _ في مقابل الإساءة _ لم نعهدها من الشارع صلى الله عليه وسلم فـي كثيـر من المواضع وإنما جاءت هنا بهذا الأسلوب ؛ لأن المسيء في هذه الحالة يجمع بين أمور ، مـنها : أنه تبجح بذكر مآثر الجاهلية، وأنه استعلى على غيره من المسلمين، والأمر الأعظم: أنه تشبه بأهـل الجاهلية وذلك بافتخاره بهم أمام المسلمين، فهو لم يتشبه بهم فحسب، بل استعلى بهم، وفي ذلك محبـة للكفار وتفضيل لهم على إخوانه المسلمين.
ويجدر بنا أن نبين أخيرا أنه لا تَعَارُضَ بَيْنَ هذين الحديثين المتقدمين وَبَيْنَ قولِ النَّبيِّ – ﷺ – فيما رواه أَحْمَدُ والتِّرْمِذيُّ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه – : **((ليس المؤمن بطعَّانٍ، ولا بلعَّـانٍ، ولا الفاحشِ البَذِيءِ))**، لأن البَذَاءَ المنهيَّ عنه هو البَذَاءُ على مَن لا يستحق، أما هـذا فعقوبـةٌ لمَـن يستحق العقوبة؛ كمن يدعو بدعوى الجاهلية، ولو كان فيه مخالفةٌ لَنَهاهُ النبيُّ عن ذلك، وما أقـرَّهُ، إذ إنه – ﷺ – لا يُقِرُّ على باطل ؛ ،، والله أعلم.

كما أسلفنا فالنبي ﷺ ليس بلعان ولا فاحش ولا متفحش ولا منتقم لنفسه ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ورغم ذلك فقد اشترط النبي ﷺ على ربه إذا دعا على أحد بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهورا وزكاة وقربة تقربه بها منه يوم القيامة.. ولم يثبت عن النبي ﷺ أنه أجاز اللعن والسب أو عرف منه ذلك وإنما كان ذلك على هيئة الإفتراض فيما لو حدث بما يحدث للنفس البشرية عادة .!!
وهو أيضا محمول على من ظهر للنبي ما كان يجعله يظن استحقاقه له وفي الحقيقة ليس كذلك كما قال (« **يا أم سليم ، أما تعلَمين شرطي على ربي ؟ إني اشترطت على ربي ، فقلت : إنما أنا بشر ، أرضى كما يرْضى البشر ، وأغْضَبُ كما يغضب البشر ، فأيُّما أحد دعوتُ عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل ، أن تجعلها له طهورا وزكاة ، وقُربة تقرِّبه بها يوم القيامة** »[110] (رواه مسلم وأحمد).
قال النووي في شرح مسلم . فهذه الرواية تبين المراد في بقية الروايات المطلقة ، وأنه إنما يكون دعاؤه ﷺ عليه رحمة وكفارة وزكاة ونحو ذلك إذا لم يكن أهلا للدعاء عليه والسب واللعن ونحوه وكان مسلما ، وإلا فقد دعا النبي ﷺ على الكفار والمنافقين ولم يكن ذلك لهم رحمة .
فإن قلت : كيف يصدر من النبي ﷺ الدعاء على من ليس أهلا للدعاء عليه وكيف يسبه أو يلعنه أو يجلده وهو عليه الصلاة والسلام معصوم عن الكبائر والصغائر عمدا وسهوا ؟ (قلت) : قال النووي الجواب ما أجاب به العلماء ومختصره (...) : أن ما وقع من سبه ودعائه ونحوه ليس بمقصود بل هو مما خرج على عادة العرب في وصل كلامها بلا نية كقوله { تربت يمينك وعقرى حلقى } وكقوله في حديث أنس ليتيمة أم سليم { لا أكثر الله منك } وفي حديث معاوية { لا أشبع الله بطنه } ونحو ذلك لا يقصدون بشيء من ذلك حقيقة الدعاء فخاف ﷺ أن يصادف شيء من ذلك إجابة فسأل ربه سبحانه وتعالى ورغب إليه في أن يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهورا وأجرا وإنما كان يقع منه هذا في النادر الشاذ من الأزمان ولم يكن ﷺ فاحشا ولا متفحشا ولا لعانا ولا منتقما لنفسه وقد صح أنهم قالوا له ادع على دوس فقال {اللهم اهد دوسا } . { وقال اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون } انتهى .
فهذا هو توجيه هذه الرواية ، ومع هذا فلم يثبت عن النبي ﷺ أنه سب أحدا أو شتمه ، ولو كان ذلك واقعا لثبت من خلال الوقائع التي شُتم فيها وضُرب وأوذي ، حين قال له القائل (هذه قسمة ما أريد بها وجه الله) وحين جذبه آخر بردائه حتى أثر في عنقه وقال: إنك لا تعطيني من مالك ولا من مال أبيك، فضحك وأمر له بالعطاء ..) بل حين ضرب من قبل سفهاء ثقيف حتى أدميت قدماه ..

---
[110] - أخرجه مسلم (2009/4 ، رقم 2603) ، وأحمد (384/3 ، رقم 15166) وابن حبان (444/14 ، رقم 6514) .

« لقد جئتكم بالذبح » ،

إن أعداء الإسلام يوردون هذا الحديث ليحتجوا بأن هدف الإسلام هو تدمير هذا العـــالم، وأن محمـــدا ﷺ وأصحابه هم قتلة بلا رحمة ، وهم يحاولون أن يثبتوا أن الإسلام يؤيد الإرهاب والقتل والذبح، ولفهم الكلمة ومعانيها ودواعيها ، يجب أولا أن نرجع إلى مواضعها لنرى في أي سياق جاءت ، وفي أي ظرفية ، فعلينا أن نفهم الحديث في ضوء وروده،

وكما هو معلوم فقد نال ﷺ من الأذى من قريش مالا يقدر أحد على تحمله وبدون رد ، فقد تسلط عليه عتيبة بالأذى، وشق قميصه، وتفل في وجهه الشريف ﷺ وألقوا عليه سَلاَ جَزُورٍ وهو ساجد ، ووطئ عقبة بن أبي مُعَيْط على رقبته الشريفة وهو ساجد حتى كادت عيناه تبرزان .

يجتمعون على حربه.. ويحرض بعضهم بعضا.. للوقوف في وجهه.. وعدم التقصير فـــي عداوتـــه.. ويتطاولون عليه بالسخرية.. وهو صامد كالجبل الشهيق في علياءه.. يقرر أن ما جاء به سينفذ.. لـــو كان الثمن إهلاك هؤلاء الصناديد..

ومما يدل على أن طغاتهم أمعنوا في إيذائه بل كانوا يريدون قتله ﷺ ما رواه ابن إسحاق عن عبـــد الله ابن عمرو بن العاص قال : حضرتهم وقد اجتمعوا في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، فبينا هـــم كـــذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفاً بالبيت فغمزوه ببعض القـــول، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجهه، ثـــم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها . فوقف ثم قال : (**أتسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفـــسي بيـــده، لقد جئتكم بالذبح**) ، فأخذت القوم كلمته، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه ليرفؤه بأحسن ما يجد، ويقول : انصرف يا أبا القاسم، فو الله ما كنت جهولًا .[111]

وهو كما قيل : فسل حساما من بيان فهومه .. فرد سيوف الغي مفلولة الحد..

إذن لما أمعنوا بإيذائه ومنعه أراد أن يخبرهم بأن شأنه سيعلو, وأنه سينتصر، وأن دينه سيعلو ويتمكن منهم، وقد كان ، ولكنه لو أراد الذبح لذبحهم يوم فتح مكة، حين تمكن منهم فقال لهم: " **ما تظنون أني فاعل بكم؟**". قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال عليه الصلاةوالسلام: "**اذهبوا فأنتم الطلقاء**"[112]

فلو كان الذبح غايته فما الذي منعه من ذبحهم .؟

جاء في (موسوعة البحوث والمقالات العلمية) بعدما ذكر بعض النصوص والوقائع الشبيهة بمـــا كنـــا بصدده .. ثم قال : من هذه النصوص نعرف مدى ماكان المشركون يضمرون لرسول الله ﷺ من

---

111 - انظر : السيرة النبوية لابن هشام (289/1) ورواه الامام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والبزار

112 - انظر السيرة النبوية (5/73-74)، وتاريخ الطبري (161/2)، وسنن البيهقي (118/9)،

عداوة , حيث كانوا يجتمعون على محاربته ويوصي بعضهم بعضا بالوقوف في وجهه , ويلوم بعضهم بعضا على التقصير في مباداته بالعداء .

.. وقد كان زعماء قريش الذين تغلب هذه الصفات على أصحاب الرأي منهم هم الذين يحتلون ساحات المسجد الحرام ولايتركون الفرصة لأصحاب العقول المفكرة التي تميل إلى التحرر من الأوهام والخرافات التي لاتنسجم مع العقول السليمة .. لايتركون لهم الفرصة ليلتقي بهم رسول الله ﷺ أو يسمعوا كلامه فقد قاموا بالحجْر الفكري على مجتمعهم وطبقوا ذلك بصرامة فائقة حتى كان من يريد السماع من النبي ﷺ يضطر إلى التسلل في الخفاء .

ومن هنا كان موقف النبي ﷺ صعبًا للغاية في معاملتهم وكان لابد له أحيانًا أن يخرج عن حلمه المعهود ليسلك معهم طريق الحزم والمجابهة كما هو الحال في الخبر الأول لأن الذين يواجهونه يخاطبونه بعواطفهم الثائرة الحاقدة ولايخاطبونه بعقول متزنة تدرك مايُلقَى عليها من قول وتفكر فيه، فلما قال لهم : أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح استكانوا وخضعوا له .

لقد كان زعماء الكفار أولئك يحاولون أن يبنوا لأنفسهم مجدا من خلال جرأتهم على الرسول ﷺ وإقدامهم على سبه وإيذائه أمام الجمهور , حيث يظهرون بمظهر الأبطال الذين لايبالون بسخط النبي ﷺ والمسلمين ولا بسخط حماتهم من بني هاشم , فكان من المناسب أن يجيبهم النبي ﷺ بكلام شديد يهز فيه من شخصياتهم ويسقط فيه من معنوياتهم حتى لايمتدحوا أمام أتباعهم بتلك المواقف الوهمية , ولقد حصل للنبي ﷺ ما أراد حيث وجموا لسماع ذلك الكلام وتكلموا بكلام يحمل معنى الاعتذار عن موقفهم السيء ذلك . [113]

إن الإسلام أحرص ما يكون على كفالة العيش الحر الكريم للإنسان، وإن إراقة الدم ليست من غاياته أو أهدافه، بدليل أن الرسول ﷺ لم يقتل الأسرى في يوم من الأيام ، ولم يقتل يهود بني قينقاع، وعاهد كثيرين من خصومه مع قدرته عليهم فأين دعوته للقتل؟!

إن قوله: "أتيتكم بالذبح" هو مثل قول المسيح -عليه السلام-: (ما جئت لألقي سلاماً على العالم بل سيفاً). والمراد قتال المجرمين أعداء الرسل والرسالات، والذين يقفون بقوتهم في وجه الإصلاح ويحاربون أتباع الرسل ويريدون استئصالهم، ولذا قال الله: "**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا**" [البقرة:190]. فمن اعتدى على الرسل وأتباعهم فسيواجه عدوانه وظلمه بما يردعه.

[113] - موسوعة البحوث والمقالات العلمية _ جمع وإعداد الباحث .. علي بن نايف الشحود

فهل يريد الكاتب من الإسلام أن يلعق الأحذية ، ويرضى بالدنية ، لنري لأعدائنا أننا نحب السلام ، ؟ هل يريد منا أن نتساقط على أقدامهم ونقول لهم نرجوكم ارحمونا .. أحسنوا الظن فينا .. فديننا سمح وطيب، ولا مانع لديه من جل ما تريدون؟؟

إذا فقد الإنسان صدق انتمائه ** وأضحى بلا قلب فليس بإنسان

وها أنت _أيها الكاتب الصحفي_ تتنكر للقرآن كما تنكرت للسنة ، لا لشيء إلا لتثبت لأسيادك أنك مسالم متحضر ، إنه لا يقبل منك أن تؤول القرآن حسب هواك ومزاجك ، فالرسول جاء رحمة للعالمين ، ولكن بصفتين متفاوتتين ، فهو رحمة لمن آمن به ، وأما من لم يؤمن فقد استدعى الشقاء على نفسه ، قال في الكشاف : { رَحْمَةً للعالمين } لأنه جاء بما يسعدهم إن اتبعوه . ومن خالف ولم يتبع فإنما أتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها .

ألا قبح الله شهوة أبيع بها ديني..!! وأعق بها سلفي..!! وأهين بها نفسي..!! وأهدم شرفي..!! وأكون عارا على أمتي..!! عرى العقيدة جلت عن مساومة ** ما قيمتي في الملا من غير معتقدي

والمؤسف المخجل أنني _في بحثي عن أقوال العلماء وردودهم حول هذه الشبهات_ صدمت ببعض الردود المخجلة من أشخاص أو مؤسسات لها وزن وكلمة داخل الأمة ، مما وقفت عليه بعض فتاوى الأزهر التي تنكر المقالة (السالفة الذكر) وتستبعد صحتها ، وترد بلغة المجاملة وخطاب المداهنة ، فتارة ينكرون الرواية ويضعفونها ، وتارة يفسرون الذبح بتفسير متكلف بعيد ، وفي كليهما كذب وضعف وخور ، وروح الخوف والإنهزامية ،

إننا نحن أمة لا تعرف الخور ولا الضعف ، نحن أمة نتبع منهج رسول الله (عندما كان في أحلك ظروفه وأسوأ أحواله ضعفاً وكفار قريش يكيلون له الشتائم والسباب وينالون منه ويأتي أحدهم ليخنقه والآخر ليضع على ظهره سلى الجزور ، لم يكن هذا أبداً ليؤثر على رسول الله (، بل قال لهم في فور قوتهم وتسلطهم عليه قال لهم (يا معشر قريش أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح) ، نعم هكذا ربى رسول الله أمته ، ربانا ألا نذل ولا نستكين ، ربانا على العزة والشموخ في زمن الانكسار ، نحن أمة لا يهمها الصدمات ولا تثنيها المصائب عما تريد ، إننا نريد العزة مهما كان ثمنها ، كل مصاب على طريق العزة فهو في سبيل الله ولن يزيدنا إلا إصراراً .

وضوءه ﷺ لا ينتقض بالنوم

وأما حديث ابن عباس الذي أشار إليه فقد رواه البخاري (698) ومسلم (763) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : نِمْتُ عِنْدَ مَيْمُونَةَ وَالنَّبِيُّ ﷺ عِنْدَهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي ، فَقُمْتُ عَلَى يَسَارِهِ ، فَأَخَذَنِي فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ ، فَصَلَّى ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً ، ثُمَّ نَامَ حَتَّى نَفَخَ ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ ، ثُمَّ أَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ فَخَرَجَ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ). فقد نام النبي ﷺ ، _كما يوضح الحديث_ وقام يصلي ولم يره ابن عباس يتوضأ ، وذكر أهل العلم أن هذا الحكم (عدم نقض الوضوء بالنوم) خاص بالرسول ﷺ ، وذلك لأن النبي ﷺ كانت تنام عينه ولا ينام قلبه ، فلو أحدث لشعر بذلك .

وهذا جاء صريحا في حديث عند البخاري (3569) عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال : (تَنَامُ عَيْنِي ، وَلا يَنَامُ قَلْبِي)[114]

قال ابن عبد البر في الإستذكار : أما قوله ﷺ جوابا لها إن عيني تنامان ولا ينام قلبي فتلك من علياء مراتب الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ولذلك روي عنه ﷺ أنه قال إنا معشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا .

ولهذا والله أعلم قال بن عباس رؤيا الأنبياء وحي لأن الأنبياء يفارقون سائر البشر في نوم القلب ويساووهم في نوم العين ولو تسلط النوم على قلوبهم كما يصنع بغيرهم لم تكن رؤياهم إلا كرؤيا من سواهم وقد خصهم الله من فضله بما شاء أن يخصهم به ،

ومن هذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام حتى ينفخ ثم يصلي ولا يتوضأ لأن الوضوء من النوم إنما يجب لغلبة النوم على القلب لا على العين ،

فكان رسول الله ﷺ يساوي أمته في الوضوء من الحدث ولا يساويهم في الوضوء من النوم كما لم يساوهم في وصال الصوم وغيره مما جرت عادتهم به.[115]

قال النووي : "قَوْله : (ثُمَّ اِضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ فَقَامَ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأ) هَذَا مِنْ خَصَائِصه ﷺ أَنَّ نَوْمه مُضْطَجِعًا لا يَنْقُض الْوُضُوء ; لأَنَّ عَيْنَيْهِ تَنَامَانِ وَلا يَنَام قَلْبه , فَلَوْ خَرَجَ حَدَث لأَحَسَّ بِهِ ، بِخِلافِ غَيْره مِنْ النَّاس " انتهى .[116]

114 - ورواه أحمد (7369) عن أبي هريرة رضي الله عنه . وانظر : "سلسلة الأحاديث الصحيحة" للألباني (696)
115 - [الاستذكار - ابن عبد البر (101/2)]
116 - [شرح النووي على صحيح مسلم 45/6]

وقال النووى في موضع آخر : قال أصحابنا : وكان من خصائص رسول الله ﷺ أنــه لا ينــتقض وضوءه بالنوم مضطجعا ، للحديث الصحيح عن ابن عباس قال : نام رسول الله ﷺ حتى ســمعت غطيطه ، ثم صلى ولم يتوضأ .

وقال الحافظ : " قَوْله : (فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأ) فيه دليل على أن النوم ليس حدثا بل مظنة الحدث لأنــه ﷺ تَنَام عَيْنه وَلا يَنَام قَلْبه فَلَوْ أَحْدَثَ لَعَلِمَ بِذَلِكَ , وَلِهَذَا كَانَ رُبَّمَا تَوَضَّأَ إِذَا قَامَ مِنْ النَّوْم وَرُبَّمَا لَــمْ يَتَوَضَّأ , قَالَ الْخَطَّابِيُّ : وَإِنَّمَا مُنِعَ قَلْبه النَّوْم لِيَعِيَ الْوَحْي الَّذِي يَأْتِيه فِي مَنَامه " انتهى .[117]

قال العيني في العمدة (بيان استنباط الأحكام) الأول فيه أن نوم النبي مضطجعا لا ينقض الوضــوء وكذا سائر الأنبياء عليهم السلام فيقظة قلبهم تمنعهم من الحدث ، ولهذا قال عبيد بن عميــر : رؤيــا الأنبياء وحي ، وقال الخطابي إنما منع النوم من قلب النبي ليعي الوحي إذا أوحى إليه في المنام .

قال السندي في "حاشية ابن ماجه" : قَوْله (فَيُصَلِّي وَلا يَتَوَضَّأ) لأَنَّهُ تَنَام عَيْنه وَلا يَنَام قَلْبه كَمَا جَــاءَ مُصَرَّحًا فِي الصِّحَاح ، فَنَوْمه غَيْر نَاقِض ، لأَنَّ النَّوْم إِنَّمَا يَنْقض الْوُضُوء لَمَّا خِيفَ عَلَى صَاحِبه مِنْ خُرُوج شَيْء مِنْهُ وَهُوَ لا يَعْقِل ، وَلا يَتَحَقَّق ذَلِكَ فِيمَنْ لا يَنَام قَلْبه ...، ثم قــال :

فلا يَنْبَغِي ذِكْر أَحَادِيث نَوْمه ﷺ فِي هَذَا الْبَاب أَصْلا (يعني باب نقض الوضوء بالنوم) إلا مَــعَ بَيَــان أَنَّهُ كَانَ مَخْصُوصًا بِهَذَا الْحُكْم ، فَلْيُتَأَمَّلْ "

---

[117] - [فتح الباري - ابن حجر 239/1]

دخوله ﷺ على أم حرام واختلاؤه بها

لقد وصل الكاتب بأحاديث البخارى إلى منعطف خطير في تشويه سيرة النبي ﷺ وانتقاص سنته، تجعلنا نتحرج من أن نذكرها بإشارة فضلا عن أن نضعها في عناوين، وهذا المنعطف الخطير الذي وقفنا عليه يحاول من خلاله الأعداء سبك علاقة مزعومة للنبى ﷺ بالنساء الأجنبيات ، وكم كنا نود إغفال هذا المنعطف لولا حرصنا على تنزيه نبي الإسلام من هذا الافتراء الذي يسري سريان السم بين أتباع هذا النبي الكريم.

قفز الكاتب بعبارته إلى السماء ، ظانا منه أنه وجد ما يفحم به خصماءه وأعداءه من أهل الحديث ، حسب أنه التقط شبهة من جبهة ضيغم يستغلها في تشويه الحديث وأهله ، وهذا مطمع قد طمع فيه من هم أكثر من صاحبنا بصراً بالمناهج ، ومن هم أكثر منه حيطة بأساليب البحث والدرس، ومن هم أشد منه قوة وأعز نفرا، فما اسطاعوا أن يظهروا جدار الحديث وما استطاعوا نقباً ،

وطفق يكيل السب والشتم لكل من يفترض أن يرد عليه أو يعارضه ، لوقوفه على حديث أبي طلحة وفيه أنه يدخل ﷺ على أم حرام زوج عبادة الصامت ، ويختلي بها وتفلي رأسه ... الخ

قال د.علي بن عبد الله الصّياح في بحثه حول هذا الحديث : وهذا الإشكال فرح به صنفان من أهل الأهواء: فالصنف الأوَّل: اتخذ هذا الحَديث حجة للطعن في أصح كتابين بعد كتاب الله "صحيح البخاري، وصحيح مسلم"، لفهمه السقيم أنّ في ذلك طعناً في جناب المصطفى.

والصنف الثاني: وهم أهل الشهوات الذين قَالَ الله فيهم { وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً} (النساء27) ، فأخذوا ما يوافق شهواتهم وأعرضوا عن ما يخالفها من صريح الكتاب والسنة.

وهذان الصنفان ليس نظرهم في الدليل نظر المستبصر حتى يكونَ هواه تحت حكمه، بل نظر مَنْ حَكَمَ بالهوى ثم أتى بالدليلِ كالشاهد له، وهذا شأنُ كلّ مبطل ممن يترك المحكم للمتشابه.أهـ

والكاتب وجد القصة في صفحات الملحدين والمستشرقين ، مجردة من كل تفسير أو توضيح ، وليس لأنهم لا يعرفون، كلا ، فهم فقهاء بارعون، ولكنهم خبثاء ماكرون ، فما كان لهم أن يضعوا شبهة وينقضوها وإن كانوا يعلمون أنها واهية مكذوبة ، ولكن يتصيدون ضعفاء العقول وحدثاء الأسنان ، ليجعلوا منهم أبواقا ، كالكاتب المغفل الذي وجد القصة هكذا فنسخها بالفأرة وملأ بها صفحاته ، وسيجدها في صفحاته يوم القيامة ، لأنه لم يكن قصده الدفاع عن النبي ﷺ ودفع التهم عنه ، وإنما التشهير به وبكلامه وبتابعيه ، وأنى له ذلك ، بأبي هو وأمي وروحي ﷺ ،

والقصة أيها الكاتب المتعلم صحيحة ثابتة [118]، وإن كنت إنما اتبعت فيها أستاذك أحمد صبحي[119]
فالرسول ﷺ يدخل على المسماة الرميصاء أم حرام زوج الصحابي الجليل عبادة بـــن الـــصامت وحرمه _وعقيلته حسب لغتكم_ ، هذا كل ما تعرفه عن القصة ، وما لم تعرفه ولا يسرك معرفته هو أن أم حرام رضي الله عنها من محارم الرسول ﷺ !! إن لم تكن أمه فهي خالته ،
فالروايات مجمعة تقريباً على أن النَّبِيّ كان يكثر من التردد، والأكل والشرب، عند أُمّ سُلَيْم، وأُمّ حَرَام.
والباحث الحصيف لايغفل هذا التوافق فيسأل هل هناك شيء من العلاقة بين هاتين المرأتين الجليلتين؟
والروايات تجيب : أن أُمّ سُلَيْم، وأُمّ حَرَام أختان، يقال لأحدهما الرميصاء، وللأخرى الغميصاء،
« قال ابن عبد البر : أظن أن أم حرام أرضعت رسول الله ﷺ أو أختها أم سليم فـــصارت كـــل منهما أمه أو خالته من الرضاعة فلذلك كان ينام عندها وتنال منه ما يجوز للمحـــرم أن ينالـــه مـــن محارمه ، ثم ساق ح بسنده إلى يحيى بن إبراهيم بن مزين قال : إنما استجاز رســـول الله ﷺ أن تفلي أم حرام رأسه لأنها كانت منه ذات محرم من قبل خالاته ؛ لأن أم عبد المطلب _جده_ كانت من بني النجار ،. ومن طريق يونس بن عبد الأعلى قال : قال لنا ابن وهب : أم حرام إحدى خـــالات النبي ﷺ من الرضاعة فلذلك كان يقيل عندها وينام في حجرها وتفلي رأسه ،
قال ابن عبد البر : وأيهما كان فهي محرم له ، وجزم أبو القاسم بن الجوهري والـــداودي والمهلـــب فـــيما حكاه ابن بطال عنه بما قال ابن وهب ،

وحتى لو افترضنا أنها أجنبية عنه فإن النبي ﷺ كان معصوما يملك إربه عن زوجته فكيف عـــن غيرها مما هو المنزه عنه وهو المبرء عن كل فعل قبيح وقول رفث ،

ولزيادة تفصيل فأُمّ سُلَيْم هي أم أنس بن مالك رضي الله عنه ، وأُمّ حَرَام خالته ، وأنس بن مالك كـــان في صباه يخدم النَّبِيّ عشر سنين وكان النَّبِيّ يعامله معاملة تناسب أخلاق النبوة ،
إذن فهؤلاء الثلاثة (أنس وأمه وخالته) ليسوا من المجاهيل في الصحابة والصحابيات ، وما الذي جعل علاقة النَّبِيّ بهم على هذا المستوى من الاهتمام ، وكثرة السؤال عنهم. إن لم تكن هناك خاصية ؟

---

[118] - **مالك** في الموطأ، كتاب الجهاد، باب الترغيب في الجهاد (464/2رقم39)، ومن طريقه: - **البُخَاريّ** في صحيحه في مواضع: - كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء،(1027/3 رقم2636). وكتاب التعبير، باب رؤيا النهار(2570/6رقم6600) - كتاب الاستئذان، باب من زار قوما فقَالَ عندهم (2316/5رقم5926) _- **ومُسلِم** في صحيحه، كتاب الإمارة، (1518/3رقم1912) - **وأبو داود** في سننه، (6/3رقم2491) -**والترمذي** في جامعه،كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في غزو البحر (178/4رقم1645) - **والنسائيُّ** في سننه (المجتبى)، كتاب الجهاد، فضل الجهاد في البحر (40/6) - وعبد الله بنُ المبارك في الجهاد (ص157رقم201)._ **وأحمد** بن حنبل في مسنده (240/3) -و **ابن حبان** في صحيحه -كما في الإحسان (51/15 رقم6667)- -**وأبو عَوَانة** في مستخرجه، كتاب الجهاد، بيان فضل الغزو في البحر (494/4رقم7459) - و **البيهقي** في السنن الكبرى، كتاب السير، باب فضل من مات في سبيل الله (165/9) -**وابن عساكر** في تاريخ مدينة دمشق (211/70) -ومحمد بن سعد في الطبقات الكبرى (435/8). -واللإلكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (1438/8) -وأبو نُعَيم في حلية الأولياء (61/2) ومعرفة الصحابة (3481/6رقم7894)، وفي دلائل النبوة (555/2)

[119] - لماذا القرآن ص92 - 94، وقراءة فى صحيح البخاري ص41 - 46 كلاهما لأحمد صبحى منصور

إن هذا لا يكون إلا في حالة واحدة ، وهي أن تكون هناك درجة من القرابة تجعل المرأتين من محارم النَّبِيّ ﷺ سواء أكان ذلك من جهة النسب كما قَالَ بعض المؤرخين، أو كان من جهة الرَّضَاعَة كما قَالَ البعض الآخر. وإلا فهل يمكن عقلاً للنبي ﷺ أن يخالف الناس إلى ما ينهاهم عنه؟!

وهل يمكن عقلاً أو اتفاقا أن تقوم علاقة غير مشروعة _وحاشاه_ بينه وبين أختين في وقت واحد؟

وهل يجيز المنطق أو العادة أن يسمح النَّبِيّ ﷺ لغير قريبه من الصبيان أن يخدمه في بيته عشر سنوات كاملات ؟. يعرف عنه كل شاذة وفادة وصغيرة وكبيرة ،

وهل يعقل أن يترك أهل الكفر والنفاق-زمن النبوة- مثل هذا الموقف دون استغلاله في الطعن في النَّبِيّ ﷺ وفي نبوته ؟ وهم الذين طعنوا في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بمجرد شبهة باطلة !!، وما فتئوا يحيكون الدسائس والمؤامرات والشائعات !!.

أمور كلها تعد من قبيل الشواهد التي لا تخطيء ، والدلالات التي تورث اليقين بأن النَّبِيّ ﷺ لاجرم كانت له قرابة محرمة لأُمّ سُلَيْم وأختها أُمّ حَرَام.

كما جاءت روايات أخرى تبين أن النبي ﷺ يدخل بيتها وهو صائم ، وأخرى تبين كيف أنه يجد أنسا ، ويصلي بهم ،

عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَمَا هُوَ إِلا أَنَا وَأُمِّي وَأُمُّ حَرَامٍ خَالَتِي فَقَالَ: قُومُوا فَلِأُصَلِّيَ بِكُمْ فِي غَيْرِ وَقْتِ صَلَاةٍ فَصَلَّى بِنَا فَقَالَ رَجُلٌ لِثَابِتٍ: أَيْنَ جَعَلَ أَنَسًا مِنْهُ ؟ قَالَ: جَعَلَهُ عَلَى يَمِينِهِ، ثُمَّ دَعَا لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ بِكُلِّ خَيْرٍ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَقَالَتْ أُمِّي: يَا رَسُولَ اللَّهِ خُوَيْدِمُكَ ادْعُ اللَّهَ لَهُ، قَالَ: فَدَعَا لِي بِكُلِّ خَيْرٍ، وَكَانَ فِي آخِرِ مَا دَعَا لِي بِهِ أَنْ قَالَ: اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ([120]).

و عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ فَأَتَوْهُ بِسَمْنٍ وَتَمْرٍ فَقَالَ: رُدُّوا هَذَا فِي وِعَائِهِ وَهَذَا فِي سِقَائِهِ فَإِنِّي صَائِمٌ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ تَطَوُّعًا فَقَامَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ وَأُمُّ حَرَامٍ خَلْفَنَا قَالَ ثَابِتٌ وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: أَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ عَلَى بِسَاطٍ...([121]).

وفي روايةٍ عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَزُورُ أُمَّ سُلَيْمٍ فَتُدْرِكُهُ الصَّلَاةُ أَحْيَانًا فَيُصَلِّي عَلَى بِسَاطٍ لَنَا وَهُوَ حَصِيرٌ نَنْضَحُهُ بِالْمَاءِ([122])

---

[120] - البخاري في الأدب المفرد ج 1/ ص 45 حديث رقم: 88 /و صحيح مسلم:ج1/ص457 ح660 مسند عبد بن حميد:ج1/ص377 ح1267 وأخرجه أحمد 193/3 (13044) و"النَّسائي" 86/2 ، وفي "الكبرى" 879 .

[121] - أخرجه أحمد 160/3(12653). و"عَبد بن حُميد" 1326. و"أبو داود" 608

[122] - الحديث صحيح : ورد بألفاظ عدة، منها:

«صنع بعض عمومتي للنبي ـ ص ـ طعاما، فقال للنبي ـ ص -: إني أحب أن تأكل في بيتي وتصلي فيه، قال: فأتاه، وفي البيت فحل من هذه الفحول، فأمر بناحية منه فكنس ورش، فصلى وصلينا معه». أخرجه أحمد (112/3). وفي (128/3). وابن ماجة (756) وبلفظ: «أن النبي - ص - **كان يزور أم سليم، فتدركه الصلاة أحيانا فيصلي على بساط لنا، وهو حصير ننضحه بالماء».** أخرجه أبو داود (658) قال: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا المثنى بن سعيد الذراع، قال: ثنا قتادة، فذكره.

وبلفظ: أن أم سليم **سألت رسول الله ـ ص ـ أن يأتيها فيصلي في بيتها، فتتخذه مصلى، فأتاها، فعمدت إلى حصير فنضحته بماء، فصلى عليه، وصلوا معه».**

أخرجه النسائي (56/2) وفي الكبرى (727) . وبلفظ: «**صلى بنا رسول الله ـ ص ـ في بيت أم سليم على حصير قديم قد تغير من القدم. قال: ونضحته بشيء من ماء فسجد عليه».** أخرجه أحمد (145/3). و (226/3).

ومما يدل كذلك أن المرأتين من محارمه بل من رحمه أنه كلما مر بدار إحداهما لا يمر دون أن يدخل ويسلم عليها ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا مَرَّ بِجَنَبَاتِ أُمِّ سُلَيْمٍ دَخَلَ عَلَيْهَا فَسَلَّمَ عَلَيْهَا([123]).و عن أنس قَالَ:((كان رسول الله إذا ذهب إلى قُباء يَدْخُلُ عَلَى أُمّ حَرَام بِنْت مِلْحَان))([124]).

ومن جهة أخرى فأُمّ سُلَيْم هي التي جهزت صفية بنت حيي للنبي ﷺ عروسا" ففي حَدِيث عبدالعزيز بن صهيب، عن أنس " حتى إذا كان بالطريق جهزتها له أُمّ سُلَيْم فأهدتها له من الليل فأصبح النَّبِيّ..)، وفي روايةٍ " ثم دفعها إلى أُمّ سُلَيْم تصنعها له وتهيئها قَالَ:وأحسبه قَالَ:وتعتد في بيتها وهي صفية بنت حيي"([125]).

إنّ مَنْ استقرأ النصوص الواردة في تعامل النبي (مع أُمّ سُلَيْم وأختها أُمّ حَرَام رأى أنّ لأُمّ سُلَيْم وأختها أُمّ حَرَام دون بقية النساء -غير أزوجه- خصوصية لا يمكن أن تقع إلا للمحرم مع محرمه،

ألا يكفي المشككين قول ابن الجوزى : سمعت بعض الحفاظ يقول : كانت أم سليم أخت آمنة بنت وهب، أم رسول الله ﷺ من الرضاعة، ألا يعبئون بقول ابن وهب : أم حرام إحدى خالات الرسول ﷺ من الرضاعة([126]).

... ألا يكفيهم كل ذلك، ولا يرد على خاطرهم قول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها "**لا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط، غير أنه يبايعهن بالكلام**").

كلها أمور_كما قلنا_ تعد من قبيل الشواهد التي لا تكذب، والدلائل التي تقوي اليقين وتزيل الشك بأن هناك بين النبي ﷺ ، وأم سليم، وأختها أم حرام قرابة محرمة ؛ وخصوصاً وأن بعض الروايات تقول : "كان النبى ﷺ ، يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها، وليست فيه"([127]). ويدخل بيتها وهو صائم وأحيانا يصلي بهما مع أنس كما أسلفنا .

وقد أحسن الشاطبيُّ حيث قَالَ:((فلهذا كله يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون، وما كانوا عليه في العمل به فهو أحرى بالصواب وأقوم في العلم والعمل)).

قد يعترض معارض فيقول كيف تكون خالته ولا يشهر ذلك عند الناس ؟

---

[123] - صحيح البخاري:ج5/ص1981 ح4868 _ السنن الكبرى للنسائي:ج5/ص103 ح8386

[124] - موطأ مالك:ج2/ص464 ح994_ صحيح البخاري:ج5/ص2316 ح5926_ السنن الكبرى:ج3/ص27 ح4380_ سنن أبي داود:ج3/ص6 ح2491

[125] - أخرجه أحمد (123/3). وفي (246/3)_. ومسلم (146/4 ، 185/5) _. وأبو داود (2997) _. وابن ماجة (2272)_ وفي سنن البيهقي الكبرى304/6

[126] - ينظر:فتح البارى80/11، 81 رقمى 6282، 6283، والمنهاج شرح مسلم 67/7 رقم 1812 .

قال في الفتح : ومن طريق يونس بن عبد الأعلى قال قال لنا بن وهب أم حرام إحدى خالات النبي ص من الرضاعة فلذلك كان يقيل عندها وينام في حجرها وتفلي رأسه قال بن عبد البر وأيهما كان فهي محرم له وجزم أبو القاسم بن الجوهري والداودي والمهلب فيما حكاه بن بطال عنه بما قال بن وهب

[127] - أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الفضائل، باب طيب عرق النبى صلى الله عليه وسلم 95/8 رقم 2331 .

الجواب : إنّ الرَّضَاعَة من الأجنبية كانت منتشرة في ذلك الوقت، وربما خفي أمرها على أقرب الناس لذا ذهبَ جمعٌ من العلماء إلى أنَّ شهادة المرأة الواحدة مقبولة في الرضاع إذا كانت مرضية وإليه ذهب ابنُ عباس وطاوس والزهريّ والأوزاعيّ وغيرُهُم([128]).

قال المرداويُّ:((مَا لا يطلعُ عليه الرجالُ كعيوبِ النساءِ تحتَ الثياب، والرضاع، والاستهلال، والبكارة والثيوبة، والحيض، ونحوه فيقبل فيه شهادة امرأةٍ واحدةٍ، وهذا المذهبُ مطلقاً بلا ريب))([129]).

ومما وَرَدَ من الحَديث في خفاء الرضاع :

– عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي رَجُلٌ قَاعِدٌ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَرَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ أَخِي مِنْ الرَّضَاعَةِ، قَالَتْ: فَقَالَ:((انْظُرْنَ إِخْوَتَكُنَّ مِنْ الرَّضَاعَةِ فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنْ الْمَجَاعَةِ)) ([130]).

قلتُ: فانظرْ كيفَ خفي أمر رضاعة من هي من أقرب الناس إليه (وهي زوجته).!!

–وعن عَبْدُ اللَّهِ بنُ أبي مُلَيْكَة عنْ عُقْبَةَ بنِ الحارثِ أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابنَةً لأبي إهابِ بنِ عَزيزٍ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرضعَتْ عُقْبَةَ والَّتِي تَزَوَّجَ فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ: ما أعْلَمُ أَنَّكِ أرْضَعْتِني ولا أَخْبَرْتِني فَرَكِبَ إلى رسول الله ﷺ بالمَدينَة فَسأَلَهُ فقَالَ رسولُ الله ﷺ :((كَيْفَ وقَدْ قِيلَ!)) فَفارَقَها عُقْبَةُ ونَكَحَتْ زَوْجاً غَيْرَهُ([131]).

–وَعَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيدَ عَلَى ابْنَةِ حَمْزَةَ فَقَالَ: ((إِنَّهَا لا تَحِلُّ لِي إِنَّهَا ابْنَةُ أَخِي مِنْ الرَّضَاعَةِ وَيَحْرُمُ مِنْ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنْ الرَّحِمِ)) (118).

–وعَنْ زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّا قَدْ تَحَدَّثْنَا أَنَّكَ نَاكِحٌ دُرَّةَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((أَعَلَى أُمِّ سَلَمَةَ لَوْ لَمْ أَنْكِحْ أُمَّ سَلَمَةَ مَا حَلَّتْ لِي إِنَّ أَبَاهَا أَخِي مِنْ الرَّضَاعَةِ)) (119).

ونقول أخيرا هل يتصور أن يحرم النبي ﷺ الخلوة بالأجنبيات ثم يخالفهم إلى ما نهى عنه ؟ وهل يقبل المنطق أن يكف يده ويمتنع عن مصافحة النساء ويحرم ذلك ثم يفعل ما هو أكبر من المصافحة ؟ بل هل يقبل العقل والمنطق أن ينهى المسلم عن أن يضع نفسه موضع التهمة ثم يفعل ذلك ؟ وقد أثبتت الروايات أنه ﷺ دفع عن نفسه أقل من هذه عندما شهده صحابيان ومعه امرأة خارجا من المسجد ، فلما رأيا النبي أسرعا فقال لهما ﷺ :((عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ)) ..الحديث . [132]

---

[128] - المغني (152/8). وانظر: مصنف عبد الرزاق (481/7)، سنن سعيد بن منصور (282/1)، مختصر اختلاف العلماء للطحاوي (348/3)، المبسوط للسرخسي (302/30)، الطرق الحكمية لابن القيم (ص115).

[129] - الإنصاف (85/12).

[130] - أخرجه: البخاري في صحيحه: كتاب الشهادات ، باب الشهادة على الأنساب والرضاع المستفيض والموت القديم وقال النبي:((أرضعتني وأبا سلمة ثويبة)) والتثبيت فيه (936/2رقم2504).

[131] - أخرجه: البخاريُّ في صحيحه، كتاب العلم، باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله (45/1رقم88) وغيرهُ. _ صحيح ابن حبان:ج10/ص32 ح4218

[132] - رواه البخاري و أحمد وعبد الرزاق وابن ماجه وأبو داود // فقال ما قال لئلا يقذف الشيطان في قلوبهما شيئا من الظن السيء فيهلكا بذلك

ثم قال هذا الأثيم : (**هل كان الراوي متتبعا متجسسا على حياه الرسول** .ص68)

لم يعلم المتتلمذ أن الرسول ﷺ لا يشبه الملوك والعظماء ، فلا يستأثر بشيء ، وليس له حراس ولا بوابون ولا مستشارون ولا حرس جمهوري ، بل وضع حياته وسيرته كلها أمام أعين الأصدقاء والأعداء ، فهو القدوة ، وهو الإمام ، وهو السراج الوهاج ، والسراج لايحجب عن أعين المحيطين.
أيعتقد أن ديننا كدين البوذيين والصينيين الذين لا يعرفون عن إلههم ولا عن معتقداتهم شيئا ؟
إن ديننا لا يشبه الديانات والنحل ، فلو بحثت في جميع الأديان لن تجد تفصيلاً عن الحياة السياسية والعلاقات الدولية، والشئون الاقتصادية، فضلاً عن الحياة الأسرية والعلاقات الاجتماعية، لزعمائها وملوكها وعظمائها ،!! تفحص في سير جميع الأنبياء والعظماء هل تجد إجابة على هاتين الركيزتين،!
اسأل البوذيين ماذا يعرفون عن بوذا وما أخلاقه ؟ وما علاقاته مع أسرته فقط ؟ فلن تجد جواباً.
من المؤكد أنك لن تصل إلى نتيجة إلا في دين الإسلام وسيرة النبي ﷺ . وهكذا جل العظماء حالتهم مع الناس غير حالتهم مع أهلهم وفي بيوتهم، فلا يقبلون التنقيب عن شؤونهم الداخلية ، ولا يرضون لزوجاتهم أن تخبر عن أحوالهم، بل تعتبر حياتهم الخاصة سراً من الأسرار يعاقب على إفشائها، وكل الناس كذلك لا يرضون أبداً أن يطلع أحد على كثير من حياتهم الأسرية الخاصة.
أما نبي الرحمة فيعرف عنه الصحابة كل شاذة وفادة قبل النبوة وبعدها ، فهو لم يأذن فحسب ! بل أمر أن ينقل عنه كل شيء ، فبلغت عنه أزواجه كل ما رأينه منه، حتى إنها لتبلغ عنه ما كان تحت اللحاف فيما بينه وبينها، وعن غسلها معه من الجنابة، حتى إن الرجل ليعرف عن رسول الله ﷺ أكثر مما يعرفه عن أبيه الملاصق له والساكن معه!
لقد سلط الصحابة الأضواء الكاشفة عليها، فنقلوها إلينا كلها، حتى ما كان عادة وعرفا منها : ففي السيرة كيف ولد؟ ومتى ولد؟ ومن أرضعه واحتضنه؟ وما ذا عمل في طفولته وشبابه؟ وما ذا صنع في كهولته؟ قبل البعثة وبعد البعثة، قبل الهجرة وبعد الهجرة، كعقد اتصلت حلقاتها، وصحت أسانيدها، لا يوجد هذا لأي نبي من الأنبياء، ولا لأي عظيم من العظماء، وليس في هذه السيرة العطرة خط أحمر، أو دائرة حمراء، فيقال هذا لا يروى، أو هذا خاص لا يقال للناس، بل حياته كلها ملك لأتباعه، ومدروسة لأمته ، لقد وصفوه في قيامه وجلوسه، وكيف ينام، وهيئته في ضحكه وابتسامته، وكيف اغتساله ووضوءه، وكيف يشرب ويأكل وما يعجبه من الطعام، ووصفوا جسده الطاهر كأنك تراه، حتى ذكروا عدد الشعرات البيض في رأسه ولحيته، ولمحة في كتاب من كتب السيرة والشمائل تجد العجب من هذا الشمول وهذه الدقة في الوصف والنقل.
أفيستنكر بعد كل هذا أن يروى عنه كل تصرفاته وسيرته مع زوجاته ، وهو القدوة والرحمة المهداة؟

هل في إثبات طواف النبي على نسائه بغسل واحد إساءة إليه ؟!

ويستمر العلماني الجاهل في إيراد شبهه معرضا بالجناب الشريف أو طاعنا في ناقلي سـنته ﷺ .
قال: " بعد لا تكتمل قصص الغرابة عن النبي (ص) في علاقته بالنساء وانشغاله الدائم، إبان دعوته للإسلام، بالجميلات ولا نكاد بعد نجد وسيلة أفضل للتغاضي عن ذكر أحاديث أخرى مغرقة في "الإساءة" إلا الختم بحديث دال شامل ورد في البخاري تحت رقم 268 الحديث ..)
قلت: هذا الجاهل الحاقد يؤز القارئ ويدفعه إلى اعتقاد أن هذه الاحاديث تفيد أن النبي ﷺ لم يكن همه إلا النساء والشهوة، ويصور ما جاء في هذه الأحاديث من وقائع على أنها حال دائمـة ملازمـة للنبي ﷺ فتعبيره الأثيم (..وانشغاله الدائم ...) يفيد هذا، وهو مغالطة وتعريض خبيث.
فما نقل عنه ﷺ من هذه الوقائع أولا : هي على تأويلها الحسن كما هو الشأن عند أهـل العلـم، لا كما يصورها العلمانيون وأساتذتهم النصارى من أن فيها إساءة ، وثانيا هي وقعت في عشرات السنين من عمر النبي ﷺ ، والصحيحان اللذان يطعن فيهما لوجود مثل هذه الأحاديـث التـي تعـد علـى الأصابع، فيهما الآلاف من أحاديثه ﷺ تتناول كل أحواله الدينية والدنيويـة، مـن صـلاة وصـيام وإحسان وجود وكرم وجهاد وسفر وحضر وتعليم ودعوة وقيام بشؤون المسلمين، وغير ذلك مما هـو في هذين السفرين العظيمين، فكيف يستخف هذا الجويهل بعقول الناس، فيسوق بعض الأحاديث يتأولها على هواه ثم يجعل مفادها ملازما للنبي ﷺ أيامه ولياليه كلها.. ما هذا السفه والجهل..؟!!
لقد أورد هذا الجويهل حديث طوافه ﷺ على نسائه بغسل واحد، وقال بأنه مسيء إليه مما يدل على أنه موضوع ومكذوب ، وإن كان في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة وأنس رضي الله عنهما، وهذا الحديث يورده أساتذة هذا الكويتب من النصارى في شبههم على الإسلام مما يؤكد تـأثره بهـم وتقميشه من كتبهم ومنتدياتهم.
وهذا الحديث عند العقلاء قبل العلماء ليس فيه أي إساءة أبدا ، فالنبي ﷺ جعله الله أسوة للأمة فـي كل شيء إلا ما اختص به، قال تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمـن كـان يرجـو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)، فما كنا لنعلم جواز وطء الرجل لنسائه بغسل واحد لولا هذا الحـديث، ولثبوت الحديث، فقد أطبق العلماء على العمل به. وقد حكى غير واحد من العلماء الإجماع على جواز الطواف على الأزواج بغسل واحد.
قال ابن بطال رحمه الله: "لم تختلف العلماء في جواز وطء جماعة نساء في غسل واحد على ما جـاء في حديث عائشة، وأنس.." انتهى من شرح "صحيح البخاري" لابن بطال (381/1).

والنبي ﷺ كان يأمر بالوضوء للعود للجماع ، قال ﷺ (إذا أتى أحدُكم أهلَه ثم أراد أن يُعاود فليتوضأْ فإنه أنشطُ للعَودِ)[133] فيغلب على الظن أنه توضأ في طوافه على نسائه لكل جماع.

وخير ما وقفت عليه مما قيل في توجيه ذلك أنه ﷺ إنما كان يفعله حين قدومه من أسفاره ، وقبل أن يبدأ القسم بينهن.

قال ابن عبد البر رحمه الله: "وهذا معناه في حين قدومه من سفر أو نحوه، في وقت ليس لواحدة منهن يوم معين معلوم، فجمعن حينئذ، ثم دار بالقسم عليهن بعد –والله أعلم– لأنهن كن حرائر، وسنته ﷺ فيهن العدل في القسم بينهن، وألا يمس الواحدة في يوم الأخرى" انتهى من "الاستذكار"(263/1).

وهذا التوجيه حسن جدا، فهو يدل على أن هذا كان قليلا في فعله ليس كما يصور هذا الأثيم أنه حاله الدائمة ،! ثم إن فيه حكما ، منها: أنه حين قدومه ﷺ تكون أزواجه مغيبات وتستوين في هذا كلهن، وقد تتشوف كل واحدة منهن لمبيته ﷺ عندها، فكان طوافه عليهن في ليلة من حسن العشرة، ومراعاة المصلحة. اهـ[134]

والشبهة مصدرها المواقع المسيحية والإلحادية ، شهرها الشيعة للطعن في البخاري وفي أهل السنة ، فجعلوا من إعلامهم أبواقا للنصارى يتلقفون منهم كل شبهة في حق الرسول رغم أن هذا موجود في كتبهم ومصادرهم ،

وهذه الشبهة لا تستقل ولا تختلف عن شبهة التعدد بتسع ، فهما متحدتان قرينتان من حيث الطعن ومن حيث الرد والجواب

فأعداء الإسلام يتخذون من جمع الرسول ﷺ **بين تسع نسوة في وقت واحد** ومن طوافه عليهن ، منفذاً للطعن ، ووسيلة للاتهام ، ورغم أن الأسباب متعددة متنوعة فهم يتغاضون عن كل ذلك ولا يذكرون تعليلاً لهذا الجمع سوى الشهوة الجنسية والثورة الغريزية ، دون أن يحيطوا بالظروف التي صحبت هذا الزواج ، ودون أن يبحثوا عن الأسباب الحقيقية التي أدت إلى هذا الجمع.

والدافع على تسديد هذه المطاعن ، وإثارة تلك الشبهات ، هو الحقد الأسود على الإسلام ورسول الإسلام ، بل عداوتهم لهذا الدين قديمة متأصلة توارثوها عن الحروب الصليبية جيلاً بعد جيل ، فترسخت حتى خالطت اللحم والعظم ، وتأصلت حتى انطبعت في سويداء القلوب ، وماذا تنتظر من اللئيم غير الخبث واللؤم ، ومن الحقود غير الحقد والظلم ؟.

---

[133] - **مسلم** (249/1 ، رقم 308) **،وأحمد** (28/3 ، رقم 11243) ، **وأبو داود** (56/1 ، رقم 220) ، **والترمذى** (261/1 ، رقم 141) وقال : حسن صحيح . **والنسائى** فى الكبرى (329/5 ، رقم 9038) ، و**ابن ماجه** (193/1 ، رقم 587) . وأخرجه أيضًا : **ابن خزيمة** (109/1 ، رقم 219) . و**الطيالسى** (ص 294 ، رقم 2215) وأخرجه أبو نعيم فى الحلية ، و ابن حبان (12/4 ، رقم 1211) ، و**الحاكم** (254/1 ، رقم 542) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين . ووافقه الذهبى والبيهقى (192/7 ، رقم 13865) . عن أبى سعيد)

[134] - مقتطف من مقال للأخ رضوان نافع حفظه الله / مع زيادة وتعديل قليل

ومع كل هذا لابد أن يوجد من غير المسلمين عقلاء منصفون تجردوا من مؤثرات العصبية والهوى ، فتكلموا بلسان المنطق والحق ، وكشفوا عن وجه الحقيقة ونطقوا لغة الإنصاف . ومن هؤلاء (توماس كارليل) الذي يقول في هذا المقام : (ماكان محمد أخا شهوات ، برغم ما اتهم به ظلماً وعدواناً ، وشدَّ مانجور : ونخطئ إذا حسبناه رجلاً شهوانياً ، لا همّ له إلا مآربه من الملاذ . كلا! فما أبعد ماكان بينه وبين الملاذ أياً كانت ..([135])

وينبغي أن يعلم أن الجمع بين عدة زوجات كان شائعاً في البيئة الإنسانية والعربية قبل الإسلام . ومما يدل على هذا أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحته عشر نسوة ، وأن الحارث ابن قيس حين أسلم كان عنده ثمان نسوة ، وغيرهما كثير منتشر معروف .

إذن فنكاحه ﷺ أزواجه بالطريقة التي وردت في الروايات لا يقدح في شخصيته ونبوته أو كرامته ، بل يدل على كمال رجولته وإعجازه واختصاصه ، ويدل كذلك على حسن عشرته وصحبته ،

ولا يفهم منه أي عاقل فقيه أنه شهواني كلا وحاشا ، فلو كان ﷺ كذلك ما قضى زهرة شبابه وفتوته ، وعنفوان رجولته عازبا ، مع أن الزواج والتسري من أيسر الميسرات في زمانه ،ورغم أن الزواج المبكر كان من أعراف المجتمع الجاهلي ،

هذا ومع توفر أسباب الانحراف والسقوط في الفاحشة في مجتمع مكة ورغم امتلاء المجتمع الجـاهلي بشرائح من الزانيات اللاتي كانت لهن بيوت يستقبلن فيها الزناة ويضعن عليهـا " رايـات " ليعرفهـا طلاب المتع المحرمة ــ لم يُعرَف عن الرسول محمد ﷺ إلا العفاف والطهارة والاستقامة والتعفف عن الفاحشة بين جميع قرنائه؛

وعندما قرر الزواج تزوج بالسيدة خديجة وهو شاب ابن خمس وعشرين سنة ، وكانت هي ثيباً بنـت أربعين سنة ، فعاشت معه خمس عشرة سنة قبل البعثة ، وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سـنين ، وكـان عمرها يومئذ خمساً وستين سنة. ولم يتزوج عليها حتى توفيت .

ولم يعدد إلا بعد أن جاوز الخمسين ، وحتى درج في سن الكهولة ، لحكـم اجتماعيـة ، وأغـراض تشريعية ، وكاتبنا يورد طعنا في لباس السؤال (هل كان رسول الله آلة جنسية وحاشاه؟،) بلغة رديئـة سوقية وعبارة تهكمية .. فكيف تكون الآلات الجنسية (الناكحة) يا... ؟!!!

إن حديث طوافه ﷺ ، على نسائه جميعاً، يبين بياناً عملياً قول رب العزة {وعاشروهن بالمعروف } وهى كلمة جامعة تعنى : التحلي بمكارم الأخلاق فى معاملة الزوجات، من صبر على ما قـد يبـدر منهن، أو تقصير فى أداء واجباتهن، ومن حلم عن إيذائهن فى القول أو الفعل، وعفو وصفح عن ذلك،

135 - كتاب الأبطال ص83

ومن كرم فى القول والبذل، ولين فى الجانب، ورحمة فى المعاملة، إلى غير ذلك مما تعنيه المكارم الأخلاقية التعاملية الأسرية. ويبين البيان العملى لخيرية وكمال أخلاقه وعصمته مع أهل بيته، كما قال : "**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى**" إنه يبين كمال رأفته، وحبه، وعدله مع أهل بيته، وبين نسائه فى القسم كما صرحت بذلك عائشة رضى الله عنها إذ قالت "(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُفَضِّلُ بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْقَسْمِ مِنْ مُكْثِهِ عِنْدَنَا وَكَانَ قَلَّ يَوْمٌ إِلَّا وَهُوَ يَطُوفُ عَلَيْنَا جَمِيعًا فَيَدْنُو مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ مَسِيسٍ(وفي رواية: –من غير وِقاع) حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى الَّتِي هُوَ يَوْمُهَا فَيَبِيتَ عِنْدَهَا "([136])
ولفظ البيهقي (300/7) (يطوف علينا جميعاً فيقبل ويلمس مادون الوقاع . .)

وهذا الحديث نص صريح يبين لنا حقيقة طوافه ﷺ على نسائه جميعاً فى الساعة الواحدة من الليل والنهار. ... إنه طواف حب، ومداعبة، بدون جماع، حتى يبلغ إلى التى هو يومها فيبيت عندها، كما هو ظاهر كلام عائشة رضى الله عنها. ... ولا يتعارض مع ظاهر حديث أنس رضى الله عنه، فى أن حقيقة طوافه ﷺ على نسائه جميعاً بجماع.

إذ الجمع بينهما حينئذ يكون، بحمل المطلق فى كلام أنس على المقيد فى كلام عائشة ووجه آخر : بحمل كلام عائشة على الغالب، وكلام أنس على القليل النادر، فلا مانع من أنه ﷺ إذا طاف على نسائه جميعاً فى بعض الأحيان يكون بجماعهن جميعاً، وتكون له ﷺ القدرة على ذلك، لم اختصه الله به من القوة ، كما أنه ليس فى كثرة جماعه دليل على (هوسه بالجماع) على حد زعم أعداءه وأعداء عصمته صلى الله عليه وسلم .

لأن الأمر فى ذلك راجع إلى قيامه بواجب العدل بين أهل بيته، كما أنه يرجع إلى طبيعته البشرية، وما اختصه به ربه عز وجل، ولم يكن فى ذلك كله ما يشغله عن حق ربه عز وجل، فهو مع ما طبعت عليه بشريته من كثرة الجماع، فهو بالإجماع أعبد الناس، ولم يخل بعبادته شيئاً، لأنه ﷺ ، لم يكن يأتيها إلا على مشروعيتها، وهذا هو غاية العصمة والكمال فى البشرية.[137]

ونقول في الخلاصة : إن ذكر طوافه ﷺ على نسائه كان في معرض مدحه ﷺ بالقوة الخارقة العجيبة له ، لا في مقام الذم له باللهو والإستمتاع بالنساء ، كما أن توفيقه بين واجب الدعوة الضخم وحق أهله عليه يدل على شرف وكمال له ﷺ لم يتح لغيره ،

ونبين أيضا أن طواف النبي ﷺ على نسائه كلهن كان من باب تعليم الأمة العدل في القسمة بين الزوجات مودة واستئناسا وبيانا عمليا لهم بأن يعطوا كل ذي حق حقه ، وهذا لا يستلزم تأويل الطواف على أنه جماع ، وحتى عند قصره على الجماع ففيه فوائد وحكم عديدة ماكانت لتصلنا لولا ذلك .

---

[136] ـ أخرجه أبو داود فى سننه كتاب النكاح، باب القسمة بين النساء 242/2 رقم 2135 والحاكم (2 / 186) من حديث عائشة ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .
[137] ـ كتاب : رد شبهات حول عصمة النبى ﷺ فى ضوء السنة النبوية الشريفة للمؤلف : عماد السيد الشربينى 486

طعن الشيطان في جنب ابن آدم

أخرج البخاري و مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :(**كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه بإصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب**) .

وفي رواية للبخاري : (**ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد ، فيستهل صارخا من مس الشيطان ، غير مريم وابنها . . . .**) ، وفي رواية مسلم : (**ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه**) .

وقد تعرض هذا الحديث للانتقاد من قبل البعض قديماً وحديثاً ، حيث نسجوا حوله العديد من الشبه والشكوك التي توجب رده وعدم قبوله بزعمهم ، فادعى " أبو رية " بأنه من الإسرائيليات لأنه يقتضي تفضيل نبي الله عيسى على نبينا محمد عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه ، ولذلك اتكأ عليه بعض القسس من النصارى لإثبات عقيدة من عقائدهم الزائفة ،

كما أنه يقتضي أن الشيطان قد يسلط على الأنبياء والرسل حتى أولي العزم منهم ، وعليه يكون نبينا ﷺ ممّن طعن الشيطان في جنبيه ، كما أنه قد يسلط على غيرهم من عباد الله المخلصين ، وهو ما ينفيه القرآن صراحة ، وذلك في قوله تعالى : {إن عبادي ليس لك عليهم سلطان }(الحجر42) ، وقوله :{إلا عبادك منهم المخلصين }(الحجر 40) .

و الحديث صحيح رواية ودراية ، أما من حيث النقل والسند فالحديث أخرجه البخاري و مسلم وغيرهما من أئمة الحديث ، وتلقته الأمة بالقبول ، ولم يعرف من طعن فيه من أئمة هذا الشأن ، وأما من حيث المتن والمعنى فليس في متنه ولا في معناه ما يدعو إلى رده أو التوقف فيه لأنه لا يخالف عقلاً ولا نقلاً. ، كل ما هنالك أنه وُجد من توهم معنى فاسداً بحسب فهمه فبادر إلى إنكاره أو التوقف في صحة الحديث ، بل الحديث استجابة لدعاء أم السيدة مريم حيث قالت كما حكى القرآن عنها: { وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم } وبالتالي فالحديث جاء تأكيداً وبياناً للآية الكريمة، كما جاء على لسان راوي الحديث أبي هريرة رضى الله عنه.

وأهل العلم أجروا الحديث على ظاهره ، وقالوا بحقيقته ، وأن إبليس مُمَكَّنٌ من مس كل مولود عند ولادته ، وأنه حاول ذلك مع مريم وابنها فلم يمكن منهما استجابة لدعاء أم مريم حين قالت : {وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم }(آل عمران:36) .

وليس مخالفاً أيضاً لما ثبت من عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الشيطان الرجيم لأن الذي يقتضيه ظاهر الحديث. أن إبليس – عليه لعنة الله – مُمَكَن من مس كل مولود عند ولادته، لكن عباد

الله المخلصين لا يضرهم ذلك المس أصلاً، واستثنى من المخلصين مريم وابنها، فإنه ذهب يمس على عادته، فحيل بينه وبين ذلك، فهذا وجه الاختصاص، ولا يلزم منه تسلطه على غيرهما من المخلصين من أنبياء الله عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

وأيضا_ ليس في إثبات هذه الخصوصية لعيسى وغيره ما يعود بالنقص على بقية الأنبياء ، ولا ما يقتضي تفضيله عليهم ، لأن الفضل الذي يعدُّ كمالاً تاماً للإنسان ، هو ما كان بسعيه واجتهاده ، ومن هنا كان فضل الخليلين إبراهيم و محمد عليهما وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام ، وأما طعن الشيطان بيده فليس من شأنه أن يثاب العبد على سلامته منه ، ولا أن يعاقب على وقوعه له ،!! وعلى التسليم بأن هذه فضيلة لعيسى عليه السلام فنحن جميعاً نقر بأن المفضول قد يكون فيه من الخصائص والمزايا ما ليس للفاضل ، ولا يؤثر ذلك في أفضليته .

وأما إذا قلنا بأن الكلام هنا ليس على عمومه ، وأن المتكلم غير داخل في عموم كلامه – كما قال جمع من العلماء منهم الألوسي في تفسيره – فيكون نبينا عليه الصلاة والسلام ممن لم يمسه الشيطان أيضاً ، وقد اختار القاضي عياض – كما نقله عنه النووي – : أن جميع الأنبياء يتشاركون في هذه الخصيصة .

وأياً ما كان الأمر فليس في الحديث أبداً ما يقتضي تفضيل عيسى عليه السلام على نبينا محمد ﷺ تفضيلاً مطلقاً ، وكون بعض القسس والرهبان اتكأوا على الحديث في إثبات عقيدة من عقائدهم الزائفة ، فلا يعود ذلك على الحديث بالبطلان أو الرد ، والتبعة واللوم إنما تقع على من حرَّف الحديث عن مواضعه ، وحمله على غير محامله الصحيحة .

ونحن عندما نقول بظاهر الحديث ينبغي أن نفرق بين المس وبين الإغواء والإضلال ، فلا يلزم من وقوع المس والنخس إضلال الممسوس وإغواؤه حتى يقال إن الحديث معارض لقوله تعالى : {إن عبادي ليس لك عليهم سلطان }(الحجر42) ، وقوله :{إلا عبادك منهم المخلصين }(الحجر 40) ، لأنه يفيد عدم تسلط الشيطان على الأنبياء والمُخْلَصين .

فإن الآية إنما تدل على عدم تسلطه عليهم بالإغواء والإضلال الدائم ،! ومع ذلك فقد يسلط على بعضهم بإغواء عارض ، أو إلحاق ضرر لا يؤثر على الدين ، وكم تعرض الشيطان للأنبياء والأولياء بأنواع الإفساد والأذية . ومع ذلك عصمهم الله عز وجل ، بعدم تمكنه من إغوائهم ، أو إلحاق ضرر بهم يضر بالدين؛

وماذا يقول هذا المنكر فيما أثبته الله في كتابه فى حق سيدنا أيوب عليه السلام : { واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب }(صّ 41) وعن قول نبي الله موسى عليه السلام بعد أن قتل القبطي : {قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين * قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر

له إنه هو الغفور الرحيم }(القصص 15) وقوله سبحانه في حق سيدنا آدم وزوجته : { فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه } ، وقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ : { * وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم* إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون }(الأعراف199) .

ونبينا عليه الصلاة والسلام عرض له الشيطان ليقطع صلاته فأمكنه الله منه ، فرده الله خاسئاً كما في الصحيح ، وأخبر أنه ما منا من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن ، حتى هو نفسه ﷺ إلا أن الله أعانه عليه فأسلم ، على رواية الرفع بمعنى : " أسلم من شره وفتنته " ، وعلى رواية الفتح بمعنى : " أنه دخل في الإسلام " ، وهما روايتان مشهورتان .

فليس معنى النخس أن الشيطان يتمكن من ابن آدم ، وأنه بسبب هذه النخسة أصبح من حزبه ، فليس في هذا الحديث أي إشارة لذلك ، وغاية ما في الأمر أن الشيطان ينخس أو ينغز أو يضرب فقط ، وهذا النخس هو أن الشيطان يطمع في إغواء المولود فكأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول سأسعى ليكون في حزبي وسأغويه .

والمقصود أن القرآن والسنة أثبتا شيئاً من تعرض الشيطان للأنبياء والمخلصين بأنواع الأذى وأما الزيغ والإضلال فقد عصمهم الله منه .

فعلم من ذلك أنه لا إشكال أبداً حول الحديث لا من حيث النقل والسند ، ولا من حيث المتن والمعنى ، وأن الإشكال إنما أتى من الفهم السقيم ، والرأي غير المستقيم. أهـ([138])

فليس في الحديث أي شيء مما سماه الكاتب تطاولا على نبينا .. ولا تنقيصا ولا إساءة ، فالأنبياء على مرتبة واحدة ، وإن اختلفت معجزاتهم وخصائصهم ،، فسليمان آتاه الله ملكا لم يؤته أحدا قبله ولا بعده ، و اتخذ الله إبراهيم خليلا ، وكلم الله موسى تكليما ، ونوح مكث في الدعوة ألف سنة إلا خمسين عاما ... وهكذا كل نبي له خصائصه وخاصيته ، ولن ننجر وراء الغرائز والنعرات ، بذكر محاسن كل نبي وعيوبه ، لنثبت تفضيل هذا وتقدم ذاك ، فالأنبياء كلهم أسرة واحدة ، وعلى ملة واحدة ، والإيمان بهم جميعا واجب ، وفضل الله يؤتيه من يشاء ،

[138] - ينظر كل من : كتاب : رد شبهات حول عصمة النبى ﷺ فى ضوء السنة النبوية الشريفة المؤلف : عماد السيد .الشربينى _ وكتاب : الأنوار الكاشفة للمؤلف : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي _ وكتاب : دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهبة ص86 .

الباب الرابع:
شبهات حول السنة والحديث إجمالا

من أدلة حجية السنة المطهرة العقل والنظر

يدعي منكروا السنة أن القرآن وحده يكفي المسلمين في كل ما يحتاجون إليه ، ولا حاجة لهم في السنة ، ويعتبرونها زيادة في الدين وليست منه ، ومن تم يرون أن السنة لا تعتمد كمصدر ثان في التشريع الإسلامي ، إذ إن الدين قد اكتمل بالقرآن وحده دون السنة ، مستدلين ببعض الآيات يفسرونها تفسيرا بعيدا عن موضوعها ، ويؤولونها على غير مقتضاها ، يطول المقام بذكر كل تفاصيلها ، وقد أشرنا إلى بعض منها بالرد والتحقيق في الفصل الموالي ،

وقد أفاض العلماء قديما وحديثا في الرد على هذه المناوشات والإفتراءات الخالية من أدنى مقومات الصحة والبعيدة عن العقل والمنطق ، وسنورد بعد الأدلة العقلية النظرية ثم النقلية ،

1- لقد تواترت آيات القرآن الصريحة في الدعوة إلى التمسك بالسنة والحض على الإعتصام بها وأكد النبي ﷺ في كثير من أحاديثه أن الهدي في اتباع سنته فأمر بالأخذ بها وحذر من مخالفتها ، فكيف يدعون أن النبي ﷺ لم يصرح بأن السنة هي المصدر الثاني للتشريع ؟

2- السنة النبوية كانت موجودة في حياة النبي ﷺ إذ كانت هي الطريقة العملية والتطبيق المجسد لتعاليم الدين ، وقد بثها صحابة رسول الله ﷺ بعد وفاته خشية التأثم بكتمان العلم ، كما أن عدم كتابتها لا يعني عدم وجودها ، إذ لا يلزم من نفي الكتابة نفي المكتوب ، هذا فضلا عن أن الكتابة ليست من لوازم حجية السنة ، لاسيما وقد حل محلها ما هو أقوى منها ، وهو الحفظ والوعي عند الصحابة بعد التلقي المباشر من رسول الله ﷺ .

3- إن القرآن لم يتضمن تفصيلا لكل أمور الشريعة كالعبادات من صلاة وصيام وحج وزكاة .. الخ ، وإنما جاء مجملا لكل شيء ، وترك التفصيل للسنة النبوية ، أليس هذا دليلا قاطعا على وجوب وجود السنة وصدورها عن النبي ص كمصدر ثان للتشريع ؟

4- ثم لو سلمنا جدلاً أنه يكفى الاستناد إلى القرآن وحده ، ولم نعبأ بالسنة أبداً ، وتركنا القرآن ، _يخطئ فيه المخطئون، ويتعمد فيه الكذب الكاذبون، ويتلاعب فيه الملحدون الذين طمس الله على قلوبهم وأعمى بصيرتهم، ويخوض فيه المنافقون بما يمليه عليهم رؤساؤهم وشياطينهم، ويعبث فيه أهل الأهواء والبدع والضلال، بما تسوله لهم نفوسهم_

هل يزول الخلاف بين الناس أم يزيد ؟ مما لا ريب فيه أنه يزيد ، لأن هؤلاء الذين يزعمون أنهم قادرون على استنباط كل شيء من القرآن الشريف بدون رجوع إلى بيان صاحب الرسالة ﷺ .

نراهم يكثرون من المسائل العجيبة التي استنبطوها بزعمهم من القرآن، ومن الغرائب أن كثيراً من الأحكام التي يردونها لثبوتها بالسنة نجد أصلها موجوداً في القرآن الكريم عند إمعان النظر، وأغرب من ذلك تناقضهم واختلافهم فيما يستنبطون من القرآن، فكل واحد منهم مستقل بنفسه مخالف للآخر، بحيث تراهم في سذاجتهم وتدليسهم يعبثون بعقول الناس غاية العبث، يدخلون على الشريعة أموراً ليست منها، ويخرجون منها أموراً هي من أساساتها .[139]

لقد دلّ الاستقراء على أن الكتاب العزيز فرض على الناس فرائضَ مجملة تحتاج إلى تفسير، وشرح وبيان ، كأداء الصلاة، وإيتاء الزكاة، والقيام بمناسك الحج . لذلك، فقد ذهب العلماء ، والمحققون _(دون اعتبار لقول من شذ من المرجفين في دين الله تعالى، العاملين على هدم كيان السنة النبوية) إلى أنه يتحتم شرعاً وعقلاً الرجوع إلى السنة لتفصيل مجمله وبيان كيفية أدائه لوضع الصور التطبيقية لتوجيهاته . ومما يستعان به في تأييد ذلك :

أ- ما روي أن رجلاً قال لعمران بن حصين رضي الله عنه: لا تحدثونا إلا بالقرآن، فقال له عمران: "إنك امرؤ أحمق: أتجد فى كتاب الله الظهر أربعاً لا تجهر فيها بالقراءة؟ ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا، ثم قال : "أتجد هذا فى كتاب الله مفسَّراً؟ إن كتاب الله أبهم هذا، وإن السنَّة تفسِّر ذلك([140])

ب- وروى أن رجلاً قال لمطرف بن عبد الله بن الشخير : لا تحدثونا إلا بالقرآن، فقال له مطرف : "والله ما نريد بالقرآن بدلاً، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا".

ج- وفى هذا المعنى قال الأوزاعى : "الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب". قال ابن عبد البر : "يريد أنها تقضى عليه – أى تفصل فيه – وتبين المراد منه"([141]) .

وأمر أخير :

5- هب أننا نعدُّ هذا تنازعاً بيننا وبين خصومنا الذين يرون الاكتفاء بالقرآن : فإننا نقول : إننا أُمرنا في القرآن الكريم عند التنازع أن نرجع إلى القرآن والسنَّة ! فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) النساء/59 ، فماذا هو صانعٌ خصمنا بهذه الحجة القرآنية ؟ إن قبلها : رجع إلى السنَّة فبطل قوله ، وإن لم يرجع : فقد خالف القرآن الذي يزعم أنه كافٍ عن السنَّة .

والحمد لله رب العالمين

139 - كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها المؤلف : عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى // وانظر أيضا : منزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ص119 - ، وانظر : الإسلام على مفترق الطرق ص 97، والقرآنيون وشبهاتهم حول السنة للدكتور خادم بخش مبحث (منهج القرآنيين فى تفسير القرآن الكريم) ص 257

140 - أخرجه ابن المبارك فى مسنده ص 143 رقم 233، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم 191/2، والحازمى فى الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ ص 98.

141 - الآثار السابقة أخرجها ابن عبد البر فى جامع بيان العلم 191/2، والحازمى فى الاعتبار ص 100

ضرورة اعتماد السنة لسلامة فهم القرآن

أنزل الله القرآن تبيانًا ((لكل شيء من أمور الدين إما بالنص عليه أو بالإحالة على ما يوجب العلم ؛ مثل بيان رسول الله ﷺ أو إجماع المسلمين)). هكذا فسّر ابن الجوزي قوله تعالى : { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ } (النحل : 89) . ونسبه إلى العلماء بالمعاني . ([142])

وقال تعالى : { مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ } (الأنعام) يَعني بالكتاب اللوح المحفوظ في قول ابن عباس الثابت عنه ، قال : ((ما تركنا شيئًا إلا وقد كتبناه في أمّ الكتاب)) . وتبعه قتادة وابن زيد .

وقال القرطبي : ((ما تركنا شيئًا من أمر الدين إلا وقد دللنا عليه في القرآن ، إما دلالة مبينة مشروحة ، وإما مجملة يُتلقى بيانها من الرسول عليه الصلاة والسلام ، أو من الإجماع ، أو من القياس <على> الذي ثبت بنص الكتاب، قال الله تعالى : { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ } وقال : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } وقال: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} فأجمل في هذه الآية وآية النحل ما لم ينص عليه مما لم يذكره ، فصدق خبر الله بأنه ما فرّط في الكتاب من شيء إلا ذكره ، إما تفصيلًا وإما تأصيلًا ؛ وقال : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } ([143]) .

وعلى كثرة نظري في كتب التفسير لاستجلاء معنى الآيتين لم أر من فهم منهما أن القرآن لا يحتاج إلى بيان النبي ﷺ ، ومن خالف ما أجمع عليه المفسرون ظهر زيغه وانحرافه .

وقد كان الصحابة أرباب الفصاحة والبلاغة وكانوا مستغنين عن علوم الوسائل التي افتقر إليها المتأخرون ، بيد أنهم احتاجوا إلى تفسير النبي ﷺ ، فبين ((أن الظلم المذكور في قوله تعالى : {.وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } هو الشرك، وأن الحساب اليسير هو العرض ، وأن الخيط الأبيض والأسود هما بياض النهار وسواد الليل ، وأن الذي رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى هو جبريل ، كما فسر قوله : { أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ } أنه طلوع الشمس من مغربها ، وكما فسر قوله : { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ } بأنها النخلة، وكما فسر قوله : { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ } أن ذلك في القبر حين يُسأل من ربك وما دينك ، وكما فسر الرعد بأنه ملك من الملائكة موكل بالسحاب ، وكما فسر اتخاذ أهل الكتاب أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله بأن ذلك باستحلال ما أحلوه لهم من الحرام وتحريم ما حرموه من الحلال ، وكما فسر القوة التي أمر الله أن نُعدّها لأعدائه بالرمي ، وكما فسر قوله : { مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ } بأنه ما يجزى به العبد في الدنيا

---

142 - في زاد المسير (4 / 482) .

143 - (2) الجامع لأحكام القرآن (6 / 420) .

من النصب والهم والخوف واللأواء ، وكما فسر الزيادة في قولـــه تعـــالى : { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } بأنها النظر إلى وجه الله الكريم)) ([144]) . وهي كما ترى معانٍ لا يُتوصل إليهـــا بمجـــرد إتقان لسان العرب ، فلو لم يأت بها بيان الرسول ﷺ لكنا في عماية من أمرها .

فالسنة تبين مجمل القرآن ، قال تعالى : { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ } وقال ســبحانه : { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ } وقال جل من قائل : { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا } ، فبين النبـــي ﷺ بفعله وقوله أن الصلوات المفروضات خمس في اليوم والليلة وبين أعداد ركعاتها وشروطها وأركانها ثم قال : (**صلوا كما رأيتموني أصلّي**) ، وبين أن الحائض لا صلاة عليها لا أداء ولا قضاء .

وكذلك الزكاة بيّن حقيقتها وعلى من تجب ؟ وبيّن أنصبتها ، وأنها تؤخذ من العين من الذهب والفضة، والمواشي من الإبل والغنم والبقر السائمة مرة كل عام ، وأوجبها في بعض ما أخرجـــت الأرض دون بعض . ((وبيّن أن الصيام هو الإمساك بالعزم على الإمساك عما أمر بالإمساك عنـــه مـــن طلـــوع الفجر إلى دخول الليل)) ([145]).

وأنه فرض على البالغين من الأحرار والعبيد ذكورهم وإناثهم إلا الحيّض فإنهن يقضين عدة من أيـــام أخر ، وبيّن الرسول ﷺ أن الحج لا يجب في العمر إلا مرة واحدة وبيّن ما يلبس المحرم ممـــا لا يلبسه وحدّد مواقيت الحج والعمرة وبيّن عدد الطواف وكيفيته ، كلّ ذلك ليس بيانه في القرآن .

وأوجب الله سبحانه قطع يد السارق فقال : { وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا } فبينت السنة أنهـــا لا تقطع إلا في ربع دينار فصاعدا وأنها تقطع من مفصل الكوع .

فلو تُرِكْنا وعقولَنا لما كنا نعرف هذه الأحكام ، فتبيّن أنه لا يُستغنى عن السنة في فهم القرآن ،

وقد عرف الصحابة ذلك فكانوا يعرفون للسنة قدرها، فهذا جابر بن عبد الله يقول أثناء سرده صفة حج النبي ﷺ ((ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ، وعليه ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله ، وما عمل به من شيء عملنا به)) ((صحيح مسلم (1218) . وعن ابن عمر قال : قـــال رســـول الله ﷺ : « ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد » فقال ابن له ، يقال له واقد : إذن يتخذنه دَغَلاً . قال : فضرب فـــي صدره وقال : أحدثك عن رسول الله ﷺ ، وتقول : لا ! ([146]).

وروي عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه ذكر الشفاعة ، فقال رجل من القوم : يا أبا نجيـــد ، إنكم تحدثونا بأحاديث لم نجد لها أصلاً في القرآن ، فغضب عمران وقال للرجل : قرأت القرآن ؟ قال : نعم . قال : فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعاً ووجدت المغرب ثلاثاً ، والغداة ركعتين ، والظهـــر أربعاً والعصر أربعاً ؟ قال : لا . قال : فعمن أخذتم ذلك ؟ ألستم عنّا أخذتمونا وأخذناه عن رسول الله

---

[144] - إعلام الموقعين (2 / 315) .

[145] - السنة للمروزي 36 .

[146] - صحيح مسلم (442 / 139). _ والدَّغَل: دَخَلٌ في الأمر مُفسِد. اهـ القاموس

ﷺ ؟ أوجدتم فيه : في كل أربعين شاة شاة، وفي كل كذا بعيراً كذا ، وفي كل كذا درهماً كذا ؟ قال : لا . قال : فعمن أخذتم ذلك ؟ ألستم عنا أخذتموه وأخذناه عن النبي ﷺ ؟ . وقال: في القرآن { وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ } (الحج : 29) . أوجدتم في القرآن: « لا جلب ولا جنب ولا شغار في الإسلام » ؟ أما سمعتم الله قال في كتابه: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } ؟! قال عمران : فقد أخذنا عن رسول الله أشياء ليس لكم بها علم ([147]) .

وعن أيوب السختياني أن رجلاً قال لمطرف بن عبد الله بن الشخير : لا تحدثونا إلا بالقرآن . فقال له مطرف : ((والله ما نريد بالقرآن بدلاً ؛ ولكنا نريد من هو أعلم بالقرآن منا)) ([148]) .

فبهؤلاء السلف فلنقتد ، ولتعظُم السنن في قلوبنا ، ولنُربّ الأجيال على احترامها وتطبيقها ، وما لم يكن يومئذ ديناً فلن يكون اليوم ديناً ، فيا تُرى من أين يأخذ القرآنيون دينهم ؟ ومَنْ إمامهم في بدعتهم؟ ليتوبوا إلى الله قبل فوات الأوان ، وليراجعوا دينهم قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال .[149]

وللشيخ الألباني – رحمه الله – رسالة جليلة بعنوان " منزلة السنة في الإسلام ، وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن " ، وفيها : تعلمون جميعاً أن الله تبارك وتعالى اصطفى محمداً ﷺ بنبوته ، واختصه برسالته ، فأنزل عليه كتابه القرآن الكريم ، وأمره فيه – في جملة ما أمره به – أن يبينه للناس ، فقال تعالى : (**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم**) النحل/44 ، والذي أراه أن هذا البيان المذكور في هذه الآية الكريمة يشتمل على نوعين من البيان :

الأول : بيان اللفظ ونظمه ، وهو تبليغ القرآن ، وعدم كتمانه ، وأداؤه إلى الأمة ، كما أنزله الله تبارك وتعالى على قلبه ﷺ ، وهو المراد بقوله تعالى : (**يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك**) المائدة/67 ، وقد قالت السيدة عائشة – رضي الله عنها – في حديث لها " ومن حدثك أن محمداً كتم شيئاً أُمر بتبليغه : فقد أعظم على الله الفرية " ، ثم تلت الآية المذكورة " – أخرجه الشيخان – ، وفي رواية لمسلم : " لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً أُمر بتبليغه لكتم قوله تعالى : (**وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمتَ عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**) الأحزاب/37 .

والآخر : بيان معنى اللفظ ، أو الجملة ، أو الآية الذي تحتاج الأمة إلى بيانه ، وأكثر ما يكون ذلك في الآيات المجملة ، أو العامة ، أو المطلقة ، فتأتي السنَّة ، فتوضح المجمل ، وتُخصِّص العام ، وتقيِّد المطلق ، وذلك يكون بقوله ﷺ ، كما يكون بفعله وإقراره .

---

[147] - أخرجه ابن بطة العكبري في الإبانة ح66 (ص234-235) كتاب الإيمان بطوله، وأخرجه أيضاً (ح65و67) والآجري في الشريعة (1 / 417) والحاكم في المستدرك (1 / 109) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (2 / 1192) مختصراً ، وقال محقق الإبانة : لا بأس بسنده ، وقوّاه محقق جامع بيان العلم .

[148] - أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (2 / 1193) وصحّح المحقق إسناده .

[149] - كتاب : شبهات القرآنيين / للمؤلف : عثمان بن معلم محمود بن شيخ علي

وقوله تعالى : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) المائدة/38 ، مثال صالح لذلك ، فإن السارق فيه مطلقٌ كاليد ، فبينتِ السنَّة القوليَّة الأول منهما ، وقيدته بالسارق الذي يسرق ربع دينارٍ بقوله ﷺ : (لا قطع إلا في ربع دينار فصاعداً) – أخرجه الشيخان –

كما بينتِ الآخَرَ بفعله ﷺ أو فعل أصحابه وإقراره ، فإنهم كانوا يقطعون يد السارق من عند المفصل ، كما هو معروف في كتب الحديث ، وبينت السنة القوليَّة اليد المذكورة في آية التيمم : (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) النساء/43 و المائدة /6 بأنها الكف أيضاً بقوله ﷺ : (التيمم ضربة للوجه والكفين) أخرجه أحمد والشيخان وغيرهم من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما .

وإليكم بعض الآيات الأخرى التي لم يمكن فهمها فهماً صحيحاً على مراد الله تعالى إلا من طريق السنة :

1. قوله تعالى : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) الأنعام /82 ، فقد فهم أصحاب النبي ﷺ قوله(بظلم) على عمومه الذي يشمل كل ظلم ولو كان صغيراً ، ولذلك استشكلوا الآية فقالوا : يا رسول الله أيُّنا لم يلبس أيمانه بظلم ؟ فقال ﷺ : (ليس بذلك ، إنما هو الشرك ؛ ألا تسمعوا إلى قول لقمان: (إن الشرك لظلم عظيم) لقمان/13 ؟) أخرجه الشيخان وغيرهما .

2. قوله تعالى : (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) النساء/101 ، فظاهر هذه الآية يقتضي أن قصر الصلاة في السفر مشروط له الخوف ، ولذلك سأل بعض الصحابة رسول الله ﷺ فقالوا : ما بالنا نقصر وقد أَمِنَّا ؟ قال : (صدقة تصدَّق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته) – رواه مسلم – .

3. قوله تعالى : (حرمت عليكم الميتة والدم) المائدة/3 ، فبينت السنة القولية أن ميتة الجراد والسمك ، والكبد والطحال ، من الدم حلال ، فقال ﷺ : (أحلت لنا ميتتان ودمان : الجراد والحوت – أي : السمك بجميع أنواعه – ، والكبد والطحال) – أخرجه البيهقي وغيره مرفوعاً وموقوفاً ، وإسناد الموقوف صحيح ، وهو في حكم المرفوع ؛ لأنه لا يقال من قِبَلِ الرأي – .

4. قوله تعالى : (قل لا أجد في ما أوحي إلي مُحرَّماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً، أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به) الأنعام/145 ، ثم جاءت السنَّة فحرمت أشياء لم تُذكر في هذه الآية ، كقوله ﷺ : (كل ذي ناب من السباع ، وكل ذي مخلب من الطير حرام) ، وفي الباب أحاديث أخرى في النهي عن ذلك ، كقوله ﷺ يوم خيبر : (إن الله ورسوله ينهيانكم عن الحمر الإنسية ؛ فإنها رجس) – أخرجه الشيخان – .

5. قوله تعالى : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) الأعراف/32 ، فبينت السنة أيضاً أن من الزينة ما هو محرم ، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه خرج يوماً على أصحابه وفي

إحدى يديه حرير ، وفي الأخرى ذهب ، فقال : (هذان حرام على ذكور أمتـــي ، حـــلٌّ لإنــاثهم) – أخرجه الحاكم وصححه – .
والأحاديث في معناه كثيرة معروفة في " الصحيحين " وغيرهما ، إلى غير ذلك من الأمثلــة الكثيــرة المعروفة لدى أهل العلم بالحديث والفقه .
ومما تقدم يتبين لنا – أيها الإخوة – أهمية السنَّة في التشريع الإسلامي ، فإننا إذا أعــدنا النظــر فــي الأمثلة المذكورة – فضلا عن غيرها مما لم نذكر – نتيقن أنه لا سبيل إلى فهم القرآن الكريم فهماً إلا مقروناً بالسنَّة . اهــ " منزلة السنة في الإسلام " (ص 4 – 12) .
وننصح بالرجوع إلى رسالة الشيخ الألباني – رحمه الله – فهي في صلب الموضوع .

وبه يتبين :
أنه لا يحل لأحدٍ أن يفصل القرآن عن السنَّة في إثبات الأحكام ولزومها للمكلَّف ، وأن من فعل ذلــك فهو من أعظم المخالفين لما في القرآن من أوامر بطاعة الرسول ﷺ والأخذ بسنَّته والانتهاء عــن نهيه ، وأن السنَّة النبوية جاءت مؤيدة لما في القرآن وموضحة له ومقيدة لمطلقه ومخصصة لعمومه ، وجاءت كذلك مستقلة في إنشاء الأحكام ، وكل ذلك لازم للمسلم الأخذ به .
وقد اتضح من خلال البحث أن القرآن لا يمكن فهمه فهماً سليماً بمعزل عن الــسنة ؛ لأن الله وضــع رسوله ﷺ موضع البيان من القرآن ، وذلك البيان يشمل اللفظ والمعنى ، فإذا كان بيــان المعنــى نهباً مشاعاً لكل ملحد وكان الرسول ﷺ معزولاً عن تلك الولاية ، فما جدوى تشدقهم بأن الله تكفــل بحفظ القرآن ، فهل هذا هو الحفظ المطلوب والمجدي ؟ .

ونختم هذا الفصل بقول الآجري رحمه الله ، قال: ((جميع فرائض الله التي فرضها في كتابه لا يعلــم الحكم فيها إلا بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا قول علماء المسلمين ، من قال غيــر هــذا خرج عن ملة الإسلام ودخل في ملة الملحدين)) ([150]) .

---
[150] - الشريعة للآجري (1 / 412) .

سخافة القول بالإكتفاء بالقرآن وأقوال العلماء فيه

كل من زعم أن الإكتفاء بالقرآن هو لتعظيمه وتقديسه فهو من أعظم المخالفين للقرآن ، ومن أعظم المنسلخين عن الدين ؛ وهو إما أن يكون زنديقا مارقا أو جاهلا عريقا ، حيث جعل القرآن كافيا لإقامة الدين والأحكام ، وهو بالضرورة إما أنه لا يفعل ما جاء بالسنة فيكفر ، أو أنه يفعلها فيتناقض !

وعللهم واستدلالاتهم كلها فارغة واهية ،. قال أيوب السختياني : إذا حدّث الرجل بالسنَّة فقال : دعنا من هذا ، حدِّثنا من القرآن : فاعلم أنه ضال مضل .

وقال ابن حزم : ((لو أن امرأً قال : لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافراً بإجماع الأمة ، ولكان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل ، وأخرى عند الفجر ؛ لأن ذلك هو أقلّ ما يقع عليه اسم صلاة ولا حد للأكثر في ذلك ، وقائل هذا كافر مشرك حلال الدم والمال ، وإنما ذهب إلى هذا بعض غالية الرافضة ممن قد اجتمعت الأمة على كفرهم)) ([151]) .

وقال الإمام الشاطبي – رحمه الله –: "الاقتصارُ على الكِتابِ رأْيُ قومٍ لا خلاقَ لهم خارجين عن السُّنَّة، إذْ عوَّلوا على ما بنيت عليه من أنَّ الكتاب فيه بيانُ كلِّ شيْءٍ، فاطَّرَحُوا أحكام السُّنَّة، فأدَّاهُم ذلك إلى الانخلاع من الجماعة وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله " اهـ. (الموافقات: 3 / 17).

قال العلاَّمةُ الشَّيْخُ عبد الغني عبد الخالق: "وليت شعري كيف يتصور أن يكون نزاعٌ في مسألة بين المسلمين، وأن يأتيَ رجُلٌ في رأسه عقل ويقول: أنا مسلمٌ ثُمَّ يُنازع في حجية السُّنَّة بجملتها! مع أن ذلك يترتب عليه عَدَمُ اعترافه بالدين الإسلامي كُلِّهِ من أَوَّلِهِ إلى آخِرِهِ.

وأختم هذا الفصل بما قاله السيوطي في كتابه ((مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنَّة)) (ص:5): في إبطال قول من قال: (إنَّه لا يُحتَجُّ بالسُّنَّة، إنَّما يُحتجُّ بالقرآن وحده!)قال ((اعلموا ــ يرحمكم الله ــ أنَّ من العلم كهيئة الدواء، ومن الآراء كهيئة الخلاء، لا تُذكر إلاَّ عند داعية الضرورة، وأنَّ ممَّا فاح ريحُه في هذا الزمان، وكان دارساً بحمد الله تعالى منذ أزمان، وهو أنَّ قائلاً رافضيًّا زنديقاً أكثر في كلامه أنَّ السنَّةَ النبويَّة والأحاديث المرويَّة ــ زادها الله علوًّا وشرَفاً ــ لا يُحتجُّ بها، وأنَّ الحجَّةَ في القرآن خاصَّة ، ... فاعلموا ــ رحمكم الله ــ أنَّ مَن أنكر كون حديث النَّبيِّ ﷺ ــ قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول ــ حجَّةً كفرَ وخرج عن دائرة الإسلام، وحُشر مع اليهود والنصارى، أو مع مَن شاء الله من فرق الكفرَة ...

وهذه آراء ما كنتُ أستحلُّ حكايتَها لولا ما دعت إليه الضرورة من بيان أصل هذا المذهب الفاسد، الذي كان الناس في راحة منه من أعصار)).

---

[151] - الإحكام في أصول الأحكام 2 / 80 .

وقفة مع حديث (الأريكة)

عن المقدام بن معدي كرِب الكِندي – رضي اللَّه عنه– أن رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليْهِ وسلَّم قال :

. (أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ، ولا كل ذي ناب من السبع ، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه ، فإن لم يقروه ، فله أن يعقبهم بمثل قراه »)

رواه أبو داود كتاب السنة (4 / 200) (رقم : 4604) ، وأحمد (4 / 131) ، والطبراني (20/ 283) (رقم : 670) ، والبيهقي في "دلائل النبوة" (6 / 549) من طريق حريز بن عثمان عن ابن أبي عوف عن المقدام . وفي رواية عن المقدام – أن رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليْهِ وسلَّم قال :

« يوشِك الرجل متكئا على أريكتِهِ يحدث بحديثٍ من حديثي فيقول : بيننا وبينكم كتاب اللَّه عز وجل ، فما وجدنا فيه من حلالٍ استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه !! ألا وإن ما حرم رسول اللَّه ﷺ مثل ما حرم اللَّه » .

– **حسن** – رواه الترمذي كتاب العلم (5 / 37) (رقم : 2664) ، وابن ماجه كتاب المقدمة (1 / 6) (رقم : 12) ، وأحمد (4 / 132) ، والدارمي (1 / 117) (رقم : 592) ، والطبراني (20/ 274) (رقم : 649) والبيهقي (7 / 76) ، (9 / 331) والحاكم (1 / 109) من طريق معاوية بن صالح عن الحسن بن جابر اللخمي عن المقدام . وهذا لفظ ابن ماجه .

ورواه ابن حبان (1 / 189) (رقم : 12) ، والطبراني (20/ 283) (رقم : 669) ، والبيهقي (9 / 332) من طريق مروان بن رؤبة عن ابن أبي عوف عن المقدام نحوه .

وللحديث شواهد منها حديث أبي رافع : ((لا أُلفيَنَّ أحدَكم متَّكئاً على أريكتِهِ، يأتيه الأمرُ من أمري ممَّا أمرتُ به أو نهيتُ عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتَّبعناه))،

رواه أبو داود (رقم: 4605) ، والترمذي (ر: 2663) وابن ماجه (13) والحميدي (551) وابن حبان (1 / 190) (ر: 13) .

قال الإمام الشافعي معقبًا : فقد ضيق رسول الله ﷺ على الناس أن يردوا أمره بفرض الله عليهم اتباع أمره ([152]) وقال الإمام البيهقي: وهذا خبر من رسول الله ﷺ . عما يكون بعده من رد المبتدعة حديثه فوجد تصديقه فيما بعده صلى الله عليه وسلم .([153]) .

ونتتابع ألفاظ الحديث لنقف وقفات تأمل وتدبر على مدلولاته ونسرد بعض أقوال العلماء المتقدمين ،

–' **ألا إني أوتيت الكتاب ، ومثله معه** ' . قال الدارمي : يقول : أوتيت القرآن ، وأوتيت مثله من السنن التي لم ينطق القرآن بنصه ، وما هي مفسره لإرادة الله تعالى به ، فمن ذلك : ' تحريم لحم

[152] - الرسالة للشافعي ص 226 .

[153] - دلائل النبوة للبيهقي 1/ 25 .

الحمار الأهلي ' . – ' وكل ذي ناب من السباع ' وليس بمنصوصين في الكتاب [154]
(الكتاب، ومثله معه) أي أعطيت القرآن ومثل القرآن حال كونه منضماً معه. قال البيهقي: هذا الحديث يحتمل وجهين: أحدهما أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو، مثل ما أوتي من الظاهر المتلو، والثاني أن معناه أنه أوتي الكتاب وحياً يتلى، وأوتي مثله من البيان، أي أذن له أن يبين ما في الكتاب فيعم ويخص، وأن يزيد عليه ويشرح فيشرع ما ليس في الكتاب له ذكر، فيكون ذلك في وجوب الحكم ولزوم العمل به كالظاهر المتلو من القرآن يعني أوتيت القرآن، وأحكاماً، ومواعظ، وأمثلاً، تماثل القرآن في كونها واجبة القبول، أو في المقدار[155] وقد وقفت على قول للإمام الخطابي رحمه اللّه. مرادف لقول البيهقي [156] اهـ

قال الشربيني في (كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها): فإن بناء الفعل للمجهول "أوتيت" يدل على أن الله تعالى أعطى لرسوله ﷺ القرآن ومثله معه . فما هو المماثل للقرآن الذى تلقاه الرسول ﷺ عن ربه؟ لا يمكن أن يكون هذا المماثل شيئاً غير السنة الشريفة؛ لأن الرسول ﷺ جاءنا بهذين الأصلين معاً القرآن والسنة –ولم يأتنا بشئ غيرهما– علماً بأن الحديث القدسى مندرج فى السنة الشريفة. اهـ)
وقد تضمن هذا الحديث تحذيرا شديدا من مخالفة السنن التي سنها رسول الله ﷺ استغناء عنها بالقرآن
– (ألا) قال الطيبي: في تكرير كلمة التنبيه توبيخ وتقريع نشأ من غضب عظيم على من ترك السنة والعمل بالحديث استغناء بالكتاب، فكيف بمن رجح الرأي على الحديث؟
–(**(يوشك)**) [كلمة يوشك في اللغة العربية من أفعال المقاربة يعني عندما تقول أوشك أي قَرُب وقوعه ، توشك المرأة أن تلد أي اقتربت إذا كانت في شهرها التاسع مثلا]
(شبعان) بالضم من غيرتنوين كناية عن البلادة وسو الفهم الناشئ من الشبع وكثرة الأكل، أو من الحماقة اللازمة للتنعم والغرور بالمال والجاه ، قال الشربيني فقوله : "يوشك رجل شبعان... الخ" يحذر بهذا القول من عدم طاعته ﷺ ، مما جاء به وليس له فى القرآن ذكر،

ويقول الخطابي: وقوله : « يوشك رجل شبعان . . . » " يحذر بذلك من مخالفة السنة التي سنها رسول الله ﷺ مما ليس له ذكر في القرآن على ما ذهب إليه الخوارج والروافض فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التي تضمنت بيانا للكتاب فتحيروا وضلوا ([157])
ثم أتبع رسول الله ﷺ هذا التحذير ببيان أحكام ثبتت شرعيتها بالسنة ولم يرد لها ذكر في القرآن وذلك كتحريم لحم الحمار الأهلي وكل ذي ناب من السباع . وهذا تأكيد من رسول الله ﷺ على أن

[154] - الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة / أبو القاسم اسماعيل التيمي الأصبهاني
[155] - مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 259/1 مشكاة المصابيح للعلامة الشيخ ولي الدين الخطيب العمري التبريزي مع شرحه مرعاة المفاتيح
[156] - معالم السنن للخاطبي بهامش سنن أبي داود ، 5 / 10 .
[157] - معالم السنن ، 5 / 10 .

السنة – متى ثبتت – حجة بنفسها وإن تضمنت أحكامها زائدة على ما في القرآن .
– وأراد بقوله : « **متكئ على أريكته** » أنه من أصحاب الترفه والدعة الذين لزموا البيوت ولم يطلبوا العلم من مظانه . فقد وصف ﷺ الرجل الذي يرد سنته بأنه شبعان متكيء على أريكته أي أنه من أهل الترف والدعة الذين يتكئون على أسرتهم من المترفين أهل التكبر والتجبر المعرضين عن الإهتمام بأمور الدين شغلهم الترف والتنعم وتكبروا على الانقياد لطاعة أنبياء الله ورسله .
(على أريكته) والأريكة: السرير في الجملة وقيل: هو كل ما اتكئ عليه من كراسي ونحوها.
فيه تأكيد على حماقة القائل وبطره، وسوء أدبه. قال الأبهرى: المتكئ القاعدة المتقوى على وطاء متمكناً، والعامة لا تعرف المتكئ إلا من مال في قعوده معتمداً على أحد شقيه –انتهى.
وإذا كان الحال هكذا فليحذر من رد الحديث والتشكيك فيه، قال الخطابي : " في الحديث دليل على أن لا حاجة بالحديث أن يعرض على الكتاب، وأنه مهما ثبت عن رسول الله ﷺ كان حجة بنفسه" . اهـ
جاء في الحجة : قال ابن مسعود ، وابن عباس ، وعمران بن حصين رضي الله عنهم : إن جميع ما أمر به رسول الله ﷺ ، ونهى عنه هو عن الله وفي كتاب الله فتأولوا فيه قول الله عز وجل : (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**) . وذكر حديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – في : – المتنمصات . وقال : ومالي لا ألعن من لعنه رسول الله [ﷺ] وهو في كتاب الله وقرأ : (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**) .
وذكر حديث ابن عباس – رضي الله عنه – : – ألم يقل الله عز وجل : (**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**) . فإني أشهد أن رسول الله [ﷺ] نهى عن النقير ، والمقير ، والدباء ، والحنتم . قال الدارمي : يقول ابن عباس – رضي الله عنه – ليس النقير ، والمقير ، والدباء والحنتم ، بمنصوصات في كتاب الله عز وجل وهي داخلة في قوله : (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**) . وفي قوله : (**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**) . قال : وكذلك كل ما أمر به رسول الله [ﷺ] ، ونهى عنه داخل في تأويل هاتين الآيتين ، وما أشبههما من القرآن .
وكأني برسول الله ﷺ شاهد مخبر عن الطوائف الضالة والفتن المدلهمة في عصرنا ، فقوله يوشك مؤذن بأن هذا حتم قريب الظهور ، ثم يأتي مزيد تفصيل في حديث عمر بن الخطاب –رضي الله عنه – ' **سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله** ' .
وذكر عن سعيد بن جبير : أنه حدث بحديث عن النبي [ﷺ] فقال رجل من أهل الكوفة : إن الله يقول كذا وكذا ، فغضب سعيد غضبا شديداً وقال : ألا أراك تعارض أحاديث رسول الله [ﷺ] بكتاب الله عز وجل، كان رسول الله [ﷺ] أعلم بكتاب الله منك . وذكر عن حسان بن عطية قال :

كان جبرائيل – عليه السلام – ينزل على رسول الله [ﷺ] السنة يعلمه إياها تفسيراً للقرآن .[158]
قال الشاطبي في الإعتصام " فإن السنة جاءت مفسرة للكتاب فمن أخذ بالكتاب من غير معرفة بالسنة زل عن الكتاب كما زل عن السنة . اهـ

وإنما جاء هذا الحديث على الذم وإثبات أن سنة رسول الله ﷺ في التحليل والتحريم ككتاب الله ، فمن ترك ذلك فقد بنى أعماله على رأيه [لا] على كتاب الله ولا على سنة رسول الله ﷺ . .. وهذا وعيد شديد تضمنه النهي ، لاحق بمن ارتكب رد السنة .

وقال الشربيني : وكما أن محالاً أن يكتم رسول الله [ﷺ]، شيئاً مما أمر بتبليغه، فمحال أن يترك شيئاً مما أمر بتبليغه دون أن يبينه، فكلا الأمرين : التبليغ والتبيين من صميم رسالته : { بلغ ما أنزل إليك } ... { لتبين للناس ما نزل إليهم } واختلاف الناس فى فهم القرآن ما بين مصيب ومخطئ... واختلافهم فى درجات الإصابة، ودرجات الخطأ... برهان بين على حاجتهم إلى "تبيين" لكتاب ربهم، ينهض به إمام الموقعين عن رب العالمين ... رسول الله الذى أنزل عليه هذا الكتاب.

هنا يقع قول الله تعالى : { وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا } (الحشر7) موقعاً يسد كل ثغرة، يحاول النفاذ منها من يرفض "سنة رسول الله" أو يهون من شأنها، أو يسعى للتشكيك فيها، وإسقاط حجيتها وإلزامها . ويقع نفس الموقع قول النبى ﷺ : "لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول : لا أدرى؟ ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه".

وهنا لى أن أقرر : أن إنكار مهمة رسول الله ﷺ البيانية، أو رفضها أو التشكيك فيها ينطوى على رفض وتكذيب للقرآن نفسه؟ { كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً } (الكهف).

كما ينطوى على الطعن فى عصمة رسول الله ﷺ فى بلاغ وحى الله تعالى إليه، لأن ترك تبيين كلمة واحدة فى القرآن الكريم، تحتاج إلى تبيين دون أن يبينها تقصير، ككتمان حرف واحد مما أمر بتبليغه، ورسول الله ﷺ مبرأ من أن يخون فى التبليغ، أو يقصر فى التبيين. فمن المتهم إذن باتهام رسول الله ﷺ ، بأنه فرط فى تبليغ رسالته؟ من يؤمن بأن من مهمته فى رسالته البيان أم من ينكر ذلك ؟!.
اهـ[159] ونختم بقول بليغ جامع للشيخ محمد محمد أبو شهبة رحمه اللّه ، حيث قال :

وقد دل الحديث على معجزة للنبي ﷺ فقد ظهرت فئة في القديم والحديث تدعو إلى هذه الدعوة الخبيثة وهي الاكتفاء بالقرآن عن الأحاديث ، وغرضهم هدم نصف الدين ، أو إن شئت فقل : الدين كله ! لأنه إذا أهملت الأحاديث والسنن فسيؤدي ذلك ولا ريب إلى استعجام كثير من القرآن على الأمة وعدم معرفة المراد منه ، وإذا أهملت الأحاديث واستعجم القرآن فقل على الإسلام العفاء ![160]

---

158 - الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة / أبو القاسم اسماعيل التيمي الأصبهاني 318/2
159 - رد شبهات حول عصمة النبى ص فى ضوء السنة النبوية الشريفة : عماد السيد الشربينى
160 - دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهبة ص 15، 16. وانظر كتاب : أصول الإيمان للإمام: محمد بن عبد الوهاب ،

قيمة السنة وكيف يخافون منها ويكيدون لها

أجمعت أمة الإسلام قديماً وحديثاً على التمسك بسنة النبى صلى الله عليه وسلم، والعض عليها بالنواجذ، وضرورة تطبيقها، والسير على هديها فى كل جوانب حياة المسلمين؛ لأنها المصدر الثانى للتشريع الإسلامى المتلازم للمصدر الأول وهو القرآن الكريم ولا يستغنى بأحدهما عن الآخر، وبهذين المصدرين معاً –القرآن الكريم والسنة النبوية– قام بناء الإسلام، وتأسست دولة الإسلام، واستمدت منهجها من القرآن الكريم والسنة النبوية معاً، ولم يمار فى هذه الحقيقة الساطعة إلا نفر ممن لا يعتد بخروجهم على إجماع الأمة من الخوارج والروافض قديماً ومن سار على دربهم حديثاً .[161]

يقول العلامة المجرى المسلم، محمد أسد "ليوبولدفايس" فى تصوير مكانة السنة فى الإسلام : "لقد كانت السنة مفتاحاً لفهم النهضة الإسلامية منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً، فلماذا لا تكون مفتاحاً لفهم انحلال الحاضر؟ إن العمل بسنة رسول الله هو عمل على حفظ كيان الإسلام وعلى تقدمه، وأن ترك السنة هو انحلال الإسلام . لقد كانت السنة هى الهيكل الحديدى الذى قام عليه صرح الإسلام، وإنك إذا أزلت هيكل بناء ما، أفيدهشك بعد أن يتقوض ذلك البناء كأنه بيت من ورق؟ ... إن التعبير الذى يتردد على مسامعنا اليوم كثيراً "**لنرجع إلى القرآن الكريم، ولكن يجب ألا نجعل من أنفسنا مستعبدين للسنة**" هذا التعبير يكشف بكل بساطة عن جهل بالإسلام، إن الذين يقولون هذا القول يشبهون رجلاً يريد أن يدخل قصراً ولكنه لا يريد أن يستعمل المفتاح الأصلى الذى يستطيع به وحده أن يفتح الباب([162]) .

ولا تخفى مكانة السنة النبوية "الحديث" فى التشريع الإسلامى وأثرها فى الفقه الإسلامى منذ عصر النبى صلى الله عليه وسلم، والصحابة حتى عصور أئمة الاجتهاد، واستقرار المذاهب الاجتهادية، مما جعل الفقه الإسلامى ثروة تشريعية لا مثيل لها فى الثروات التشريعية لدى الأمم جميعها فى الماضى والحاضر، ومن يطلع على القرآن والسنة يجد أن للسنة الأثر الأكبر فى اتساع دائرة التشريع الإسلامى وعظمته وخلوده مما لا ينكره كل عالم بالفقه ومذاهبه .

... هذا التشريع العظيم الذى بهر أنظار علماء القانون والفقه فى جميع أنحاء العالم، هو ما حمل ويحمل أعداء الإسلام فى الماضى والحاضر على مهاجمة السنة، والتشكيك فى حجيتها، وصدق جامعيها، ورواتها من أعلام الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة المسلمين الثقات الأعلام .

وعلى هذا الهدف التقى أعداء الإسلام من زنادقة الفرس وغيرهم فى عصور الحضارة الإسلامية الزاهرة، مع أعداء الإسلام اليوم من المستشرقين ومن لف لفهم فى الحضارة الغربية الحاضرة([163])

---

[161] ـ كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها للمؤلف : عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى

[162] ـ الإسلام على مفترق الطرق ترجمة الدكتور عمر فروخ ص 87، 91.

[163] ـ السنة ومكانتها فى التشريع للدكتور السباعى ص 2.

هذا مع اعتراف المستشرقين، وعلى رأسهم صنمهم الأكبر "جولد تسهير" أننا لا نستطيع فهم الإسلام بدون القرآن والسنة، حيث لا يكفى القرآن وحده قائلاً : "إننا لا نفهم الإسلام بلا قرآن، لكن القرآن وحده بعيد عن أن يكفى لمواجهة العقلية الإسلامية التامة فى سيرها التاريخى"([164]) . فهذا المستشرق أدرك أن السنة تجعل الإسلام ديناً شاملاً كاملاً، وبالتالى فلا سبيل لهدم هذا الدين إلا بالتشكيك فى السنة، والإدعاء بأن أكثرها موضوع، وهو المنهج الذى تبناه جولد تسهير .

ومن هنا يظهر هدف أعداء الإسلام من وراء دعوتهم الخبيثة وهى الاكتفاء بالقرآن عن الحديث، فهدفهم هو هدم نصف الدين أو إن شئت فقل : "تقويض الدين كله؛ لأنه إذا أهملت الأحاديث والسنن فسيؤدى ذلك – ولا ريب – إلى استعجام كثير من القرآن على الأمة وعدم معرفة المراد منه، وإذا أهملت الأحاديث واستعجم القرآن فقل : على الإسلام العفاء([165]) .

وهذا ما يدركه أعداء الإسلام ويهدفون إليه، وفى ذلك يقول المبشر الأمريكى "جب" : "الإسلام مبنى على الأحاديث أكثر مما هو مبنى على القرآن، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة، لم يبق من الإسلام شئ وصار أشبه بصبيرة طومسون . وطومسون هذا رجل أمريكى، جاء إلى لبنان فقدمت له صبيرة فحاول أن ينقيها من البذر، فلما نقى منها كل بذرها لم يبق فى يده منها شئ"([166]) .

ويكشف محمد أسد السر فى محاربة السنة : فيقول : "إن الهدف إسقاطها حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية الحقيقية لحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون الأوائل، وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته([167])

قال الدكتور محمد أبو زهو – رحمه الله تعالى – (ولو أننا ذهبنا نستمع إلى من فى قلوبهم مرض، من دعاة الإلحاد، وخصوم الإسلام، وصرنا إلى ما صاروا إليه من الشبهات، المؤسسة على شفا جرف هار، لذهبت ثقتنا بجميع العلوم، ذلك؛ لأن علمائها لم يبذلوا فيها، من الدرس والتمحيص، والدقة والتحرى، عشر معشار ما بذله علماء الحديث، فى حفظ السنة ورعايتها، وتمييز صحيحها من ضعيفها، ومعرفة أحوال رواتها على اختلاف طبقاتهم وأزمنتهم وأمكنتهم، فإذا انهار حصن السنة الحصين، بعد تلك العناية البالغة، التى يشهد بها التاريخ والواقع،لم يبق هناك علم نرجع إليه أو نثق به، وكفى بذلك حمقاً وجهلاً)([168]).

---

[164] - العقيدة والشريعة فى الإسلام للمؤلف ص41، وقارن بالسنة المفترى عليها للمستشار البهنساوى ص 327.

[165] - دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهبة ص 15، 16.

[166] - التبشير والاستعمار للدكتور مصطفى خالد، وعمر فروخ ص 98.

[167] - الإسلام على مفترق الطرق ص 88 - 95، وانظر : من نفس الكتاب ص 108 (السنة النبوية تجعل المجتمع مستقراً متماسكاً)

[168] - الحديث والمحدثون ص 210، 211. انظر : السنة فى مواجهة أعدائها للدكتور طه حبيشى مبحث (إنكار السنة اعتداء على المناهج العلمية) ص 161.

هل السـنة وحـي ؟

{ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ }

من المحاور الهامة التي جعلها ركيزة أساسية لإتمام مشروعه الواهي ، هو ما يتعلق بحجيـة الـسنة وكونها وحيا، وتاريخ تدوين الحديث النبوي ، حيث إنه ركز على هذين المحورين كمرتكزين لـنقض معالم الحديث والطعن فيه, وهدم كتاب البخاري الذي هو أصح الكتب بعد القرآن عند أهل السنة,

وبما أن الكاتب ومن معه يسعون لإثبات أن الحديث دخيل على الشريعة ، وأنه أجنبي عـن الـدين ، ليطرح ويلغى ، فيجدون الطريق معبدة إلى التقول في القرآن وإسقاطه ، كي يتسنى لهـم العبـث بـه وإنطاقه بما تريده شياطينهم دون حسيب أو رقيب،. استعمل كل ما يمكنه مـن التلبـيس والتـدليس ، ليصل مبتغاه وليرضي ناصريه ، وقد رأينا وصفه للقرآن والسنة في غير مـا موضـع بمـصطلح " التراث " و يعني –هو ومن نقل عنه– بالتراث كل ما ورثناه من أسلافنا، بما في ذلك القرآن الكـريم والسنة ، وهم إنما يسعون إلى إنكار ونزع صفة الوحي الإلهي عنها، ومن ثـم إخـضاعها للتطـوير والتبديل بتغير الزمان والمكان ... وهذا تأباه شريعتنا الإسلامية وتوجيهات ديننا الحنيف .

وقد أنكر الكاتب باللفظ الصريح كون الحديث وحيا ، وعد من يؤمن بهذا من العـوام إذ يقـول: (... حيث يظن عوام الناس أن الحديث وحي... ص:17)، ويقـول: (...إذ لا وحي إلا القرآن... ص: 19)، وفي نفس الصفحة يقول: (... ثم إيجاد وصنع أحاديث أخرى تأذن بتدوين كلام الرسول...)، وفي ص: 20 يكذب هذه الأحاديث صراحة ويتهمها بأنها لاتعدو أن تكون مجرد مرويات بشرية يقول: (... فغدت المرويات البشرية الصرفة...)،

إن القرآن والسنة جناحا الدين فإذا قطع جناحه الأول استحال معه الطيران والعيش ، وأصبح متـيقن الهلاك ، و التراث الإسلامي (_–_) إلى جانب ضخامته، ليس تراثاً تقليدياً يستمد حياته ووجوده من تراث غير تراث أهله،. وإنما هو تراث أصيل مبتكر، استمد حياته ووجوده من أعظم رسالة نزلت من عند الله سبحانه، على أكرم رسول أُرْسِل إلى الخليقة، استمد وجوده وحياته من القرآن الكريم والـسنة النبوية المطهرة، وإجماع الأمة، واجتهاداتها المستوحاة من قواعد الإسلام وكلياته العامة ،

وإنكار الوحي والقداسة عن الحديث هو ما صرح به أيلال وأساتذته إذ يقول في صفحة 20

[فإن المنع ينصب بالأساس على تدوين كلام الرسول على أساس أنه دين، إذ لا وحي إلا القرآن،]

ووصف تدوين الحديث بقوله: [إذن فقد تحوّل تدوين الحديث إلى آفة، جعلت المسلمين يبتعدون عن كتاب الله،] فالحديث في نظره هو سبب الإبتعاد عن القرآن وعدم تطبيقه والعمل به ، وكأنهم هم مـن يسعون ليلا ونهارا لتطبيق الشرع وليسوا من يحاربونه ، والصحيح أنه آفتهم وغصتهم التي غـصوا

بها ، إنهم يريدون قرآنا آنيا صالحا للتعديل والتأويل ، ولذلك يرفضون كل توضيح بيان ورد عن صاحب الرسالة ، فليصمت النبي وليكتف بما يأتيه لايتعداه ، كما يقول الكاهن الأكبر في المحراب الرشادي (إن وظيفة النبي محمد في القرآن لا تزيد عن التبليغ البتة) إنهم يريدون منه عليه الصلاة والسلام أن يكون مجرد جهاز تسجيل، أو صورة حائطية ، أو –في أحسن الأحوال-: إذاعة قرآن كريم تمشى على رجلين . بأبي هو وأمي وروحي ﷺ .

إن أيلال ومن على شاكلته بذلك يدعوننا للتمرد على السنة وأقوال السلف الصالح ، وأن نمجها ونرفضها أو –على الأقل– أن نطويها على الرفوف ، تحت شعار خادع : التفاعل مع القرآن وتقديسه، وهم في الحقيقة لا يطيقون سماع سنة ولا قرآن ، إنما هي كلمة تزيت بحق أريد بها باطل ، وهذه ليست دعوة جديدة على الساحة الإسلامية فله سلف فيها كالشحرور وغيره، ك أحمد بهادر خان الذي أنكر أن تكون النبوة منحة إلهية أو اختياراً ربانياً، ويعتبر الوحي شبيها بالاتصالات اللاسلكية واعتبر السنة نوعا من أنواع الاجتهاد والمسلمون غير ملزمين في العمل بها ، والشحرور يعتبرها تفاعلاً عصرياً والمسلمون غير ملزمين في الأخذ بها،

فدونكم هذا الفصل لنعرف أولا مكانة الحديث وقيمته وأصله ، فهل الحديث وحي ؟ الجواب نعم ! وبأدلة ثابتة من القرآن والسنة ، وأقوال العلماء ، ولن نستطيع استقراءها والإحاطة بها ، فالوحي- بمعنى اسم المفعول – وهو ما أنزله الله على أنبيائه وعرّفهم به من أنباء الغيب والشرائع والحكم بواسطة ملك أو غيره ، ينقسم إلى قسمين- كما يفهم ذلك من كلام ابن عبدالبر رحمه الله : أحدهما : ما يُتلى ، وهو القرآن . والثاني : ما لايُتلى ، وهو السنة .

وقد أكد القرآن بوضوح أن السنة وحي من الله يجب الإيمان به ويجب اتباع الرسول ﷺ في كل شيء وفي كل وقت ؛ في حياته وبعد مماته ، لأنها أصول لم تخصص بزمن دون زمن ، فيجب تصديق الرسول ﷺ في خبره والطاعة لأمره عن يقين ومحبة وإخلاص .

قال ابن حزم الأندلسي : (إن القرآن لما كان هو الأصل الذي يرجع إليه في معرفة الإسلام وجدنا فيه وجوب طاعة ما أمرنا به رسول الله ﷺ ، ووجدناه عز وجل يقول فيه واصفا لرسوله ﷺ : (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى) [النجم:3:4] ، فصح لنا بذلك أن الوحي ينقسم من الله عز وجل إلى رسوله ﷺ على قسمين ، أحدهما وحي متلو مؤلف تأليفا معجز النظام وهو القرآن ، والثاني وحي مروي منقول غير مؤلف ولا معجز النظام ولا متلو ، لكنه مقروء ، وهو الخبر الوارد عن رسول الله ﷺ ، وهو المبين عن الله عز وجل مراده منا) ([169]) .

---

[169] - الإحكام في أصول الأحكام 93/1 .

وقال الإمام الخطابي رحمه اللَّه : في قوله ﷺ : (أوتيت الكتاب ومثله معه.) يحتمل وجهين :
أحدهما : أن معناه أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو مثل ما أعطي من الظاهر المتلو .
والثاني : أنه أوتي الكتاب وحْيا يتلى ، وأوتي من البيان مثله ، أي : أذن له أن يبين ما في الكتاب فيعم ويخص ويزيد ويشرح ما في الكتاب ، فيكون في وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن. [170] اهـ

أ_ وأوضح دليل على أن ما نطق به النبي ﷺ ممَّا ليس بقرآن يعتبر وحياً قوله تعالى : { وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى } [النجم :4] . قال القرطبي : (وفيها أيضاً دلالة على أن السنة كالوحي المنزل في العمل ، يؤيده منْ ذلك حَديث الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ عَنْ رَسُولِ اللَّـه ﷺ أَنَّـهُ قَالَ : { **أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ** ..} الْحَديثَ[171] .. وهذا الحديث يشمئز منه أولئك الأدعياء ويكذبونه ويستهزءون به ، بل يسمونه في صحفهم ومواقعهم ب (حديث الأريكة)

وقال جل جلاله لنبيه { قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ } [الأنبياء/45]

وقال سبحانه : في سورة القيامة 19{ **ثم إن علينا بيانه** } إنه وعد قاطع بأن بيان القرآن ، سوف يتولاه الله تعالى، كما تولى { إن علينا جمعه وقرآنه } على حد سواء ، ولا معنى لهذا سوى أن يوحى إلى رسوله ﷺ ، هذا البيان، بصورة ما من صور الوحى.

ومن ذلك – أيضًا – قوله – تبارك وتعالى – { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ .. } (آل عمران: 164).

وقد ذهب أهل العلم والتحقيق إلى أن المراد بالحكمة إنما هو: السنّة النبوية، فإن الله تعالى قد مَنَّ على المؤمنين بإرسال الرسول ﷺ الذي جعل رأس رسالته أن يعلم أمته المؤمنة شيئين: الكتاب والحكمة. ولا يجوز أن تكون الحكمة هي الكتاب، فإنها معطوفة عليه، والعطف يقتضي المغايرة، ولا يجوز أن تكون شيئًا آخر غير السنة، فإنها عطفت على الكتاب، فهي من جنسه في المصدر والغاية. وقد منَّ الله – تعالى– بهما على المؤمنين، ولا يمنّ الله تعالى إلا بما هو حق وصدق، فالحكمة حق كما أن القرآن حق. وهذه الآية واضحة الدلالة على أن السنة من وحي الله – تعالى – على نبيه ﷺ.[172]

وقال عز وجل : { (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)}.(النساء: من الآية113) وقال تعالى : { واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب

---

[170] - معالم السنن للخطابي بهامش سنن أبي داود ، 5 / 10 .

[171] - [رواه أبو داود في كتاب السنة ، بابٌ في لزوم السنة 10/5 - 12 رقم [4604] ، وأخرجه الترمذي في العلم حديث [2666] باب : ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي e ، وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وقال الألباني : صحيح كما في صحيح سنن أبي داود 871/3 رقم [3848] .]

[172] - ينظر : شبهات القرآنيين حول السنة النبوية- للمؤلف : أ.د. محمود محمد مزروعة

والحكمة يعظكم به } (البقرة231) إن هاتين الآيتين تدلان وتفيدان – أن الله تبارك وتعالى – أنزل على رسوله شيئين : الكتاب : وهو القرآن، والحكمة : وهى سنته ﷺ .
ومن ذلك قوله تعالى : { إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله } (الآية 105 النساء.). فتأمل قوله تعالى : {بما أراك الله} وكل الأحاديث التى جاء فيها أن الله أطلع نبيه { ﷺ } ، وأراه ما أراه، تعلم أن السنة النبوية وحى من الله تعالى إلى رسول الله { ﷺ }
وقد استدل ابن عبدالبر أيضاً على أن السنة وحي بما قالته طائفة من أهل العلم بالقرآن في قوله تعالى : { وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ } [الأحزاب : 34] قالوا : القرآن : آيات الله ، والحكمة : سنة رسول الله ﷺ فإنه لاينطق عن الهوى .
وفي هذا المعنى روى الدارمي وأبوداود في "المراسيل" والخطيب في "الكفاية" و"الفقيه والمتفقه" وابن عبد البر في "الجامع" والمروزي في "السنة" عن الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن.
فالسنة وحي، وهذا متقرر عند أئمة الإسلام عامة من السلف والخلف.
وقال العراقي: (ووصف السنة بالإنزال صحيح فقد كان الوحي ينزل بها كما ينزل بالقرآن.) انتهى[173]
قال الشيخ عبد المحسن العباد : فإن سنة رسول الله ﷺ هي الوحي الثاني بعد القرآن، وهي وحي من الله عز وجل كالكتاب، إلا أن الكتاب تعبد الله تعالى بتلاوته وجعله معجزاً. وسنة الرسول ﷺ يجب العمل بها والأخذ بما فيها كالقرآن، وهي ليست من عند الرسول ﷺ وإنما هي من عند الله، قال عز وجل: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى *([174]) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى [النجم:3-4]. فكلام رسول الله ﷺ فيه العصمة والنجاة، والأخذ به لازم كالأخذ بالقرآن، ولا يجوز أن يفرق بين السنة والقرآن بأن يؤخذ بالقرآن ولا يؤخذ بالسنة، ومن زعم أنه يأخذ بالقرآن ولا يأخذ بالسنة فإنه كافر بالكتاب والسنة؛ لأن الله عز وجل يقول: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا [الحشر:7] ،
ويقول عز وجل: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ [الأحزاب:36] ، ويقول سبحانه: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [النور:63]. فمن زعم أنه يأخذ من الكتاب ولا يأخذ من السنة فقد كفر بمقتضى قول الله عز وجل: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا [الحشر:7] ، وقد جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه لعن النامصة والمتنمصة، وقال: ما لي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ وهو موجود في كتاب الله، فجاءت إليه امرأة وقالت: يا أبا عبد الرحمن انظر ماذا تقول، فإنك

[173] - "طرح التثريب": (15/1، ط. الأزهرية)
[174] - فكلمة "ينطق" فى لسان العرب تشتمل كل ما يخرج من الشفتين من قول أو لفظ أى ما يخرج نطقه صلى الله عليه وسلم عن رأيه، إنما هو بوحى من الله عز وجل.

قلت: كذا وكذا، وإنني قرأت المصحف من أوله إلى آخره فما وجدت فيه الذي تقول. قال: إن كنت قرأته فقد وجدته، قال الله عز وجل: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا [الحشر:7]. فالسنة كلها داخلة في قوله عز وجل: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا]، اهـ

وقال ابن حزم فى الإحكام فى أصول الأحكام 95/1 : (قال تعالى : { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } وقال تعالى : { قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ } [الأنبياء/45] فأخبر تعالى أن كلام نبيه Sكله وحي والوحي بلا خوف ذكر ، والذكر محفوظ بنص القرآن ...) اهـ

وقال تعالى(وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ)، (يونس15) ، وقال تعالى في (الأنعام50) (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ) ، وقال : قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (الأحقاف 9)

وبين الله تعالى أن موقف المؤمنين مع كتاب الله تعالى وسنة رسوله هو الاستجابة والسمع والطاعة كما قال –تعالى–: (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (النور:51)

وقال –تعالى–: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً) (النساء:61) فتأمل قوله تعالى وإلى الرسول عطفا على ما أنزل الله .

فالسنة المطهرة إذن "وحى من الله تعالى" أنزلها على رسوله ﷺ كما أنزل عليه القرآن الكريم، سواء بسواء بشواهد القرآن البينة التي مر معنا شيء منها، وهي كما قلنا أكثر من أن تحصى ونشير إلى بعضها باختصار: [النجم:3:4] {القيامة 19} (البقرة231) (آل عمران:164) (النساء:61) (النساء:65) (النساء: 80) (النساء 105.) (النساء: 113) (الأنعام50) (التوبة:29). (يونس15) [الأنبياء/45] (النور:51/52/54/56/63). [الأحزاب:21/34/36] (الأحقاف 9) [الحشر:7] (الحاقة:44-47). فهذه أزيد من 25 آية –وهي بعض من كل– تشهد بأن السنة وحي من الله ، وهى أيضاً وحى بشهادة السنة نفسها، وإليك شواهد ذلك :

ب- الأدلة من السنة النبوية على أنها وحى من الله تعالى :

فمن ذلك قوله ﷺ : "**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه** ... " وقد مر قريباً

وجاء في سنة الرسول ﷺ أحاديث تدل على أن السنة وحي من الله، ومن ذلك الحديث الطويل في كتاب أبي بكر إلى أنس في ذكر فرائض الصدقة التي فرضها الله عز وجل، ثم ذكر أسنان الإبل

والغنم، وقال: (((**هَذِهِ فَرِيضَةُ الصَّدَقَةِ الَّتِي فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَالَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا رَسُولَهُ** ،))[175] فأضاف الأمر بها إلى الله تعالى، وهي قد فرضها رسول الله ﷺ فجاءت في السنة وليست في القرآن، أعني ذكر مقادير الزكاة وأسنان الزكاة من الإبل والبقر والغنم.

وكذلك جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: **(يغفر للشهيد كل شيء، ثم قال: إلا الدين، سارني به جبريل آنفاً)** يعني: أن جبريل ساره باستثناء الدين، وهذا يدل على أن السنة وحي من الله.

وكذلك الحديث الذي ذكر فيه قصة الرجل الذي يشتكي بطن أخيه، فقال له عليه الصلاة والسلام: **(اسقه عسلاً)**، ثم جاء ثانية وثالثة يشتكي استمرار الوجع ، ثم أمره بعد ذلك وقال: **(صدق الله وكذب بطن أخيك)**، يعني: أن هذا من الله عز وجل وليس مجرد اقتراح أو رأي منه ﷺ ولذلك أكد له مرارا قوله اسقه عسلا ، ولما أعاد التكرار والتردد وادعى أن العسل لا يجدي في شفاء بطن أخيه كرر له النبي ﷺ نفس الجواب مع نبرة عالية ، مؤكدا له أن ما أشار به حقيق بل هو وحي ولوكان غير ذلك ما قال **(صدق الله وكذب بطن أخيك)**، أي فإن ظننت أن في ذلك كذبا فالكاذب هو بطن أخيك ، والله سبحانه صادق ، وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا – وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ؟

وعن يعلى بن أمية في قصة الرجل الذي عليه جبة وهو متضمِّخ بالخَلوق، وقد سأل النَّبيَّ بالجعرَّانة: ((كيف تأمرني أن أصنع في عمرتي؟))، فنزل عليه الوحي، وفي آخر الحديث: ((فلمَّا سُرِّي عن الرسول قال: ((أين السائل عن العمرة؟ اخلع عنك الجبَّة، واغسل أثرَ الخلوق منك، وأنق الصفرة، واصنع في عمرتك كما تصنع في حجِّك)). صحيح البخاري (1789) ومسلم (1180)

ونذكر بحديث ابن عباس: **(فرض الله على لسان نبيكم محمد ﷺ الصلاة في السفر ركعتين، وفي الحضر أربعاً، ..)** فقوله **(فرض الله على لسان نبيكم)** دليل صارخ أن كل مانطق به الرسول ﷺ من الفرائض والأحكام وغيرها إنما هي من عند الله ، قال ابن القيم – رحمه الله –: "إن كلَّ ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما أنزل الله وهو ذكرٌ من الله أنزله على رسوله"[176].

وقد أقر النبي ﷺ معاذا لما بعثه إلى اليمن، على العمل بالسنة إن لم يجد دليلا في القرآن قال له « **كيف تقضي إن عرض لك قضاء ؟**» قال: اقضي بكتاب الله قال: « **فإن لم تجد في كتاب الله ؟**» قال : أقضي بسنة رسول الله قال: « **فإن لم تجد في سنة رسول الله ؟** » قال: أجتهد رأيي ولا آلو، قال: فضرب ﷺ بيده في صدري وقال: «**الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله** »[177]

---

[175] - صحيح البخاري (1362) سنن ابن ماجة 1790 [سنن البيهقي الكبرى 85/4] [سنن الدارقطني 113/2] صحيح ابن حبان 57/8 وغيرهم

[176] - مختصر الصواعق المرسلة: (2/371 - 372). طبعة / دار الفكر.

[177] - أخرجه **أبو داود** [2/ 327], كتاب الأقضية: باب اجتهاد الرأي في القضاء، حديث [3592, 3593], **والترمذي** [3/ 616], كتاب الأحكام : باب ما جاء في القاضي كيف يقضي، حديث [1327, 1328], / **وأحمد** [5/ 230, 242], وأبو داود **الطيالسي** [1/ 286- منحة], و**الدارمي** [1/ 60], المقدمة: و**الطبراني** في "الكبير" [20/ 170], رقم [362], **والبيهقي** [10/ 114], كتاب آداب القاضي، و**عبد بن حميد** في "المنتخب من المسند" ص [72], رقم [124], و**الخطيب** في "الفقه والمتفقة" [1/ 488- 189], وابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" [2/ 55- 56], وابن حزم في "الأحكام" [6/ 26, 35],

كما أكد النبي ﷺ لأمته أنه تركهم عل طريق قويم وصراط مستقيم ، إن تمسكوا بكتابه وسنة نبيه ، فقال : (**تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك ..... فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ،**) ولم يوصهم بالكتاب ويتغافل عن السنة ،

وقال: " **تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله وسنتي** " ([178]).

وروى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**لا أقول إلاّ الحق**". قال بعض أصحابه: فإنك تداعبنا يا رسول الله؟ قال: "**إني لا أقول إلاّ حقاً**".

وفي سنن الداومي عَنْ حَسَّانَ قَالَ : كَانَ جِبْرِيلُ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِىِّ ﷺ بِالسُّنَّةِ كَمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ.

وعن عمر بن عبد العزيز قال فى إحدى خطبه : "يا أيها الناس، إن الله لم يبعث بعد نبيكم نبيـاً، ولـم ينزل بعد هذا الكتاب الذى أنزله عليه كتاباً، فما أحل الله على لسان نبيه ﷺ ، فهو حلال إلـى يـوم القيامة ، وما حرم على لسان نبيه ﷺ ، فهو حرام إلى يوم القيامة..."[179]

وقال أيضاً : "سن رسول الله ﷺ ، وولاة الأمر من بعده سنناً، الأخذ بها اتباع لكتاب الله عز وجـل، واستكمال لطاعة الله ، وقوة على دين الله ، ليس لأحد من الخلق تغييرها ، ولا تبديلها ، ولا النظر في شيء خالفها ، من اهتدى بها فهو المهتد ، ومن انتصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سـبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولاه ، وأصلاه جهنم ، وساءت مصيراً"

تأمل قول الخليفة الخامس .. تعلم عن يقين إيمان السلف جميعاً ، بأن سنة رسول الله ﷺ وحى مـن عند الله عز وجل ، واجبة الإتباع إلى يوم الدين.

ومن أقوى الأدلة على أن السنة من وحى الله الخالق سبحانه إلى رسول الله ﷺ ؛ أن السنة على كثرة أحاديثها ، وذيوعها وانتشارها ، لا يجد فيها العقلاء إلا الحكم الصائب والحق الـساطع الـذي يـسعد البشرية في كل ناحية من نواحي الحياة ، في صحتها ، في اجتماعيتها ، في اقتصادها ، في نـسلها ، في عقلها ، وفي كل شئون حياتها الدنيوية والأخروية.

إن أحاديث رسول الله ﷺ ، منذ أن قالها إلى الآن وما فتئت البشرية تنهل من خيرهـا وصـوابها، يعترف بذلك المسلمون، والمنصفون من غير المسلمين وهذا دليل قوي على أنها وحـى الله سـبحانه وتعالى ، إلى رسول الله ﷺ .

وهكذا توضح الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال السلف أن السنة النبوية وحى من الله تعالى، إلى رسوله صلى الله عليه وسلم، وهى صالحة لكل زمان ومكان، وواجبه الاتبـاع كـالقرآن سـواء بسواء، وعلى ذلك إجماع الأمة(1) منذ عهد نبيها صلى الله عليه وسلم، إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث

---

[178] - رواه الحاكم في المستدرك وصححه الألباني في صحيح الجامع رقمه 2937.

[179] - أخرجه الدارمى فى سننه المقدمة، باب ما يتقى من تفسير حديث النبى صلى الله عليه وسلم وقول غيره عند قوله صلى الله عليه وسلم 126/1 رقم 433

الله الأرض ومن عليها، دون اعتبار لقول من شذ، من المرجفين فى دين الله، العاملين على هدم كيان السنة المطهرة، والسيرة العطرة.[180]

إن الكاتب بفصوله وسطوره هذه إنما يطبل لمذهب ومزاعم أستاذه شحرور ، الذي ينكر أن تكون السنة وحيا ، ويدعو دعوة صريحة إلى رفض أقوال السلف من علماء وفقهاء ومفسرين، واتباع قواعد المنهج العلمي ،[181] كما اعتبر أنّ سنة الرسول ﷺ هي اجتهاد محمد لتطبيق حدود الإسلام ضمن بيئة الجزيرة العربية، وبالتالي فإنّ تطبيقه لها ليس ملزماً لنا في شيء.

فهل أدركتم الآن –معشر المسلمين– مورد كاتبنا الباحث ؟ وهل تيقنتم من عقيدته و خططه ؟

إن محاولة إزاحة كل السنة عن مواقع الاحتجاج والتشريع سعي فاشل ليس وليد اليوم ولن ينتهي، وليس المراد منه الانتصار للقرآن وإنما التدرج في إنجاح المؤامرة بتحويل منظومة أفكارنا وأذكارنا إلى ساحة مستباحة، وإفقاد الأمة كل مقومات المناعة والمقاومة، والأجدى هو الابتعاد عن التفكير بأسلوب النهايات الذي ينم عن يأس واضطراب وتخبط ونرجسية وعجز عن الفهم.

وعندما نقول المؤامرة ونحذر منها يتضاحك العلمانيون ويتهموننا بالجبن والهلع والخور ، وقد جادلت بعضهم فاستهزأ –على طريقتهم– من فكرة المؤامرة.. ولهذا أرى أن أعيد هذه العبارة وإن مرت قريبا وأؤكد أن هذا ما يدركه أعداء الإسلام ويهدفون إليه، وإن بالغت أو كذبت فإن المبشر الأمريكى "جب" يصدق التكهنات ويزكيها إذ يقول : "الإسلام مبنى على الأحاديث أكثر مما هو مبنى على القرآن، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة، لم يبق من الإسلام شئ وصار أشبه بصبيرة طومسون . وطومسون هذا رجل أمريكى، جاء إلى لبنان فقدمت له صبيرة فحاول أن ينقيها من البذر، فلما نقى منها كل بذرها لم يبق فى يده منها شئ"([182]) .

ويكشف محمد أسد السر فى محاربة السنة : فيقول : "إن الهدف إسقاطها حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية الحقيقية لحياة رسول الله ﷺ والمسلمون الأوائل، وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته[183])

---

[180] - رد شبهات حول عصمة النبى ص فى ضوء السنة النبوية الشريفة : عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى

[181] - الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، د. محمد شحرور، ص91،

[182] - التبشير والاستعمار للدكتور مصطفى خالد، وعمر فروخ ص 98.

[183] - الإسلام على مفترق الطرق ص 88 - 95، وانظر : من نفس الكتاب ص 108 (السنة النبوية تجعل المجتمع مستقراً متماسكاً)

هل السنة أيضا محفوظة ؟

زعم أعداء السنة المطهرة أن الله تعالى تكفل بحفظ القرآن دون السنة، واحتجوا لذلك بقوله تعالى : { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } وقالوا : لو كانت السنة حجة ووحياً مثل القرآن؛ لتكفل الله عز وجل بحفظها؛ كما تكفل بحفظ القرآن الكريم .

قال السيد الشربيني [184] :... مما لا شك فيه أن منشأ هذه الشبهة في كلمة (الذكر) حيث اقتصر فهم المنكرين لحجية السنة المطهرة على أن المراد بكلمة الذكر في الآية هو "القرآن الكريم" وحده دون السنة، وأن الضمير في قوله تعالى "لـه" عائد على القرآن، وأن الآية فيها حصر بتقديم الجار والمجرور وهذا الحصر يفيد عندهم قصر الحفظ على القرآن وحده دون ما عداه .

... ونقول رداً على ذلك : إن رب العزة قد تكفل بحفظ ما صح من حديث رسوله ﷺ ويدل على ذلك الكتاب الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، والعقل، والتاريخ .

أولاً : أما الدليل من كتاب الله عز وجل على تكفل الله بحفظ السنة كما تكفل بحفظ كتابه الكريم :

1- قوله تعالى : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } ، يقول فضيلة الأستاذ الدكتور محمد السيد ندا : في الآية الكريمة إخبار من الله تعالى : بأن السنة مبينة للقرآن، وقد تكفل الله بحفظه في قوله تعالى : { نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } . فيلزم من هذا أن يكون قد تكفل أيضاً بحفظ السنة؛ لأن حفظ المبين يستلزم حفظ البيان للترابط بينهما .

2- وقال تعالى: { إِن عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} القيامة 19/17 . فإنه نص صريح يدل على أن الله قد تكفل بحفظ السنة على وجه الأصالة والاستقلال لا على طريق اللزوم والتتبع؛ لأنه تكفل فيه ببيان القرآن فى قوله تعالى : { ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ }. أى بيان القرآن، والبيان كما يكون للنبى ﷺ يكون لأمته من بعده . وهو يكون للنبى ﷺ بالإيحاء به إليه ليبلغه للناس، وهو المراد فى الآية السابقة: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} النحل 44 . وقوله تعالى :{ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (النحل64) فالسنة النبوية على هذا منزلة من عند الله عز وجل (بوحى غير متلو)) . ويكون البيان للأمة من بعده ﷺ بحفظ السنة التى بلغهم النبى ﷺ إياها .

3- ويذكر الإمام ابن حزم دليلاً ثالثاً من كتاب الله على تكفله جل علاه بحفظ السنة فى قوله تعالى : { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } النساء 59 .. يقول ابن حزم

[184] ـ أغلب مافي هذا الفصل عن كتاب : (كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها) المؤلف : عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى

: "هذه الآية الكريمة جامعة لجميع الشرائع أولها عن آخرها، وذكرت أصولاً ثلاثة وهى قوله تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ }. فهذا أصل وهو القرآن، ثم قال تعالى: {وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ }. فهذا ثان وهو الخبر عن رسول الله ﷺ ، ثم قال تعالى: { وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ }. فهذا ثالث وهو الإجماع المنقول إلى رسول الله ﷺ حكمه، وصح لنا بنص القرآن، أن الأخبار هي أحد الأصلين المرجوع إليهما عند التنازع، قال تعالى : { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ }. والبرهان على أن المراد بهذا الرد؛ إنما هو إلى القرآن،والخبر عن رسول الله ﷺ ؛ لأن الأمة مجمعة على أن هذا الخطاب متوجه إلينا، وإلى كل من يخلق ويركب روحه في جسده إلى يوم القيامة من الجنة والناس ؛ كتوجهه إلى من كان على عهد رسول الله ﷺ وكل من أتى بعده عليه السلام وقبلنا ولا فرق ، ..وصح أن المراد بالرد المذكور في الآية التي نصصنا إنما هو إلى كلام الله تعالى، وهو القرآن وإلى كلام نبيه ﷺ المنقول على مرور الدهر إلينا جيلاً بعد جيل، وأيضاً فليس في الآية المذكورة ذكر للقاء ولا مشافهة أصلاً، ولا دليل عليه، وإنما فيه الأمر بالرد فقط ، ومعلوم بالضرورة؛ أن هذا الرد إنما هو تحكيم أوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ دون تكلف تأويل ولا مخالفة ظاهر .

... والقرآن والخبر الصحيح بعض من بعض وهما شيء واحد في أنهما من عند الله تعالى، وحكمهما حكم واحد فى باب وجوب الطاعة لهما للآية المذكورة وقوله تعالى : { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ()وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ } (الأنفال) .

... وكلام النبى ﷺ كله وحى لقوله تعالى : { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى }(النجم) . والوحى ذكر بإجماع الأمة كلها، والذكر محفوظ بالنص قال تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }

فصح أن كلام رسول الله ﷺ كله في الدين وحى من عند الله عز وجل؛ لا شك في ذلك، ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة في أن كل وحى نزل من عند الله تعالى فهو ذكر منزل . فالوحي كله محفوظ بحفظ الله تعالى له بيقين، وكل ما تكفل الله بحفظه؛ فمضمون ألا يضيع منه، وألا يحرف منه شيء أبداً تحريفاً لا يتأتى البيان ببطلانه، إذ لو جاز غير ذلك؛ لكان كلام الله تعالى كذباً وضمانه خاسئا ، وهذا لا يخطر ببال ذي مسكة عقل، فوجب أن الدين الذي أتانا به محمد ﷺ محفوظ بتولي الله تعالى حفظه، مبلغ كما هو إلى كل ما طلبه مما يأتي أبداً إلى انقضاء الدنيا قال تعالى : { لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } (الانعام) فإذا كان ذلك كذلك؛ فبالضرورى نتيقن أنه لا سبيل ألبته إلى ضياع شيء قاله رسول الله ﷺ في الدين، ولا سبيل البتة إلى أن يختلط به باطل موضوع

اختلاطاً لا يتميز عند أحد من الناس بيقين، إذ لو جاز ذلك؛ لكان الذكر غير محفوظ، ولكان قول الله تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }) .كذباً ووعداً مخلفاً، وهذا لا يقوله مسلم.

قال ابن حزم: فإن قال قائل : "إنما عنى تعالى بذلك القرآن وحده، فهو الذي ضمن تعالى حفظه دون سائر الوحي الذي ليس قرآناً . قلنا له .. : "هذه دعوى كاذبة مجردة من البرهان، وتخصيص للذكر بلا دليل ، وما كان هكذا فهو باطل ، لقوله تعالى :{ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } فصح أنه لا برهان له على دعواه ، فليس بصادق فيها، والذكر اسم واقع على كل ما أنزل الله على نبيه ﷺ من قرآن أو من سنة وحياً يبين بها القرآن، وأيضاً فإن الله تعالى يقول: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ }(النحل44) فصح أنه عليه الصلاة والسلام مأمور ببيان القرآن للناس .

... وفى القرآن مجمل كثير؛ كالصلاة، والزكاة، والحج، وغير ذلك مما لا نعلم ما ألزمنا الله تعالى فيه بلفظه، ولكن بين لنا رسول الله ﷺ فإذا كان بيانه – عليه الصلاة والسلام – لذلك المجمل غير محفوظ ولا مضمون سلامته مما ليس منه؛ فقد بطل الانتفاع بنص القرآن، فبطلت أكثر الشرائع المفترضة علينا فيه، لم ندر صحيح مراد الله تعالى منها، وما أخطأ فيه المخطئ أو تعمد فيه الكذب الكاذب، ومعاذ الله من هذا..([185]) .

ويذكر ذ محمد مزروعة : أن الله – سبحانه – تكفل بحفظ كتابه ، ومن خلال حفظ كتابه تكفل الله – تعالى – ضمنيًا بحفظ سنة نبيه ﷺ ذلكم أن الكتاب بحاجة إلى السنة التي تبينه، كما قال – عز وجل – : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (النحل:44). فالسنة ضرورية للكتاب، وهي إلى جانب الكتاب ضروريان للدين. فمن حفظ الله – تعالى – كتابه أن يحفظ السنة التي تبينه وتفصله، فإن القرآن بحاجة إليها ومن حفظ الله – تعالى – دينه كي يعرفه الخلق الذين كلفهم الله به، ويحاسبهم عليه، أن يحفظ كتابه وسنة نبيه، فإن الدين بحاجة إليهما.[186]

ويذكر الإمام ابن قيم الجوزية : دليلاً رابعاً من كتاب الله عز وجل على تكفله –جل جلاله– بحفظ السنة فى قوله تعالى : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } وقال تعالى : { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ }. وقال تعالى: { إِن الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ }.

... يقول ابن قيم الجوزية : فنقول لمن جوز أن يكون ما أمر الله به نبيه من بيان شرائع الإسلام غير محفوظ، وأنه يجوز فيه، التبديل، وأن يختلط بالكذب الموضوع اختلاطاً لا يتميز أبداً، أخبرونا عن إكمال الله تعالى لنا ديننا، ورضاه الإسلام لنا ديناً، ومنعه من قبول كل دين سوى الإسلام . أكل ذلك

---

185 - الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم 1/، ص 116، بتصرف / وكتاب : كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها للمؤلف : عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى .

186 - شبهات القرآنيين حول السنة النبوية : أ.د. محمود محمد مزروعة

باق علينا ولنا وإلى يوم القيامة؟ أم إنما كان ذلك للصحابة رضي الله عنهم فقط؟ أولا للصحابة ولا لنا؟ ولابد من أحد هذه الوجوه .

... فإن قالوا : لا للصحابة ولا لنا؛ كان قائل هذا القول كافراً لتكذيبه الله جهاراً، وهذا لا يقوله مسلم .

وإن قالوا : بل كل ذلك لنا وعلينا وإلى يوم القيامة؛ صاروا إلى قولنا ضرورةً، وصح أن شرائع الإسلام كلها كاملة والنعمة بذلك علينا تامة . ... وهذا برهان ضروري وقاطع على أن كل ما قاله رسول الله ﷺ في الدين، وفي بيان ما يلزمنا محفوظ لا يختلط به ما ليس منه أبداً .

.. وإن قالوا : بل كان ذلك للصحابة فقط، قالوا : الباطل، وخصصوا خطاب الله بدعوى كاذبة، إذ خطابه تعالى بالآيات الكريمة التي ذكرها عموم لكل مسلم في الأبد، اهـ [187]

ثم إن الكاتب ذكر آية إتمام النعمة في عدة مواضع كما ذكرها مقدمه ، زعما منهما أن إكمال الدين وإتمام النعمة يعني إتمام القرآن والإكتفاء به ، لأن القرآن هو الكامل المتم ، أما الحديث فليس مكتوبا ولا موجودا ولا موصى به ، والصواب أن هذه النعمة ليست القرآن وحده ، بل هي القرآن والسنَّة ، -كما فصلنا- ولما امتنَّ الله على الأمة بإتمام الدين وإكمال النعمة لم يكن المقصود منه إنزال القرآن ، بل إتمام الأحكام ، والأحكام في القرآن والسنَّة ، بدليل نزول آيات من القرآن الكريم بعد إخبار الله تعالى بمنته على عباده بإكمال الدين وإتمام النعمة .

قال بدر الدين الزركشي – رحمه الله – :

قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) أي : أكملت لكم الأحكام ، لا القرآن ؛ فإنه نزل بعد ذلك منه آيات غير متعلقة بالأحكام . [188]

وقال ابن القيم – رحمه الله – : فقد بيَّن الله – سبحانه – على لسان رسوله بكلامه وكلام رسوله جميع ما أمره به ، وجميع ما نهى عنه ، وجميع ما أحله ، وجميع ما حرمه ، وجميع ما عفا عنه , وبهذا يكون دينُه كاملا كما قال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) .[189]

إن حفظ القرآن متوقف على حفظه للسنة ، ومستلزم له بما أنها حصنه الحصين، ودرعه المتين، وحارسه الأمين، وشارحه المبين؛ تفصل مجمله، وتفسر مشكله، وتوضح مبهمه، وتقيد مطلقه، وتبسط مختصره، وتدفع عنه عبث العابثين، ولهو اللاهين، وتأويلهم إياه على حسب أهوائهم وأغراضهم،.. فحفظها من أسباب حفظه، وصيانتها صيانة له .... ولقد حفظها الله تعالى كما حفظ القرآن فلم يذهب منها – ولله الحمد – شيء على الأمة؛ وإن لم يستوعبها كل فرد على حدة "[190]

---

[187] - مختصر الصواعق المرسلة 543/2، 544.

[188] - " المنثور في القواعد " (1 / 142) .

[189] - " إعلام الموقعين " (1 / 250) .

[190] - حجية السنة للدكتور عبد الغنى عبد الخالق / ص 390، 391.

مفهوم الحديث

لم يقصد الكاتب من هذا الفصل إلا الإكثار من شبهات وإدخالنا في متاهات ، فذهب في أعماق كلمة (حديث) ليتطرق لمصطلح "الحديث" في القواميس فحاول تخصيص المصطلح بالقرآن وحصره فيه، واستنكر إطلاقه على المرويات الحديثية ، فالحديث حسب زعمه وبحثه خاص بوصف كلام الله. وما هذا إلا إعادة وتكرار لما سبق من إنكاره الحديث والطعن فيه ، ويرجع المحققون أصل الفكرة لمحمد شحرور _وهو ممن اعتمد عليهم في نقولاته_ لما عهد عليه من تشقيقاته اللغوية ومخالفته للجميع.[191]
ولمعرفة بعض ركائز الكاتب أيلال راجعوا بعض كتب هذا المغرور المسمى شحرور، فقد قام بدراسة للقرآن الكريم محاولا تأويله تحت ذريعة القراءة المعاصرة، ومما قاله: (ولهذا فالقرآن لابد أن يكون قابلا للتأويل، وتأويله يجب أن يكون متحركًا وفق الأرضية العلمية لأمة ما، في عصر ما، على الرغم من ثبات صيغته). فإذا تأملنا في معظم شبهات الكاتب في صفحاته نجده قد سبقه إليه شحرور[192]
إذا فقد اعتمد من نقل عنه الكاتب –باعتبار أنه مجرد ناقل– المنهجَ اللغوي في تحديد معاني الألفاظ، وعدم وجود الترادف في اللغة، وفسر القرآن على أساس ذلك، وهذا منهج مرفوض، لأن كثيراً من الألفاظ التي تدل في اللغة على معنى معين أضاف الشرع إليها معاني أخرى، مثل كلمة (الصلاة) فهي لغة الدعاء، لكنها في الشرع: أقوال وأفعال مخصوصة تفتتح بالتكبير وتختتم بالتسليم. ومثلها كثير ، لكن الكاتب يجهل أو يتغافل عن ذلك ، فيأبى إلا الهجوم ولو بالباطل ، يقول: ، لكن علماء الحديث ومن سار على دربهم لا يعرفون للحديث معنى إلا كلام الرسول والصحابة والتابعين، ... فلم يتورع هؤلاء على توقير كلمة الحديث التي تم إعطاؤها معنى من لدن الله سبحانه وتعالى،43) ثم يطول شهيقه وزفيره في الموضوع وكأنه أتى من الكلم بأحكمه ومن القول بأحسنه ، وما علم أنه إنما يلحن الشخير ويتغنى بالنخير ، / فأقسم بالرحمن إنك واهم * أضل من الخفاش في ضوء ضحوة
ألم يدر الكاتب أن هناك مصطلحات كانت وضعت أصلا لمعنى معين ، ثم نقلت فانقلبت أسماء علم ونحوها، وعلى سبيل المثال فقد جاءت كلمة الساعة في القرآن الكريم في عشرات المواضع لمعنى القيامة (حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً (الأنعام31) إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ (الأنعام 40) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا الأعراف187) (أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً (يوسف107) وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ

[191] - ينظر، "الكتاب والقرآن قراءة معاصرة" لمحمد شحرور، ص 93. ومقال على موقع (أهل القرآن) بعنوان:"الحديث هو القرآن".
[192] - هو د. المهندس محمد بن ديب شحرور، أنفق من عمره كما يقول عشر سنوات كاملات يدرس الإسلام فاكتشف أنه مسلم
1)- اعتمد الشحرور المنهج اللغوي في تحديد معاني الألفاظ، وعدم وجود الترادف في اللغة، وفسر القرآن على أساس ذلك،
2)- يعتبر الشحرور تطبيق الرسول للإسلام غير ملزم للأمة في شيء.
3)- يرفض الشحرور السنة كمبين ومفصل ومقيد ومخصص للقرآن.
4) يعتبر الشحرور أن السنة ليست وحيا
4)- اعتمد الشحرور على عقله وحده في تفسير القرآن، فجاء بعجائب من التفسير لم يُسبق إليها،
5) قوله على سبيل المثال في تفسير آيات الحجاب إن الحجاب الذي أمر الله المؤمنات به هو: تغطية الصدر والفرج والإليتين !
6) وحكم أيضا وفقا لتفسيره المبتدع لليهود والنصارى بأنّهم مسلمون !

إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ النحل 77) وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا الكهف 21 والحج 13) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً الكهف 36) إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا طه 15) وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ الأنبياء 49) إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ الحج 1) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ الروم(12) .. وعشرات غيرها ، وقد تكررت أكثر من أربعين مرة ، أغلبها جاء بمعنى القيامة ، ولكن لماذا اتفق العالم العربي كله على إطلاق الساعة على آلة متحركة لها عقارب ؟ أو إطلاقها على مدة زمنية قدرها ستون دقيقة ؟ فبمفهوم ومنطق الكاتب ، لم يتورع هؤلاء على توقير كلمة الساعة التي هي شيء عظيم ، فأطلقوها على شيء حقير يساوي خمسة دراهم !!

كما ذكرت لفظة كتاب أزيد من 200 مرة أغلبها جاءت بمعنى الكتاب المنزل ، القرآن أو غيره ، فلماذا أيها الكاتب سميتَ صفحاتك هذه بالكتاب؟ كيف جوزت لنفسك وصف صفحات كتبتها بالكتاب ؟ والأمثلة كثيرة تعد بالمئات ، فهل تسمية أقوال الرسول بالحديث في نظرك يخالف اللغة ويخالف القرآن ،؟ فـ **لا مشاحة في الاصطلاح**[193] ، كما يقولون ، إن هذه القشور اليابسة ، والحواشي البالية ، لا تفيد بشيء ، فعل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، وهل من عودة إلى جادة الطريق ،

أما الحديث في اللغة فهو: ضد القديم ، ويستعمل في كثير من الكلام وقليله ، وهو اسم من التحديث بمعنى الإخبار . ثم سمي به كل ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خَلْقي أو خُلُقي . وبعض العلماء يضيف إلى ذلك : ما أضيف إلى الصحابي أو التابعي أو ما صدر عنهما . وعندئذ تصبح كلمة الحديث مرادفة للخبر عند علماء الحديث . وهو مرادف كذلك لكلمة (الأثر) عند بعض العلماء [[194]] .

ثم نبشر الكاتب ومن نقل عنه بأن القرآن نفسه أطلق الحديث على كلام النبي ﷺ اقرأوا (الآية 3) من سورة التحريم ، وهي قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَسَرَ النبِي إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثا ﴾ .

فما تفسيرك لها ؟، ومعلوم أنه لم يسر إليها قرآنا ، والقصة معروفة ، كما أطلقت الصيغة على أنواع من الأخبار والكلام فقد جاءت هذه اللفظة في القرآن وتكررت 23 مرة نصف العدد جاء لمعان غير القرآن ، فعل هي معزة ولو طارت ؟ **ومن يقل الغراب أبو القمارى يكذبه إذا نعب الغرابُ**

ثم يهاجم مرة أخرى فقهاء ورجال الحديث قائلا أن فقه هؤلاء وفهمهم لا علاقة له بالقرآن الكريم، 43 لأنهم يطلقون الحديث على كلام الرسول ، متقمشا عبارة من هنا وهناك ، موردا قولا لابن القيم في قوله تعالى {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً}(الفرقان: 30.)

جاهلا أن ابن القيم إنما هو من تلاميذ هؤلاء ومن منبعهم يغترف وأنه لا يكن لهم إلا التبجيل والتقدير،

193 - أي لا مضايقة ولا منازعة فيه ، بل لكل أحد أن يصطلح على ما يشاء إلا أن رعاية الموافقة في الأمور المشهورة بين الجمهور أولى وأحب .

194 - انظر : الباعث الحثيث لابن كثير ص (17) .

كتابة وتـدوين الحـديـث

هذا هو الموضوع الذي استهل به الكاتب بحثه ، وهو معوله الذي ظن أنه لن يبقي بـه مـن لبنـات الحديث شيئا ، فقد أثار وسوّق لمسألة على درجة كبيرة من الشأن والأهمية ، مسألة "تدوين الحديث" ، فساق مجموعة من الأحاديث والآثار –التي لاتتجاوز على الأكثر ثلاثة– واعتبرها تدل "**دلالة قطعية على منع الرسول لأصحابه من تدوين كلامه** . ص 19"،) فيما اعتبر الأحاديث التي تجيز وتسوغ كتابة الحديث –والتي تعد بالعشرات– مصطنعة ومختلقة ، فيقـول : (**ثم إيجاد و صنع أحاديث أخرى تأذن بتدوين كلام الرسول**. ص19) وقال بتأخر تدوين الحديث النبوي إلى ما بعد المائة سنة من وفاته ﷺ ، ولا ندري على ماذا اعتمد في تواريخه واستنباطاته ، ولعله لا يستطيع تحديد عصر الـصحابة مـن غيرهم ولا التابعين ولا بداية عهدهم ، ولأن الصحابة –حسب زعمه– لم يكتبوا ولم يدونوا ، فالكتابة لم تبدأ إلا بعد قرن أو أكثر ، وسنبين كل ذلك بتفصيل .

فأول ما ابتدأ به من الشبهات والأغلوطات، ادعاؤه أن الرسول ﷺ منع الصحابة من تدوين كلامه ، وانطلاقه من هذه الشبهة وجعله لها حجرا أساسيا لكتابه ، دليل على أنها أقوى ما عنده من الحجج ، وانطلق من حديثٍ قيل إنه أصح ما ورد في الباب ، والراجح فيه أنه موقوف ، ورغم ذلك فقد وقـف فيه على المصلين كما يقال ، ونصه : **لا تكتبوا عنى شيئا إلا القرآن فمن كتب عنى غير القرآن فليمحه وحدثوا عنى ولا حرج** ..) ([195]) ولم يتعرض لأحاديث كثيرة تناقض هذا وهي لا محالة ناسخة لـه ، كما هو قول أكثر العلماء ، أو لحالة خاصة كما قال البعض ، أي أن النهي عن الكتابة كان (مرحليا) فقط ، ثم نسخ ذلك بالإذن فيها.

إن الشواهد التي ذكرها الكاتب _رغم ما فيها_ لا تدل أبدا –ولا بوجه من الوجوه– على النهي العـام المطلق عن كتابة الحديث ، وإذا سلمنا بثبوتها وصحتها ، فهي تتعارض مـع أحاديـث أكثـر ثبوتـا وأوضح دلالة ، أباح فيها النبي ﷺ كتابة السنة مما يقوي القول بنسخها ،

قال ابن الأثير في شرح حديث (لا تكتبوا عني غير القران) : الجمع بين قوله : لا تكتبوا عني غيـر القرآن وبين إذنه في الكتابة : أن الإذن في الكتابة نـاسخ للمنع منه بإجماع الأمة علـى جـوازه ،

---

[195] - **لا تكتبوا عنى شيئا إلا القرآن فمن كتب عنى غير القرآن فليمحه وحدثوا عنى ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار** .

(صحيح مسلم (3004) كتاب الزهد والرقائق ، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم .)

وقد وهَّم الإمام البخاري والإمام أبو داود همَّاماً في رفع هذا الحديث وصوَّبا وقفه على أبي سعيد الخدري ، ولا تعارض بين حديث موقوف وأحاديث مرفوعة .

((فتح الباري 1 / 208 .) ، ((تحفة الأشراف 3 / 408 .))

وقال الخطيب البغدادي تفرد همام برواية هذا الحديث عن زيد بن أسلم هكذا مرفوعا . (تقييد العلم ص31)

ولا يجمعون إلا على أمر صحيح ، وقيل : إنما نهى عن الكتابة : أن يكتب الحديث مع القــرآن فــي صحيفة واحدة ، فيختلط به ، فيشتبه على القارئ.([196])

وبمثل قوله تمسك السيوطي أيضا كما في شرح مسلم قال: **لا تكتبوا عني إلى آخــره ..)** هــذا منــسوخ بالأحاديث الواردة في الإذن في الكتابة وكان النهي حين خيف اختلاطه بالقرآن فلما أمن ذلك أذن فيها ، وقيل مخصوص بكتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لئلا يختلط فيشتبه على القارئ ([197])

إذن من خلال قولي هذين العالمين يتبين أن المنع منسوخ بأحاديث الإذن وأن سـبب المنــع فــي أول الأمر كان خشية أن يختلط الحديث بالقرآن ، فلما انتفت العلة وزال الخوف زال المانع ،

إن قولنا بأن المانع من كتابة الحديث في أول الأمر : خشية الصحابة رضوان الله علــيهم أن تخــتلط السنة بالقرآن ، أو أن يكب الناس عليها دون القرآن ، قول واقع ورأي ناصع تؤكده أيضا رواية عنــد البيهقي أن عمر رضي الله عنه قال : **إني كنت أردت أن أكتب السنن ، وإني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبدا .**

فالصحابة رضوان الله عليهم تخوفوا من الإنشغال عن القرآن ومضاهاته بغيره من الكتب حتى ولــو كانت السنة النبوية ، والمراد بالإنشغال عن القرآن تقديم السنة في الإهتمام بها علــى الإهتمــام أولا بكتاب الله ، مما يؤدي إلى تركه وإهماله ، وهذه العلة صرح بها راوي حديث النهي عن الكتابة نفسه وهو (أبو سعيد) كما في رواية للبيهقي عن أبي نضرة ، قال : قلنا لأبي سعيد الخدري : إنك تحــدثنا بأحاديث معجبة ، وإنا نخاف أن نزيد أو أن ننقص فلو كتبناها، قال : « **لن أكتبكموه ولن نجعله قرآنا ، ولكن احفظوا عنا كما حفظنا** ، ثم قال مرة : خذوا عنا كما أخذنا عن رسول الله ﷺ »

وفي لفظ عن أبي نضرة ، قال : قلنا لأبي سعيد لو كتبتم لنا فإنا لا نحفظ ، قــال : « لا نكتــبكم ولا نجعلها مصاحف كان رسول الله ﷺ يحدثنا ، فنحفظ فاحفظوا عنا كما كنا نحفظ عن نبيكم ﷺ »

فهاتان الروايتان عن أبي نضرة ، تدلان على أن النهي عن الكتابة إنما وقع خشية أن يخلط بكتاب الله عز وجل شيء ، ولما توقف نزول الوحي ، وكثــر انــشغال النـــاس بالــدنيا ، وظهــرت قــصص وإسرائيليات فرض ذلك كتابة الحديث بأسانيده حفاظا عليه ،

وقد أورد الخطيب البغدادي في (تقييد العلم) أثرا عن أبي سعيد نفسه ، يقول فيه (ما كنا نكتــب شــيئا غير القرآن والتشهد) وبعد أن ذكر الأثر قال الخطيب معلقا : قلت وأبو سعيد هو الذي روي عنـــه ان رسول الله ﷺ قال : لاتكتبوا عني سوى القرآن ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، ثم هو يخبــر أنهم كانوا يكتبون القرآن والتشهد ، وفي ذلك دليل أن النهي عن كتب ما سوى القرآن إنما كان علــى

[196] - جامع الأصول في أحاديث الرسول ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفى : 606هـ)

[197] - الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج 303/6

الوجه الذي بيناه من أن يضاهى بكتاب الله تعالى غيره وان يشتغل عن القرآن بسواه ، فلما أمن ذلك ودعت الحاجة إلى كتب العلم لم يكره كتبه كما لم تكره الصحابة كتب التشهد ، ولا فرق بين التشهد وبين غيره من العلوم في أن الجميع ليس بقرآن ولن يكون كتب الصحابة ما كتبوه من العلم وأمروا بكتبه إلا احتياطا كما كانت كراهتهم لكتبه احتياطا والله اعلم[198]

ويمكن أن نضيف إلى العلتين السابقتين علة أخرى ثالثة ، جاءت واضحة في آثار عن الصحابة ، فبالإضافة إلى (خشية الإختلاط) و(خشية الإنكباب..) هناك سبب آخر وهو استحباب الحفظ ايضا ، وهو أن الصحابة يحبون أن يؤخذ عنهم الحديث حفظا كما مر في حديث أبي سعيد الثاني ،

وفي مثل هذا يقول ابن حجر في الفتح : قال العلماء: كره جماعة من الصحابة والتابعين كتابة الحديث، واستحبوا أن يؤخذ عنهم حفظاً، كما أخذوه حفظاً ، لكن لما قصرت الهمم وخشي الأئمة ضياع العلم دونوه ،.. الفتح(208/1). فحفظ الصدور هو الأفضل لديهم والأجود ، ولذا يتنزهون عن الكتابة ، لكن عندما يفرض الأمر والواقع هذه الكتابة ، فهي الأمثل ، لأنها على كل حال أفضل من الضياع والنسيان ، كما روي عن أبي قلابة أنه قال : الكتاب أحب إلي من النسيان)

والقول بالنسخ وللعلة التي ذكرنا هو ما ذهب إليه ابن حاتم أيضا ، إذ قال رحمه الله تعالى : زجره ﷺ عن الكتبة عنه سوى القرآن أراد به الحث على حفظ السنن دون الاتكال على كتابتها وترك حفظها والتفقه فيها ، والدليل على صحة هذا إباحته ﷺ لأبي شاه كتابة الخطبة التي سمعها من رسول الله ﷺ ، وإذنه ﷺ لعبد الله بن عمرو بالكتبة .[199]

وقد أشار ابن حجر رحمه الله إلى جميع أوجه الجمع بين الإباحة والمنع فقال : وقد جمع العلماء بين إباحته ﷺ كتابة الخطبة لأبي شاه وبين حديث أبي سعيد الخدري ؛ أن النهي في حديث أبي سعيد خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه بغيره، والإذن في غير ذلك، أو أن النهي خاص بكتابة غير القرآن مع القرآن في شيء واحد، والإذن في تفريقهما، أو النهي متقدم، والإذن ناسخ له عند الأمن من الالتباس، وهو أقربها مع أنه لا ينافيها، وقيل: النهي خاص بمن خشي منه الاتكال على الكتابة دون الحفظ، والإذن لمن أمن منه ذلك ، ومنهم من أعل حديث أبي سعيد، وقال: الصواب وقفه على أبي سعيد، قاله البخاري وغيره. اهـ ([200])

قال الإمام أبو بكر البيهقي رحمه الله : وقد روينا عن النبي ﷺ أنه أذن في الكتابة عنه ، ولعله إن شاء الله أذن في الكتابة عنه لمن خشي عليه النسيان ونهى عن الكتابة عنه لمن وثق بحفظه ، أو نهى عن الكتابة عنه من خاف عليهم الاختلاط وأذن في الكتابة عنه حين أمن منه ، .

---

198 - [تقييد العلم - للخطيب البغدادي 93/1]
199 - [صحيح ابن حبان 1/ص 265]
200 - أنظر ابن حجر في فتح الباري - 208/1.

وذكر الزركشي وجوها أخرى في الجمع بينهما فقال : ((أحدها : أن النهي عن الكتابة مخصوص بحياة سيد البشر ﷺ ؛ لأن النسخ يطرأ في كل وقت فيختلط الناسخ بالمنسوخ ، ويشهد له حديث أبي شاه لما أذن له في كتابة الخطبة التي خطب بها النبي ﷺ .. الثاني : أن النهي لئلا يتكل الكاتب على ما يكتب ولا يحفظ فيقل الحفظ .. الثالث : ألا يتخذ مع القرآن كتابا يضاهى به)) ([201]) .

قال القاضي : كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير فى كتابة العلم فكرهها كثيرون منهم وأجازها أكثرهم ،ثم أجمع المسلمون على جوازها وزال ذلك الخلاف ، ([202]) .

وبما أن الكاتب يستعين كثيرا بالبرنامج الموسوعي (الشاملة) إلى جانب البحث في النت ، فلا شك أنه ستعترضه عشرات الأحاديث التي تجيز الكتابة ، ولكنه يتغاضى عنها ، ليوهم ويلبس وكأنه هو الوحيد الذي يمكنه البحث والتنقيب كما قال ، ولن يتجرأ أحد بعده على ذلك ، وإليكم بعضا منها :

1- عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – : قال : «كنتُ أكتبُ كل شيء سمعتُه من رسولِ الله ﷺ أُرِيدُ حِفْظَه ، فَنَهَتْني قريش ، وقالوا: تكتبُ كلَّ شيء ورسولُ الله ﷺ بَشَر يتكلم في الغَضَب والرِّضى ؟ قال : فأمْسَكْتُ عن الكتاب ، حتى ذكرتُ ذلك لرسولِ الله ﷺ ، فأَوْمَأَ بإِصْبَعِهِ إِلى فيه ، وقال : **اكْتُبْ** ، **فوالذي نفسي بيده ، ما نُخرِجُ منه إِلا حَقّا**»..([203])

2-عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله أني أسمع منك الشيء أفأكتبه قال نعم فاكتبه قلت انك تغضب وترضى قال **(إني لا أقول في الرضا والغضب إلا حقا)** قال عبد الرحيم وقال شعبة وحدثته به قال .. سمعته من داود بن شابور كما سمعه اسماعيل ولكن سمعت علما عن الحكم وحماد **فما كتبته نسيته وما لم أكتبه لم أنسه)** [204]

3-عن أبي هريرة – رضي الله عنه – : «أن النبيَّ ﷺ خطب – فذكر قِصَّة في الحديث – فقال أبو شاه : اكتبوا لي يا رسولَ الله ، **فقال رسولُ الله** ﷺ **: اكتبوا لأبي شاه».**[205] وفي الحديث قصة ، أخرجه الترمذي. وهي ايضا عند الرامهرمزي .

مع العلم أن قصة أبي شاه التي فيها الإذن بالكتابة متأخرة بإجماع فهي في آخر حياة النبي ﷺ وعليه –وعلى فرضية أن حديث المنع صحيح– فإنه منسوخ بهذا المتأخر عنه ،

---

[201] - النكت على ابن الصلاح 3 / 559 -560 للزركشي بشيء من التصرف .

[202] - شرح النووي على صحيح مسلم 18 / 130 .

[203] - [أخرجه **أحمد** (162/2) (6510) و(192/2) (6802). و**الدارمي** (490) قال : أخبرنا مسدد. و**أبو داود** (3646) قال : حدثنا مسدد وأبو بكر بن أبي شيبة. ثلاثتهم - أحمد بن حنبل ، ومسدد ، وأبو بكر بن أبي شيبة - عن يحيى بن سعيد ، عن عبيد الله بن الأخنس ، قال : أخبرنا الوليد بن عبد الله ، عن يوسف بن ماهك ، فذكره. وله شاهد وبلفظ : «**قلت : يا رسول الله أكتب ما أسمع منك ؟ قال :نعم. قلت : في الرضا والسخط : قال : نعم ، فإنه لا ينبغي لي أن أقول في ذلك إلا حقا**». أخرجه أحمد (207/2) (6930) ثلاثتهم -يزيد بن هارون ، ومحمد بن يزيد ، وعبد الأعلى بن عبد الأعلى - قالوا : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، فذكره وله شاهد وبلفظ :«قلت: يا رسول الله ، إنا نسمع منك أحاديث لا نحفظها أفانكتبها : قال : بلى فاكتبوها». أخرجه أحمد (215/2) (7018)

[204] - [المحدث الفاصل – الرامهرمزي /365] و[تقييد العلم - للخطيب البغدادي 81]

[205] - صحيح البخاري العلم (112),صحيح مسلم الحج (1355),سنن الترمذي العلم (2667),سنن أبو داود الديات (4505),مسند أحمد بن حنبل (238/2).

في مختصر سنن أبي داود من قول ابن القيم: قد صح عن النبي ﷺ النهي عن الكتابة والإذن فيها ، والإذن متأخر فيكون ناسخا لحديث النهي ، فإنه ﷺ ، قال في غزاة الفتح : « اكتبوا لأبي شاة »

4- وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : «**ما من أصحاب النبيِّ ﷺ أحد أكْثَر حــديثا عنــه مني، إلا ما كان من ابن عَمْرو ، فَإِنَّهُ كانَ يكتُبُ ، ولا أكْتُبُ**». ،([206]) فهذا إقرار وشهادة من أبــي هريرة أنه لا يعلو عليه أحد في الرواية _لملازمته للنبي ﷺ في كل مجالسه ، ولدعاء النبي ﷺ له بالحفظ ،_ إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، والسبب أن الأخير يكتب الحديث الذي سمعه ،

فإذا كان حديث أبي شاه يحتمل أن يكون الإذن فيه خاصا ، كما ادعى الكاتب في صــفحتي 19و20 ، اعتمادا لتحليل رشيد رضا [207]، وكما يدعي المعارضون من أعداء السنة –بحكم أنه أمي وأعمى– فإن هذا الحديث بطرقه التي ذكرها البخاري وغيره أقوى في الإستدلال للجواز لأن ابن عمرو لم يكن أميا ولم يكن أعمى ، مع الإشارة أن هذا الحديث متأخر أيضا ، ذلك أن أبا هريرة ممن تــأخر إســلامه ، وكتابة عبد الله لا محالة واقعة بعد إسلامه وبعد تحديثه ، فحديثه متأخر عن النهي لأنه لم يزل يكتب ، ومات وعنده كتابته وهي الصحيفة التي كان يسميها الصادقة كما سيأتي.

5-وعن أبي هريرة ®: قال: «كان رجل من الأنصار يجلسُ إلى رسولِ الله، فيسمع من النبيِّ ﷺ الحديثَ، فَيُعْجِبُهُ ولا يَحْفَظُه، فَشكا ذلك إلى رسولِ الله ﷺ ، فقال: يا رسولَ الله ، إني لأسمَعُ منــكَ الحديث فَيُعْجِبُني، ولا أحفَظه، فقال رسولُ الله ﷺ : **استَــعِنْ بيَمِينك ، وأوْمَأ بيده إلى الخط**».([208])

7- وعند ابْن أَبِي شَيْبَةَ : عْنَ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، إِنِّي أُحِــبُّ أَنْ أَعِــيَ حَدِيثَكَ ، وَلاَ يَعِيهُ قَلْبِي فَأَسْتَعِينُ بِيَمِينِي ؟ قَالَ ﷺ : **إِنْ شِئْتَ** . هَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ ،

8- عن ابن جريج عن عطاء عن عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله أقيد العلم قال «**نعم**» قلت ومــا تقييده قال «**الكتاب**» [209] وعنه بسند آخر قال (قيدوا العلم بالكتاب)

وفي لفظ قلت يا رسول الله أقيد العلم قال نعم يعنى كتابته (ابن عساكر (281/56) [كنز العمال 29539]

9- وعن زيد بن ثابت – رضي الله عنه – قال : «دخلتُ على رسولِ الله ﷺ وبين يديه كاتــب ، فسمعتُه يقول : **ضع القلمَ على أُذنك ؛ فإِنَّهُ أذكر للمالي**»، أخرجه الترمذي. (2714) وضعفه

---

[206] - أخرجه البخاري (39/1) وأحمد (248/2).والترمذي (2668و3841).والنسائي في الكبرى 434/3 و(تحفة الأشراف) (14800/10) وابن حبان 103/16 وسنن الدارمي:ج1/ص136. [والطبراني في المعجم الأوسط 350/8-]
وفي السنن الكبرى للبيهقي أن أبا هريرة ، رضي الله عنه يقول : « ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب بيده ويعيه بقلبه وكنت أعي ولا أكتب واستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتاب عنه فأذن له »

[207] -. الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المعروف (المتوفى سنة 1354هـ) تلميذ محمد عبده . وهو رَجُلٌ يميل إلى مذهب السلف ونصر التوحيد والعقيدة في مواطن كثيرة، وله إلمام بالحديث والسنة والتخريج، لكنه غَلِطَ في المسائل الفقهية، فلم يكن من صناعته الفتوى، فأباح أشياء تبعه عليها عدد. ((إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل)) أباح الربا و ألّف فيه رسالة معروفة مطبوعة بعنوان (الربا والمعاملات المالية)، ذهب فيه إلى إباحة الفوائد، وليس الفوائد فقط حتى القروض التي فيها فائدة إذا كان المسألة ما فيها ظلم، أو ما فيها استغلال للضعيف. // وعند تنقيبي وبحثي عن حقيقته ومنهجه وقفت على مقالات وآراء مختلفة فمنهم من يعده من السلفية ومنهم من يستبعد ذلك ، وقد تأثر كثيرا بأفكار محمد عبده "العصرانية" ، وقال آخرون إنه تراجع عنها أخيرا – رحمهم الله جميعا

[208] - أخرجه الترمذي، رقم "2666" وفيه: الخليل بن مُرَّة وهو ضعيف - قال الترمذي : هذا حديث إسناده ليس بذاك القائم - والمعجم الأوسط:ج1/ص244 ح801

[209] - [المحدث الفاصل – الرامهرمزي /364] والطبراني في المعجم الأوسط:ج5/ص194 ح5056)

10- وعن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال كان عند رسول الله ﷺ ناس من أصحابه وأنا معهم وأنا أصغر القوم فقال النبي ﷺ : من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، فلما خرج القوم قلت لهم : كيف تحدثون عن رسول الله ﷺ وقد سمعتم ما قال وأنتم تنهمكون في الحديث عن رسول الله ﷺ قال فضحكوا وقالوا يا ابن أخينا إن كل ما سمعنا منه فهو عندنا في كتاب) [210]

11- وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال لهم في مرض موته : ائتوني باللوح والدواة والكتف ؛ لأكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا - وهذا إنما يكون كتابة كلامه بأمره وإذنه .

وهناك أحاديث أخرى وإن كانت لا تدل _بصريح اللفظ_على الكتابة ولكنها تفيد الأمر بالحفظ والتبليغ ، كقوله ﷺ في الحديث المشهور : (**بلغوا عني ولو آية**) قال البغوي وقد قيل : إنما نهى عن كتبة القرآن والحديث في صحيفة واحدة ، لئلا يختلط غير القرآن بالقرآن ، فيشتبه على القارئ ، فأما أن يكون نفس الكتاب محظورا فلا ، يدل عليه أن النبي ﷺ قال : **بلغوا عني**" وفي الأمر بالتبليغ إباحة الكتبة والتقييد، لأن النسيان من طبع أكثر البشر ، ومن اعتمد على حفظه لا يؤمن عليه الغلط ، فترك التقييد يؤدي إلى سقوط أكثر الحديث ، وتعذر التبليغ ، وحرمان آخر الأمة عن معظم العلم [211]

-قال ابن حبان .. في قوله ﷺ : **(بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)** : فيه دَلَالَةٌ على أَنَّ السُّنَّةَ يُقَالُ فيها آيٌ. [212]

-وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : «**نَضَّرَ الله امرءا سمع منَّا شيئا ، فبلَّغَهُ كما سمعه ، فَرُبَّ مُبَلَّغ أوْعَى من سامع**». أخرجه الترمذي وغيره.[213]

-وعن أبان بن عثمان -رحمه الله- : قال : خرج زيدُ بنُ ثابت من عند مروان نصفَ النهار ، قلنا : ما بعث إليه في هذه الساعة إلا لشيء سألَه عنه ، فقُمْنا فسألناه ؟ فقال : نعم ، سَأَلَنا عن أشياءَ سمعناها من رسولِ الله- ﷺ ، سمعتُ رسولَ الله - ﷺ يقول : «**نَضَّرَ الله امرءا سمع منَّا حديثا فحفظه ، حتى يُبلِّغَه غيرَه ، فَرُبَّ حاملِ فقْه إلى مَن هو أفْقَهُ منه ، ورُبَّ حامل فقْه ليس بفَقيه**».[214]

جاء في مفتاح الجنة للسيوطي ، قال الإمام البيهقى : "ولولا ثبوت الحجة بالسنة لما قال ﷺ فى خطبته، -بعد تعليم من شهده أمر دينهم- : "ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع" قال السيوطي ثم أورد حديث نضر الله امرءا سمع منا حديثا فأداه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع، وهذا الحديث متواتر كما سأبينه، قال الشافعي فلما ندب رسول الله ﷺ إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها دل على أنه لا يأمر أن يؤدى عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه لأنه إنما يؤدى عنه حلال يؤتى وحرام يجتنب وحد يقام ومال يؤخذ ويعطى ونصيحة في دين ودنيا ([215]) .

---

[210] - [المحدث الفاصل – الرامهرمزي /378] و[تقييد العلم - الخطيب البغدادي 98]

[211] - شرح السنة ـ للإمام البغوى 294/1

[212] - [" البحر المحيط " (6 / 7 ، 8) .

[213] - إسناده حسن : أخرجه أحمد (183/5) والدارمي (235). وأبوداود (3660).وابن ماجة (4105). والترمذي (2656) ، والنسائي في الكبرى (3694).

[214] - أخرجه الترمذي، وأخرج أبو داود المسند وحدَهُ.

[215] - مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة للسيوطي ص 19 / وانظر:دلائل النبوة للبيهقى،

يقول الدكتور عبد الغنى عبد الخالق: "أليس الأمر بالتحديث والتبليغ والحفظ، والإيعاد على الكذب عليه أشد الوعيد، والنهي عن عدم الأخذ بالسنة؛ دليلاً على أن السنة لها شأن خطير ، وفائدة جليلة للسامع والمبلغ ؟ فما هذه الفائدة وما هذا الشأن العظيم؟ أليس هو أنها حجة في الدين، وبيان للأحكام الشرعية. كما يدل عليه تعقيبه ﷺ . الأمر بالتبليغ والتحديث _ في الروايات السابقة _ بقوله : " فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه" " احفظوه وأخبروا من وراءكم" وقوله ﷺ . " .. ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ . مثل ما حرم الله " وقوله ﷺ . "وحدثوا عنى ولا حرج"

ألا يشعرك هذا القول أن القصد من تبليغ السامع الحديث لمن بعده، أن يأخذ الغائب ما اشتمل عليه الحديث من فقه وحكم شرعي؟ وهل يكون ذلك إلا إذا كان الحديث حجة، ودليلاً تثبت به الأحكام التى تضمنها؟ وهل يصح أن يذهب من عنده ذرة من عقل وإيمان إلى أن أمره ﷺ . بالتحديث والتبليغ إنما كان لمجرد التسلية والمسامرة في المجالس كما يفعل بتواريخ الملوك والأمراء؟ كلا: فإن النبي ﷺ أجل وأعظم وأشد عصمة من أن يأمر أمته بما لا فائدة فيه، وبما هو مدعاة للهوهم وعبثهم .

ثم يقول عبد الغني : ولو كان المقصود من التحديث بأحاديث رسول الله ﷺ مجرد التسلية واللهو كرواية الأشعار وأخبار العرب وغيرهم أفلا يستوى الصادق منها والكاذب فى هذا المعنى؟ اهـ .

يتضح لنا مما سبق –وبعد تحقيق الأدلة وتمحيصها– أن أدلة الإذن أقوى من المنع ، نظرا لأنه لم يرد في المنع سوى حديثين أحدهما فيه ضعف لأن فيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو من الضعفاء, والآخر رواه مسلم إلا أن نقاد الحديث أعلّوه وجعلوه موقوفا على أبي سعيد وهو قوله :" لا تكتبوا عني " ومع ذلك فإن كثيرا منهم يرون التوفيق بين أحاديث المنع والإذن التي هي كثيرة ومتواترة ،

ويتضح كذلك أن النهي عن كتابة السنة كان لأسباب وجيهة ومقبولة ، منها الحيلولة دون خلط القرآن بالسنة ، والدليل على ذلك زوال هذا النهي عندما أمن المسلمون الوقوع في مثل ذلك الخلط ، ومنها أن النهي كان لترويض المسلمين على مذاكرة الحديث النبوي وتعهده بالحفظ وعدم إهمال السنة اعتمادا على أنها مدونة في القراطيس ، هذا بجانب أن الإذن بالكتابة قد جاء متأخرا مما يدل على أنه ناسخ لأحاديث النهي عن الكتابة .

وقد لخص المعلمي الموضوع بكلمات فقال: قد علمت أنه ليس في النهي غير حديثين أحدهما متفق على ضعفه وهو المروى عن زيد بن ثابت، والثاني مختلف في صحته وهو حديث أبي سعيد، فأما أحاديث الإذن فلو لم يكن منها إلا حديث أبي هريرة في الإذن لعبد الله بن عمرو لكان أصح مما جاء في النهي. اهـ[216]

---

[216] ـ الأنوار الكاشفة لما في كتاب" أضواء على السنة "من الزلل والتضليل والمجازفة، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي،

الصحابة وعموم السلف يفضلون الحفظ ولكنهم مع ذلك يكتبون

لقد أخطأ التوفيق جماعة الطاعنين وخانهم منذ الخطوة الأولى التي خطوها في فذلكة موضوع التدوين ، حيث إنهم غفلوا أو تجاهلوا عوامل الحفظ الكثيرة التي توفرت في الصحابة، وهي بلا شك عوامل كافية كل الكفاية لحفظ الحديث النبوي فتوهموا أن القدح في تدوين الحديث يوصلهم إلى غرضهم.

وهذا دأب الذين يظلمون الحقائق ، فهم لا بد أن يرجعوا _من كل محاولة_ بالخيبة والخسران، وإن تقليب أي كتاب في تاريخ الصحابة العلمي ليملأ القلب، والسمع والبصر، بما كانوا عليه من قوة الحفظ العجيب الذي فطروا عليه بجبلتهم، فكيف وقد وجدت لديهم تلك الدوافع التي تجعل الأحاديث تنقش في قلوبهم نقشها في الحجر.

وبما سبق من الأدلة والبراهين _وما سنورده لاحقا _ تعلم يقينا ، أن الصحابة والسلف الصالح كانوا يحفظون ويجتهدون في تبليغ ما حفظوا ، ولم يكن في قاموسهم غير الحفظ والتحديث ، بل يعدون كتابة العلم في الصحف إهانة للعلم ، ونقصا في العالم ، كما عند البيهقي وغيره [217]

في تقييد العلم للخطيب البغدادي : سمعت الأوزاعي رحمه الله يقول: « كان هذا العلم شريفا كريما إذ كانوا يتلقونه ويتذاكرونه بينهم فلما صار إلى الكتب -أو في الكتب ذهب نوره وصار إلى غير أهله» .

وقال الخطيب معلقا : إنما اتسع الناس في كتب العلم وعولوا على تدوينه في الصحف بعد الكراهة لذلك ، لأن الروايات انتشرت والأسانيد طالت وأسماء الرجال وكناهم وأنسابهم كثرت والعبارات بالألفاظ اختلفت فعجزت القلوب عن حفظ ما ذكرنا وصار علم [كاتب] الحديث في هذا الزمان اثبت من علم الحافظ مع رخصة رسول ﷺ لمن ضعف حفظه في الكتاب ، وعمل السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين بذلك. [218]

قال الخطيب ولهذا قال سفيان الثوري : . بئس المستودع العلم القراطيس ... وكان سفيان يكتب ، أفلا ترى أن سفيان ذم الاتكال على الكتاب وأمر بالحفظ، وكان مع ذلك يكتب احتياطا واستيثاقا ..اهـ

وفي مثل هذا يقول ابن حجر في الفتح : قال العلماء: كره جماعة من الصحابة والتابعين كتابة الحديث، واستحبوا أن يؤخذ عنهم حفظاً، كما أخذوه حفظاً، لكن لما قصرت الهمم وخشي الأئمة ضياع العلم دونوه، وأول من دون الحديث ابن شهاب الزهري على رأس المائة بأمر عمر بن عبد العزيز، ثم كثر التدوين، ثم التصنيف، وحصل بذلك خير كثير، ولله الحمد.. الفتح(208/1).

---

[217] - راجع : المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي

[218] - تقييد العلم للخطيب البغدادي ج 1 ص64 / وهو كتاب هام في الموضوع بالنسبة لمن أراد مزيد الإطلاع على ما ورد في النهي أو الإجازة

ورغم كل ذلك فإن المشهور من الصحابة والتابعين الكتابة أي أنهم يكتبون، وهذا هو الأكثر والأشهر، وقد قالوا لقتادة نكتب ما نسمع منك ؟ قال وما يمنعك أن تكتب .. وقد أخبرك اللطيف الخبير أنه يكتب فقال (علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى)

ولعل استنكاف بعضهم عن الكتابة وإعراضهم عنها إنما لئلا يتكل الناس على الكتب وينسوا الحفظ ، وأن ما حفظ يكون رفيقا لصاحبه في حله وترحاله بخلاف الإعتماد على الكتابة ، فالصحف لا يمكن أن يحملها في كل وقت ، ومن هذا القبيل ما روي عن عيسى ابن مريم عليه السلام أنه كان يقول : «لا خير في علم لا يعبر معك الوادي ، ولا يعمر بك النادي » ولمحمد بن يسير في هذا المعنى : « ليس بعلم ما يعي القمطر لا خير فيما لا يعيه الصدر » لأن ما وعاه الصدر هو أبقى وأنفع لصاحبه ، كما حكي عن شعبة بن الحجاج قال : سمعت كما سمع إسماعيل .. ، ولكن حفظت علما عن الحكم وحماد فأما الذي كتبته فنسيته ، وأما الذي لم أكتبه فحفظته ،

ولعلي أكثرت في الحديث ، وهذا الموضوع ألفت فيه كتب وأسفار وقد أشرت إلى بعضها في الحاشية وراجع إن شئت الإستزادة: شرح السنة للإمام البغوى (باب كتبة العلم) وتقييد العلم للخطيب البغدادي.

وبعد .. فلم يتجاوز الكاتب بضعة أسطر حتى استنفد رصيده ، وبدأ يخبط خبط عشواء ، فالحديث الثاني الذي أورده وعزاه لمسلم جهلا وزورا (**جهدنا بالنبي أن يأذن لنا في الكتابة فأبى**) هو غير موجود في مسلم بتاتا ، بل الحديث الموجود عند مسلم هو الحديث السابق (**لَا تَكْتُبُوا عَنِّي**) وهذا اللفظ لم يذكر في كتب الصحيح ولا في السنن .. بل هو عند الرامهرمزي في [المحدث الفاصل -379]

والمثير أن في الكتاب المذكور ما يفند ادعاءه ويرد عليه ولعله دلس المصدر لئلا يُرجع إليه ، فهذا الحديث موجود في المحدث الفاصل في باب [من كان لا يرى أن يكتب] وقبله باب أطول منه جمع فيه كل الأحاديث والآثار التي تجيز الكتابة ، وقد تجاوزت الأحاديث والآثار أربعين بأسانيدها ،!!!

أهذا هو البحث العلمي والرد العلمي ،؟ إن الكاتب يلبس على الناس بذكر حديث بقلب لفظه ونسبته إلى غير راويه ، ثم يتستر على أحاديث صحيحة تجيز الكتابة ، ولو أنصف لذكر الأحاديث التي تجيز الكتابة وقد رواها جمع متواتر ، أما حديثه الذي جعل منه حصانا في بحثه ، فقد ورد من طريق واحد ، ثم إن الصحيح أنه موقوف ،

وإنه لمن الطريف أن يقفز الكاتب للطعن في الإمام البخاري ، ويستدل بمراسيل أبي مليكة وبأخبار وقصص وآثار من طبقات ابن سعد وتاريخ دمشق ، فهل يكسر الطوب الحجر ،؟

ولا يتردد -في سياق الاستدلال على ما سماه "نهي الرسول عن تدوين كلامه"- ولا يتحرج من الاستشهاد ببعض الأحاديث التي رواها الدرامي شيخ البخاري ، فوظف للطعن في البخاري روايات أخذها عن

شيخه "الدرامي"، ومعلوم بداهة –كما قال الشيخ العمراوي– أنَّ التلميذ ليس في أكثر حالاته إلا صورة لشيخه ، فلم يكن البخاري ليغفل تلك الروايات عن شيخه ، فتجد الكاتب يكرر عبارة (وهو شيخ البخاري) عدة مرات راميا القول بأن الدرامي الذي يروي عنه البخاري يروي الأحاديث المانعة للكتابة، وهذا دليل ضده لا له، لكن فهم بعض صحفيي القرن الواحد والعشرين أوسع من فهم خيرة القرون . ومن ناحية أخرى ترى صديقنا الصحفي يلتقط اللفظ التقاط البطة للحوتة ، ثم يطير كيلا يلتفت أو يلفت غيره إلى تتمة الكلام أو السياق الذي جاء فيه الخبر ، غير أنه لا يلتقط ما يمحي به جهله ، أو يقوي به بحثه ، إنما يلتقط ما يريد أن يزيف به الحقائق ..

ففي تذكرة الحفاظ –مثلا– التقط وصية أبي بكر من بين فقرتين تناقضانها ، أو على الأقل تخصصانها ، فبعدها مباشرة جاء قوله : فهذا المرسل يدلك أن مراد الصديق التثبت في الأخبار والتحري لا سد باب الرواية، ألا تراه لما نزل به أمر الجدة ولم يجده في الكتاب كيف سأل عنه في السنة، فلما أخبره الثقة ما اكتفى حتى استظهر بثقة آخر ولم يقل حسبنا كتاب الله كما تقوله الخوارج.

وخبر الجدة ذكر قبل كلام الصديق ، وملخصه أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتمس أن تورث فقال: ما أجد لك في كتاب الله شيئا وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئا ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال: حضرت رسول الله ﷺ يعطيها السدس. . فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه.

ونفس الشيء يقال فيما نقله عن الذهبي أيضا في تذكرة الحفاظ ، أن عمر أخبرهم أنهم سيقدمون على أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل ، فنهاهم عن أن يقاطعوعم ويشغلوهم بالحديث ، وقبل القصة بأسطر جاء ما نصه : وقد كان عمر من وجله أن يخطىء الصاحب على رسول الله ﷺ يأمرهم أن يقلوا الرواية عن نبيهم ولئلا يتشاغل الناس بالأحاديث عن حفظ القرآن.

أما ما نقله –الكاتب– عن (جامع بيان العلم وفضله) فإنه ينقض استدلالَه عنوانُ الباب المشتمل عليه ، فالباب عنوانه : باب ذكر من ذم الإكثار من الحديث دون التفهم له والتفقه فيه)[219]

كما أن فيما حكاه الكاتب نفسه ما يبطل ادعاءه ويفند مسعاه حيث قال : (أن عمر أراد أن يكتب السنن فاستشار أصحاب النبي- كما عند البيهقي- فأشاروا عليه أن يكتبها .. ص18) اهـ.

فالصحابة _كما رأيت وعلى فرضية صحة القصة_ كلهم استحسنوا الفكرة وجوزوا له الكتابة وبها أشاروا عليه ، مع العلم أن عمر لم يكن ليستشير عامة الصحابة بل البديهي أنه يستشير كبارهم وفقهاءهم ، و كما جاء في نص الجواب فالصحابة وافقوا ولم يمنع منهم أحد أو يتحفظ ، وهذا إجماع ، وتردده ثم تراجعه إنما هو اجتهاد منه للأسباب التي ذكرت في القصة ، والإجماع مقدم على الإجتهاد ، ولأنه الأمير والخليفة فاجتهاده وأمره لا يحسن معارضته ولا رده ،

[219] - كتاب: جامع بيان العلم وفضله تأليف: أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي

جاء في الأنوار الكاشفة في تعليقه على قصة استشارة عمر للصحابة رضـي الله عـنهم واسـتخارته لكتابة الحديث ثم تراجعه عن أمر الكتابة : (أقول: وهذا وإن صح حجة لما قلناه ، فلو كـان النبـي ﷺ نهى عن كتابة الأحاديث مطلقاً لماهم بها عمر وأشار بها عليه الصحابة، !! فأما عدوله عنها فلسبب آخر كما رأيت .

ثم قال المعلمي : لكن الخبر منقطع لأن عروة لم يدرك عمر: فإن صح فإنما كانت تلك الخـشية فـي عهد عمر ثم زالت. وقد قال عروة نفسه كما في ترجمته من تهذيب التهذيب: ((وكنا نقـول لا نتخـذ كتاباً مع كتاب الله، فمحوت كتبي. **فوالله لوددت أن كتبي عندي وإن كتاب الله قد استمرت مريرته))** يعني قد استقر أمره وعلمت مزيته وتقرر في أذهان الناس أنه الأصل، والسنة بيان له. فزال ما كـان يخشى من أن يؤدي وجود كتاب للحديث إلى أن يكب الناس عليه، ويدعوا القرآن.اهـ[220]

ولو كان موقف عمر رضي الله عنه كما ادعاه الكاتب ، ما حث قاضيه على العمل بها (بالسنة) فقـد كتب إلى شريح أن اقض بما في كتاب الله فإن لم يكن في كتاب الله فبسنة رسول الله ﷺ فـإن لـم يكن في سنة رسول الله ﷺ فبما قضى به الصالحون)[221] وفي رواية : فبما أجمع عليه الناس .

فالخبر الذي اعتمد عليه الكاتب منقطع ، وحتى لو صح فأسبابه ودوافعه بينة جلية ففيم أمله بعد ذلك ؟ ثم إن الكاتب –كعادته– يكتفى بما يخدم توجهه من كل حديث وخبر فأورد بعضا مـن خبـر عثمـان مقطوعا مبتورا ، "لا يحل لأحد يروي حديثا لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا في عهد عمر" ولو أتـم الخبـر لظهر لك مفهوم ومقصود كلامه ،! وتتمته : (فإنه لم يمنعني أن أحدث عـن رسـول الله ﷺ ألا أكون من أوعى أصحابه عنه إلا أني سمعته يقول من قال علي ما لم أقل فقد تبوأ مقعده من النار)

كما جمع الغث والسمين ، والواهي والأوهن فقط ليثبت ويزكي منحاه ، فتلفاه يغتبط بكل خبر أو أثـر يقف عليه مستعرضه ، ولو كان مرسلا أو منقطعا ، ألا ترى أنه استعان بمراسيل ابن أبـي مليكـة، لتأييد مشروعه ،؟! وقد أجاب المعلمي _من قبل_ على الأثر الذي أورده بقوله : "لا ندري مـا سـنده إلى ابن أبي مليكة، وبيّن الذهبي أنه مرسل أي منقطع، لأن ابن أبي مليكة لم يدرك أبا بكر ولا كـاد، ومثل ذلك ليس بحجّة، إذ لا يدرى ممن سمعه" [222] .

إنه يتملكك العجب وتغمرك الدهشة من هذا البحث والنقد ، حيث استعان لتأييد أطروحته بآثار وأخبار عن تاريخ دمشق وطبقات ابن سعد وتذكرة الحفاظ ، وفي الوقت ذاته زعم أن ما في الصحيحين وكتب السنن مما يعارضه هو _لاشك_ من اختلاق البشر واصطناعهم وفي أحسن الأحـوال هـي (مرويات ظنية الثبوت في غالبيتها.) حسب تعبيره ،

---

[220] - الأنوار الكاشفة : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي

[221] - صحيح النسائي (4989) 231/8. - الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (527) وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف 240/7، و البيهقي 115/10،

[222] - الأنوار الكاشفة، ص 53

وسنضرب الصفح عن عرض الأحاديث والآراء والأقوال ونطوي صفحة نقاش الأخبار والآثار هنيهة ، ونسلم –جدلا– أن السنة لم تكتب ولم تدون ، لكن ما ينبغي أن نذكر به ونتفق عليه وهو من المسلّم أن المفروض والمهمّ هو الحفاظ على السنّة ، فذلكم –لاشك– هو الغاية والهدف _ولا أظن أن الكاتب يخالفني في ذلك_، وليست الكتابة إلا وسيلة لهذه الغاية. فالغاية هي الحفاظ على السنة ، وليست كتابتها. ولمّا كان أصحاب النبيّ ﷺ والخلفاء الراشدوُن منهم خاصة وفقهاء الصحابة وعلماؤهم عامة قد لازموا النبيّ ﷺ وأخذوا عنه السنّة مباشرة ، دون أسانيد يخشون نسيانها ، ودون رواة وسائط فيهم من يضبط وفيهم من ينسى ومن يُحتمل فيه الخطأ والكذب = كان حِفْظُ السنة في صدورهم كفيلاً بحفظ السنة ، ولم تكن الكتابة في زمنهم حَلاًّ وحيدًا لحفظها، بل ليست الحلّ الأمثل أيضًا؛ لأن حفظ الصدر ما دام ممكنًا، وحصل لهم بسهولة لمعايشتهم للنبيّ ولارتباط سننه ﷺ بحوادث ومشاهد حضروها ورأوها وشاركوا فيها ، فقد أدّى ذلك إلى رسوخ تلك السنن في أذهانهم مع أسباب عديدة توفّرت في الصحابة، أعانتهم على إتقان حفظ السنة وعلى تيسُّره عليهم. كما أن حفظ الصدر أدعى لاستحضار النصّ النبوي عند التفقّه والاستنباط ، وعند العمل والتطبيق، فكان الحفظ في عهد الصحابة مقدَّمًا على الكتابة لذلك ولغيره مما أشرنا إليه . ولا يعني ذلك أن الصحابة لم يكتبوا ولم يدونوا، بل إن من الصحابة من كتب ودون كما سنبين في الفصل التالي.

فإذا كانت الغاية هو حفظ السنة فقد حفظت في الصدور ولم يحتج إلى التدوين والتحرير ، ولكن لما حصلت متغيرات واستعصى معها تحقق تلك الغاية واستحالت استمراريتها بالوسيلة الأولى تطلب الأمر تغيير الوسائل وإيجاد بدائل ، وهو ما فطن له أغلب الصحابة ومجمل التابعين ،

إن الكاتب كما أسلفنا لم يتقيد بالإنصاف والصدق في بحثه ونقده ، فبحث في الضعيف والموضوع ، وجعل منها صحيحا متواترا ، وجزأ الأخبار والأحاديث كما يحلو له ، فتارة يقطع الرأس ويترك البدن ، وتارة يشهر البطن ويخفي الطرفين ، كل ذلك ليبين لمعارضيه أنها معزة ولو طارت ، ثم يطعن في الروايات المخالفة لهواه ويصفها بأنها((روايات تاريخية خاضعة لأهواء البشر ومصالحهم، وأهدافهم الشخصية، 19) وقد فكرني بمقولة : رمتني بدائها وانسلت ، فالعالم أجمعه أكتعه يعلم أنهم هم من يخضعون للأهواء ، ومن يسعون وراء الأهداف الشخصية الدنيوية الدنيئة ،

وهنا تظهر أهلية الكاتب لاقتحام الميدان ، –الذي أشرنا له سابقا– ، لينتقد أرباب الفن وربانه ، ويعلمهم الراجح من المرجوح ، ويميز لهم الناسخ من المنسوخ ،! ذكر حديثين متشابكين في المنع وتستر على العشرات في الجواز ، ثم ألهى القارئ ببعض الأخبار لبضعة أسطر ، ليقرر ويعود باستنتاج هائل فيقول ، (غير أن أحاديث منع التدوين والكتابة، تبقى هي الأقوى والأكثر حضورا ، ص19)

فهي الأقوى والأكثر في ذهنه لأنه لا يقبل غيرها ، وقد ذكرنا في صفحات سبقت أكثر مـــن عـــشرة أحاديث تجيز الكتابة ، وتحث على الرواية والتحديث ، ولكن الكاتب ذهب أبعد فادعى أن ما حكاه هو الثابت الصحيح وما خالف رأيه فهو مصطنع موضوع ، فيقول متبجحا (تم إيجاد وصنع أحاديث أخرى تأذن بتدوين كلام الرسول،19)

بل ذهب أبعد من هذا وذاك فوظف تعاريف العلمانية واشتغل بمعاييرها ، مجزءا أقـــوال وخطابـــات الرسول إلى ما هو ديني وما هو سياسي وما هو غير ذلك ، محاولا رد ما في قصة أبي شـــاه ب (أن بيان الرسول الذي ألقاه بخصوص فتح مكة، هو بيان سياسي لقائد دولة وليس لرسول، فلا وجود للرسالة في خطبته إلا من حيث البيان. ص20) فخطاب الرسول ﷺ وأمره في القصة جاء في اجتماع قومي وخطاب سياسي فلا يعتبر دينا،

وحسب معاييره فلا ينبغي أن نقبل عن نبينا إلا ما وقع عليه باسمه مع تصحيح الإمضاء ، ومع ذكر تفاصيل القرار وفصوله وأسبابه ، ولا ينبغي أن ننقل عن رسول الله إلا ما ميزه وصرح بأنه دين،

إذا نطق الغلام وقال عجبا // فغاية ما يريده منك ضحك

وتأمل قوله (فلا وجود للرسالة في خطبته . ص20) وكأني به شبه النبي ﷺ بجهاز تلفاز ، حيث لكل وقت خطابه ولكل موضوع برنامجه ، فهذا خطاب ديني وآخر سياسي وآخر ثقافي ورياضي الـــخ .. صلى الله وسلم عليك ياسيدي يارسول الله ، وآتاك الوسيلة والفضيلة وبعثك مقاما محمودا . وجعل ما يقال ويحاك ضد سيرتك وسنتك رفعة في مقامك ودرجاتك ،

متى تم البدء في الكتابة والتدوين

تساءل الكاتب (لماذا تأخر تدوين السنة لحوالي مائة سنة على وفاة الرسول) واســـتغرب أن(الشيوخ لم يطرحوا على أنفسهم) هذا السؤال ، ولا أدري أي الشيوخ يقصد ، وكيف يتـــصور مـــن شـــخص أن يطرح سؤالا عن شيء يعرف في قرارة نفسه أنه غير موجود ، فمن البديهي أن الـــشخص الجاهـــل بالشيء هو الذي يستفسر عنه ، أما موضوع التدوين فهم لم يشكوا أو يرتابوا فيه لحظـــة مـــا ، فـــإن طرحوا مثل هذا السؤال فليسألوا عن وجودهم ، فهذا من مسلمات الأمور عندهم فإن كان الكاتب شاكا أو جاهلا فليطرح السؤال من تلقاء نفسه ، ولا يفرض على الآخرين مشاعره ومواقفه ،

وهو لايريد أن يعرف الصواب ، ولا يسره رؤية وجه الحقيقة ، إنما يريد أن يزور ويدلس فقد ذكـر في موضع آخر _تمويها وتدليسا_ أن البدء بالكتابة والتدوين لم يكن معروفا ولا معمولا بـه إلا بعـد مرور (عدد من القرون...) من وفاة الرسول ﷺ وهذا لعمر الله كذب وبهتان ، بل أطـال الـنفس وتوسع في الكلام وعدد الصفحات في ذلك ، متوهما أنه وقف على دليل بليغ وبرهان دامغ ، فيقـول متبجحا : (...و إذا كانوا فعلا كتبوا أحاديث رسول الله، فأرونا ماذا كتبوا ، وما دونوا. ص 25)

والمشاهد المكشوف أن الكاتب الصحفي لا يفرق _جهلا أو تغافلا_ بين عملية التدوين وعملية الجمع ، إذ هناك فرق كبير بينهما ،! فالقرآن (مثلاً) تدوينه كان في عصر النبوة، أما جمعه في مصحف واحد فكان بعد موته ﷺ .. كذلك الأحاديث النبوية تم تدوينها في عصر النبوة، لكن عملية جمعها كانـت في عصر عمر بن عبد العزيز –رحمه الله– الذي أمر بجمع ما تم تدوينه من قِبل الصّحابة والتّابعين.
قال الأستاذ احمد السرار : وعليه ، فتدوين السنة كان في زمن النبوة ، ولم يتأخر إلى ما بعـده كمـا يظن الكاتب ، والذي تأخر هو عملية جمع ما تم تدوينه وحفظه؛ يقول ابن شهاب الزهـري: " أمرنـا عمر بن عبد العزيز بجمع السُّنن فكتبناها دفتراً دفتراً، فبعث إلى كل أرضٍ له عليها سلطان دفتراً ".
فمنطلق إنكار تدوين الأحاديث النبوية في زمن النبوة، هو منطلق غير علميّ من أساسه، وغير صحيح في ذاته ، ولا يمكن بناء فرضية نهاية أسطورة البخاري عليه. اهـ
يقول العلامة سليمان الندوي رحمه الله : ومن أعظم الخطإ في تاريخ تدوين الحديث دَعْـوَى بعـض الناس أنه بدأ بعد المائة؛ وذلك تبعًا لخطئهم في تحديد زمن التابعين؛ فإنه لَمَّا بَلَغَهم أن التدوين بدأ فـي عهد التابعين ــ وهم يعلمون أن بعض الصحابة امتدّ بهم العمر إلَى أواخر المائة الأولى للهجـرة ــ ؛ ظنُّوا أن عهد التابعين يبدأ بعد انقضاء زمن الصحابة؛ فذهبوا إلَى أن التدوين بدأ بعد المائة ! وهذا كله خطأ. والحق أن عنوان (التابعين) يُطلَق علَى الّذِين لم يُدْرِكُوا النبي ﷺ ، أو وُلِدُوا في أواخر عهده فلم يروه؛ وإنما رأوا أصحابه وأخذوا عنهم، وعلى أقل تقدير: يُعَدّ تابعيًّا مَن وُلِدَ بعد وفاة النبي ﷺ (ربيع الأول سنة 11)، وأعمال التابعين الّتِي تُنسَب إليهم يبدأ عهدها من سنة 11هـ، اهـ .

وبما أنه تحدى من يعارضه ويكذبه بقال : فأرونا ماذا كتبوا ، وما دونوا) فنحن سنذكر له بعضا مما كتبه الصحابة أنفسهم وما ورد عنهم في شأن الكتابة والتدوين ، وإن كان قد تبجح بقوله (..فنقول له أثبت ذلك من خلال تدوينة واحدة لأحد الصحابة، ص25) فسنوافيه بالعشرات ، ونؤكد فنقول :
إنه قد ثبت عن الصحابة أن لديهم صحفا وكتبا كتبوها –أو كتبت لهم– في حياة النبـي ﷺ وبعـد مماته ، وكذلك في عصر من بعدهم من التابعين يكتبون ويدونون لكن ليس بالطريقة المعروفة .

قال المعلمي رحمه الله : ويتوهم بعض الناس أنه قبل ذلك لم يكن عند أحد من المسلمين كتـــاب مـــا، يتضمن علما غير كتاب الله عز وجل! وهذا خطأ فقد كان عند جماعة من الصحابة صحائف في كـــل منها طائفة من الأحاديث النبوية،

1- منها صحيفة كانت عند أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه- ذكرها البخاري [2: 1084 و1020] وغيره، وجمع ابن حجر في فتح الباري قطعا منها. [223] انتهى كلامه . وهي عند الخطيب البغدادي .

2- وكان عند أنس كتاب في أحكام الزكاة كتبه أبو بكر الصديق، فال في أوله: «هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ على المسلمين ». وفي رواية عند الحاكم وغيره « كتـــب رســـول الله ﷺ كتاب الصدقة، فلم يخرجها إلى عماله حتى قبض، فقرنه بسيفه، فعمل بـــه أبـــو بكـــر حتـــى قبض.... »، وذكر الكتاب.

3- و جاء في **المحدث الفاصل للرامهرمزي ،** عن مجاهد قال : رأيت عند عبد الله بن عمرو صحيفة فـــذهبت أتناولها فقال مه يا غلام بني محزوم قلت ما كنت تمنعني شيئا قال هذه الصادقة فيها ما ســـمعته مـــن رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه فيها أحد (المحدث الفاصل 367) و(تقييد العلم للخطيب البغدادي84)

وفي رواية عن الخطيب البغدادي (حدثنا مجاهد قال أتيت عبد الله بن عمرو فتناولت صحيفة من تحت مفرشه فمنعني قلت ما كنت تمنعني شيئا قال هذه الصادقة[224] هذه ما سمعت من رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه أحد إذا سلمت لي هذه وكتاب الله تبارك وتعالى والوهط فما أبالي ما كانت عليه الدنيا)

4- عن هبيرة بن عبد الرحمن قال .. قال كنا إذا أتينا انس بن مالك وكثرنا عليه أخرج إلينا مجـــال من كتب فقال هذه كتب سمعتها من رسول الله ﷺ وقرأناها عليه) وقد ورد بألفـــاظ عديـــدة ومنهـــا قوله: كنا إذا أكثرنا على أنس ابن مالك ألقى إلينا مخلاة فقال : هذه أحاديث كتبتها عـــن رســـول الله ﷺ (تقييد العلم للخطيب البغدادي95)

5 - وكان عند عمرو بن حزم (51 هـــ) كتاب كتبه النبي ﷺ إلى أهل اليمن فيه أحكام كثيرة. وفيه الديات وفرائض الزكاة وغيرها ، [كنز العمال: 3 : 186].

وقد كتب عمر بن العزيز في خلافته إلى المدينة يسأل عن كتاب رسول الله ﷺ في أحكام الصدقات؛ فوُجِدَت نسخة عند آل عمرو بن حزم . [الدارقطني: 451]،

6-ورويت عن زيد بن ثابت الصحابي المشهور رسالة ، كتبها في أحكام المواريث حوالي ســـنة 40 للهجرة. وفي سنن البيهقي قطع كثيرة منها.

---

223 - عن محاضرة بعنوان : (علم الرجال و أهميته) للمعلّمي -

224 - الصحيفة الصادقة كما أراد كاتبها أن يسمّيها، لأنه كتبها عن رسول الله r، فهي أصدق ما يروي عنه. و كان عبد الله يحفظ الصحيفة الصادقة في صندوقٍ له حلق و قد أشار إبن الأثير إلى أن عدد أحاديث الصحيفة الصادقة نحو الألف حديث[]، يُريد بذلك كل ما حدّث به عبد الله بن عمرو t. و في ذلك نظر لأن ما صحّ عنه أقلّ من ذلك. و تمتاز هذه الصحيفة أنها من أوّل ما تمّ تدوينه من الحديث النبوي، و أنها مروية باللفظ ليس بالمعنى. كما أن كل أحاديثها قد سمعها عبد الله من رسول الله ص مباشرةً دون إرسال.

7-وكان لمرويات عبدالله بن عباس كراريس عدَّة، وجاء قوم من أهل الطائف بكراسة منها ليرووها عنه [«العلل» للترمذي: ص 691]،

8-و كان لسمرة بن جندب كتب فيها ما سمعه من النبي ﷺ يروي عنها الحسن البصري.

9-وكان لجابر بن عبد الله صحيفة كذلك، يروي عنها الحسن أيضا، وطلحة بن نافع.

10-وتلقَّى عبدالله بن حكيم كتابًا من رسول الله ﷺ فيه أحكام الحيوانات الميتة [«المعجم الصغير»: 217]

11- ولما أراد وائل بن حجر أن يرجع إلى بلاده حضرموت؛ ناوله رسول الله ﷺ كتابًا فيه أحكام الصلاة والصوم والرّبا والخمر وغير ذلك [الطبراني في «الصغير»: ص 242]،

12-ولما وجَّه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب السؤال إلى أصحاب رسول الله ﷺ إن كان عند أحد منهم سُنّة عن النبي ﷺ في نصيب المرأة من دية زوجها؛ قام الضحاك بن سفيان؛ فقال: نعم؛ عندنا كتاب من رسول الله ﷺ يبيّن فيه ذلك . [الدارقطني: 2 : 485].

13- وأتى عبدالله بن عباس بسِجل يسجِّل فيه فتاوي علي بن أبي طالب [مقدمة «صحيح مسلم»]،

14-و في المستدرك عن الحسن بن عمرو بن أمية الضمري قال، حدثت عن أبي هريرة بحديث، فأنكره، فقلت له: إني قد سمعته منك! قال: إن كنت سمعته مني فإنه مكتوب عندي، فأخذ بيدي إلى بيته فأراني كتابا من كتبه.... فذكرت القصة .* استنكره الذهبي، لما في البخاري عن أبي هريرة قال: « ما من أصحاب رسول الله ﷺ أحد أكثر حديثا عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب ». لكن قال ابن عبد البر: ويمكن الجمع بانه لم يكتب في العهد النبوي ثم كتب بعده واقوى من ذلك أنه لا يلزم من وجود الحديث مكتوبا عنده أن يكون بخطه وقد ثبت أنه لم يكن يكتب فتعين أن المكتوب عنده بغير خطه هـ وانظر [فتح الباري: 1 : 184 ــ 185]،

15-عن عبيد الله بن أبي رافع قال كان ابن عباس يأتي أبا رافع فيقول ما صنع رسول الله ﷺ يوم كذا ما صنع رسول الله عليه يوم كذا ومع ابن عباس ألواح يكتب فيها (تقييد العلم للخطيب البغدادي92/1)

16-..عن عبد الله بن محمد بن عقيل قال كنت أذهب أنا وأبو جعفر إلى جابر بن عبد الله ومعنا ألواح صغار نكتب فيها الحديث .. (ح ف..371)

17-ومن ذلك حديث طويل عن أنس بن مالك عن عتبان بن مالك عندما كان النبي يصلي والصحابة يتحدثون عن بعض المنافقين ... فقضى رسول الله ﷺ الصلاة فقال : أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟ قالوا إنه يقول ذلك وما هو في قلبه ، قال لا يشهد أحد أنه لا إله إلا هو وأني رسول الله فيدخل النار أو قال تطعمه النار ، قال أنس : فأعجبني هذا الحديث فقلت لابني اكتبه فكتبه . (تقييد العلم للخطيب البغدادي94)

18- ومن ذلك حديث أبي هريرة عندما قال عن عبد الله بن عمرو (فَإِنَّهُ كانَ يكتُبُ ، ولا أكتب) وقد مر
19- ومن ذلك الحديث المتقدم عن ابن عمرو وفي آخره (..إن كل ما سمعنا منه فهو عندنا في كتاب)
20-عن عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان عن عمه عمرو ابن أبي سفيان أنــه ســمع عمــر بــن الخطاب يقول قيدوا العلم بالكتاب .. (ح ف..377) و(تقييد العلم للخطيب البغدادي)
وعند الخطيب أيضا بأسانيد عديدة عن مجاهد عن ابن عباس قال (قيدوا العلم وتقييده كتابه)
21- وقالوا لقتادة نكتب ما نسمع منك ؟ قال وما يمنعك أن تكتب .. وقد أخبرك اللطيف الخبيــر انــه يكتب فقال (علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى)

وقال الحافظ السيوطي في تدريب الراوي وأباح كتابة الحديث طائفة وفعلوها ، منهم عمر وعلي وابنه الحسن وابن عمرو وانس وجابر وابن عباس وعمرو وحكاه عياض عن اكثر الصحابة والتابعين هــ

هذا كله عن صحابة رسول الله ﷺ الذين صحبوه وسمعوا عنه ، ومن كبار التــابعين وفقهــائهم ، فكما رأيت لم تكن الكتابة عندهم منكرا ولا غريبا من القول ،

وأما التابعون فقل عالم منهم لم يكن عنده كتب، ولكن كانت الأحاديث تتجمع كيفما اتفق، بلا تــأليف ولا ترتيب، كما في صحيفة همام بن منبه عن أبي هريرة،
1-فقد جمع همّام بن منبّه اليماني روايات أبي هريرة ــ وهو أكثر الصحابة رواية، وأوعاهم حفظًــا لأحاديث رسول الله ﷺ ــ ؛ فصارت تُعْرَف صحيفته بين المحدِّثين بــ (صيحفة همّام)، وهي نحو مائة وأربعين حديثا، وقد أوردها الإمام أحمد بن حنبل في الجزء الثاني مــن «مــسنده» (ص 312 ــ 318، الطبعة الأولى)، وهي في الصحيحين وغيرهما مفرقة.
2- وكذلك بشير بن نهيك كتب مروياته عن أبي هريرة في كتاب وقرأه عليه .[225]
3- وفي «تاريخ الطبري» أن عروة بن الزبير كتب جميع ما كان في غزوة بدر مفصَّلًا إلى عبدالملك الخليفة الأموي [الطبري: 1285].
4-أما عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود فقد أخرج كتابًا وقال: وايم الله؛ هذا ما كَتَبَته يد ابن مسعود[226]
5- وكان مروان قد خطب في الناس؛ فذكر مكة وحُرْمتها؛ فقال رافع بن خديج بصوت يسمعه الناس: والمدينة حَرَم حَرَّمها رسول الله ﷺ ؛ وهو مكتوب عندنا في أديم خولاني، إن شئت نقرئكه؛ فعلنــا؛ فناداه مروان: أجل؛ قد بلغنا ذلك . [مسند الإمام أحمد: 4 : 141]،

[225] - [كتاب «العلل» للترمذي: ص 691، والدارمي: ص 68](و«السنن الكبرى» للبيهقي: 10: 281.).
[226] - [«جامع بيان العلم» لابن عبد البر: ص17]،

6-والواقدي -وهو من مُتقدِّمي المصنِّفين في السيرة النبوية- يقول : رأيت عند عبدالله بن عباس الكتاب الذي أرسله رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوى سيد عمان مع كتب أخرى [زاد المعاد: 2 : 57]

7- وعن جرير عن الاعمش عن الحسن قال : إن لنا كتبا نتعاهدها ، وفي حديث ابن يزداذ قال الحسن : إن عندنا كتبا نتعاهدها ،

وفي رواية عن جرير عن الأعمش عن الحسن أيضا قال : إنما نكتبه لنتعاهده يعني الحديث

8- عن سعيد بن جبير قال كنت أكتب عند ابن عباس فإذا امتلأت الصحيفة أخذت نعلي فكنت أكتب في ظهورهما حتى تمتلئا (ح ف..374)

9- عن سعيد بن جبير قال كنت أسير بين ابن عمر وابن عباس فكنت أسمع الحديث منهما فاكتبه على واسطة الرحل حتى أنزل فأكتبه .

10-عن صالح بن كيسان قال : اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم ، فقلنا نكتب السنن ، فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ ، ثم قال نكتب ما جاء عن أصحابه فإنه سنة ، فقلت أنا : ليس بسنة فلا نكتبه ، قال : فكتب ، ولم أكتب ، فأنجح وضيعت ". (تقييد العلم : 87 - 107) . و[طبقات بن سعد: 2/2: 135].

11-قال أبو الزناد: كنا نكتب الحلال والحرام، وكان الزهري يكتب كل شيء [جامع بيان العلم: ص 37].

12-و جاء في المحدث الفاصل للرامهرمزي (ثنا أبو صالح الفراء قال سألت ابن المبارك عن كتاب الحديث فقال لولا الكتاب ما حفظنا .. (ح ف..377)

13-وعن أبي كبران قال سمعت الشعبي يقول : اكتبوا ما سمعتم مني ولو على جدار .. ثنا وكيع ثنا الحسن بن عقبة المرادي عن عامر قال: اذا سمعت شيئا فاكتبه ولو على الحائط (ح ف..376)

هذا غيض من فيض ، ولو شئنا أن نستقصي كل ما كتب من صفحات لتطلب ذلك مجلدات ، وقد ذكرنا بعضا منها إسكاتا وإرغاما لهذا المتحدي الذي قال **أرونا ماذا كتبوا وماذا دونوا** ،

وهي كلها ، أدلة دامغة وبراهين ساطعة من الصحابة والتابعين تبين بوضوح أن لدى أغلبهم كتبا يكتبون فيها الأحاديث والأحكام ، هذا عن الكتابة .

أما عن التدوين والتأليف

فإن العلماء ذكروا أن تدوين العلم في الكتب في العهد الإسلامي شرع فيه حوالي نصف القرن الثاني فألف ابن جريج (80-150) وابن أبي عروبة (؟-156)، والربيع بن صبيح (؟-160).

قال المعلمي ، وأما عن التدوين بالترتيب والتأليف: فقد رويت عن زيد بن ثابت الصحابي المشهور رسالة، كتبها في أحكام المواريث حوالي سنة 40 للهجرة. وفي سنن البيهقي قطع كثيرة منها.

و ذكر غير واحد أن الحسن بن محمد بن الحنفية (المتوفى سنة 95هـ)، وضـع كتابا فـي بعـض العقائد. ولكن في ترجمته من تهذيب التهذيب ما يؤخذ منه أنها رسالة صغيرة.
وفي ترجمة الحلاج من تاريخ الخطيب أن للحسن البصري (21-110) كتابا اسمه كتاب الإخـلاص كان يروى ويسمع في القرن الثالث.
وفي فهرست ابن النديم: أن لمكحول الشامي (112هـ) كتابين: كتاب السنن وكتاب المسائل في الفقه.
ثم قال المعلمي : فأما ما ذكروه أن أول من دون الحديث ابن شهاب الزهري فـي سـنة مائـة – أو نحوها بأمر عمر بن عبد العزيز، وبعث به عمر إلى كل أرض له عليها سلطان، فلا أدري أمرتبا كان ذلك الكتاب أم لا؟[227]

ويجدر بي أن أقول ما قاله العلامة السيد سليمان الندوي[228] بعد أن سرد الأدلة القاطعـة والبـراهين الساطعة على ثبوت كتابة الحديث في عصر الصحابة والتابعين فقال :
سادتي: لعلكم سئمتُم سماع الأسماء، وضجرتم بهذه الأخبار، ومللتم ما اقتبستُه لكم من هذِهِ النصوص؛ فمعذرة وعفوًا. ولكننا قد بلغنا إِلَى حيث يتبيّن لنا الطريق واضحًا، وتبدو لنا الحقيقة جليّة.
لقد حاولتُ أن أُثبت لكم هذِهِ الحقيقة الراهنة؛ وهي أنه إذا كان لا يُوثَق إِلَّا بما كتب ودُوّن؛ فأصـحاب النبي ﷺ كتبوا بأيديهم في عهده ﷺ ، وجمعوا من أحاديثه في حياته، وتركوا ذلك لمـن بعـدهم، والذين جاءوا بعدهم أدخلوه في كتبهم. ولا أعدو الحقيقة إذا قلتُ: إن التابعين ــ رضي الله عـنهم ــ جمعوا جميع المرويّات في عهد الصحابة، وكتبوا في حياتهم ما وصل إِلَى علمهم مـن الأخبـار ..، وبحثوا عن ذلك بحثًا طويلًا، وبذلوا فيه جهودهم وسافروا له، وطرقوا أبواب العلماء والمحدِّثين؛ حتى لقد كانوا يطوون لأجل الحديث الواحد مسافة طويلة وشُقّة بعيدة. ومن أشهرهم محمـد بـن شـهاب الزهري، وهشام بن عروة بن الزبير، وعطاء بن أبي رباح، وسعيد بن جبير، وأبو الزِّناد، وغيـرهم. إن علماء التابعين ــ وكانوا يُعَدُّون بالمئات ــ جابوا البلاد، وجالوا خِلال الديار، وطووا الـصحاري والمفاوز، وشَدُّوا الرِّحال إِلَى أصحاب النبي ﷺ ، وكذلك فعل تلاميذهم؛ ليرووا أحاديث رسـول الله ﷺ ؛ فجمعوا لنا هذِهِ الذخيرة العلميّة،.. وإن محمد بن شهاب الزهري ــ وهو الإمام فـي الحـديث والسيرة ــ كتب كل ما سمع مما يتعلق برسول الله ﷺ ؛ حتى قال عنه أبو الزناد: كنا نكتب الحلال والحرام، وكان الزهري يكتب كل شيء [جامع بيان العلم: ص 37]. ..وهذا قطرة من بحر. وإن المئـين

[227] - عن محاضرة بعنوان : (علم الرجال و أهميته) للمعلمي - باختصار وتصرف
[228] - عن ((الرسالة المحمدية)) وهي محاضرات في السيرة النبوية ورسالة الإسلام كان ألقاها : العلامة السيد سليمان الندوي - في جامعة مدارس الهند

من التابعين كانوا يكتبون الأحاديث والأخبار، والزهري واحد منهم، وإن ما كتبه الزهري وحده بلـــغ فيما رواه معمر: إن الدفاتر من عِلْم الزهري حُمِلَت علَى الدواب بعد قتل الوليد وكانت في خزانته !

قال رضا أحمد صمدي : ولضراوة الهجمات التي مارسها المستشرقون ومـــن اقتنـــع بـــرأيهم مـــن المسلمين صارت قضية تأخر تدوين السنة من القضايا المسلمة لدى معظم الباحثين ، ومع كثرة ترداد قضية اختلاق ووضع السنة صارت الجمهرة من المثقفين المسلمين على قناعة بـــان أحاديـــث النبـــي ﷺ كلها موضوعة، أو محل شك كبير –على أقل تقدير–. ولكن مع مـــضي النـــصف الأول مـــن القرن العشرين صدرت مجموعة من الدراسات ذات القيمة العلمية العالية ، قام بها باحثون مـــسلمون وكانت معظمها في أكاديميات غربية، وخلصت تلك الدراسات– التي اعتمدت علـــى وثـــائق محققـــه ومدروسة بعناية– إلى أن السنة قد دونت في عهد النبي ﷺ شأنها شـــأن القـــرآن ، وأن الأجيـــال المتعاقبة من لدن الصحابة حتى عصر التدوين المتوسع كانت تقوم بكتابة الأحاديث على نطاق متأصل ، لكنه لم يأخذه مداه وبعده المتوسع كتقليد علمي إلا في عصر التدوين الذي يبتدئ في نفايات القـــرن الأول الهجري.[229]

ويجدر بنا أن نشير في الأخير إلى أن الأستاذ محمد الأعظمي صاحب كتاب: « دراسات في الحـــديث النبوي » والذي كان أطروحة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة كامبردج . وهي من الدراسات العلميـــة القيمة التي قام بها باحثون مسلمون والتي أشار إليها الأستاذ رضا صـــمدي ، فقـــد اعتمـــد الأســـتاذ الأعظمي في دراساته على مخطوط قديم يعود إلى منتصف القرن الأول الهجري وهي "نسخة سُـــهيل بن أبي صالح " ، وقد توصل كذلك إلى مئات النصوص الواضحة الصريحة التي تثبت وجود تـــدوين للسنة منذ عهد مبكر.

[229] ـ الإسناد عند المحدثين الدلالة التاريخ المنهج ـ رضا أحمد صمدي

رواية الأكابر عن الأصاغر

استغرب الكاتب (ص53) أن يروي الصحابي عن التابعي أو التابعي عن تابعهم ، فانتفش وأطال النفس في ذلك بذكر الأمثلة وبعض الشواهد ، وهذا في فصل معنون ب (رواية الحديث بالمعنى) الذي – وعلى غرار أغلب فصوله– ذكر فيه من كل فن طرفا كما أسلفنا ، ومنها هذه الطرفة ،
وهي من الشبهات الواهية _ بل المفضحة_ التي رام من خلالها الطعن في صدقية الحديث ورجاله ـ، ليكشف مرة عن ضعف معلوماته في مصطلح الحديث ، وبضاعته المزجاة في سوق المعرفة ، وبستان العلوم الشرعية الذي حاول تسلق جداره غصبا ، فهو يرى أن رواية الصحابي عن تابعي عن صحابي آخر شبهة تقدح في الحديث وعلومه ورجاله ، كذلك رواية التابعي عن أحد أتباع التابعين، مع أن هذه الظاهرة معروفة معلومة عند علماء الحديث ، وقد بحثوها تحت عنوان "رواية الأكابر عن الأصاغر" فهذا الباب ليس غريبا ولا منكرا عند أرباب الفن وأهل الإختصاص ، حيث يقع أن الصحابي لا يلقى الصحابي الذي يحدث بحديث ما ، وذلك بسبب تفرق الصحابة في الأمصار، فيأخذه من تابعي يرويه بدوره عن الصحابي، وليس في ذلك أية شبهة تدل على الدس أو القدح في الحديث .
قال السيوطي في ألفيته : (رواية الأكابر عن الأصاغر والصحابة عن التابعين)

وَقَدْ رَوَى الْكِبَارُ عَنْ صِغَارِ / فِي السِّنِّ أَوْ فِي الْعِلْمِ وَالْمِقْدَارِ
أَوْ فِيهِمَا ، وَعِلْمُ ذَا أَفَادَا / أَنْ لا يُظَنَّ قَلْبُهُ الإِسْنَادَا
وَمِنْهُ أَخْذُ الصَّحْبِ عَنْ أَتْبَاعِ / وَتَابِعٍ عَنْ تَابِعِ الأَتْبَاعِ
كَالْبَحْرِ عَنْ كَعْبٍ ، وَكَالزُّهْرِيِّ / عَنْ مَالِكٍ وَيَحْيَى الانْصَارِيِّ
(رواية الصحابة عن التابعين عن الصحابة)
وَمَا رَوَى الصَّحْبُ عَنِ الأَتْبَاعِ عَنْ / صَحَابَةٍ فَهْوَ ظَرِيفٌ لِلْفَطِنْ
أَلَّفَ فِيهِ الْحَافِظُ الْخَطِيبُ / وَمُنْكِرُ الْوُجُودِ لا يُصِيبُ
كَسَائِبٍ عَنْ ابْنِ عَبْدٍ عَنْ عُمَرْ / وَنَحْوُ ذَا قَدْ جَاءَ عِشْرُونَ أَثَرْ

وقال العراقي : وَقَدْ رَوَى الكَبِيرُ عَنْ ذِي الصُّغْرِ *** طَبَقَةً وَسِنّاً اوْ في القَدْرِ
– أَوْ فيهِمَا وَمِنْهُ أَخْذُ الصَّحْبِ *** عنْ تابعٍ كَعِدَّةٍ عَنْ كَعْبِ

فالظاهرة لا تقدح في الحديث ولا في الرجل (الكبير) الذي يروي عن الصغير ، أو الفاضل لروايته من المفضول ، وقد تعلم موسى من الخضر عليهما السلام ، ومثله كثير ، قال الإمامُ القُرطبي – رَحِمَه الله تعالَى– في تَفسير قَولِه تعالى { قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا}

[الكهف: 66]: "في هذه الآية دَليلٌ على أنَّ المُتعَلِّمَ تَبَعٌ للعالِم وإن تفاوتَتَ المراتِب، ولا يُظَـن أنَّ فـي تَعلُّمِ موسَى مِن الخَضِرِ ما يَدُلُّ على أنَّ الخَضِر كان أفضلَ مِنه؛ فَقَد يَشُذُّ عَـن الفاضِـل مـا يَعلَمُـه المَفضولُ، والفَضلُ لِمَن فَضَّلَه الله" اهـ مِن «الجامع لأحكام القُرآن»: (5/ 4170)،

وقد روى جماعة عن أولادهم فروى أبو بكر الصديق عن عائشة حديثين وروى العبـاس عـن ابنـه الفضل حديثا وعن ابنه عبد الله حديثا وروى سليمان التيمي عن ابنه المعتمر حديثين وروى أبو بكـر ابن عياش عن ابنه إبراهيم حديثا وروى أبو داود السجستاني عن ابنه حديثين في خلق يطول ذكرهم

قال النووي (رواية الأكابر عن الأصاغر) من فائدته أن لا يتوهم أن المروي عنه أكبر وأفضل لكونه الأغلب. ثم هو أقسام. أحدها: أن يكون الراوي أكبر سناً وأقدم طبقة كالزهري عن مالك، وكالأزهري عن الخطيب، والثاني: أكبر قدراً، كحافظ عالم عن شيخ، كمالك عن عبد الله بن دينار، والثالث أكبـر من الوجهين كعبد الغني عن الصوري، وكالبرقاني عن الخطيب ومنه رواية الصحابة عـن التـابعين كالعبادلة وغيرهم عن كعب الأحبار، ومنه رواية التابعي عن تابعه كالزهري، والأنصاري عن مالـك وكعمرو بن شعيب ليس تابعياً، وروى عنه منهم أكثر من عشرين وقيل أكثر من سبعين، والله أعلـم.
التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث : ابن شرف النووي
يذكر الشيخ أحمد شاكر أن العراقي جمع من ذلك نحوا من عشرين حديثا فيها رواية صـحابي عـن تابعي.

ومن أبرز الأمثلة على هذا ، ماذكره رسول الله ﷺ في خطبته عن تميم الداريّ ممّا أخبره به عـن رؤية الدجال في تلك الجزيرة التي في البحر. والحديث صحيح أخرجه مسلم. وكـذلك فـي صـحيح البخاري رواية معاوية بن أبي سفيان ــ وهو صحابي ــ عن مالك بن يُخامر ــ وهو تابعي كبيـر ــ عن معاذ، وهم بالشام، في حديث (لاتزال طائفة من أمتي ...) وقد روى العبادلة عن كعب الأحبـار. وكذا قد روى الزهري، ويحيى بن سعيد الأنصاري، عن مالك ، وهما من شيوخه.
فالباب إذن معلوم والنوع معروف بل إنه قد ذكر العلماء _كما رأيت_ لـذلك عـدة فوائـد ، ومـنهم السيوطي والنووي ، ومنكر ذلك قاصر الفهم ، وهو كما قال السيوطي (وَمُنْكِرُ الْوُجُودِ لا يُـصِيـبُ) فلا إشكال في ذلك إلا لمن كان عن العلم بعيدا وعلى الفن غريبا .

الإسناد الذي ألجم المتربصين

تتبع أهمية الإسناد ومكانته في ديننا من أهمية الحديث ومكانته التشريعية ، والتي تحتل المرتبة الثانية بعد كتاب الله تعالى ، فالسند كان ولا يزال أهم الوسائل التي حفظ الله بها الحديث وصانه من الوضع والتلاعب والكذب والافتراء ، كما أنه المعيار الأول الذي تقيم به الروايات ، وتوزن به الأخبار ، لمعرفة صحيحها من سقيمها ، وقويها من ضعيفها .

وقد بدأ إسناد الحديث مع بداية الرواية التي بدأت في حياة النبي ﷺ حين كان الصحابة يتناوبون على حضور مجلسه عليه الصلاة والسلام فيبلغ الشاهد منهم الغائب ، وينقل كل منهم لغيره ما سمعه وشاهده ، مع نسبة القول أو الفعل إلى قائله الذي سمعه منه سواء كان ذلك القائل النبي ﷺ أو صحابياً آخر سمعه من النبي ﷺ ، وقد لا يذكر بعضهم الواسطة فيما لم يسمعه مباشرة من النبي – ﷺ ، لا عن جهل منه وعدم معرفة بمن أخذ عنه ، ولكن لقرب العهد بالنبي ﷺ . ولوجود الثقة بينهم ، وبعدهم عن مظان الكذب ، فالصحابة كلهم ثقات عدول ،

ثم استمر الحال على ذلك مدة من الزمن _على العموم_ ، وإن كان الاحتياط والتثبت في الرواية موجودا على عهد الخليفتين الراشدين أبي بكر و عمر رضي الله عنهما ، كما تدل عليه قصة أبي بكر رضي الله عنه مع المغيرة بن شعبة في ميراث الجدة _وقد مرت قريبا_، وقصة عمر رضي الله عنه مع أبي موسى في الاستئذان ثلاثاً ، إلا أنه لم ينتقل إلى طور الإلزام بإسناد الحديث عند روايته .

حتى وقعت الفتن التي أودت بحياة الخليفتين الراشدين عثمان بن عفان و علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وما رافق ذلك من اختلاف الأمة وتفرقها ، وظهور الفرق والطوائف ، ومحاولة كل فرقة التمسك بما يؤيد موقفها وينصر مذهبها ، مما استوجب زيادة الحيطة والحذر ، والتثبت في قبول الروايات ، فأصبح السؤال عن السند ، وإلزام الرواة به أمراً ضرورياً اقتضته طبيعة المرحلة ، التي مهدت السبيل أمام أصحاب الأهواء والبدع للدس والافتراء في حديث رسول الله ﷺ ، الأمر الذي بينه ابن عباس رضي الله عنهما كما في مقدمة مسلم أن بشيراً العدوي جاء إلى ابن عباس ، فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه – أي لا يستمع – ولا ينظر إليه ، فقال: يا ابن عباس ما لي لا أراك تسمع لحديثي؟ أحدثك عن رسول الله ولا تسمع؟! فقال ابن عباس : إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول : قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، **فلما ركب الناس الصعب والذلول ، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف** " ، وبينه أيضاً الإمام ابن سيرين بقوله : "لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة ، قالوا سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم" .

فقول ابن سيرين: – وهو تابعي معروف توفي 110هـ – " لم يكونوا يسألون عن الإسناد ..الخ ".
إنما أرخ لبداية الاهتمام بالإسناد ، ولبداية الجرح والتعديل ، فهو أرخ بداية الاهتمام بالإسناد عند وقوع الفتنة . والمقصود بالفتنة هنا (مقتل عثمان رضي الله عنه)
وهذا لا يعني أن الإسناد لم يكن موجوداً قبل الفتنة ، أو أنه لم يستعمل من قبل الرواة ، وإنما المقصود أن بداية البحث والتحري وإلزام الرواة بالإسناد بدأ عقب الفتنة ، ثم صار الالتزام بالسند أمراً شائعاً ، وسنة متبعة لدى رجال الحديث .
ومع وضوح بداية استعمال السند ، وشيوع التزامه والتمسك به في هذا الوقت المبكر من تاريخ الحديث ، فإن المستشرقين والعلمانيين وأذنابهم حاولوا أن يثيروا الشكوك حول الإسناد وبداياته وأهميته في الرواية ، وذلك لإضعاف الثقة به ، ومن ثم إضعاف الثقة بالحديث النبوي ، لأن التشكيك في الإسناد أو التقليل من أهميته ، هو في الحقيقة تشكيك في السنة النبوية ، التي وصلت إلينا ، وتناقلتها الأمة جيلاً إثر جيل ، بواسطة هذه الأسانيد .
وفي هذا يقول أبو زرعة الرازي رحمه الله قديما: ((يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة)) فكأنه رحمه الله حاضر معنا اليوم ، يرى ويسمع ما يحاك ضد هذه السنة ورجالها.[230]

فهذا مأمل الكاتب ومن نقل عنه هذه الترهات وتلك غايتهم ، وقد سبق الكاتب إلى هذه الأوصاف جملةٌ من المستشرقين والملحدين حتى وصف بعضهم أهل الحديث بأنهم "عبيد الأسانيد" ، و" أسرى الأسانيد " ، وأن الإسناد نوع من التزمت ، وهذا مابنى عليه الكاتب وسار على نهجه ، فطفق يكيل العبارات النابية ويصب جم غضبه على الإسناد والرجال والرواة ومن يصدقهم أويدافع عنهم ، واستهزأ من الأمة جميعها علمائها وعامتها ، وسفه أحلامهم ، .. واتهم رجال الحديث بأنهم يجرحون حسب الأهواء والعصبيات والشائعات واتهم الرواة بأنهم إنما صنعوا الإسناد من أجل نسبة أحاديث للرسول ، إذ يقول (لنخلص في النهاية إلى أن علم الرجال أكذوبة تاريخية تم التهويل بشأنها من أجل نسبة أحاديث للرسول هو بريء من أغلبها .51) واتهم المحدثين بأنهم يستدلون على الحقيقة بالرجال ،.. (إن علم الرجال يعني ببسا ـة أن المحدثين يستدلون على الحقيقة بالرجال، ص51) ثم حكم بكل جرأة وقاحة على علم الرجال والإسناد بأنه أكذوبة وخرافة بل أكبر أكذوبة في تاريخ الأديان فيقول :
(فظاهرة تناقل الروايات كما هي ليست إلا أكبر أكذوبة في تاريخ الأديان47) .. (وبهذا أصبح فعلا «علم الرجال » أكذوبة وخرافة، لا علاقة لها بالمنطق والعقل، وبالمنهج العلمي الصائب الراجح. 51)..

[230] - المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام - علي بن نايف الشحود - مع تصرف قليل

كما نفى أن يكون علم الحديث وما يتعلق به علما وأنه إنما صنعه قوم لمآربهم الشخصية ، (لكل ما سبق لا يمكننا بأي حال من الأحوال اعتبار خرافة «الحديث » علما ، لأنها لا تملك من العلم شيئا ، ومنهجها منهج أهواء ،48) إلى آخر طوامه التي تدل وتعرب عن الكم العالي الذي يكنه في قلبه من الضغينة والبغضاء ، للحديث ورجاله وعلومه ، وهذا افتراء كبير وجهل فاضح ، فإن موازين الجرح والتعديل عند أئمة الحديث ، تقوم على موازين وضوابط ومقاييس علمية وشرعية وعقلية ، تقوم على العدل والتثبت والعلم ، وكانوا يعّدون الإسناد من الدين . فانظروا إلى صاحب العلم والمنطق ، الذي يحكم على العلم بالخرافة ويصفه بالأكذوبة ، وأنه لا علاقة له بالعقل والمنطق والمنهج العلمي الصائب ، فهل ما كتبه هو المنهج العلمي الصائب يا ترى ؟

إن علم الرجال وعلم الحديث هو أعظم ما مر على وجه الأرض من علوم ، وأدق ما عرفته البشرية من فنون ، ورجاله أعظم الرجال وأصدق البشر وأزكاهم وأخلصهم ، فقد وصلت الحضارة في عصرهم منتهاها وبلغت أوجها ، وعاصرهم متخصصون في كل ميدان ، ووقعت حروب وفتوح ومناظرات ، ووقعت منافسات وحزازات وصراعات ، ولم يتجرأ قوم أو يفكر أحد في وصف فنهم هذا بالأكذوبة والخرافة ولا أقل من ذلك ، ولم يظهر لأحد قبل العصور ولا بعدها مطعن في الأحاديث ، رغم أنه يوجد من يعاديه ويعادي رجاله ، فلولا أنهم علموا قطعا صدق الرواة ، لوجب في مستقر العادة أن يبدو – ولو شرذمة منهم – في الأخبار ضربا من المطاعن ، فلما لم يظهر ذلك منهم ، علمنا قطعا اعتقادهم صدق الرواة فيما نقلوه .

ومن المعلوم لدى كل منصف أنه لم يلق علم من العلوم الإسلامية في جميع جوانبه وفروعه ما لقيه علم الحديث من العناية والاهتمام ، بدءا من عهد الصحابة رضوان الله عنهم وإلى يوم الناس هذا ، فما من جزئية من جزئياته إلا وقد فصَّلها العلماء بحثاً ودراسة ، وذلك تحقيقاً لوعد الله في حفظ الذكر ، ومن ذلك ما يتعلق بإسناد الحديث ، فقد درس المحدثون هذه الأسانيد دراسة مستوفية من حيث الاتصال ، ووضعوا القواعد التي تتناول كافة أحوال الاتصال ، وسائر وجوهه ، فنظروا إليه من حيث مبدئه ومنتهاه ، ودرسوا صيغه ، وبينوا شروطها ، ونظروا إلى مسافة السند من حيث الطول والقصر ، وإلى حال الرواة عند الأداء ، ونقدوا الأسانيد في الحديث الواحد وما فيها من زيادة ونقص. كما درسوا الإسناد من حيث الانقطاع ، وأنواعه ، فبحثوا عن مواضعه من أوله أو وسطه أو آخره ، كما بحثوه من حيث طبيعته في الظهور والخفاء ، وبلغوا في ذلك المنتهى والغاية .

فاستوفوا بذلك جميع أوجه الاحتمالات في اتصال الحديث وانقطاعه ، مما جعل حكمهم على الأحاديث في غاية الدقة والسداد .[231]

---

[231] - معجم افتراءات الغرب على الإسلام / أنور محمود زناتي

يقول الأستاذ محمد أسد : (فوجود الأحاديث الموضوعة إذن لا يمكن أن يكون دليلاً على ضعف نظام الحديث في مجموعه ، لأن تلك الأحاديث الموضوعة لم تَخْفَ قط على المحدثين كما يزعم بعض النقاد الأوروبيين عن سذاجة ، وتابعهم على ذلك بعض أدعياء من أبناء أمتنا الإسلامية) . [232]

أما إن شئنا البحث والتنقيب عن أصل هذه الشبهة ومن اختلقها ودسها فإننا وكالعادة سيوقفنا البحث على مستشرقين لم يخفوا عداءهم للإسلام برمته ، فنظرية اختلاق الأسانيد دسها المستشرقُ "شاخت"[233] (اليهودي الألماني) وتَزَعَّمها وروج لها فذاعت في أوساط المستشرقين بل في الوسط العلمي العربي بأسره حيث زعم أنه درس أسانيد كتب السيرة والفقه وتوصل من خلال دراساته إلى نظرية سماها "القذف الخلفي" وأن هذه النظرية هي التي أدته إلى اكتشاف تاريخ اختلاق الإسناد.
ولم تكن دراسات "شاخت" (الجائرة) هي الوحيدة في إطار جهود المستشرقين، فقد ابتدأت هذه الجهود في القرن الثامن عشر، حيث برز " المستشرق الإيطالي: كايتاني (1869-1926م)،"[234] و"ميور" المتوفى 1905[235] و"شبرنجرا" المتوفى 1893، وأبدى الثلاثة اهتمامهم بتاريخ السنة، ثم اعتقدوا نظرية الشك في صحة الأحاديث ، وسعوا للكشف عما أسموه المادة الأصلية للحديث. ثم تولى كِبْرَ هذه النظرية مِنْ بعدهم اليهودي المجري "جولدزيهر" [236]
وممن تأثر بهذا الاتجاه الفكري وتبنى طرحه في صورة الأدب والتاريخ والبحث العلمي كُتَّابٌ في العالم الإسلامي نذكر منهم أحمد أمين وأبا رية وغيرهما . [237]
وقد رد عليهم –المستشرقين والمقلدين من أبناء جلدتنا– العلماء المحققون وفندوا دعاواهم ، ودحضوا مفترياتهم ، ودمغوا أباطيلهم وترهاتهم بكتب وبحوث ودراسات، معلومة لدى كل المتتبعين والمهتمين،

([232]) - الإسلام على مفترق الطريق ص 96

([233]) - هو جوزيف شاخت . مستشرق ألمانى أحد كبار اليهود المستشرقين .. ولد في 15مارس عام 1902/ دخل المجال مخفيا ليهوديته . درس اللغات الشرقية في جامعة برسلاو وليبتسك، عمل محاضراً للدراسات الإسلامية فى عدد من الجامعات . كان من أعضاء المجمع العلمى العربى فى دمشق .وهو أحد محرري دائرة المعارف الإسلامية ، وقد أشتهر بدراسة التشريع الإسلامى، قال الدكتور السباعى : (ألمانى متعصب ضد الإسلام والمسلمين) ، ، تعين في وزارة الاستعلامات البريطانية (1939- 1945)، وتجنس بالبريطانية
. حرر في الطبعة الثانية من الدائرة 32 مادة عن الشريعة الإسلامية مليئة بالتعصب والحقد، حيث زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقصد وضع نظام بل ظل القانون العربي على ما هو عليه مع عناصر دخيلة من رومية وبابلية ويمنية، وادعى أن الزكاة عرفها النبي من يهود المدينة، واتهم النبي صلى الله عليه وسلم بعدم العدل في توزيع الأموال، وهو من أكثر الكتاب محاولة في التشكيك بنبوته صلى الله عليه وسلم وبالقرآن، واختلق في سبيل ذلك الكثير من الافتراءات، كما شكك في السنة النبوية وقلل من أهميتها. انظر: الأعلام 8 \ 234، المستشرقون للعقيقي 2 \ 469- 471.

([234]) - الأمير (ليوني كايتاني Leone Caetani) من أبزر المستشرقين الإيطاليين، كان يحسن سبع لغات منها العربية والفارسية، ذلك الأمير الإيطالي الذي (جهز على نفقته الخاصة ثلاث قوافل ، لترتاد مناطق الفتح الإسلامي ، وترسمها جغرافيا ، وجمع كل الدوريات والأخبار الواردة عن حركة الفتح في اللغات القديمة ..
واستخلص تاريخ الفتح في تسعة مجلدات ضخمة بعنوان (حوليات الإسلام) بلغ بها سنة أربعين هجرية .. قال هذا الأمير الذي استهلك كل ثروته الطائلة في هذه الأبحاث ، حتى أفلس تماما ، قال في مقدمة كتابه (حوليات الإسلام) : إنه إنما يريد بهذا العمل أن يفهم سرَّ المصيبة الإسلامية التي انتزعت من الدين المسيحي ملايين من الأتباع في شتى أنحاء الأرض ، ما يزالون حتى اليوم يؤمنون برسالة محمد ، ويدينون به نبيًّا ورسولاً)

([235]) - وليام ميور 1819-1905) William Muir) ...وصفه عبد الرحمن بدوي بأنه مستشرق ومبشّر وموظف إداري إنجليزي، تعلم العربية في أثناء عمله في الهند واهتم بالتاريخ الإسلامي شارك في أعمال جمعية تنصيرية في الهند. وألف ميور كتاباً يناصر الجهود التنصيرية بعنوان (شهادة القرآن على الكتب اليهودية والمسيحية).) تولى ميور منصب مدير جامعة أدنبره في الفترة من عام 1885حتى عام 1903.
([236]) - جولدزيهر Goldizher 1850-1920: مستشرق مجري يهودي ولد سنة 1850 ومات سنة 1921 , يتميز بمهارة فائقة في الدس والتزوير.
([237]) – أنظر : الأنوار الكاشفة عبد الرحمن المعلمي. ص8 و ص 72

قال رضا أحمد صمدي : والواقع أن هناك أسبابا كثيرة تبطل نظرية الاختلاق وتثبت أن الأسانيد نشأت نشأة طبيعية في الوسط العلمي الإسلامي وباستلهام لفكرة الإسناد من روح النصوص الشرعية نفسها التي حثت على تبني هذه الطريقة في حفظ النقول وتبليغها.
ومن الأسباب التي تبطل نظرية الاختلاق:

1- كثرة الأسانيد. فطرق الأحاديث تبلغ مئات الألوف إن لم يكن أكثر، ولو اعتبرنا عملية حسابية في الإسناد مبنية على التضاعف العددي للرواة لمدة ثلاثة أجيال رووا حديثا واحدا لعلمنا ضخامة العدد. وهذه الكثرة قرينة قوية على استحالة الاختلاق إذ يبعد أن يكون الانتحال صفة مشتركة بين آلاف الرواة في كل جيل ثم لا يأتي ما يفيد هذا التواطؤ الواضح.

2- تشابه الكثير من المتون مع أن أسانيدها مختلفة ورواتها متباعدون إقليميا. فتجد الكثير من الأحاديث التي تشترك في لفظ واحد مع أن مخارجها عن صحابة مختلفين متفرقين في الأمصار والذين رووا عنهم أيضا من أماكن متفرقة بعيدة عن بعضها، والقول بالاختلاق يعني ضرورة عقد مؤتمر دائم يضم الرواة من الشام ومصر والعراق والحجاز وخراسان وغيرها، وهذا مع أنه لم ينقل حدوثه فهو مستحيل يعرفه كل من طالع التاريخ الإسلامي.

3- أخلاقيات الرواة التي اشتهرت وذاعت، ومآثرهم الذي لم يجحدها جاحد، تمنع من اتهامهم باختلاق الأحاديث، والمستشرقون يعلمون أن الرواية العربية تحفظ المثالب كما تحفظ المناقب، وإذا كانت فرية افتراها أعرابي على حضري أو سرقة ارتكبها شاعر في قصيدة عن غير قصد، تنقل بين الرواة حتى تبلغ الآفاق، أفلا يكون اختلاق آلاف الأسانيد حدثا جديرا بنقله عن أولئك الرواة المختلقين.

4- روح ونظام الإسناد، وأخلاقية منهج الرواية والنقد عند المحدثين .. تحيل حدوث اختلاق مقصود ثم تداوله على أنه صحيح معتمد.[238]

ولمزيد التفاصيل للرد على هذه الفرية _إضافة لما سبق_ ارتأينا أن نسرد لكم بعض أقوال السلف لتتبينوا مكانة الإسناد وفضله وأهميته ولتدركوا لم ومدى استمرارية الكيد والمكر لهذا الدين وأصوله :

1- مكانة الإسناد وأهميته .

قال الحاكم في معرفة علوم الحديث : « فلولا الإسناد وطلب هذه الطائفة له وكثرة مواظبتهم على حفظه لَدَرَسَ منارُ الإسلام ، وتمكن أهل الإلحاد والبدع منه بوضع الأحاديث وقلب الأسانيد ، فإن الأخبار إذا تَعَرَّتْ عن وجود الإسناد فيها كانت بُتْرَاً » [[239]]

238 - الإسناد عند المحدثين الدلالة التاريخ المنهج - رضا أحمد صمدي
239 - رواه الحاكم في معرفة علوم الحديث ص6

– و قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ : " مَثَلُ الَّذِي يَطْلُبُ أَمْرَ دِينِهِ بِلَا إِسْنَادٍ كَمَثَلِ الَّذِي يَرْتَقِي السَّطْحَ بِلَا سُلَّمٍ "([240])
وكان ابن شهاب الزهري إذا حدث أتى بالإسناد ويقول : «لا يصلح أن يرقى السطح إلا بدرجه» [[241]]
وقَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ حسان ، سَمِعْتُ سفيان الثَّوْرِيَّ ، يَقُولُ : " الْإِسْنَادُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ سِلَاحٌ ، فَبِأَيِّ شَيْءٍ يُقَاتِلُ "([242])
وهذا ما أكده شيخ الإسلام ابن تيمية إذ قال : «لا بد من ذكر الإسناد أولاً فلو أراد إنسان أن يحتج بنقل لا يعرف إسناده في جزرة بقل لم يقبل منه، فكيف يحتج به في مسائل الأصول» [[243]]
وكان الأعمش – سليمان بن مِهْرَان – يعده أعم حلقة في عقد الحديث بل رأس المال ، فكان يحدث بالحديث ثم يقول :« بقي رأس المال : حدثني فلان قال : فلان عن فلان » [[244]]
وعن عُتْبَة بن أبي حكيم أنه كان عند إسحق بن عبد الله بن أبي فروة – أحد الضعفاء المتروكين – وعنده الزهري، فجعل ابن أبي فروة يقول : قال رسول الله ﷺ ، فقال الزهري: قاتلك الله يا ابن أبي فروة ، ما أجرأك على الله ، لا تسند حديثك ، تحدثنا بأحاديث ليس لها خُطُمٌ ولا أَزِمَّة». [[245]]

2- **(الإسناد من الدين)** فإن علماء الأمة اتفقوا على أن الإسناد يعتبر من الدين ، وهذا ما نقله إلينا الإمام مسلم رحمه الله فى مقدمة صحيحه أن عبد الله ابن المبارك قال: (الإسناد من الدين، لولا الإسناد لقال مَنْ شاء ما شاء، فإذا سُئل: وقف وتحيّر ، وفي لفظ ولكن إذا قيل له: من حدثك؟ بَقِيَ» [[246]]
قال رضا أحمد صمدي ، في شرح عبارة ابن المبارك :«الإسناد من الدين، ..» :
تأتي أهمية هذه العبارة في أنها تنص على جلالة الإسناد، وترد أصوله إلى الدين نفسه، وذلك على ضوء ما ذكرنا من النصوص الشرعية التي تنوه بمبدأ الإسناد في نقل النصوص الشرعية.
وجعل الإسناد من الدين تنبيه إلى دستورية « الإسناد » – لو جاوز التعبير – ، فليس الإسناد عند ابن المبارك مجرد تقليد فني اعتمدته طائفة المحدثين من عنديات فنونهم أو بنيات أفكارهم وقرائحهم ، بل هو نفس هذا الدين أي ناشئ عنه ومعمول به لمقتضى النصوص التي نوهت به وأرشدت إليه وحضت عليه، أو المراد أن الالتزام في نقل النصوص بالإسناد دليل على ديانة الراوي وأنه ليس من أصحاب

---

[240] - الكفاية في علوم الرواية (73)
[241] - شرح علل الترمذي لابن رجب ص 88.
[242] - الكفاية في علوم الرواية (75)
[243] - (منهاج السنة النبوية110/8).
[244] - رواه ابن حبان في المجروحين ص 27.
[245] - رواه الحاكم في معرفة علوم الحديث ص6 والخطم والأزمة جمع خِطام وزِمام : يا يقاد به البعير .
[246] - رواه مسلم في مقدمة صحيحه (87/1) والترمذي في العلل الصغير ص 87 وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (17/1) وابن حبان في كتاب الضعفاء (17/1) والرامهرمزي في المحدث الفاصل ص 209 والحاكم في معرفة علوم الحديث ص 6 والخطيب النغدادي في الكفاية ص393 وشرف أصحاف الحديث ص 40 والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (147/2) وابن عبد البر في مقدمة التمهيد (56/1) وأوردها ابن الصلاح في علوم الحديث ص215 ، والذهبي في تذكرة الحفاظ (1054/4) والتاج السبكي في طبقات الشافعية (187/5) والسخاوي في فتح المغيث ص 335 والزرقاني في شرح المواهب اللدنية(187/5)..

السمر والقصص والقيل والقال، وأنه باستعماله الإسناد قد انخرط في سلك من يعتمد عليهم من أهل الديانة في تبليغ نصوص الوحي المطهر. اهـ (من المصدر السابق له)

وقال محمد بن عبد الله حدثني العباس بن أبي رزمة قال سمعت عبد الله بن المبارك أيضا يقول : « بيننا وبين القوم – أي المبتدعة والكذبة– القوائم _يعني الإسناد_». [247]

وفى كتاب التعديل والتجريح للباجى (جزء1/ صفحة 291) : (عن محمد يعني بن سيرين أنه قال : "إن هذا الحديث دين فانظروا عن من تأخذونه "....

وكان بَهْزُ ابن أسد يقول :" لا تأخذوا الحديث عمن لا يقول : ثنا " وكان بهز إذا ذكر له الإسناد الصحيح يقول : « هذه شهادات العدول المرضيين بعضهم على بعض » وإذا ذكر الإسناد فيه شئ – أي ضعف– قال : « هذا فيه عُهْدَة » ويقول : « لو أن لرجل على رجل عشرة دراهم ثم جحده لم يستطع أخذها إلا بشاهدين عدلين، فدين الله أحق أن يؤخذ فيه بالعدول » [248]

– وفى كتاب : المقصد الأرشد فى ذكر أصحاب الإمام أحمد (150/3) قال : (نقل عن إمامنا أشياء منها قال سمعت أحمد بن حنبل يقول : الإسناد من الدين)

وقال الإمام أحمد بن حنبل في موضع آخر : (طلب الإسناد العالي سنة عمن سلف لأن أصحاب عبد الله كانوا يرحلون من الكوفة إلى المدينة فيتعلمون من عمر ويسمعون منه)

وقال الثوري : (الإسناد سلاح المؤمن وطلب العلو فيه سنة)

وقال محمد بن أسلم الطوسي : (قرب الإسناد قرب أو قربة إلى الله ولهذا اُستحبت الرحلة) انتهى.

3– الإسناد من اختصاص الأمة ومن فضل الله عليها ،

والإسناد من خصائص هذه الأمة، ليست لغيرها من الأمم. روى الخطيب في (شرف أصحاب الحديث ص40) بسنده إلى محمد ابن حاتم بن المظفر، أنه قال: "إِنَّ اللهَ أَكْرَمَ هذه الأمة وشَرَّفَهَا وفَضَّلَهَا بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلها – قديمهم وحديثهم – إسنادٌ، وإنما هي صحفٌ في أيديهم، وقد خَلَطُوا بكتبهم أَخْبَارَهُم...".

قال ابن حزم: ((نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي ﷺ مع الاتصال، خصَّ الله به المسلمين دون سائر الملل، وأما مع الإرسال والإعضال فيوجد في كثير من اليهود ولكن لا يقربون فيه من موسى قربنا من محمد ﷺ ، بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصراً، وإنما يبلغون إلى

---

247 - رواه مسلم في مقدمة صحيحه (ص12).

248 - شرح علل الترمذي لابن رجب ص 88-89

شمعون ونحوه)). قال: ((وأما أقوال الصحابة والتابعين فلا يمكن لليهود أن يبلغوا إلى صاحب نبي أصلاً، ولا إلى تابع له، ولا يمكن للنصارى أن يصلوا إلى أعلى من شمعون وبولص)).([249])

وقال أبو علي الجياني: "خصَّ اللهُ هذه الأمةَ بثلاثةِ أشياء لم يُعطها مَنْ قبلها: الإسناد، والأنساب، والإعراب"2. ".([250])

وفى تدريب الراوى للسيوطى (159/2 –) : (الإسناد في أصله خصيصة فاضلة لهذه الأمة ليست لغيرها من الأمم ،

ومن ذلك ما رواه الحاكم وغيره عن مطر الوراق في قوله تعالى : (أو أثارة من علم) (الأحقاف4) قال : "إسناد الحديث". .....

وعن علي بن حجر قال: سمعت ابن المبارك يقول: " إن الله حفظ الأسانيد على أمة محمد ﷺ " [[251]]

وما هذه الفضيلة الغالية إلا من تمام نعمته – سبحانه – على هذه الأمة: حفظاً للرسالة الخاتمة، وصوناً لها عن عبث العابثين، لتقوم بها حجة الله على خلقه إلى قيام الساعة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن خصيصة الإسناد في الأمة الإسلامية استقرت في تراث أهل السنة على وجه الخصوص دون سائر الفرق من أهل البدع والأهواء.

وقد نبه إلى هذه الحقيقة شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال في منهاج السنة : «الإسناد من خصائص هذه الأمة وهو من خصائص الإسلام ثم هو في الإسلام من خصائص أهل السنة، والرافضة أقل عناية به إذ لا يصدّقون إلا ما يوافق أهواءهم ، وعلامة كذبه – أي عندهم – أنه يخالف هواهم ، ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدي : أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم ، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم . وأهل البدع سلكوا طريقا أخرى ابتدعوها واعتمدوها ولا يذكرون الحديث بل ولا القرآن في أصولهم إلا للاعتضاد لا للاعتماد » [[252]]

4_ احتراس علماء الأمة وشدة احتياطهم

إن هذا الإسناد الذي ينتقص الكاتب من مكانته ، تراه الأمة بعين التعظيم والتقدير ، وجعلته معيارا لصدق الرجل ، وهو دليل على احتراس الأمة من أعدائها واحتياطها لدينها ،

فجعلوا الإسناد سلما للعلم والسنة ، لا يصعد إليهما بدونه ، قال سفيان بن عيينة حدث الزهري يوما بحديث فقلت : هاته بلا إسناد فقال الزهري : "**أترقى السطح بلا سلم ؟!**"

[249] - الفصل في الملل والنحل لابن حزم.(2: 69-70) وانظر: تدريب الراوي(2: 143).
[250] - قواعد التحديث: (ص201). شرف أصحاب الحديث (ص: 40) رقم(69)
[251] - شرح علل الترمذي لابن رجب ص 88.
[252] - - منهاج السنة النبوية . أحمد بن تيمية . (37/7) تحقيق محمد رشا وسالم.

قال الأوزاعي سمعت يزيد بن أبي حبيب يقول : "إذا سمعت الحديث فأنشده كما تنشد الضالة فإن عرفت فخذه وإلا فدعه" ، وقال ابن عون : "لا يؤخذ هذا العلم إلا عن من شهد له بالطلب".
وروى المغيرة عن إبراهيم قال : كانوا إذا أرادوا أن يأخذوا عن الرجل نظروا إلى صلاته وإلى هيئته وإلى سمته.
وقال محمد سمعت أبا إسحق إبراهيم بن عيسى الطالقاني قال قلت لعبد الله بن المبارك : يا أبا عبد الرحمن الحديث الذي جاء : "إن من البر بعد البر أن تصلي لأبويك مع صلاتك وتصوم لهما مع صومك" قال : فقال عبد الله : يا أبا إسحق عمن هذا ؟ قال : قلت له : هذا من حديث شهاب بن خراش ، فقال : ثقة ، عمن قال ؟ قلت : عن الحجاج بن دينار ، قال : ثقة عمن قال ؟ قلت : قال رسول الله ﷺ ، قال : يا أبا إسحق إن بين الحجاج بن دينار وبين النبي ﷺ مفاوز تنقطع فيها أعناق المطي ولكن ليس في الصدقة اختلاف) انتهى. [[253]].
وقال عبدة بن سليمان قيل لابن المبارك في هذه الأحاديث الموضوعة قال : "يعيش لها الجهابذة"
وقال عبد الرحمن بن مهدي قال شعبة : "كنت أنظر إلى فم قتادة فإذا قال حدثنا كتبنا عنه فوقفته عليه وإذا لم يقل حدثنا لم أكتب عنه".

وقال عبد الرحمن بن مهدي : "خصلتان لا يستقيم فيها حسن الظن : الحكم والحديث" يعني : لا يستعمل حسن الظن في قبول الرواية عمن ليس بمرضي) انتهى . وفي هذا رد على ادعاء الكاتب _نقلا عن صبحي منصور_ أن الرواة إنما يستدلون على الحقيقة بالرجال ، وأنهم يعدلون ويروون بحسن الظن ..الخ ، فكما رأيت فالرواة لايعتمدون حسن الظن في الرجل ليرووا عنه ، بل يدققون ويحققون ويمحصون ، وإذا بدا لهم من أحدهم شيء قليل هجروه وطرحوا خبره ، فكيف إذا لم يكونوا يعرفون عنه كل شيء ،
فهذه النقول السابقة جملة مما ورد عن السلف المتقدمين في بيان أهمية الإسناد ومكانته وقيمته مما يدل على إدراكهم لدوره في مجال نقد الحديث ، وما يدل أيضا على شدة احتراسهم واحتياطهم في مسائل الدين وأمور الرواية والتحيث ،
وقد اقتبس النقاد من هذه النقول فحوى نظرية الإسناد عند المسلمين، وصاغوا فلسفتها منذ وقت مبكر.
إن كل هذه النصوص استدعت اهتمام المحدثين ونادت على قريحة نقادهم فصاغوا معانيها في عبارات تنظيرية وجمل تأصيلية توحي بتنبههم منذ وقت مبكر إلى خطر الإسناد فغدت عباراتهم بمثابة دستور لهذه النظرية وأساسا لبنائها الشامخ.

[253] - شرح علل الترمذي لابن رجب ص 88.

ويظهر مما سبق أن الإسناد قد استقر في وجدان المسلمين عامة وأهل العلم خاصة_ أنه خصيصة الأمة وروح الرواية وجوهر النقل الذي تحتاجه نصوص الشرع.
ومن ثم لم يتردد المحدثون في اعتباره واجبا دينيا يجب على المسلمين القيام به والمحافظة عليه.
يقول ابن حجر العسقلاني في شرح النخبة: « ولكون الإسناد يعلم به الحديث الموضوع من غيره ، كانت معرفته من فروض الكفاية» [[254]]
ويؤكد ذلك الشيخ علي القارئ فيقول: « أصل الإسناد خصيصة فاضلة من خصائص هذه الأمة وسنة من السنن المؤكدة بل من فروض الكفاية» [[255]]

ولا يخفي "مرغليوث" تبرمه وإعجابه معا من نظرية الإسناد حين يقول: "ولكنه بالرغم من أن نظرية الإسناد سببت متاعب لا نهاية لها أحيانا بسبب الأبحاث التي ينبغي القيام بها لتوثيق كل راو، وإلفهم وضع لأحاديث وتقليدها أحيانا في سهولة ، لا يمكن الشك في قيمتها في ضمان الصحة، والمسلمون على حق في فخرهم بعلم الحديث". [[256]]

وعندما يلقي كاتبنا شبهة أن الإسناد أكذوبة وخرافة ، ومبني على الأهواء والعصبيات ، فإن في هذا الافتراء ما يكفى لهدم دين الإسلام جملة وتفصيلاً لعدة أسباب :
1- أن فى هذا ردا كاملا لدين الإسلام ولمصدريه التشريعيين الأساسيين: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ذلك أن كلا منهما قد نقل إلينا بإسناد فالقرآن جاءنا بالإسناد كما جاءتنا السنة بالضبط ، والفارق بينهما أن القرآن جاء كله متواتراً ، أما السنة فقد جاء بعضها متواتراً وبعضها آحاداً. يعنى أن كليهما (القرآن والسنة) يشتركان في خاصية الإسناد. ونفى الإسناد ينفى جملةً وتفصيلاً دين الإسلام
2- ترك الإسناد يؤدى إلى تدخل العقل المغلف بالهوى في أمور ليست من خاصيته ألا وهى مسألة التشريع الذي هو من اختصاص رب العالمين. وهذا ما يدندن حوله الزنادقة العلمانيون !
3- وترك الإسناد يفسح المجال للمبتدعة وأعداء الدين أن يضعوا في الدين ما شاءوا وينزعوا منه ما شاءوا. وهذا لا يخيف هؤلاء ولا يؤرقهم ، بل هو مأملهم ومبتغاهم ،
4- ترك الإسناد يجعلنا نتساوى باليهود والنصارى الذين ضيعوا كتبهم ، وحرفوا فيها ولا يستطيعون أن يصلوا في إسنادهم إلى أنبيائهم ،

[254] - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح . علي القاري (2/1...-08).
[255] - شرح شرح النخبة على القارئ ص.194
[256] - دراسات عن المؤرخين العرب .مرغليوث بترجمة حسين نصار ص30

و لذلك لما فقدت تلك الأمم هذه الوسيلة العظمى امتلأ تاريخها وتراثها بالسخافات و الخرافات ، ولا نذهب بالقراء بعيدا ، فهذه كتبهم التي يسمونها بالكتب المقدسة ، اختلط فيها الحابل بالنابل ، فلا يستطيعون تمييز الصحيح من الضعيف مما فيها من الشرائع المنزلة على أنبيائهم ، و لا معرفة شيء من تاريخ حياتهم ، أبد الدهر ، فهم لا يزالون في ضلالهم يعمهون ، و في دياجير الظلام يتيهون !

قال الحاكم النيسابورى فى معرفة علوم الحديث (جزء 1 / صفحة 6) قال : (فلولا الإسناد وطلب هذه الطائفة له وكثرة مواظبتهم على حفظه لدرس منار الإسلام ولتمكن أهل الإلحاد والبدع فيه بوضع الأحاديث وقلب الأسانيد فان الأخبار إذا تعرت عن وجود الأسانيد فيها كانت بترا كما حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب .. ثنا عتبة بن أبي حكيم انه كان عند إسحاق بن أبي فروة وعنده الزهري قال فجعل بن أبي فروة يقول قال رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ فقال له الزهري قاتلك الله يا بن أبي فروة ما أجرأك على الله لا تسند حديثك. تحدثنا بأحاديث ليس لها خطم ولا أزمة) انتهى.

وفي هذا المعنى يقول شعبة : " كل حديث ليس فيه حدثنا وحدثنا فهو مثل الرجل بالفلاة معه البعير ليس له خطام" . وفى أدب الإملاء والاستملاء للسمعانى (ج1/ ص7) بعد أن ذكر قول عبد الله بن المبارك : (الإسناد من الدين) ، قال : (..قال عبدان ذكر هذا ثم ذكر الزنادقة وما يضعون من الأحاديث ..... وقال شُعبة ابن الحجاج أبو بِسْطَام الواسطي:"كل حديث ليس فيه حدثنا أو أخبرنا فهو خَلٌّ وبَقْل " [257] .... ونظم هذا المعنى بعض شيوخنا أنشدنا السيد أبو المناقب ....

عليكم بأصحاب الحديث فإنما ******** محبتهم فرض لذي الدين والعقل

رعاة حديث المصطفى ورواته ******** لحفظهم الاسناد بالضبط والنقل

وإثناءهم ذكر النبي محمد ******** عليه سلام الله في الكتب بالعقل

فكل حديث لم يكن فيه مسند ******** إلى مسند فالخل ذاك وكالبقل) انتهى

ولذلك جاءت العبارات عن الأئمة في التشديد على التمسك بالإسناد والتزامه في الرواية واعتباره جزءاً من الدين مما يوجب على المرء أن يعرف عمن يأخذ دينه ، وقد مر بعض منها . وكانوا لا يقبلون حديثاً ورد إليهم إلا إذا أسنده صاحبه وتأكدوا من صحة هذا الإسناد مهما كانت مكانة من رواه، وعظم اهتمام علماء الحديث بالإسناد حفاظاً على سنة رسول الله ﷺ من أن تنالها يد العابثين ، أو تتطرق إليها أهواء المغرضين ، قال الإمام أبو حاتم بن حبان : " ولو لم يكن الإسناد وطلب هذه الطائفة له ، لظهر في هذه الأمة من تبديل الدين ما ظهر في سائر الأمم ، وذاك أنه لم يكن أمة لنبي قط حفظت عليه الدين عن التبديل ما حفظت هذه الأمة ، حتى لا يتهيأ أن يزاد في سنة من سنن

---

[257] - رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل ص 97 والخطيب البغدادي في الكفاية ص283.

رسول الله ﷺ ألِف ولا واو ، كما لا يتهيأ زيادة مثله في القرآن ، فحفظت هذه الطائفة السنن على المسلمين ، وكثرت عنايتهم بأمر الدين ، ولولاهم لقال من شاء بما شاء " .

وكان من ثمار تلك الجهود المباركة نشوء قواعد وأصول الرواية وتصحيح الأخبار ونقدها نقداً علمياً ، حتى عُدّت هذه القواعد من أصح قواعد البحث العلمي المتعلق بتوثيق الأخبار والنصوص ، وهي ميزة لا توجد في تراث أي أمة من أمم الأرض كلها ، بل حتى ولا في كتبهم المقدسة ، مما يعد بحق مفخرة من مفاخر هذه الأمة من جهة السبق أولا ، ومن جهة الشمولية والموضوعية ودقة النتائج ثانياً ، وهذا ما شهد به أهل الإنصاف من غير المسلمين حتى قال " مرجليوث " : " ليفتخر المسلمون ما شاؤوا بعلم حديثهم " ،

وعندما ألف أحد علماء التاريخ في العصر الحاضر كتاباً في أصول الرواية التاريخية وهو كتاب مصطلح التاريخ لمؤلفه النصراني " أسد رستم " ، اعتمد فيه على قواعد علم الحديث ، واعترف بأنها طريقة علمية حديثة لتصحيح الأخبار والروايات ، وقال بعد أن ذكر وجوب التحقق من عدالة الراوي والأمانة في خبره : " ومما يذكر مع فريد الإعجاب والتقدير ما توصل إليه علماء الحديث منذ مئات السنين في هذا الباب ، وإليك بعض ما جاء في مصنفاتهم نورده بحرفه وحذافيره تنويهاً بتدقيقهم العلمي ، اعترافاً بفضلهم على التاريخ " ثم أخذ ينقل نصوصاً عن بعض أئمة هذا الشأن .

فهل بعد هذا كله يقال إن الأسانيد لم تجد أدنى اعتناء ، وأنها كانت أمراً اعتباطياً بحيث يتسنى لمن شاء أن يختلق إسناداً وينسبه إلى من يريد لينصر مذهبه أو طائفته أو حزبه – كما يقول المستشرقون وأذنابهم – من غير أن يميز ذلك أئمة هذا الشأن الذين خصهم الله لحفظ دينه وحراسة سنة نبيه ، سبحانك هذا بهتان عظيم .[258]

ولا شك أن الناظر في علم الإسناد ، وكيف وضع علماء السنة ضوابط النقد للرجال، وكيف تتبعوهم وأحصوهم ، وكيف ضبطوا هذا العلم ضبطاً فائقاً ، يدرك كيف أن الله -سبحانه وتعالى- قد هيأ له جهابذة من الرجال كانت لهم ملكات عظمية في الحفظ والملاحظة والدقة مع الدين والتقى ، مما مكنهم من تمييز ما صح عن رسول الله ﷺ ، مما حاول الزنادقة والملحدون وأهل الأهواء ، أن يدخلوه على الإسلام مما هو ليس منه في شيء.. وهذه معجزة من معجزات هذا الدين... فكما حفظ الله القرآن الكريم بأسباب عظيمة توافرت وتضافرت على حفظه من أن يتطرق إليه أدنى خلل ، حفظ الله كذلك سنة رسوله ﷺ [259]

---

[258] - راجع : المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام – نايف الشحود / ومعجم افتراءات الغرب على الإسلام

[259] - عن مقال للدكتور : عبدالرحمن بن عبدالخالق بعنوان : الثوابت الأساسية في الإسلام

بل هو العلم بعينه

وضع الكاتب فصلا بعنوان (ليس علما _ص45) محاولا دحض مفهوم العلم عن علم الحديث وعلم الرجال ، ومضمون الفصل كله منقول باعتراف منه من صفحة أحد الحاقدين وهو «عماد حسن» ، وكلامه كله خبال وهراء ، وهو تصريح بمكنون صدورهم ، وخبث نواياهم ، فذلك هو المعهود عليهم وبربكم أين العلم وما تعريفه ، وما هو حده وأوصافه ؟ أهو خربشاتهم وهذيانهم ؟ إنه الغرور العلمي الذي غطى على كثير من المقل والعقول ، فحجب عنها الرؤية والتفكير ،

ورغم كل ذلك فليس في الكلام المنقول عن عماد ما يدعم به مسعاه وليس فيه ما يؤيد مذهبه ، ولم يأتيا معا بأي شيء يدحض مفهوم العلم عن علم الحديث ، وما يريد الكاتب قوله بل غاية براهينه ومنتهى حججه هو أن علم الحديث أخذ _أو تقمص_ له اسما لايستحقه أو لايختص به ، لأن الحديث هو القرآن ، وهذه شبهة واهية وعصا هاشة ، وقد بينا فيما سلف تفاهتها وركاكتها .

ولو شئنا الدخول معهم في بركتهم والعمل بمعاييرهم الصبيانية لأثبتنا أن (علومهم) هي التي لا تستحق أن تسمى علما ، فإذا تأملنا كلمة الإجتماع وكلمة الإحياء وغيرها ، وجدناها أبعد في استعمالها الحالي عن معناها اللغوي... فانظر ماذا ركبوا وبماذا تمسكوا ، ولكن الغريق يتمسك بعروق الطحلب ،

ونحن لا نحط من قيمة العلوم العصرية ، ولكن إن لم تكن أنانية إلحادية ، فالعلوم المعرفية والصناعية ونحوها تفتح أمامنا كتاب الكون بما حواه من أسرار العلم وعجائب المعرفة التي لا يزال يظهر منها كل يوم جديد وغريب ، ولكن إذا ما اقترنت بالشق الثاني من العلوم ، واستسلمت لسلطته وإشرافه، أما أن تستأثر بمفهوم العلم والمعرفة ، وتواجه بالقمع والإزدراء كل ما عداها ، فلتذهب علومكم إلى الجحيم ، فهي علوم مادية دنيوية محضة .

لم يجد الكاتب مايستدل به لخباله ويمثل به لزعمه إلا دليلا واهيا ومثالا في السخافة متناهيا ، قائلا انه يكفيك في تكذيب هذا الفن(أن تهمس في أذن تلميذ في بداية الفصل بجملة طويلة وتطلب منه أن يهمس بها في أذن جاره وتنظر كيف تتغير الألفاظ والمحتوى حينما تصل الجملة للتلميذ الأخير في الفصل...ص46)

مستبعدا _هو وأستاذه_ وقوع مثل هذه الظاهرة وحدوثها (لأن علم النفس وعلم الاجتماع الحديثين أثبتا أن هذه الظاهرة ليست من طبيعة البشر ولا يمكن حدوثها أبدا ...46)

ومكذبا إمكانية حفظ أحاديث النبي مدعيا أن ذلك مجرد مزاعم كهنة علم الرجال وأن ذلك أكبر أكذوبة في التاريخ (فظاهرة تناقل الروايات كما هي ليست إلا أكبر أكذوبة في تاريخ الأديان في العالم)

وللرد على شبهاته وشكوكه حول الحفظ والنقل والتوثيق وغيرها ينظر الفصل المسمى الحفظ الأسطوري ذكرنا فيه أمثلة شاهدة وصورا ناطقة .

أما الشبهة المضحكة التي مضمونها أن الحديث يطلق على القرآن، لا على غيره كما يقول بلفظه: (ولفظة الحديث لها معاني متعددة، منها ما أسلفنا في الآيات السابقة أنها تدل على كلام الله ، فهل المشتغلون بالحديث يشتغلون على كلام الله أم على كلام الرسول وأفعاله وأقواله، أم على أفعال وأقوال الصحابة والتابعين، أم ماذا؟) ص45 . فإننا قد أجبنا عنها فيما سبق وبينا أن ادعاءه لا تؤيده اللغة ولا القرآن ، وفصلنا في تلك الشبهة وإن كانت لا تستحق _لتفاهتها_ قطرة مداد ،

أما تمثيله بالهمس في أذن التلميذ.. فهو غير سليم ، ولا يعتبر دليلا للطعن في الحديث وعلومه جملة ، ذلك أن الأفهام تتفاوت والعقول تختلف في عصر واحد ، فكيف نقارن تلميذ الفصل عندنا_ الذي تختلف بيئته وحالته وتكوينه وهوايته ..الخ والذي فرضت عليه عشرات المواد إضافة إلى برنامجه الخاص ،_ برجل في (القرن النبوي) كرس كل حياته وخصص كل وقته لهذا الفن ، بعيد عن المطامع والملاهي ووتأثيرات العصر والموضة ووو ، وحتى إذا لم يقبل ما قلت من الإختلاف والتفاوت ، فما مثل به ليس حكما عاما وقاعدة مطردة ، وبتسليمنا لصحة المثال ووقوعه ، فذلك نادر وشاذ ، فإنك لتجد في كل مجموعة من التلاميذ أسماء متميزة يعرفون بقوة الفهم وسرعة الحفظ وسيلان الذهن ، وهذا لا ينكره إلا مغبون ولا يجحده إلا معاند ، وكثرما نجد في عصرنا تلميذا نابغة _أو تلاميذ_ يضرب بهم المثل في الفهم والنباهة والحفظ ، وأكثر من ذلك فما مثل به من كون الكلام يتغير من الأول للثاني .. غير مسلم كلا ولا جزءا ، ذلك أننا في حياتنا العادية نصادف بعض الأشخاص _من العامة_ قليلي الضبط أو كثيري النسيان، وعندما يبدأ أحد أولئك في سرد حكاية أو قصة يغمز البعض بعضا ، أو ترى أنه يتم تغافل كلامه وحديثه ، لماذا ؟ لأنه معلوم بقلة الضبط أو موسوم بالكذب (الزيادة والنقصان) ولذلك لا يؤبه لكلامه ، غير أن مثل هذا نادر ، فحتى في شؤوننا الإعتيادية ، وحديثنا اليومي وحياتنا العادية يتم التعامل بنفس المعايير فيشترط الصدق ويركز فيها على الضبط ، وكل شخص يؤثر عنه أنه يستهين بالحقيقة في النقل والصدق في الأخبار ينبذ كلامه ويطرح خبره ، وما أكثر الحالات التي نجلس فيها مع الأصدقاء فيحدثك بعضهم عن قصة له مع بعض خلانه أو رفقائه ، وعندما يزيد قليلا أو ينقص يقاطعه بعض الحضور ليس كذلك بل الأمر هكذا.. ، فالأشخاص الذين حالتهم هكذا موسومون ومميزون بذلك لأنهم قلائل ، أما الأكثر والأغلب هو أن الشخص يحدثك عن قصة وقعت أو حكيت له في عصر الحماية ، ولا زال يعيدها بتفاصيلها ويسردها بحروفها كما سمعتها في العام الماضي وفي أمس القريب تسمعها غدا وبعده ، وما أكثر ما يحكي لنا بعض من يكبرنا سنا عن أقوال أشخاص رحلوا منذ خمسين إلى سبعين سنة ، ولا زالوا يحدثوننا عما قالوا لفلان وما أجابهم به فلان في المكان الفلاني ، والقول يحكيه الأول والثاني والثالث دون تغيير أو تبديل ، بل إني شخصيا عشت ذلك وجربته ، ذلك أن لدي عما لي _وكان شيخا كبيرا_ قارب المأة أو ناهزها،

عندما تجمعنا مناسبة ، يحكي لنا ما حدث له مع بعض الأئمة أوبعض زملاء العمل ، وهذا في أربعينات وخمسينات القرن الماضي ، يحكي القصة أو القول بوقائعها بل بحروفها وكلماتها كما كنا نسمعها منه منذ 10 سنوات ولا زال يكررها كذلك ، وأحيانا تحتوي الحكاية على آية قرآنية أو حديث نبوي أو بيت شعري ، فيسرد كل ذلك بلفظه وإن كان في الغالب لا يفهم معناه لأنه أمي وأمازيغي ، وقد قلت له مرة بحضور عدد من الأئمة: لو كنتَ في عصر الرواية لكنت ثقة حافظا ، فقال لي كيف؟ فشرحت له المثال ، وكيف أنه يعيد الحكاية بفصولها وحروفها إلى درجة أننا نعرف بأي كلمة ينطق ومتى يسكت وأين يضحك ، الخ .. ، وأمثاله كثيرون ولا زالوا أحياء يرزقون ،

فإذا أمكن للشيخ الأمي في عصرنا أن يحكي حكاية فيها أقوال وأفعال وحركات فيها أسئلة وإجابات ، وقعت منذ ستين أو سبعين سنة ، وبعض الحكايات تستغرق إلى عشر دقائق _ يحكيها بألفاظها وأسانيدها ، وهي مجرد حكاية لايقصد منها إلا السمر والضحك ، فكيف نعد ذلك محالا في حق من أعد الزاد والراحلة وسافر شهورا من أجل تلك الحكاية أو ذلك الخبر (الحديث) ؟ وهو (الخبر) بعد كل هذا : كلام حبيبه ورسوله وأحب الناس إليه ﷺ ، لا يقصد من حفظ ذلك (الخبر) مجرد الحفظ للسمر ، أو للتباهي ، بل يعده واجبا لدينه وتقربا إلى ربه ، ويأمل منه الأجر والثواب ،

إن كلام الكاتب _ومن نقل عنه_ غير صادر من علم ومعرفة ولا خبرة وتجربة ولا يليق ببحث أو دراسة ، بل ينبئ عن حداثة أسنان وسفاهة أحلام ، ويدل على تغلغل الرويبضة في أعماق مجتمعاتنا وتصدرها في دوائرنا ، واعتلائها سطوح منازلنا ،

فالكلام كله يلخص عقلية العلمانيين وادعاءهم ، وأنهم ماديون لا يختلفون عمن نزلت فيهم آيات التنزيل ،{ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ } [الجاثية:24]، أي مرور الزمان، وطول العمر، واختلاف الليل والنهار. وقد أجابهم الله جل جلاله مبينا أن ادعاءاتهم وعقيدتهم لم تبن إلا على جهل وظن ، {وَمَالَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ} {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ} سورة النجم/23- ((وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} سورة النجم/28- ، يوما ما ستغدر بهم ماديتهم المتخبطة ، وعلمانيتهم المحيرة ، وسيفتحون أعينهم رغما عنهم لشمس الحقيقة ،

فالدين أبقى وإن طال الزمان به ، وبحوثهم واكتشافاتهم الوهمية سوف تصير في يوم ما وهما وغرورا ، وهباء منثورا ، يقول بعض المنصفين من علماء الغرب ومفكريه (آرنست رينان) : " إن من الممكن أن يضمحل كل شيء نحبه ، وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة ، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين ، بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي الذي يريد أن يحصر الفكر الإنساني في المضايق الدنيئة للحياة الأرضية ([260]) "

[260] - الدين للدكتور محمد عبد الله دراز ص 80

ويوما ما سينتهي المبشرون بالمذهب المادي إلى الحقيقة الناصعة ، وسيقعدون يلهثون بعد ما أتعبوا أنفسهم في تدعيم مذهبهم والترويج له ، فلا يكاد العلم يرفع لهم حجابا إلا ويجدون من ورائه حجبا ، ولا ينفك البحث يصل بهم إلى حقيقة إلا ويلمحون من وراء الغيب حقائق أخرى وأعظم . . . وسيستسلمون أخيرا لمن هو وراء هذه الحجب والمغيبات ، يديرها بعلمه وعلى مقتضى حكمته .

وبما أنهم ربطوا غايتهم بالدنيا، فعلمهم للدنيا وعبادتهم لمآرب دنيوية ! فإن عقليتهم المتحجرة الدنيئة لا تتصور أن يكون هناك في زمن ما رجال كرسوا حياتهم ، وأوقفوا عمرهم لفن بجهد وجد وإخلاص بدون مقابل ،

فما هو العلم ياترى ؟! وما حقيقته ؟ وما امتداده ؟ وما نفعه ؟ .. ولكن من نخاطب في الأعمى ؟ وكيف نميز له بين الألوان ؟ إن علم الحديث وفروعه أجدر بحق أن يوصف بعلم ، وأن يوسم بالدقة ، فعلماء الحديث لم ينطلقوا في توثيقهم وتجريحهم، وتصحيحهم وتضعيفهم من خواء وتخبط، وإنما انطلقوا من قواعد متينة وأرض صلبة، في أحكامهم؛ ولذلك برزت هذه الأحكام إلى الوجود في منتهى الدقة، متفقة فيما بينها، متحدة لا شذوذ فيها، منسجمة لا تباين يعتريها، ويعجز كل دعي أن ينقد ما أصلوه بنقد علمي لا مطعن فيه، وبحكم لا قادح فيه.

وهذه شهادة أحد المستشرقين أنفسهم ينقلها الدكتور نورالدين عتر في هذه المسألة وهو (ليوبولد فايس) قال: "إننا نتخطى نطاق هذا الكتاب إذا نحن أسهبنا في الكلام على وجه التفصيل في الأسلوب الدقيق الذي كان المحدثون الأوائل يستعملونه للتثبت من صحة كل حديث، ويكفي من أجل ما نحن هنا بصدده أن نقول: إنه نشأ من ذلك علم تام الفروع، غايته الوحيدة البحث في معاني أحاديث الرسول، وشكلها، وطريقة روايتها.

ولقد استطاع هذا العلم في الناحية التاريخية أن يوجد سلسلة متماسكة لتراجم مفصلة لجميع الأشخاص الذين ذكروا عن أنهم رواة أو محدثون، إن تراجم هؤلاء الرجال والنساء قد خضعت لبحث دقيق من كل ناحية، ولم يعد منهم في الثقات إلا أولئك الذين كانت حياتهم وطريقة روايتهم للحديث تتفق تماما مع القواعد التي وضعها المحدثون، تلك القواعد التي تعتبر على أشد ما يمكن أن يكون من الدقة. فإذا اعترض أحد اليوم من أجل ذلك على صحة حديث بعينه أو على الحديث جملة، فإن عليه هو وحده أن يثبت ذلك".

قال عبد الرحمن بن يحيى المعلمي : إنه قد استقر في الأذهان واستغنى عن إقامة البرهان ما للعلم من الشرف والفضيلة وأنه هو الوسيلة لرفع الإنسان في المعنى عما ارتفع عنه في الصورة من البهائم.

..ومما لا نزاع فيه أن العلوم تتفاوت في مقدار ذلك الشرف، منها الشريف والأشرف، والمهم والأهم.

ومهما يتصور لعلوم الفلسفة [و] الطبيعيات والرياضيات والأدبيات والصناعيات وغيرها من العلوم الكونيات – مهما يتصور لها من الشرف والفضيلة، والمرتبة الرفيعة – فإنها لا تداني في ذلك العلم – الذي مع مشاركته لها في ترقية المدارك، وتنوير العقول – ينفرد عنها بإصلاح الأخلاق، وتحصيل السعادة الأبدية، وهو علم الدين.

كل من كان له وقوف على الأمم والأفراد في هذا العصر، علم بحق أنه يسمى عصر العلم، ولكنه يرى أنه مع ذلك يجب أن يسمى – بالنظر إلى تدهور الأخلاق – اسما آخر. اهـ

يقول الأستاذ أحمد السرار : يقال قديما.. من جهل شيئاً أنكره، ومن جهل شيئاً عاداه، والجهل يفعل بصاحبه ما يعجز العدو عنه، فلولا منهج المحدثين الذي قام على علم الرجال، وعلم الجرح والتعديل، لقال من شاء ما شاء؛ فعلم الرجال تأسس على يد الليث بن سعد (ت175ه)، وابن المبارك (ت181ه)، وابن ربيعة (ت202ه) وغيرهم، وكل هؤلاء من جهابذة رجال العلم في زمانهم، واستمر خط التأليف والتأصيل فيه إلى القرن 9 الهجري مع الحافظ العراقي (ت806ه)، وتلميذه ابن حجر العسقلاني (ت852ه)، وبعده تلميذيه الحافظ السخاوي (ت902ه)، وجلال الدين السيوطي (ت911ه).

وعلم الرجال هو نابع من علم الجرح والتعديل، الذي تأسس على يد عبد الله بن عباس (ت68ه)، وأنس بن مالك (ت93ه) رضي الله عنهما، ومن كبار التابعين سعيد بن المسيب (ت94ه)، وبذلوا جهوداً في التأليف للحد من خطورة الوضع (وضع الأحاديث كذباً) الذي هدَّد المصدر الثاني للتشريع. فكيف ينكر صاحب كتاب "نهاية أسطورة" كل هذه العلوم التي كتب فيه العلماء تَواتُراً عبر الأجيال، والمكتبات الإسلامية تزخر بهذه المؤلفات التي يصعب عدها لكثرتها، فهذا من عجيب الأساطير التي جاء بها كتاب "نهاية أسطورة" ؟! وصدق من قال: "من تكلم في غير فنه أتى بالعجائب". اهـ

إن علوم السنة النبويّة التي وضَعها علماء السنة لنقد المرويّات قد بلغت في كثرتها ودقّتها مبلغاً أدهش كل من تعرّف عليها، حتى من غير المسلمين الذين اطّلعوا على بعض جوانب عظمتها، وبالغ موضوعيّة منهجها النقديّ، وقوّة وسائله في التحرّي والاحتياط للسنة. وقد شهد كبار المستشرقين للمحدثين بضبط الفن ودقة المنهج وعمقها وصدق نتائجها ، وقد سبق الإشارة إلى قول بعضهم .

أقول : قد لا يوافقنا البعض في تعاريفنا وتوجهنا ، وخاصة الماديين ومن تأثر بالعقلنة والعصرنة .. ولكنه معذور ، فالنظارات هي التي تعطي اللون للمنظور ، لكن حالهم كما قال الناظم :

فعابوا أموراً يعلم الله أنهم أحق بها وصفاً وأولى بعيبةِ

فواحدهم يلقي الكلام مجازفاً على حسب ما يأتي بغير رويةِ

قال الشيخ السعدي رحمه الله: فأمور الغيب التي تتوقف على أخبار الرسل ووحي الله وهدايته العامة والخاصة أبطلها هؤلاء الملاحدة ، إذ ضيقوا دائرة المعلومات جدا في مدركات حواسهم، .. ومن المنكر والزور تخصيصهم علومهم القاصرة باسم العلم فحيث أطلقوا العلم أرادوا به علوم الفلسفة وما نتج عنها ونفوا العلم عما سواها وهذا من باب المكابرات وقلب الحقائق وإلا فالعلم الحقيقي الذي أثنى الله عليه في كتابه علوم الرسل وهداية الوحي المنزل من عند العليم الخبير، وما سواها فإما علوم ضارة وإما قليلة النفع وإما نافعة في أمور الدنيا دون أمور الدين.

(يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) الروم/7 .

إن ملاحدة الفلاسفة وزنادقة الدهريين هم أكبر أعداء الرسل في كل زمان ومكان وهم شرار الخلق الدعاة إلى الضلال والشقاء، فإنهم تصدوا لمحاربة الأديان كلها وزين لهم الشيطان علومهم التي فرحوا بها واحتقروا لأجلها ما جاءت به الرسل {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} وكأن الآية الكريمة تجيب صديقنا الصحفي ومن لف لفه ، حيث أنكروا أن يكون علم الحديث علما ، وقصروا العلم على بضاعتهم والعمل على سلوكهم ،

قال في مقدمة (توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار) : .. ولا ريب أن علم الحديث من أشرف العلوم وأفضلها لأنه ثاني أدلة علوم الإسلام ومادة علوم الأصول والأحكام ، لا يرغب في نشره إلا كل صادق تقي ولا يزهد في نصره إلا كل منافق شقي ،. قال أبو نصر بن سلام :

وليس شيء أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته وإسناده.

وقال ابن تيمية رحمه الله: العلم الموروث عن النبي ﷺ هو الذي يستحق أن يسمى علماً، وما سواه إما أن يكون علماً فلا يكون نافعاً، وإما ألا يكون علماً وإن سُمِّي به، ولئن كان علماً نافعاً فلا بد أن يكون في ميراث محمد ﷺ ما يُغني عنه مما هو مثله وخير منه. انتهى. (الفتاوى 664/10.)

وصدق القائل :

العلم قال الله قال رسوله / إن صح والإجماع فاجهد فيه

وحذار من نصب الخلاف جهالة / بين النبي وبين قول فقيه

ولله در القائل –رحمه الله تعالى:

العلم ميراث النبي كذا أتى / في النص والعلماء هم ورائه

فإذا أردت حقيقة تدري بمن / ورائه فكرت ما ميراثه

ما خلف المختار غير حديثه / فينا فذاك متاعه وأثاثه

فلنا الحديث ورائه نبوية / ولكل محدث بدعة أحداثه

رجال لم تحكمهم العصبية ولا الأنانية

وهدفهم المتن لا السند

إن رجال الحديث –وكما أسلفنا– هم أزكى الرجال وأطهرهم ، فلم يجد الزمان بمثلهم ولا عرفت أمة من الأمم مثل فنهم ، لأنهم يعملون لله ، ولدينه وكتابه ، ولهذا يستحيل أن يكون علمهم وفنهم مبنيا على العصبيات ، ولا يقبل ذلك عقل سليم ولا منطق قويم ، وما وضعه أولئك العلماء من قواعد وأصول ثابتة لتوثيق الرواة وتضعيفهم والطريقة التي يعملون بها ينفي ما قاله المتقولون وافتراه المفترون ، فلم ينطلقوا رحمهم الله في تعديل الرواة وتجريحهم من هوى، وإنما كانوا يفعلون ذلك حسبة لله وتدينا، ولذلك كثر قولهم : "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم".

لقد تكلف الكاتب افتراضات واصطنع ترهات للطعن في علم الرجال ، فادعى هو وأستاذه شحرور أن علم الرجال أكذوبة وعلم خرافة ، وأنه مبني على العصبيات والمذهبيات ، والشائعات ، قائلا : **إن «علم » الرجال انصب على دراسة رجال الحديث دون النظر في المتن –وهو الأهم- فبدأوا يجرحون على هواهم، متأثرين بالعصبية المذهبية، وبالشائعات أحيانا**، 51

آتيا بقول الذهبي في ترجمة الذهلي ، ظانا منه أنه أتى بدليل قاطع على أن هذا العلم تحكمه أهواء الرجال وتسيطر عليه العصبيات والحزازات ، ولم يدر أن استدلاله هو نقيض قصده ، وأن قول الذهبي هو مدح للبخاري وليس ذما في حقه ، حيث قال : (روى عنه خلائق، منهم:... ومحمد بن إسماعيل البخاري، ويُدلسه كثيراً!!!، لا يقول: محمد بن يحيى!! بل يقول محمد فقط !! أو محمد بن خالد!! أو محمد بن عبد الله، يَنسبهُ إلى الجدّ، ويُعَمِّي اسمه، لمكانِ الواقع بينهما !!! غفر الله لهما) ص 57 . فيكثر من علامات التعجب بين ثنايا حديثه ، وكأنه ظفر ببرهان دامغ على صدق ما ادعاه ،

فالتدليس الذي أشار له الذهبي هنا ليس المراد به التدليس الإصطلاحي ، وليس من التدليس الذي يقدح في الرواية ، فالتدليس هو: سياق الحديث بسند؛ يوهم أنه أعلى مما كان عليه في الواقع.

وينقسم إلى قسمين: تدليس الإسناد، وتدليس الشيوخ.

فتدليس الإسناد : أن يروي عمن لقيه ما لم يسمعه من قوله أو يره من فعله، بلفظ يوهم أنه سمعه أو رآه مثل: قال، أو فعل، أو عن فلان، أو أن فلاناً قال، أو فعل، ونحو ذلك.

وتدليس الشيوخ : أن يسمّي الراوي شيخه، أو يصفه بغير ما اشتهر به فيوهم أنه غيره؛ إما لكونه أصغر منه، فلا يحب أن يظهر روايته عمن دونه، وإما لأن البعض يضعفه ، وإما ليظن الناس كثرة شيوخه، وإما لغيرهما من المقاصد.

قال يوسف سمرين : والبخاري لم يفعل هذا ليستكثر، فشيوخه كثر، وليس الذهلي بضعيف حتى يخشى من هذا، ولم يوهم أنه سمع حديثا ليس منه، فلا تشنيع في كل هذا وليس هو التدليس الاصطلاحي، وإنما كان هذا لما بين البخاري والذهلي، وهذا وإن ذكره الكاتب في سياق ذم، فهو المدح على التحقيق، حيث إن البخاري وإن أخطأ عليه الذهلي، ورماه بما ليس فيه، فإن البخاري لم يسقط رواية الذهلي لحق نفسه، وكان قادرا أن يرميه بالضعف، فعلم أن هذا الكاتب لا يدري ما ينقله، حيث إنه ينقل واحدة من مناقب البخاري من حيث لا يريد.[261]

فلو كانت تحكمهم العصبيات والأهواء لما روى بعضهم ممن يعاديه أو يكيد له ، ولما ثبت عكس ذلك وهو حصول الرواية والتحديث علمنا أن أولئك لا يقدمون حق نفسهم على حق الدين والعلم ، ولا يعيرون بالمعايير التي نعرفها، رغم ما بينهم مما يعم جنس الإنسان وما يلحقهم من نزغات الشيطان ، لأنهم _في كل حال_ آدميون غير معصومين .

أما ادعاؤه (ان «علم » الرجال انصب على دراسة رجال الحديث دون النظر في المتن –وهو الأهم- 51)

وقوله: إن علم الرجال يعني ببسا ـة أن المحدثين يستدلون على الحقيقة بالرجال، ويهتمون بمن قال أكثر مما قال،

فهي عبارة أخذها بلفظها وحروفها وبلا عزو عن صاحب كتاب "جناية البخاري" ص، 19 ، وهي كذبة مفضوحة وأغلوطة فادحة ، يكذبها كل مبتدئ في الفن فضلا عن المتمرس ،

وهذه الشبهة كما قلنا إنما نقلها عمن سبقه من المشككين كأبي رية وأوزون وغيرهما، فقد سبقوه إليها.

وفي هذا يقول "أبو رية : "والمحدثون لا يعنون بغلط المتون ، ويقولون متى صح السند صح المتن" .

مع أنه من المعلوم الواضح لدى كل من له أدنى معرفة وإلمام بهذا العلم ، أن المحدثين لم يألوا جهداً في نقد المتون والكشف عنها كما فعلوا تماماً في الأسانيد ، فعندما عرَّفوا الحديث الصحيح اشترطوا لصحته خلوه من الشذوذ ، وسلامته من العلة القادحة ، وبينوا أن الشذوذ والعلة تقدحان في المتن كما تقدحان في الإسناد ، ومن ثم قرروا قاعدتهم المعروفة وهي أنه <u>لا يلزم من صحة الإسناد صحة المتن</u> ، فقد يصح إسناد حديث مَّا ، مع أن في متنه علة قادحة تقدح في صحته ، أو يكون هذا المتن شاذاً مخالفاً لما روي عن الثقات الأثبات ، مما يؤكد على أنهم لم يُغْفِلوا متن الحديث وهم يبحثون شروط الأحاديث المحتج بها.

لقد صدق من سمى رجال الحديث ب "حراس الحدود". فهو الوصف المطابق والتعريف الصادق ، ولذا لا غرو أن تتجه نحوهم كل النبال ، فلا دخول لحمى الحديث إلا بتصفية أولئك العظماء، والوطء على أجسامهم، وأنى لهم ذلك ، فمُنزل القرآن –جل جلاله– هو الذي اصطفاهم لتلك الخدمة ، وحق أن يحفظ تراثهم ويذوذ عن حماهم كما سخروا حياتهم له ولدينه ،

[261] - بيع الوهم ص 57

حرب المرويات وأسباب الوضع

ذكر الكاتب في فصله المعنون ب (حرب المرويات) [ص34] جملة من وقائع وأخبار تدل على نوع من الفخر والتعصب للعرق والأنساب والآراء ، والمقاتلة من أجلها ، وفَهم من بعضها نوعا من التعصب والعرقية ، وبعض قوله صحيح في ذلك ، لكن ليس بالطريقة التي يريدها ، ولا بالصورة التي ذكرها ، أما في كتب الشيعة فحدث ولا حرج ، عن أخبار ومرويات واعتقادات وسلوكيات لا يقبلها العقل ولا النقل ولا الفطرة ، وبما أن الكاتب يريد الطعن في السنة في شخص أميرها الإمام البخاري وإنهاء أسطورته ، فلا يعقل أن يوظف في استدلالاته دسائس الرافضة وانحراف الشيعة ، واختلاقاتهم وأساطيرهم ، في غرضه ذاك ،

صحيح ظهرت طوائف ومذاهب ، اختلقت أحاديث ونسبتها للرسول الكريم ، إما نشرا لبدعتهم ، أو انتصارا لمذهبهم وموقعهم السياسي ، أو انتقاما من الخصم ، أو حقدا على الإسلام ،

وقد عد أهل الإختصاص أسبابا متنوعة لوضع الحديث وأحاطوا بأوجهها ودوافعها ، منها :

1- الخلافات السياسية ، وقد كانت الشرارة الأولى لهذه الخلافات بعد مقتل عثمان رضي الله عنه .

2- الخلافات المذهبية ، فقد أدّت الخلافات المذهبية إلى وضع الأحاديث ، حتى إن رجلاً كان من أهل الأهواء ثم تاب فقال : كنا إذا اجتمعنا فاستحسنا شيئا جعلناه حديثا.

3 - الزندقة والطعن في الإسلام ، فقد أدرك الزنادقة وأعداء الدين أن قوة الإسلام لا تُقاوم ، فلجئوا إلى وضع الأحاديث التي تُنفّر الناس من الإسلام ، وتُشكك المسلمين بدينهم .

4 - القصص والوعظ ، فقد كان لديهم حرص شديد على ترغيب الناس أو ترهيبهم ، فما يجدون من يتحرّك إلا إذا وضعوا لهم الأحاديث في ذلك .

5 - الترغيب والتذكير ، فقد وضع أحد الوضاعين - وهو ميسرة بن عبد ربه - حديثاً في فضائل سور القرآن ، ولما سُئل عن ذلك قال : رأيت الناس انصرفوا عن القرآن ، فوضعتها أرغّب الناس فيها !

6 - التكسّب وطلب المال ، فيضع الوضّاع الحديث الغريب الذي لم يسمعه الناس ، ليُعطوه من أموالهم

7 - العصبية للجنس والقبيلة أو اللغة والوطن ، فقد وُضِعت الأحاديث في فضل العرب ، (ولكن ليست كلها) ، وفي فضل بعض البلدان أو ذمّهم ، ونحو ذلك .

8 - التقرب للحكام والسلاطين ! بما يوافق أهوائهم ، كما فعل غياث بن إبراهيم النخعي الكذاب ، عندما وضع حديثاً في فضل اللعب بالحَمَام !

9 – المصالح الشخصية أو قصد الانتقام من شخص أو فئة مُعيّنة ، فقد جاء ابنٌ لسعد بن طريف الإسكاف يبكي ، فسأله عن سبب بكاءه ، فقال : ضربني المعلّم . فقال سعد : أما والله لأخزينهم ! ثم وضع حديثا قال فيه : معلموا صبيانكم شراركم ...

10 – قصد الشهرة ، والتميّز على الأقران ، وهذا ما يفعله الذين يُريدون أن يُذكروا بعلوّ الإسناد ، أو كثرة الشيوخ ونحو ذلك ، فيُركّبون بعض الأحاديث ويضعونها لأجل ذلك .

وبسبب ذلك ولكل أولئك انبرى ذلك الجيش المخلص من رجال الحديث وعلومه ، للغربلة والتمحيص والتصفية والتدوين ، فعندما رأى علماء الأمة أن أهواء الناس وأحقادهم تطاولت حتى بلغت حد الكذب على رسول الله ، واختلط الصحيح بالمكذوب ، شرعوا بتدوين الحديث. ولم يقولوا : نتركه ونأخذ بالقرآن وحده لأنه هو الصحيح الورود قطعا ، أما الحديث فقد اختلط فيه الصحيح بالضعيف والموضوع،! وإنما كانت لهم همم أكبر من ذلك ، فما كان منهم إلا أن عكفوا على دراسة الحديث من حيث المتن والسند ، فاستخلصوا الأحاديث الصحيحة وأثبتوها ، وتركوا الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وحذروا منها ، ونبهوا على مواطن العلة فيها.

وهكذا قيضَّ الله سبحانه لهذا العلم علماء شمروا عن ساعد الجد، وصرفوا جُلَّ أوقاتهم، فتتبعوا أحوال الرواة، ووضعوا قوانين الرد والقبول، ورحلوا في البلاد؛ ليبينوا الطيب من الخبيث، ويميزوا الصالح من الفاسد، ويقيموا الصحيح من السقيم؛ فذادوا بعملهم هذا عن حِمَى الحديث ، ودفعوا عنه وضع الواضعين، وتحريف المحرِّفين، ومغالاة الغالين،. وبذلك تحقق وعد الله في حفظ هذه الشريعة، وحمايتها من كل ما أصاب غيرها من الشرائع، من عوامل التحريف والبطلان .

وبهذا لم يبق من آثار أصحاب تلك النيات الملوثة والأغراض الخبيثة (من الأصناف العشرة الذين بيناهم أعلاه) إلا أقل القليل ، فوصلنا هذا (التراث) _ بفضل رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه_ نقيا زكيا لا يشوبه أي شيء من أدران أهل الأهواء ،

فهؤلاء الوضاعون للأخبار والكذابون على الرسول والمتربصون بالدين ، لم يُترك لهم الحبل على الغارب ليعبثوا في الحديث النبوي كما يشاؤون ، ولم يترك لهم المجال لأن يندسوا بين رواة الأحاديث النبوية الثقات العدول دون أن يُعرفوا ، بل ضبطوا وفضحوا وأزيل ما ألحقوه من من ضرر.

وإلا فمن ذا الذي _إذن_ كشف كذب الكفرة الحاقدين والزنادقة المارقين وغلاة المبتدعين ؟. ومن الذي عرف بأسمائهم وحقائقهم وسيرهم ؟

ومَن الذي عرّف بالموضوع ، وبأسبابه ، وبأصنافه ، وبعلاماته ، وصنف فيه المصنفات المتعددة ؟.

لكن الزنادقة الطاعنين وأهل الأهواء المتربصين في عصرنا راموا_مرة أخرى_ صرف الناس عن هذا الدين بتكرار أساليب من مضوا وبتشكيكهم في دينهم ، ولن ينالوا إلا خزيا وخسارا ،

وإذا حققنا وسلمنا بأن هناك أشخاصا وفئات أو طوائف وجهات ، عمدت إلى وضع أحاديث للدوافع والأغراض التي ذكرنا ، فإن هذا لا يعني _بتاتا_ أن كل ما في تلك الكتب (كتب الحديث) مختلق موضوع وله حكم واحد ، بل لم يسطر في تلك الكتب من ذلك إلا القليل ، وذلك القليل نفسه تعرض للتمحيص والتدقيق والغربلة والتحقيق ، فظهر بفضل الله ذلك القليل من الضعيف وامتاز من الصحيح ، ولم يعد هناك ما يمكن أن يتخذ سلما للطعن في هذه الكتب ومضامينها ،

واتخاذ ضلالات الشيعة مركبا وتراثها المغشوش مطية في هذا الباب لا يدل إلا على إفلاس الكاتب في بحثه ونفاذ ترسانته (المستعارة) من الطعون والشبهات ،

والأحاديث التي اتخذها الكاتب مطية وجعل منها معولا ، قد أجبنا عنها في بابها المخصص لها وبينا سقم فهم مثيريها وفساد نية مدعيها ،

ولا يسعنا إلا أن نقول للكاتب

فكيف تقيك من برد خيام ؟ ** إذا كانت ممزقة الرواق

أنصار الحديث يوافقون الحديث والقرآن

سعى الكاتب كعادته ليلبس ويوهم وينتقص كذبا وبهتانا ، فاتهم أولئك العظماء من رجال الحديث بمخالفة القرآن عن هوى وأنانية ، واستعمل كل ألفاظ القدح والشتم ضدهم ، وهذا لدليل على أن الشعارات التي يلوكون بها ألسنتهم ما هي إلا (زركشة كزركشة) على جبهة حية ، فلم يتمالك نفسه ولم يكتم حقده ، ولم يتذكر أن هذا سماه بحثا ، وأنه سبق أن دعا هو ومن يناصره للرد بالأسلوب العلمي بعيدا عن الشتم والقذف ، ولعل السب والقذف لا يعد عيبا أو شتيمة إلا إذا وجه إليهم ، أما عندما يصدر منهم فهو العدل والقسط ، وليحذر أحد أن يسيء فيهم الظن ، ولكنا نعلم أن الآنية لا تنضح إلا بما فيها ، فوصف العظام بقوله [يطلعون بوجوههم الوقحة . ص21] وأي وقاحة وسوء أدب أكبر من هذه ؟ ثم يطلق العنان لمخيلته وهواه فيدعي زورا وبهتانا أن أهل الحديث يقدسونه ويقدمونه على القرآن ، فيفتري ويضخم الفرية قائلا : [لكن في الواقع العملي التطبيقي نجد أنها الأولى، وكتاب الله لديهم تابع لها خانع!. ص21] أي أن القرآن يجب أن يَتبع ما يروونه ويصطنعونه ، إلى آخر كلامه الذي كله افتراء وتدليس وإيهام وتلبيس ، فأهل الحديث لصدقهم وأمانتهم رووا الأحاديث التي تحث على الكتابة والتبليغ ورووا أخرى تدل على المنع ، وبينوا الراجح والصواب ، وعملوا به يقينا وإخلاصا ، ولم يتستروا على الأحاديث التي تخالف رأيهم أو تعاكس منهجهم ،
إن هؤلاء الشيوخ فهموا لماذا تأخر التدوين _إن كان هناك تأخر_ ، ولم يستشكل عليهم ذلك ولم يحيرهم لأنهم أقرب إلى عصر نبيهم وأعلم بدينهم ، فتلك غايتهم وذلك تخصصهم ، أما الشكوك والسؤالات والإستفهامات فهي تخصصكم ومجمل علمكم ،

وبما أن المستعرض الذي يستعين به سهل عليه الإحاطة بجميع ما روي في فضائل القرآن ، فقد طبق صيغة (كوبي كولي) ولصق كل ما حددته الفأرة ، بغير داع ولا مسوغ لكل ذلك إلا ليملأ الصفحات ، أما من يطعن فيهم من أهل الحديث ، فهم أهل قرآن وسنة وصيام وقيام وتطوع وتهجد ، صوامون بالنهار قوامون بالليل ، يختمون القرآن عشرات المرات في الشهر ، إضافة إلى وردهم من النوافل والأذكار، بل يستغربون ويستنكرون على طالب علم أن لا يكون له ورد بالليل من القيام والقراءة ،[262] ولعل الكاتب الذي ينتقصهم ويفتري عليهم لم يختمه قط ولو مرة في حياته ، ولا عرف أسماء سوره ، بل إن أولئك جعلوا للحديث زكاة فرضوها على أنفسهم [263] فهم يروون ويفهمون ويطبقون ، ثم يتهمهم

[262] ـ انظر كتاب : الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي

[263] ـ كنا بباب بشر بن الحارث فخرج إلينا فقلنا : يا أبا نصر ، حدثنا ، فقال : « أتؤدون زكاة الحديث ؟ قال : قلت له : يا أبا نصر ، وللحديث زكاة ؟ قال : نعم ، إذا سمعتم الحديث فما كان في ذلك من عمل أو صلاة أو تسبيح استعملتموه »

أنهم لا يقيمون لهما وزنا ، يقول (ص24) (الغريب أن نفس رواة هذه الأحاديث هم الذين لا يقيمون وزنا لكتاب الله)، (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا) وهم في حقيقة الأمر قرأوا القرآن وطبقوه وعملوا به ، ودرسوا الحديث وفقهوه وأنزلوه منزلته ، ولولا ذلك ما حدثوا ولا درسوا ولا رحلوا من بلد لبلد لطلب الحديث ،قال ابن المسيب : « إن كنت لأغيب الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد » ويقول الضحاك: حق على كل من تعلم القرآن أن يكون فقيهاً .
تجد أحدهم يقطع الفيافي الطويلة والمفاوز الخطيرة ، ويجوب البلاد شرقاً وغرباً في طلب حديثٍ واحدٍ ليسمعه من راويه . فمنهم من يكون الباعث له على الرِّحلة طلب ذلك الحديث لذاته . ومنهم من يقرن بتلك الرغبة سماعه من ذلك الراوى بعينه ، إما لثقته في نفسه ، وصدقه في نقله ، وإما لعلو إسناده ، فانبعثت العزائم إلى تحصيله ، وأفنيت أعمار في سبيل ذلك.

إن أصحاب الوجوه الوقحة كما وصفت فهموا من القرآن الكريم الحث على المبادرة إلى التفقه[264] فسعوا إلى حفظه وتحفيظه وإتقان تلاوته، ثم يلحقون أبناءهم بحلقاته منذ الصغر ، ويقدمون الاهتمام به على غيره من سائر العلوم فإذا ما أتم المتعلم ذلك، شرع في طلب الحديث[265] ومعرفة الخلاف في المسائل الفقهية ، ثم سائر العلوم الأخرى بحسب ميوله وقدرته ،
الأمر الذي مكّنهم من دقة الحفظ وحسن التفقه ، ومنحهم المهارة اللازمة ، فأبدعوا وكتبوا المؤلفات الكثيرة الغزيرة ، وأورثوا الأمة تراثاً فقهياً ضخماً لا زال أهل العلم والمشتغلون بالفقه يردونه ، ويلتقطون أطايبه وينهلون منه الآراء الناضجة والاجتهادات الفائقة ، والقواعد المحكمة، ويتطلبون فيه ما يُعينهم على الإجابة عن النوازل المستجدة، والمسائل الشائكة ، وحل المشكلات المستعصية ، وتلمس سبل النجاح في الحياة ، فكانت هذه المؤلفات بحق معيناً لا ينضب ، وكنزاً لا يفنى، ومنجماً علمياً لا يخفت بريقه وتألقه.
وكشفت عما كان عليه سلف هذه الأمة من وعي وإدراك وتبصر وقدرة على فهم الواقع، واستشراف للمستقبل ، درؤوا به عن الأمة فتنة الانفلات الفقهي قروناً طويلة، وعصورا طويلة ، حتى إذا طال الأمد أصبح لهذه الفوضى دعاتها ومسوقوها باسم شعارات مختلقة وأسماء براقة .
فما يريد منا العقلانييون هو أن نكتفي بقراءة ألفاظ القرآن وترديد بعض آياته على الأموات دون فهم معناه ، ولا السعي لتطبيقه ، وذلك ما سيقع لولا تراث الحديث ، فهم الآن عندما يدعون لإلغاء

---

[264] أمر الله تعالى المسلم أن يلتحق بركب الفقهاء ، وأن ينضم إلى سلكهم ، وينخرط في سبيلهم؛ ليكون منهم وفي معيّتهم ما أمكنه ذلك، قال سبحانه: { وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ } [سورة آل عمران: 79].
ثم تأتي الدعوة إلى الخروج في طلب الفقه والنّفرة إليه، ومفارقة الأهل والوطن من أجله لتحيي في المتعلم الرغبة فيه ، وتُوقد الحماس في نفسه ، وتذلل الصعاب في طريقه، قال تعالى: { فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ }
[265] قلت لحماد بن زيد : يا أبا إسماعيل هل ذكر الله عز وجل أصحاب الحديث في القرآن ؟ فقال : « بلى ، ألم تسمع إلى قوله : (ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) فهذا في كل من رحل في طلب العلم والفقه ، ويرجع به إلى من وراءه ، يعلمهم إياه »

النصوص ، أو تأويلها حسب هواهم ومصالحهم ومخططاتهم يصطدمون بالحديث ، فلذلك رأوا أنه يجب إماطة أذى الحديث من طريقهم ، ليتسنى لهم التلاعب بالدين كما يحلوا لهم وكما تملي لهم شياطينهم ،! لقد بذل هؤلاء الأئمة أعمارهم في الحفاظ على سنة رسول الله، أما هم فيريدون، بخبث إجرامى مكشوف مفضوح، أن يهدموا السنة النبوية توصلا بهدمها إلى هدم القرآن والإسلام كله ،

إن أنصار الحديث قد اجتمعت فيهم كل خصال الإيمان وأعلى مراتب الإحسان ، لا يبتغون بعملهم رياء ولا سمعة ، ولا يريدون جزاء ولا شكورا ، ضمتهم القرون المفضلة ، وشملتهم التباشير النبوية وفاضت عليهم المنح الإلهية ، أفيمكن لهؤلاء أن يكونوا أسارى لغرائزهم وعبدة لأهوائهم ،؟

وقد وقفت على حديث بأكثر من عشر طرق وروايات عن النبي ﷺ أنه يقول : **(من حفظ على أمتي أربعين حديثا مما يحتاجون إليه من الحلال والحرام كتبه الله تعالى فقيها عالما)**

وفي لفظ "**من حفظ على أمتي أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما**" [266]

وقد كان السابقون من الأئمة والعلماء ، يعظمون أهل الحديث ويقدمونهم على غيرهم ويحثون على ملازمتهم والأخذ من معينهم ، ويمعنون في تعظيمهم وتبجيلهم ،

ولذلك كان الشافعي رحمه الله يوصي بالحديث وبأصحاب الحديث، فيقول: "عليكم بأصحاب الحديث، فإنهم أكثر صواباً من غيرهم"

لأنهم حراس حدود الدين وورثة نبيهم في علمه وميراثه ، فكانوا في غاية الطهر والنقاء والورع والصفاء ، وكانوا في قمة الضبط والتثبت والإحتياط ،

فكانوا لا يأخذون الحديث من متهم ولو كان أعظم وأقرب الأقربين ، وفي المقابل يقتلون في أنفسهم كل أوصاف الأنانية وعزة النفس من أجل أخذ الحديث ولا يقدمون شيئا على كلام الله وكلام رسوله ، وكانوا كثيرا ما يبالغون في الاحتياط ، من أجل كلام رسول الله ﷺ حتى قيل لشعبة: لم تركت حديث فلان؟ قال: رأيته يركض على برذون . وقال جرير: رأيت سماك بن حرب يبول واقفا فلم أكتب عنه. وقيل للحكم بن عتيبة: لم لم ترو عن زاذان؟ قال كان كثير الكلام. و كانوا من الورع

---

[266] عند الخطيب البغدادي "من حفظ على أمتي أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما" . "عد" في العلل - عن ابن عباس عن معاذ؛ "حب" في الضعفاء - عن ابن عباس؛ "عد" وابن عساكر من طرق عن أبي هريرة؛ ابن الجوزي عن أنس.
"من حفظ على أمتي أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله فقيها وكنت له يوم القيامة شافعا وشهيدا" . الشيرازي في الألقاب، "حب" في الضعفاء، وأبو بكر في الغيلانيات ، "هب" والسلفي وابن النجار - عن أبي الدرداء؛ ابن الجوزي في العلل - عن أبي سعيد.
"من حفظ على أمتي أربعين حديثا ينتفعون بها بعثه الله تعالى يوم القيامة فقيها عالما" . ابن الجوزي - عن علي.
"من حفظ على أمتي أربعين حديثا من أمر دينها فهو من العلماء وكنت له شفيعا يوم القيامة" . الديلمي - عن ابن مسعود وعن ابن عباس.
"من ترك أربعين حديثا بعد موته فهو رفيقي في الجنة" . الديلمي وابن الجوزي في العلل - عن جابر بن سمرة.
"من حمل من أمتي أربعين حديثا فهو من العلماء" . ابن النجار - عن ابن عباس.
"من حفظ على أمتي أربعين حديثا ينفعهم الله تعالى بها، قيل له: أدخل من أي أبواب الجنة شئت" . أبو نعيم في الحلية وابن الجوزي - عن أبي مسعود.

وعدم المحاباة على جانب عظيم، حتى قال زيد بن أبي أنيسة: أخي يحيى يكذب. وقال أبو داود: ابني عبد الله كذاب. وروى علي بن المديني عن أبيه، ثم قال: « وفي حديث الشيخ ما فيه ».

ولو ذهبنا لاستقراء ما قيل في الموضوع وسرد كل ما جاء في ذلك من أقوال و أخبار ، وحكايات وآثار ، لتطلب أسفارا ومجلدات ، وهي معلومة في مواضعها واضحة لمريديها ،

ثم يتمادى الكاتب في منهجه في التضليل وتقرير البهتان ، وينسب كل إجرام للحديث ، فيتهم الحديث بأنه من صنع داعش ، ولو لم تكن هذه الكمية من الأحاديث ما ظهرت داعش ، ثم يقول عن الأحاديث (ما زالت أُمتنا تدفع ثمنها غاليا إلى يومنا هذا 25) وهذا فهم بالمقلوب غباء وجهلا أوقلب للحقائق زورا وبهتانا ، فداعش قبل كل شيء ، الجميع يعلم من صنعها واختلقها ، ومن يدعمها ، ومن يستغلها ، وفي مصلحة مَن وجودها وانتشارها ، ثم إذا سلمنا بانطلاق داعش من النصوص الدينية ، فعكس ادعاء الكاتب هو الصحيح ، فهم يستدلون بالآيات القرآنية مجردة من أدنى فهم أو تمحيص ، والعلماء يردون عليهم بالحديث ، وبآيات القرآن بفهم سلف الأمة ، وخطؤهم أنهم إنما فهموا القرآن من قاموسهم الخاص ، دون الرجوع إلى فهم السلف من العلماء الراسخين و الفقهاء والمحدثين، فجهلهم بالقرآن وتفسيره والحديث وعلومه هو من أوردهم المهالك ، وأقصد بكلامي مَن صدق أفكارهم ، واعتنق منهجهم ، وانخدع بخطابهم المنمق وبضاعتهم المغشوشة ، أما رؤوسهم وقادتهم فلهم حكم آخر ، لا يجدر بنا الإنجرار خلف ذيوله ، والدخول في تفاصيله ،

جناية أعداء الحديث

يعود الكاتب لما أمضاه فيلعق ما تفله ، ويكرر ما رسمه ، وقد هيجنا بالغثيان ودوخنا بالدوران ، وهكذا حال من يطمع في سراب ، ويدعي بياض الغراب ، فأعاد الفصول والعناوين ، وكرر العبارات والمضامين ، ومن أين يقطف المعاني والعبارات ، وهمه كله في ملء الصفحات ، انقضت الشبهات فأوقف الباء لتكون ألفا ، وأنى للعدو أن يكون حليفا ، وأنى للربيع أن يجعل خريفا ،

أراد اغتيال الحق ودفنه ، وتتويج الباطل وتمليكه ، وهذا حال التائهين وهكذا ديدن المتخبطين ،

لقد ظهر للعميان مكرهم ، وفهم الأميون رموزهم ، فانظروا من يتباكى على هجر القرآن ،!!

بكى الذئب على موت النعجة واتهم الرعاة بقتلها ،!! ذاك ما يفسر ندبهم ويمثل به بكاءهم أو تباكيهم على هجر القرآن ، إن سعيهم لإزاحة الحديث من طريقهم ، بادعاءات وتأويلات فيها سخف ظاهر وكفر صريح، وإن خفي على عقول بعض الأغمار الجهلة، فلن يجد إلى قلوب عقلاء المسلمين سبيلاً، ولن يلقى من نفوسهم رواجاً ولا قبولاً،

إنهم يقولون إن الحديث الذي به نطق الرسول ، وبين به الكتاب ، هو الذي تسبب في هجر القرآن وإسقاطه ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ، ولو سكتوا لكان خيرا لهم ،

هم الجناة ورب الكعبة ليس الحديث ، هم العدو فاحذرهم ، عدو القرآن وعدو الحديث وعدو الإسلام وعدو السلام ، إنهم يريدون أن يرفع الحديث ويفصل عن القرآن ، ليلعبوا به كما يحلو لهم ويوافق أهواءهم وشياطينهم ، فاخسئوا يا بني علمان ولا تكلمون ، فأنى لجماجمكم أن تدرك روح الإسلام ، ولا أن تستوعب معنى الحديث والقرآن ، وقد تحقق تنبؤ الرسول فيكم ألا ساء ما تزرون ،

ها هو ذا قد أعاد نفس القول والشبهة في صفحة 61 بحديث عائشة حول الرضعات ، ولعله لم ينتبه أنها مرت في بعض صفحات دفتره ، فاعتماده على المواقع والمنتديات ، وقصر باعه في الفن ، جعلت منه حاطب ليل ، فاختلط لديه الحابل بالنابل ، وهذا هو البحث الغلمي وإلا فلا ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ،

إذا كان غير الله للمرء عدّةً ... أتته الرّزايا من وجوه الفوائد

وإذا كان أهل السنَّة –حسب ادعائه– هم الذين يطعنون في القرآن ولا يريدونه ، فمَن ذا الذي يأخذ بالقرآن غيرهم ومن ذا الذي يريده سواهم، ومن الذي يقدسه خلاهم ،؟ أهم الشيعة الذين يقولون بتحريفه ؟ أم الحداثيون والعلمانيون الذين يدعون لإلغاء أحكامه وإبعاد نصوصه ؟ أم الزنادقة الذين تطوع الكاتب ليجعل من نفسه بوقا لهم ؟ من إذن ؟!! لا شكَّ أنَّ هذا من الإفك المبين والظلم الواضح وقلب الحقائق، { وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ } .

إن الكاتب أوتي مما بيناه في الفصل الأول ، وهو جهله بالفن وتطفله على مائدته وتخبطه في شعابه، ففي أي نصوص الحديث وجدت ما يدل على تحريف القرآن أو اتهامه بالنقص ؟ لتقول إفكا وبهتانا : (إن الحديث اتهم القرآن بالنقص والزيادة والتحريف . ص61) إن نثر التهم ورمي الكلام على عواهنه الذي اتخذته أسلوبا وتبنيته منهجا ، لايغزل صوفك ولا يسرج حصانك ، ولا يصدقك فيه أحد ، ولن ينالك منه سبد ولا لبد ، فوجه الحديث ورجاله أبيض ناصع ، ونورهما قوي ساطع ، والحديث لم يجن على أحد ، ومن زعم أو اعتقد منه جناية فهو الجاني ، وعلاقة الحديث بالقرآن يعرفها القاصي والداني ، فشبهاتك وحججك التي تطاولت بها على السنة وجعلتها لك حصانا للهجوم عليها هي كلها هشة واهية، وقد بيناها في الباب المخصص لأفراد الأحاديث وألفاظها ،

إن مناقشة مثل هذه المواضيع يستلزم منا الجلوس أمام مثيريها أو منتقديها ، ليبينوا أولا عن عقيدتهم ، لمن لا يعرفها ، ثم لنعرف من نناقش ومن أين نبدأ ، فإني أرى أن هذا ضرب من اللعب والهزال ، فكيف نناقش في الجزئيات من لا يؤمن بالكليات ، وكيف نتعمق في شرح مسائل الفروع لمن لا يؤمن بالأصول، لكن سوف نستمر من أجل شباب حائر يتوق لسماع للحقيقة وينتظر كشف الغمة ، فنقول للقارئ المنصف المؤمن بالكتاب والسنة ، إن هذه المسائل لا تستحق كل هذا الصياح والتضخيم والتهويل ، فمجرد إيمانك بالقرآن يستلزم التصديق بالنسخ ، وهو ما ينكره أولئك ، فإذا ثبت لديك يقينا أن النسخ ثابت وأنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام ،_كما بينا في بابه_ عرفت أن الشبهات التي أثارها في فصله المعنون (جناية الحديث) من أقسامه وهو نسخ التلاوة وبقاء الحكم ، فمنه آية الرجم ومنه لو أن لابن آدم .. ، ومنه لا ترغبوا عن آبائكم .. الخ ،

وهم يدعون معرفة ذلك ، فتراهم يسردون عليك رد العلماء على شبهتهم ويقولون : لا تقل لي ذلك ، كما كتب الكاتب قائلا (وسيشبعنا بعض المقلدة بكلام كبير متعرج عن نسخ التلاوة الذي جاءت به مخيلتهم لتمرير وتبرير هذا الهراء.) ص63 .

فماذا وصف بقوله الهراء ، وماذا قصد بتعريجه ، أهو آية البقرة التي تقول (ما ننسخ) ، أم قول عمر والصحابة ؟ أم أقوال العلماء وإجماع الأمة ؟

إن أكثر ما يزعج أولئك من كل ذلك هو آية الرجم التي أجمعت الأمة على ثبوت حكمها ، وأن النبي ﷺ نفذه ونفذه الخلفاء بعده ، لكن سعيهم المتواصل إلى استحسان الزنا والشذوذ ، جعلهم يكرهون كل نص أو حكم يعارض انحلالهم ، ويقيد حرياتهم في ذلك ،

وكم من عائب قولاً صحيحاً ** وآفتُه من الفهمِ السقيمِ .

لا زلة ولا عذر

كأن الكاتب حكم حكمه النافذ أن السلف المتعاطي للحديث مجرمون أو على الأقل مخطئون ، فيسعون لتبرير ذنبهم وانحرافهم بتبريرات واهية كما سماها ، في فصله المعنون (عذر أقبح من زلة . ص25)

والحق أن مخيلته هي من افترضت الزلة وحرفت الكلام ليكون لها عذرا ، وقد أثبتنا الصحيح من الروايات في ذلك ، والسبب الذي أدى إلى تأخير التدوين ، والكوارث التي ستقع _وكادت تقع _ لولا تدارك الأمر بالكتابة والتدوين ، ومن تم وضع فن التعديل والتجريح ، حتى يثبت وينسب للنبي ﷺ ما قاله وينزه عما لم يقله ، وبينا أنهم قد بذلوا مع ذلك جهودا عبقرية في الفحص والتقويم لم يعرفها علماء أي تخصص آخر في ميدان "العلوم الإنسانية"!

والتأويلات صحيحة منطقية ، ففي روايات القصص مثلا ، لا يمكن التمييز بين القرآن والحديث فيه نفس الشيء في الأحكام ، مع العلم أن الحديث لا يقل إعجازا عن القرآن ، إذا علمنا أنه وحي كما أسلفنا ، وأي شخص في عصرنا هذا عصر العلوم والفنون والتدقيق والتمحيص ، تضع له فقرة من حديث نبوي أو قدسي وآية من القرآن لن يميز بينهما _إذا كان لا يحفظهما_ ، والدليل أيضا أن الحديث يخالف الكلام العادي من لفظه ونسقه ، أن أهل الفن يكتشفون الحديث المكذوب والمتعارض بمجرد سماعه ، وعندما يبحثون ويمحصون يقفون على صدق تخمينهم وفراستهم ،

وما عارضت به من إعجاز القرآن وأنه أفحم بلغاء العرب عن أن يأتوا بمثله ليس في كتابة السطور ، وتركيب الجمل ، فالعربي الأمي يصنع قصيدة بليغة متناسقة ، وهو يرعى إبله في الصحراء،

قال ابن عطية (والتحدي في الآية وقع بجهتي الإعجاز اللتين في القرآن : إحداهما النظم والرصف والإيجاز والجزالة، كل ذلك في التعريف بالحقائق ، والأخرى المعاني من الغيب لما مضى ولما يستقبل ،) فهو بخصائصه ، الموضوعية والتعبيرية . بهذا الكمال في تناسقه؛ وبهذا الكمال في العقيدة التي جاء بها وفي النظام الإنساني الذي يتضمن قواعده؛ وبهذا الكمال في تصوير حقيقة الألوهية ، وفي تصوير طبيعة البشر ، وطبيعة الحياة ، وطبيعة الكون . . لا يمكن أن يكون مفترى من دون الله ، لأن قدرة واحدة هي التي تملك الإتيان به هي قدرة الله . القدرة التي تحيط بالأوئل والأواخر ، وبالظواهر والسرائر ، وتضع المنهج المبرأ من القصور والنقص من آثار الجهل والعجز . . الظلال

على أن أوجه إعجاز القرآن الكريم ليست محصورة فيما يتعلق باللغة العربية من حيث النظم والأسلوب والبلاغة والفصاحة ، وإنما أوجه إعجازه متعددة ، ذكر منها العلماء السابقين عشرة أوجه

من أوجه الإعجاز ، وزاد المتأخرون أوجها أخرى ، ولا يبعد أن تكون هناك أوجه أخرى لا نعلمها يظهرها الله عز وجل للأجيال القادمة تكون مناسبة لعلومهم وعقولهم .

قال القرطبي رحمه الله : " ووجوه إعجاز القرآن عَشْرَةٌ :

مِنْهَا : النَّظْمُ الْبَدِيعُ الْمُخَالِفُ لِكُلِّ نَظْمٍ مَعْهُودٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَفِي غَيْرِهَا ....

وَمِنْهَا: الْأُسْلُوبُ الْمُخَالِفُ لِجَمِيعِ أَسَالِيبِ الْعَرَبِ . وَمِنْهَا: الْجَزَالَةُ الَّتِي لَا تَصِحُّ مِنْ مَخْلُوقٍ بِحَالٍ ...

وَمِنْهَا : التَّصَرُّفُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ عَلَى وَجْهٍ لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ عَرَبِيٌّ ، حَتَّى يَقَعَ مِنْهُمُ الِاتِّفَاقُ مِنْ جَمِيعِهِمْ عَلَى إِصَابَتِهِ فِي وَضْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ وَحَرْفٍ مَوْضِعَهُ .

وَمِنْهَا: الْإِخْبَارُ عَنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ في أول الدنيا إلى وقت نزوله مِنْ أُمِّيٍّ مَا كَانَ يَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ، وَلَا يَخُطُّهُ بِيَمِينِهِ، فَأَخْبَرَ بِمَا كَانَ مِنْ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ مَعَ أُمَمِهَا، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ فِي دَهْرِهَا، وَذَكَرَ مَا سَأَلَهُ أَهْلُ الكتاب عنه، وتحدوه به من قصص أَهْلِ الْكَهْفِ، وَشَأْنِ مُوسَى وَالْخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَحَالِ ذِي الْقَرْنَيْنِ، فَجَاءَهُمْ وَهُوَ أُمِّيٌّ – بِمَا عَرَفُوا مِنَ الْكُتُبِ السَّالِفَةِ صِحَّتَهُ، فَتَحَقَّقُوا صِدْقَهُ...

وَمِنْهَا: الْوَفَاءُ بِالْوَعْدِ، المدرك بالحسن فِي الْعِيَانِ، فِي كُلِّ مَا وَعَدَ اللَّهُ سبحان، وَيَنْقَسِمُ: إِلَى أَخْبَارِهِ الْمُطْلَقَةِ، كَوَعْدِهِ بِنَصْرِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِخْرَاجِ الَّذِينَ أَخْرَجُوهُ مَنْ وَطَنِهِ. وإِلَى مُقَيَّدٍ بِشَرْطٍ، كَقَوْلِهِ:" وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ " ... " وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ " ... " وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً " وَ" إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ" ، وَشِبْهُ ذَلِكَ

وَمِنْهَا: الْإِخْبَارُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ الَّتِي لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا إِلَّا بِالْوَحْيِ، فمن ذلك:

مَا وَعَدَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سَيُظْهِرُ دِينَهُ عَلَى الْأَدْيَانِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى" هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ". فَفَعَلَ ذَلِكَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:" وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ " وَقَالَ:" لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ". وَقَالَ" وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ " وَقَالَ:" الم. غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ". فَهَذِهِ كُلُّهَا أَخْبَارٌ عَنِ الْغُيُوبِ الَّتِي لَا يَقِفُ عَلَيْهَا إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ، أَوْ مَنْ أَوْقَفَهُ عَلَيْهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَوْقَفَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ لِتَكُونَ دَلَالَةً عَلَى صِدْقِهِ.

وَمِنْهَا: مَا تَضَمَّنَهُ الْقُرْآنُ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ قِوَامُ جَمِيعِ الْأَنَامِ، فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَفِي سَائِرِ الْأَحْكَامِ.

وَمِنْهَا الْحِكَمُ الْبَالِغَةُ الَّتِي لَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِأَنْ تَصْدُرَ فِي كَثْرَتِهَا وَشَرَفِهَا مِنْ آدَمِيٍّ.

وَمِنْهَا: التَّنَاسُبُ فِي جَمِيعِ مَا تَضَمَّنَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا مِنْ غَيْرِ اخْتِلَافٍ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:" وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً ".

السنة قاضية على القرآن لكن ليس بالفهم السقيم

الكتاب هو أصل التشريع الأول والدستور الجامع لخير الدنيا والآخرة، والقانون المنظم لعلاقة الإنسان بالله وعلاقته بالمجتمع الذي يعيش فيه. ثم السنة هي الأصل الثاني للتشريع وهي شارحة للقرآن الكريم مفصلة لمجمله، مقيدة لمطلقه، مخصصة لعامه، مبينة لمبهمه، مظهرة لأسراره ، كما قال سبحانه: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} . ومن هنا يقول يحيى بن كثير: (السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب قاضيا على السنة) يريد بهذه الكلمة ما وضحه السيوطي بقوله : والأصل أن معنى احتياج القرآن إلى السنة أنها مبينة له ومفصلة لمجملاته ،

وهو معنى كون السنة قاضية على الكتاب (أي مبينة له) وليس القرآن مبينا للسنة ولا قاضيا عليها لأنها بينة بنفسها ، إذ لم تصل إلى حد القرآن في الإعجاز والإيجاز لأنها شرح له وشأن الشرح أن يكون أوضح وأبين وأبسط من المشروح ا هـ.[267]

وروى سعيد بن منصور : عن الأوزاعي عن مكحول قال : القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن ، وبه عن الأوزاعي قال : قال يحيى بن أبي كثير : السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب بقاض على السنة . قال الفضل بن زياد : سمعت أبا عبد الله – يعني أحمد بن حنبل – وسئل عن هذا الحديث الذي روى أن السنة قاضية على الكتاب ، فقال : ما أجسر على هذا أن أقوله ، ولكن أقول : إن السنة تفسر الكتاب وتبينه " .

إذاً: المسألة لفظية فقط ، كأن الإمام أحمد كره هذا اللفظ الذي يتصور منه تقديم السنة على القرآن، فلأجل هذا تحاشى الإمام إطلاق اللفظ، وأتى بلفظ يفهم منه المعنى تماماً، وهو أن السنة مبينة للقرآن.

قال أبو إسحاق الحويني : ومعنى أن السنة قاضية على القرآن أنه إذا اختلف اثنان فيتحاكمان إلى القاضي أليس كذلك ؟ كل واحد يدلي بما عنده من دليل، فيقول القاضي: الحق مع فلان، فإذاً: القاضي قضى لفلان بعدما ثبتت حجته وظهرت واستبانت ،! كذلك السنة.

خذ مثالاً على ذلك: قال الله تبارك وتعالى: { نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ } [البقرة:223]، قال الشافعي رحمه الله: هذه الآية حجة لمن ذهب إلى جواز إتيان المرأة في دبرها،! ولكن صح عندنا حديثان في منع إتيان المرأة في دبرها ! <u>فالسنة قضت على</u> أحد المعنيين في كتاب الله، وهذا معنى أن السنة قاضية على كتاب الله. أي: أن هناك لفظة في القرآن تحتمل معنيين، فتأتي السنة فتقضي بين المعنيين، وتقول: المعنى الأول هو المراد، والثاني غير مراد، فتكون السنة قد قامت بدور القاضي بين المعاني، فلذلك صارت قاضية على كتاب الله ، لا أنها مقدمة على كتاب الله.[268]

---

[267] - مناهل العرفان في علوم القرآن (300/1)

[268] - أبو إسحاق الحويني في شرح صحيح البخاري

ولعل الكاتب وضع هذا العنوان للتمويه ، بعد أن وجد أن تفسير الكلمة لا يروقه فترك العنوان عريضا ليلبس على من لم يتحقق من المعنى ، بل حاول ذلك ففسر الكلمة بما لم يفسرها به أحد وحملها ما لم تتحمل ليرسخ في ذهن القارئ أن السنة تعلوا على الكتاب وتغلبه وتقضي عليه إذ قال : [بمعنى أنه إذا وجدت نصا في الحديث يتعارض جملة وتفصيلا مع القرآن فالحديث هنا قاض على القرآن]،

وهذا كلام تافه ، بل هو كذب وتزوير ، وهذا لم يقل به أحد من السابقين ولا من اللاحقين ، من المتعلمين ولا من الراسخين ، وتفاهته بينة للعيان، إذ متى كانت أحاديث الرسول مناقضة للقرآن؟ إن ذلك لو حدث فمعناه أن تلك الروايات ليست من كلام النبى ﷺ وهذا قليلٌ جِدٌّ قليلٍ في كتب الحديث كما يعرفه كل من له خبرة في هذا المجال، اللهم إلا إذا ثبت أن التناقض المزعوم ليس تناقضا بل هو تخصيص لحكم عام مثلا، أو استثناء لحالة من الحالات التي لها ظروف مختلفة تخرجها عن القاعدة العامة، أو حكم وقتي انتهى العمل به وبقى الحديث الذي يتعلق به لم يندثر...وما إلى ذلك.

وهذا تعاضد لا تعارض ، فالسنة تؤيد القرآن وتعاضده ، ويستحيل عقلا ومنطقا أن يكون بينهما تعارض ، فالسنة لها مهمة البيان لما أجمل ، والتخصيص لما هو عام ، والتقييد لما هو مطلق ، والتوضيح لما هو مبهم ، كتفصيل إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وغيرها ، فلم يفصل القرآن الكريم عدد ركعات الصلاة ، ولا مقادير الزكاة ، نصابا واستحقاقا ، ولا مناسك الحج . الخ

قال الشوكاني رحمه الله : (والحاصل أن ثبوت حجية السنة المطهرة ، واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ولا يخالف في ذلك إلاّ من لا حَظَّ له في دين الإسلام)

رواية الحديث بلفظه أو معناه

اختلف أهل العلم في حكم رواية الحديث بالمعنى: فأوجب بعض المحدثين وطائفة من الفقهاء والأصوليين نقل ألفاظ رسول الله – ﷺ على وجهها، ولم يجيزوا مخالفتها، ولا تقديم بعض الكلام على بعض. وإن كان المعنى في الجميع واحدًا ، وشددوا في ذلك آكد التشديد، حتى إنهم يسمعون الحديث ملحونًا ويعلمون ذلك ولا يغيرونه.

وذهب إلى هذا القول ابن سيرين، وثعلب النحوي، وأبو بكر الرازي من الحنفية، وعلي بن المديني, وإليه مال القاضي عياض. وحكاه الخطابي عن ابن عمر، والقاسم بن محمد، ورجاء بن حيوة، ومالك، وابن علية، وعن عبد الوارث ويزيد بن زريع.([269])

وقال ابن الأثير : لاخلاف بين العلماء أن المحافظة على لفظ الحديث وحروفه ونقطه وإعرابه أمر من أمور الشريعة عزيز ، وحكم من أحكامها شريف ، وأنه الأولى بكل ناقل ، والأجدر بكل راو ، وحتى أوجبه قوم ، ومنعوا من نقل الحديث بالمعنى . والكلام في ذلك له تفصيل وشرح ، فنقول :

قال العلماء : نقل الحديث بالمعنى دون اللفظ حرام علي الجاهل بمواقع الخطاب ، ودقائق الألفاظ ، أما العالم بالفرق بين المحتمل وغير المحتمل ، والظاهر والأظهر ، والعام والأعم ، فقد جوز له ذلك الشافعي وأبو حنيفة وجماهير الفقهاء ، ومعظم أهل الحديث .

وقال قوم : لايجوز إلا إبدال اللفظ لما يرادفه ويساويه في المعنى ، كما يبدل القعود بالجلوس ، والعلم بالمعرفة ، والقدرة بالاستطاعة والحظر بالتحريم ، ونحو ذلك .([270])

ثم وضعوا لذلك شروطا أخرى مشددة ومقيدة يطول المقام بذكرها ،

قال النووي في شرح مسلم : فصل إذا أراد رواية الحديث بالمعنى ، فان لم يكن خبيرا بالألفاظ ومقاصدها عالما بما يحيل معانيها لم يجز له الرواية بالمعنى بلا خلاف بين أهل العلم بل يتعين اللفظ، وان كان عالما بذلك فقالت طائفة من أصحاب الحديث والفقه والأصول لا يجوز مطلقا وجوزه بعضهم فى غير حديث النبى ﷺ ولم يجوزه فيه ،

وقد استدل المانعون بحديث : الرجل الذي علمه النبي ﷺ دعاء النوم، وفيه: (قل: **وبنبيك الذي أرسلت، فقال: وبرسولك الذي أرسلت، قال: لا، قل: بنبيك الذي أرسلت**) ، فرده النبي ﷺ ليلتزم باللفظ: (وبنبيك الذي أرسلت). قال القرطبي تبعا لغيره هذا حجة لمن لم يجز نقل الحديث بالمعنى وهو الصحيح من مذهب مالك فإن لفظ النبوة والرسالة مختلفان في أصل الوضع ،

---

[269] - أنظر كتاب: جامع بيان العلم وفضله تأليف: أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي ج1 ص 165 دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي

[270] - كتاب : جامع الأصول في أحاديث الرسول / ابن الأثير (المتوفى : 606هـ) ج1ص97

ولا ننكر أن العديد من الرواة يروون الحديث بالمعنى ، ولا تفسير لاختلاف الروايــات والألفــاظ إلا بذلك ، ولكن ليس كلهم يفعل ذلك ، رغم أنهم توفرت فيهم شروط ذلــك ، وهكــذا نجــد أنّ الرِّوَايَــة بالمعنى أثرت في صياغة الرُّوَاة لمتن الْحَدِيْث، أو المحافظة عَلَى نصه ، لِذَا نجد الحَافِظ ابــن حجــر يلجأ إِلَى الترجيح بالكثرة خروجاً من الخلاف الَّذِي ولَّدَتْهُ الرِّوَايَة بالمعنى ، فَقَالَ : ((الحاصل أنّ أكثر الروايات وردت بلفظ : ((فأتموا)) ، وأقلها بلفظ : ((فاقضوا)) ([271]) .

وقد اشتهر الإمام مسلم رحمه الله بالمحافظة على الألفاظ ، حتى إن الحافظ ابن حجر رحمــه الله فــي ترجمة الإمام مسلم من (تهذيب التهذيب) أثنى عليه ثناءً عظيماً وقال: لقد حصل للإمــام مــسلم حــظ عظيم من حيث محافظته على الألــفــاظ والإبــقــاء عــلــيــها، وعدم الرواية بالمعنى،. اهــ

فليس الأمر على إطلاقه كما يدعي الكاتب ، وليس أمرا عاديا مألوفا مجمعا عليه كما قــال ، بــل إن العديد منهم لم ولا يقبلها ، ومن يقبلها منهم يقبلها بشروط ، ثم بعد ذلك جاء أهل الفن والإختــصاص فعكفوا على التمحيص والتخريج فميزوا الراجح من المرجوح ، والمعتمد من المطروح ،

يقول ابن حزم رحمه الله في "الإحكام" (134/1) : "وليس اختلاف الروايات عيبا في الحديث إذا كــان المعنى واحدا ، لأن النبي ﷺ صحَّ عنه أنه إذا كان يُحَدِّث بحديثٍ كَــرَّرَه ثلاث مرات ، فينقل كل إنسان بحسب ما سمع ، فليس هذا الاختلاف في الروايات مما يوهن الحديث إذا كان المعنى واحــدا " انتهى .

هذا وليعلم أن أسباب تعدد الروايات ليست محصورة كلها في الرواية بالمعنى ! بل له أسباب عديدة ، وتعليلات متفرقة ، منها إضافة إلى ذلك تعدد الواقعة أو الحادثة كما سبق في قول ابن حزم ، ومنهــا اختصار الراوي للحديث : أي أن يكون الراوي حافظا للحديث كله ، ولكن يكتفي بذكر جزء منه فــي حال ، ويذكره كاملا في حال أخرى . ومنها الخطأ : فقد يقع من أحد الرواة الخطأ ، فيروي الحــديث على غير وجهه الذي يرويه الآخرون ، ويمكن معرفة الخطأ بمقارنة الروايات بعضها ببعض ، وهــو ما قام به أهل العلم في كتب السنة والتخريج .

وهذا كله قبل وجود المصنفات والدواوين، أما بعد وجودها فيتعين على من ينقل عنها أن يحافظ علــى الألفاظ، وذلك لزوال الحاجة التي من أجلها سوِّغت الرواية بالمعنى، حيث كانت السنة تنقل مــشافهة، قال ابن دقيق العيد: لا تغير الألفاظ بعد الانتهاء إلى الكتب المصنفة سواء روينا فيها أو نقلنا منها. [272]

ولكن هذا كله لا يصل إلى الصورة التي ادعاها الكاتب (ص 60) وجزم غير شاك أنه كذلك قــال : (إن رواية الحديث بالمعنى لتفيد بما لا يدع مجالا للشك أن الصحابي يروي فهمه لكلام الرسول وينسبه

---

[271] - فتح الباري 119/2 .
[272] - ينظر: فتح المغيث (147/3).

للرسول، والتابعي يروي فهمه لما فهمه الصحابي من كلام الرسول ومن روى عن التابعي فهو يروي فهمه أيضا عن فهم التابعي لفهم الصحابي عن رسول الله، وهكذا تتسع حلقات فهم من فهم عمّن فهم عمّن فهم عمّن فهم عمّن فهم عن رسول الله، ..)

كل هذا تكلف في القول وتعسف في الفهم ، وتحميل المسألة ما لم تحتمل ولم تتحمل ، بل هو تدليس وتضليل ، ومثل هذا لا يستحق ردا ولا التفاتة ، لأنه ينبئ عن فهم غير رصين وحقد غير دفين ، لخيار الأمة ، وخير القرون .

وأما اختلاف الألفاظ الذي لا يؤثر شيئاً في فهم المعنى ، فقد كان أهل الحديث أورع من أن يتألوا على رسول الله ؛ فيجزموا بأنه تلفظ بلفظ يمكن أن يكون قد تلفظ بغيره مما يفيد معناه ،

أما الرواية بالمعنى فإنه لم يحصل منها إضرار بالسنة ؛ إذ لم تقبل إلا من عارف باللغة وربما يُغير المعنى ، فإذا أُمِنَ إحالة المعنى حصل المقصود ، إذ اللفظ وسيلة ، ومع ذلك فإن الأمر لم يكن كما يريدون أن يُوهموا الناس من أن السنة كلّها مرويّة بالمعنى ، وإنما كان هناك من يحرص على أداء اللفظ كما سمع وهو الأفضل .

الباب الخامس:
شبهاته حول بعض الأحاديث

قبل الدخول في تفاصيل ألفاظ الأحاديث التي أثارها وانتقدها، أود أن أوضح _أولا_ أن ما يدعيه من تناقض في الأحاديث سواء مع القرآن أو مع بعضها البعض ناتج عن عدم إلمام الكاتب بعلم الحديث ، باعتباره فنا له قواعد وشروط معينة للحكم عليه, وطرق للجمع والموازنة والتوفيق, وفيه ناسخ ومنسوخ ومطلق ومقيد ومجمل ومبين وظاهر ومبهم, لا يمكن بأسلوبه العجيب هذا إصدار حكم بدون الرجوع إلى تلك الضوابط التي تحكمه.

وقفة مع حديث (عليكم بسنتي..)

أي متصفح لما كتبه أيلال يجد في طياته العجب العجاب ، ويدرك بدون أدنى تأمل أن الكتاب لا يتطرق لما عنون وشهر به ، بل تناول في مجمله الطعن في الحديث والقرآن ، وضرب بعضهما ببعض ، وما لم يصرح به الكاتب بعد : هو أن الحديث والقرآن _معا_ هما من أساطير الأولين ،
خذ هذا الحديث نموذجا لما قلنا ، وهو حديث صحيح ثابت مشهور ورد عن العرباض بن سارية ، وهو بهذا اللفظ في المستدرك:ج1/ص174 ح329 فهو حديث صحيح في الأمة وقد تلقاه العلماء بالقبول والتسليم ، يطعن فيه الكاتب ويصفه بأنه من فيض الخرافات ، كونه حسب زعمه يقدس الصحابة ويجعلهم فوق كل انتقاص وانتقاد ، ويستنتج من فهمه السقيم أن الحديث يرفعهم إلى مقام النبوة ، ثم يزيد فيقول : (ثم يستخلص منه أيضا ـاعة الحاكم ـاعة عمياء مطلقة، ورفض معارضته وعصيانه لأي سبب » ص 37) ويتهمه أيضا ب (التعريض بالحبشة وذوي البشرة السمراء أو السوداء)
وهكذا ينساق الكويتب وينجر وراء إشباع نزواته الحقدية والكرهية ، دون أن يشعر بما يخط ، ناسيا أن ما هو بصدده سماه بحثا ، وأنه زعم به استهداف تقديس البخاري ،
وتفسيراته وتأويلاته لا تدل فيما تدل إلا على شيئين اثنين ، وقد يجتمعان ولا يرتفعان ،

أ- قصر باع الكاتب في اللغة وفي أبجديات الكتابة فضلا عن البحث والتنقيب ، أما العلوم الشرعية وعلوم اللغة فلا يشك أحد في ذلك ،

ب- سيطرة الحقد على (التراث) وكرهه للدين على قلبه وأنامله ، فلم يعد يستطيع التصبر وإخفـــاء ما في صدره ولو إلى حين ،

والغالب والمتبادر أنهما واردان معا ، ومن هنا تظهر الخبيئة ، وتعظم المصيبة ، ويتـسع الخـرق ، عندما يتهم الحديث بالعنصرية والعصبية ، ويتهم الصحابة وينتقصهم ،

ألم يدرك الكويتب أن أولئك من خيرة الأمة بعد رسول الله ؟ ألم يدر أن عددا منهم مبشر بالجنـــة ،؟ ألم يعلم أنه لو كشف الغطاء _كما ورد_ عن بعضهم لما ازداد إيمانا ؟

فهل يستنكف عاقل عن حب أولئك ، وعن متابعة سننهم وطريقتهم ونهجهم ؟ ألم يعلم الكاتب أن النبي ﷺ _إن كان يؤمن به_ قد شهد لهم وللثلاثة القرون بالخيرية؟ **(خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)** فذكر ثلاثة قرون، وهي القرون المشهود لها بالخيرية، فما كان في تلك القرون من أمر الدين والدنيا فهو جائز إلى يوم القيامة،

بل إن أقوال وأفعال أصحاب رسول الله ﷺ هي التي تبين لنا سنته ﷺ ولهذا من الأصول التـــي يشرع عليها الأحكام عن أهل الأصول: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وهذا متفق عليه، وذكـــروا من غير المتفق عليه: قول الصحابي إذا لم يوجد له مخالف من الصحابة، فقول الصحابي وفعله إذا لم يخالفه نص أو يخالفه صحابي آخر فهو حجة يعمل به،

والمثير أنه لما أراد الإستدلال على منع الكتابة ، قوى رأيه بفعل وقول الخلفاء ، وجعل قول عمر ابن الخطاب أصلا ناصعا وسدا منيعا ، وعندما مرت أسطر نسي كل ذلك واستكبر واســتعظم أن يكـــون للخلفاء سنة أو تشريع ، ورفضُ سننهم وعملهم هو اتهام لهم بالنكوص ومخالفة المنهج ، وكلا الأمرين ضلال وغواية ، فادعاء عدم مشروعية اتباع الخلفاء والصحابة اتهام لهم ، والإقرار باستقامتهم علـــى منهج نبيهم مع الدعوة إلى مخالفتهم ضلال ومروق ، فأين يصنف وأيهما يختار ؟

فاتباع الصحابة هو اتباع لله ورسوله ، كيف ذلك ؟ ربنا سبحانه يقول : { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُـذُوهُ } [الحشر:7]، والرسول ﷺ يقول: (عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الْخُلَفَاء الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيين مِنْ بَعْـدِي،)([273]) فسنة الخلفاء الراشدين مما آتاكم الرسول فخذوها ، كما أخبر نبينا ﷺ أن هذه الأمة ستفترق علـــى ثلاث وسبعين ملَّة ولن تنجو منها إلا واحدة ، وهي التي اقتفت أثره التي عليها أصحابه .

---

[273] - (صحيح) رواه أحمد (4 / 126 ، 127) ، والترمذي (2676) وقال : هذا حديث حسن صحيح . وأبو داود (4607) ، وابن ماجه (42) ، والحاكم (1 / 174) ،والدارمي (44/1)، وأبو نعيم في الحلية (220/5)، وابن أبي عاصم (31 ، 54) والبيهقي (541/6)، والطحاوي في المشكل "1185-1186" والطبراني في المعجم الكبير 18/ وقال البزار : حديث ثابت صحيح ، وقال ابن عبد البر : حديث ثابت ، وقال الحاكم : صحيح ليس له علة . ووافقه الذهبي وصححه الضياء المقدسي ، وقد صححه الألباني في صحيح ابن ماجه .

يقول عليه الصلاة والسلام ((إنَّ أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملَّة، وإنَّ هذه الأمَّة ستفترق على ثلاث وسبعين ملَّة يعني الأهواء، كلُّها في النار إلاَّ واحدة، وهي الجماعة)).[274]
وعندما سئل عن الفرقة الناجية قال ((ما أنا عليه اليوم وأصحابي))،
قال الكشميري في شرح سنن الترمذي : إن سنة الخلفاء الراشدين أيضاً تكون سنة الشريعة لما في الأصول أن السنة سنة الخلفاء وسنته ،[275] وعلى هذا فما سنه الخلفاء الراشدون يعتبر سنة للرسول ﷺ بإقراره إياهم، ووجه كونه أقره أنه أوصى باتباع سنة الخلفاء الراشدين.
قال الفلاني : كونه ﷺ قرن سنتهم بسنته في وجوب الاتباع والأخذ بسنتهم ليس تقليدا لهم ! بل اتباع لرسول الله ﷺ .. وبالجملة فما سنه الخلفاء الراشدون _أو أحدهم_ للأمة فهو حجة ولا يجوز العدول عنها [276]
إن أعداء الإسلام من المستشرقين والعلمانيين إذ يشككون في عدالة الصحابة رضي الله عنهم فليس من العجيب أن يشككوا فى سنتهم، وسنة الخلفاء الراشدين ، ويسعوا لإسقاطها ،
يقول محمد شحرور: "فإذا سألنى سائل الآن ألا يسعك ما وسع الصحابة فى فهم القرآن؟ فجوابى بكل جرأة ويقين هو : كلا لا يسعنى ما وسعهم، لأن أرضيتى العلمية تختلف عن أرضيتهم، ومناهج البحث العلمى عندي تختلف عنهم ، وأعيش فى عصر مختلف تماماً عن عصرهم والتحديات التى أواجهها تختلف عن تحدياتهم " ([277]). والحق أن هذا كلام من يرى الشريعة الإسلامية قرآناً وسنة غير صالحة لكل زمان ومكان ، فكلامه هو وغيره من أعداء السنة المطهرة في سنة الصحابة لا قيمة له.
لأن سنة الصحابة وهى ما جاء عنهم من قول أو فعل أو تقرير إذا كان مما لا يقال من قبل الرأى ، ومما لا مجال للإجتهاد فيه ، فله حكم المرفوع المسند تحسيناً للظن بهم ، وجزم بذلك الرازى فى المحصول ، وغير واحد من أئمة الأصول والحديث([278]).
وإذا كانت سنتهم فى غير ذلك ، فقد اختلف العلماء فى ذلك.
والراجح من هذا الخلاف : أن سنتهم كسنة الرسول يعمل بها ، ويرجع إليها، وانتصر لهذا الرأي غير واحد من أئمة الأصول ، منهم الشاطبى – رحمه الله – ، فبعد أن ذكر الآيات والأحاديث الدالة على عدالتهم قال : "فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط أي عدول بإطلاق ، وإذا كان كذلك فقولهم معتبر، وعملهم مقتدى به. ثم استدل الشاطبى لما رجح بأدلة منها :

[274] - أخرجه أحمد (16937)، وأبو داود (4597) وغيرهما،
[275] - كتاب : العرف الشذي شرح سنن الترمذي للمؤلف : محمد أنور شاه ابن معظم شاه الكشميري (الجزء2 صفحة208)
[276] - إيقاظ همم أولي الأبصار للإقتداء بسيد المهاجرين والأنصار تأليف: صالح بن محمد بن نوح العمري،الشهير بالفلاني 157/1
[277] - الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص567،
[278] - ينظر : المحصول 221/2، والإحكام للآمدى 87/2، وأعلام الموقعين 123/4، وفتح المغيث للسخاوى 144/1، وتدريب الراوى 190/1، 191، وتوضيح الأفكار 280/1.

1- ما جاء فى الحديث من الأمر باتباعهم ، وأن سنتهم فى طلب الإتباع كسنة النبـــى ﷺ لقولـــه ﷺ : " فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين،تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ " .

2- أن جمهور العلماء قدموا الصحابة عند ترجيح الأقاويل ، فقد جعل طائفة قول أبى بكــر وعمــر حجة ودليلاً، وبعضهم عد قول الخلفاء الأربعة دليلاً، وبعضهم يعد قول الصحابى على الإطلاق حجــة ودليلاً، ولكل قول من هذه الأقوال متعلق من السنة وهذه الآراء - وإن ترجح عند العلماء خلافهـــا - ففيها تقوية تضاف إلى أمر كلي هو المعتمد في المسألة، وذلك أن السلف والخلف من التـــابعين ومـــن بعدهم ، يهابون مخالفة الصحابة، ويتكثرون بموافقتهم ، وأكثر ما تجد هذا المعنى في علوم الخـــلاف الدائرة بين الأئمة المعتبرين، فتجدهم إذا عينوا مذاهبهم قوَّوها بذكر من ذهب إليها من الصحابة ، وما ذاك إلا لما اعتقدوا في أنفسهم وفى مخالفيهم من تعظيمهم ، وقوة مآخذهم دون غيرهم ، وكبر شـــأنهم في الشريعة ، وأنهم مما يجب متابعتهم وتقليدهم فضلاً عن النظر معهم فيما نظروا فيه.

.. ويؤيد هذا ما جاء عن السلف الصالح ، من تزكيتهم والحث على متابعتهم.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : "من كان مستناً فليستن بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبـــر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفا ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حـــالاً، قومـــاً اختـــارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم فى آثارهم ، فإنهم كـــانوا علـــى الهـــدى المستقيم " ([279]).

... وقال عمر بن عبد العزيز : " سن رسول الله ﷺ ، وولاة الأمر بعده سنناً ، الأخذ بها تـــصديق لكتاب الله ، واستكمال لطاعة الله ، وقوة على دين الله ، من عمل بها مهتـــدٍ، ومـــن استنـــصر بهـــا منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم ، وساءت مصيراً.

وفى رواية بعد قوله - وقوة على دين الله - ليس لأحد تغييرها ولا تبـــديلها ، ولا النظـــر فـــي رأي خالفها ، من اهتدى بها مهتد ... الحديث"([280]) . فقال مالك فأعجبنى عزم عمر على ذلك"([281])

والآثار فى هذا المعنى يكثر إيرادها ، وقد استوعب كثيراً منها الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه أعلام الموقعين عن رب العالمين . ([282]).

---

279 - أخرجه البغوى فى شرح السنة كتاب الإيمان ، باب رد البدع والأهواء 214/1، وأخرجه ابن عبدالبر فى جامع بيان العلم 97/2، وذكره ابن قيم الجوزية فى أعلام الموقعين 139/4.

280 - أخرجه الخطيب فى الفقيه والمتفقة، باب القول فى أنه يجب إتباع ما سنه السلف من الإجماع والخلاف وأنه لا يجوز الخروج عنه435/1رقم 455، والآجرى فى الشريعة ص306،65،48، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ، باب الحض على لزوم السنة والإقتصار عليها 187/2 .

281 - الموافقات 452/4 - 455، وينظر : الإعتصام 519/2.

282 - كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها / و كتاب : عدالة الصحابة رضي الله عنهم في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ودفع الشبهات – كلاهما للمؤلف : عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها

طاعة الحكماء والأمراء

ثم استنكر من الحديث أن يأمر بطاعة الحاكم (وعدم معارضته ورفضه لأي سبب) وهو تضليل آخر ، إذ كل من له قسط ولو قليل من علوم الدين يعرف هذا الأمر ، ويعرف أن الدين أمر بطاعة ولاة الأمور درءا للفتنة وتحقينا للدماء ، ولكنه لم يترك الكلام على عمومه ، ولم يرد طاعة مطلقة مهما كانت الأحوال والأسباب ، بل وضع لطاعة الأمراء حدا وشروطا ، وهو واضح من كلام النبي ﷺ **(لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق)**[283] ولقوله ﷺ : **(فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)** ولهذا لما تولى أبو بكر رضي الله عنه الخلافة قال : أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم .

فالذي عليه الصحابة جميعاً وعامة التابعين وكذا أئمة الإسلام هو أنَّ الخروج على ولي الأمر مُحَرَّمٌ وكبيرة من الكبائر، ومن خرج على ولي الأمر فليس من الله في شيء.

في شرح البخاري لابن بطال : الذى عليه جمهور الأمة أنه لا يجب القيام عليهم ولا خلعهم إلا بكفرهم بعد الإيمان وتركهم إقامة الصلوات ، وأما دون ذلك من الجور فلا يجوز الخروج عليهم إذا استوطأ أمرهم وأمر الناس معهم ؛ لأن فى ترك الخروج عليهم تحصين الفروج والأموال وحقن الدماء ، وفى القيام عليهم تفرق الكلمة وتشتت الألفة .[284]

والأحاديث الواردة في الموضوع التي تأمر بطاعة ولي الأمر وتجرم الخروج عليه كثيرة ،

فمن السنة قول النبي ﷺ "**من أطاع الأمير فقد أطاعني ومن عصى الأمير فقد عصاني**"مسلم (4859)

وأيضاً ثَبَتَ عنه ﷺ أنَّهُ قالَ "**على المرء السمع والطاعة فيما أحب وفيما كره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**"[285]

وصحَّ عنه ﷺ أيضاً أنه قال "**إنما الطاعة في المعروف**[286] يعني طاعة ولي الأمر في المعروف.

وأيضاً ثبت عنه ﷺ أنَّهُ قال "**من رأى من أميره شيئا يكرهه فليَكْرَهْ ما يأتي من معصية الله ولا ينزعَنَّ يداً من طاعة**" مسلم (4911).

وأيضاً صحَّ عنه ﷺ أنه قال "**من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**" مسلم (4911).

وأيضاً صح عنه ﷺ أنه قال "من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر".

---

[283] - رواه أحمد والحاكم عن عمران ابن حصين ، ورواه أبو داود والنسائي عن علي بلفظ لا طاعة لأحد في معصية الله إنما الطاعة في المعروف ، ورواه أحمد عن أنس بلفظ لا طاعة لمن لم يطع الله . 3077 -

[284] - شرح صحيح البخارى - لابن بطال ج126/5

[285] - مسلم (4869)/ النسائي (4206).

[286] - "البخاري (7145) / مسلم (4871)

وهذا الإعتراض يخالف به الكاتب محكم القرآن ألم يقل سبحانه وتعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ؟(النساء) فهل يعرف الكاتب من هم أولوا الأمر؟ إنهم صنفان أوطائفتان العلماء والأمراء ، لكن العلماء أولياء أمر في العلم والبيان ، وأما الأمراء فهم أولياء أمر في التنفيذ والسلطان ، فإن أبيت إلا تفسيرها بالعلماء فالعلماء قالوا بطاعة ولي الأمر ،

قال المطهر: يعني سمع كلام الحاكم وطاعته واجب على كل مسلم سواء أمره بما يوافق طبعه أو لم يوافقه بشرط أن لا يأمره بمعصية فإن أمره بها فلا تجوز طاعته ولكن لا يجوز له محاربة الإمام ،

وقال النووي في شرح مسلم قال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين لا ينعزل الإمام بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه لذلك، بل يجب وعظه وتخويفه للأحاديث الواردة في ذلك .

والكاتب أراد تمرير شبهة أن الإسلام يلغي العقل والمصلحة ، ويفرض على الشعوب أن يضعوا أعناقهم تحت وطأة الحكام ، ولا يخالفوهم .. وهذا باطل ، فبما أن الإسلام دين الوسطية فهو جاء بالتوسط في كل شيء ، فكما رأيت في النصوص السابقة لم يجز الخروج على الحاكم لما في ذلك من المفاسد العظيمة ، ولكنه لم يأمر بطاعته طاعة عمياء في كل ما ينفع وما يضر وما يقبله العقل والشرع وما لا يقبلانه ، بل جعل أمرا وسطا ، والمقصود بالخروج هنا هو بالسيف أو العصيان ، فالخروج المنهي عنه شرعا لا يكون إلا بالعصيان وشق عصا الطاعة بالامتناع عن أداء الواجب أو حمل السلاح وخلع الإمام بالقوة، حتى لا يفهم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خروج على السلطان ، وهو ليس كذلك ، فانتقاد الأوضاع الفاسدة وبيان الحقائق وإنكار المنكر الظاهر.. ليست خروجا على السلطان ولا بغيا على الإمام.

وقد تواترت نصوص الوحي من الكتاب والسنة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح للمسلمين.. وذم السكوت على المنكر والفساد.. ولا يلزم من ذلك الخروج على ولي الأمر.

عبد حبشي ليس عنصرية ولاتنقيصا

أما قوله ﷺ " (اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ (عبد) حَبَشِيٌّ ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ)"[287] وفي رواية بزيادة (مَا أَقَامَ فِيكُم كتاب الله)

فهذا أيضا من باب المبالغة في لزوم الجماعة ، وجمع الكلمة بطاعة الوالي وإن كان _في أصله_ صغيرا حقيرا في أعين الناس ، لأن الحبشة توصف بصغر الرأس ، يعني الزموا السمع والطاعة لولاة الأمور حتى لو استعمل عليكم عبد حبشي .

وقد جاء بعدة ألفاظ ، ففي الصحيحين عن أبي ذر قال: «**إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبدًا حبشيًا مجدع الأطراف**»([288]). ويقول: «**ولو استعمل عليكم أسود مجدع يقودكم بكتاب الله فاسمعوا وأطيعوا**»([289]) والنبي ﷺ هنا يخاطب العرب يقول: ولو استعمل عليكم عبد حبشي غير عربي كأن رأسه زبيبة ، لأن شعر الحبشة مغاير لشعر العرب فالحبشة يكون في رؤوسهم حلق كأنهم الزبيب قيل ولذلك شبه جعودة شعره بالزبيب .

قال د. حاتم بن عارف العوني :أما حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه– عن النبي ﷺ أنه قال:"**اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبه**"، فإنه لم يخرج عن المعنى المذكور آنفاً، بل جاء في سياقه نفسه. حيث إنه أمر بترك النعرة الجاهلية التي كان العرب معها يأنفون من أن يتولى الإمرة عليهم عبد من إفريقيا أسود اللون. فأمرهم النبي ﷺ بطاعته وعدم الخروج عن أمره، وأن يميتوا تلك المعاني الجاهلية في نفوسهم.

فهذا الحديث جاء ليستبدل بالمعنى الجاهلي معنى إسلامياً، فقد جاء ليقضي على التمييز العنصري بناءً على اللون أو العرق الذي كان متأصلاً في قلوب العرب قبل الإسلام. وهو بذلك أبعد ما يكون عما فهمه الكاتب منه، أو سعى في لصقه به ، بظنه أن النبي ﷺ يستخف بالعبد الحبشي، ولذلك ضرب به المثل. فهذا الفهم وهذا الإدعاء بعيد عن مراده ﷺ كل البعد ، بريء منه كل البراءة ، فهو ﷺ إنما ضرب المثل بمن كان العرب في الجاهلية يتخذونهم رقيقاً مملوكين، لينفي بذلك كل معنى للعنصرية المقيتة بناءً على اللون أو العرق.

هذا الفهم الذي فهمه الكاتب الصحفي من الحديث هو أن الحديث يتحدث بالعنصرية والعصبية ويحتقر السود ، لم يفهمه منه غيره ولم يتبادر إلى دهن أحد من عامة المسلمين قبل علمائهم ، بل فهموا منه عكس ما يدعيه ولا يسع العاقل غير هذا الفهم ، بل نفهم منه أن الإسلام جعل هناك تفاوتا في المعاملة

---

[287] - البخاري: الأحكام 1(121/3) ح (7142).

[288] - رواه مسلم رقم (648) في المساجد وفي الإمارة رقم (1837).

[289] - صحيح مسلم رقم (1298)

بين البشر لا على الجنس أو اللون أو اللسان ، بل على أساس الكمالات النفسية والأخلاق الطيبة والعمل الصالح القائم على الإيمان بالله ، فالطبيعة البشرية واحدة ، وإن كان هناك اختلاف فهو لأمور عارضة ، وحارب الإسلام أن يكون هناك تفاوت في المعاملة على غير هذا الأساس كما تدل عليه آية الحجرات ، وحديث " من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه "رواه مسلم ، وحديث " ليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية " رواه أبو داود . وحديث " الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا " رواه البخارى ومسلم .

وكما هو مقرر في الشرع فإن الإسلام لا يحبذ نظام الرقيق والعبيد ، ولذلك سعى إلى إنهائها والقضاء عليها ، أو على الأقل محو فكرة التحقير للعبيد والموالي ، فشجع على العتق وحث عليه بكل الوسائل ورفع العبيد عن أسفل الحضيض وسواهم بالأسياد ، وأعطى الموالي بذلك الحق في أرفع مناصب الدولة، وهو ولاية أمر المسلمين. وهو ما يفهم من الحديث أي أن الموالي ليس منكرا أن يتولوا الحكم والسلطة ، وأن لهم الطاعة إذا ما تحقق لهم ذلك أو لمن هو دونهم من العبيد ، وقد قال عمر وهو يستخلف: " لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لوليته " فهذا دليل واضح أنه رضي الله عنه يسير على نفس المبدأ الذي سنه الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومنها توليته زيد بن حارثة قيادة الجيش –وزيد كان رقيقا ، وكذلك تولية ابنه أسامة أيضا ، وفى جندهما كان خيار المسلمين من العرب ، وكبار الصحابة وفقهائهم .

وقد هدد عليه الصلاة والسلام وندد، وشجب التمييز العنصري، وحارب ﷺ من أراد ذلك في الأمة، ونادى يوم عرفة: أن: { لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى }

وهذ موافق مطابق لآية الحجرات التي يقول الحق فيها :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)

تناقض الحديث والقرآن

(لا إكراه في الدين نموذجا)

الحق الذي لامرية فيه والذي يشهد الله ورسوله به أنه لم تأت سنَّة صحيحة واحـدة عـن رسـول الله ﷺ تناقض كتاب الله وتخالفه ألبتة ، كيف ورسول الله ﷺ هو المبين لكتاب الله ، وعليـه أنـزل ، وبه هداه الله ، وهو مأمور باتباعه ، وهو أعلم الخلق بتأويله ومراده ؟! .

وما من أحد يُحتج عليه بسنَّة صحيحة تخالف مذهبه ونحلته إلا ويمكنه أن يتـشبث بعمـوم آيـة ، أو إطلاقها ، ويقول : هذه السنة مخالفة لهذا العموم والإطلاق فلا تقبل ، بل إن الشياطين نفسها قد تجـد ما تستدل به على ضلالها من نصوص الكتاب أو ألفاظ الحديث ، وقد استدل بعض الـصوفية علـى جواز ترك الصلاة والطاعات بآية قرآنية ،

ولو ساغ رد سنن رسول الله ﷺ وإبطال أحكام وإلغاء أحاديث لما فهمه الرجل من ظـاهر الكتـاب لردت بذلك أكثر السنن ، وبطلت بالكلية .

قال ابن القيم – رحمه الله – :

والذي يجب على كل مسلم اعتقاده : أنه ليس في سنن رسول الله ﷺ الصحيحة سنَّة واحدة تخـالف كتاب الله ، بل السنن مع كتاب الله على ثلاث منازل :

المنزلة الأولى : سنَّة موافقة شاهدة بنفس ما شهد به الكتاب المنزل .

المنزلة الثانية : سنَّة تفسر الكتاب ، وتبين مراد الله منه ، وتقيد مطلقه .

المنزلة الثالثة : سنَّة متضمنة لحكم سكت عنه الكتاب ، فتبيِّنه بياناً مبتدأً .

ولا يجوز رد واحدة من هذه الأقسام الثلاثة ، وليس للسنة مع كتاب الله منزلة رابعة .

فالسنة الصحيحة لا تخرج عن هذه الضوابط، ولا تتجاوز هذه الأوجه ، كما أنها لا تعارض القـرآن بوجه ما، فما كان منها زائدا على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي صلى الله عليه وسلم تجب طاعته فيه ولا تحل معصيته، وليس هذا تقديما لها على كتاب الله، بل امتثال لما أمر الله به من طاعة رسوله التي أمر الله بها على جهة الاستقلال فقال تعالى : {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} وقال تعالى: {مَـنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} فهذه الطاعة المأمورون بها هي طاعة مختصة به صلى الله عليه وسـلم، ويجب علينا العمل بها.

(لا إكراه في الدين)

قبل الخوض في تفاصيل الآية وما قيل حولها ، أقف بالقارئ وقفة موجزة حول سبب نزول الآية ، فللوقوف على المعنى أو إزالة الإشكال لابد من معرفة أسباب النزول ، قال الواحدي : لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها ، وقال ابن دقيق العيد : بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن ،

فقد ذكر عشرات الرواة[290] سبب نزول الآية وأوردوا لها أحاديث تختلف ألفاظها بقليل وتتفق في أغلبها على قصة متحدة وهي أن المرأة من الأنصار تكون مقلاة أو نزورة لا يكاد يعيش لها ولد ، فتجعل على نفسها [نذرا]، إن عاش لها ولد أن تهوّده ، لتجعلنه في اليهود تلتمس بذلك طول بقاءه ، وهذا قبل مجيء الإسلام فلما جاء الإِسلام ، ولما أجليت بنو النضير كان من بينهم أبناء الأنصار على دينهم ، فقالوا : لا ندع أبناءنا يرحلون مع اليهود ، وأن الله جاء بالإِسلام فلنكرهنهم ،. فأنزل الله { لا إكراه في الدين } . هذا سبب نزولها ، وهناك من ذكر قصة أخرى وقد تتعدد الأسباب ..، فقد أخرج ابن جرير من طريق سعيد وعكرمة عن ابن عباس قال : (لا إكراه في الدين) هذه الآية في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين، كان له ابنان نصرانيان، وكان هو مسلماً ، فقال للنبى ﷺ : ألا أستكرههما ؛ فإنهما قد أبيا إلا النصرانية ، فأنزل الله الآية . وفى بعض التفاسير أنه حاول إكراههما ، فاختصموا إلى النبى ﷺ ، فقال: يا رسول الله ، أيدخل بعضى النار وأنا أنظر !

أما تأويلها فقد اختلف فيه أهل الفن والإختصاص ، فطائفة تقول بأنها منسوخة بآية التوبة ([291]) {..جاهد الكفار والمنافقين } وعلى هذا فلا معنى لحكمها ،! وقيل خاصة بأهل الكتاب ،

جاء في تفسير البحر المحيط : واختلف أهل العلم في هذه الآية : أهي منسوخة؟ أم ليست بمنسوخة ؟ فقيل : هي منسوخة ، وهي من آيات الموادعة التي نسختها آية السيف ، وقال قتادة ، والضحاك : هي محكمة خاصة في أهل الكتاب الذين يبذلون الجزية ، قالا : أمر بقتال أهل الأوثان فـ لا يقبل منهم إلاَّ الإسلام أو السيف ، ثم أمر فيمن سواهم أن يقبل الجزية.[292]

ولأن رسالة الإسلام تدعو إلى (الإيمان) وليس مجرد (الاعتقاد) بحقيقة العبودية لله عز وجل والتزام هذه الحقيقة في الباطن والظاهر ، فقد نهى القرآن صراحة عن الإكراه في الدين ، وهذا ما

---

[290] - **أخرج أبو داود والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه وابن منده في غرائب شعبه وابن حبان وابن مردويه والبيهقي في سننه والضياء في المختارة عن ابن عباس قال : كانت المرأة من الأنصار تكون مقلاة لا يكاد يعيش لها ولد ، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوّده ، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار ، فقالوا : لا ندع أبناءنا . فأنزل الله { لا إكراه في الدين } .**
وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي عن سعيد بن جبير في قوله { لا إكراه في الدين } قال : نزلت في الأنصار خاصة . قلت : خاصة ، كانت المرأة منهم إذا كانت نزورة أو مقلاة تنذر : لئن ولدت ولداً لتجعلنه في اليهود تلتمس بذلك طول بقاءه ، فجاء الإسلام وفيهم منهم ، فلما أجليت النضير قالت الأنصار : يا رسول الله أبناؤنا وإخواننا فيهم ، فسكت عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت { لا إكراه في الدين }

[291] - أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن سليمان بن موسى في قوله { لا إكراه في الدين } قال : نسختها { جاهد الكفار والمنافقين }

[292] - تفسير البحر المحيط لـ أبي حيان

نجده متحققاً في سيرة رسول الله ﷺ وتاريخ الفاتحين من بعده ؛ فكثير من البلاد التي فتحها الإسلام بالجهاد ظل أهلها على دينهم سنين وتركهم المسلمون بغير إكراه ولا إلجاء ، وما زال بعضهم على دينه حتى الآن ، أما من آمن منهم فقد آمن لأنه [قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ] (البقرة 256) .

أما استشهاده بحديث : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)؟ فالمراد بالحديث فئة خاصة ، وهم وثنيو العرب ، أما غيرهم من أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم على التخيير بين الأمور الثلاثة التي نص عليها حديث مسلم.

وينبغي أن يعلم أن القتال أو الجهاد لم يشرع لإرغام الناس على اعتناق الإسلام ، وإكراههم عليه ، حتى يقال إن الحديث مناقض للآية ! فهذا الجهاد ليس لتسلط البشر على البشر ولا لاستغلال القوي للضعيف ونهبه ، ولم يفرض علينا القتال لأجل سفك الدماء وإزهاق الأرواح، ولا لأجل الطمع في الكسب . بل لحماية دولة الإسلام وعقيدة أهله وأرواحهم وممتلكاتهم ، ولإيصال وتبليغ الدعوة لمن لم يسمعها ، فهذا ما أمر به الرسول ،

قلنا ليس فيه طلب لأرض ولا مال إلا لرد ما اغتصب وتحرير ما انتهك ، فحينها يكون هذا الرد والتحرير أيضاً إعلاءً لكلمة الله التي تأبى الظلم وتسلط الطغاة . وهو خلاف ما يعرف في الغرب باسم (الحرب المقدسة) ؛ كما ينبغي أن يعلم أن الجهاد في كتاب الله ليس مرادفاً للقتل ، كما أنه لا يقتصر على الحرب أو القتال ، فإذا كان قتالا فهذا القتال لتحطيم العقبات التي تحول دون وصول الإسلام إلى الناس، وتمنع دخول الناس في هذا الدين، وتعبدهم لغير رب العلمين،

فبالرغم من أن الحق منصور من داخله بأدلته وبراهينه، فلا بد له من قوة خارجية، لا لكي يفرض بها نفسه على الناس، وإنما يحتاج إليها لأمرين ، الأول : لكي تدافع عنه ضد عدوان المعتدين وصيال الصائلين الذين ختم الله تعالى على قلوبهم ، وأصبح نهجهم العناد والمكابرة، والعدوان على المخالفين

الثاني : جهاد الطغاة الظالمين الذين يصدون الناس بما لديهم من سلطان وقوة عن الاستجابة للنداء الحق ويصرفونهم عن اتباعه، ويجبرونهم جبرا وقسرا على البقاء على دينهم الفاسد وعدم الإقبال على الدين الحق، ولأجل تلك الحقيقة شرع الله تعالى الجهاد.

لذلك فإن وظيفة الجهاد الإسلامي يمكن أن نلخصها في ثلاث نقاط:

1) نشر الدعوة الإسلامية – وهذه أهمها وأساسها –

2) حماية دار الإسلام التي يقيمها، لتكون منطلقا لدعوته ومحضنا آمنا لفكرته.

3) إنقاذ المستضعفين في الأرض، {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا } (النساء75) . فهو جهاد لدفع اعتداء عن المسلمين ، أو لتحطيم القوى الباغية التي تفتن

الناس عن دينهم بالقهر والعنف . أو لإزالة القوى الضالة التي تقف في سبيل الدعوة وإبلاغها للنـــاس ليروا الحق ويسمعوه . (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِـــبُّ الْمُعْتَـــدِينَ) (البقرة190). (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَـــصِيرٌ) (الأنفال39). (فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا) النساء

فهي دعوة سلمية لا تكره أحداً : (لا إكراه في الدين قد تبين الرشــد مــن الغــي) وبقـــاء اليهـــود والمسيحيين في العالم الإسلامي على دينهم حتى اللحظة برهان قاطع لا يقبل الجـــدل ولا المماحكـــة ، يثبت أن الإسلام لم يكره غيره على اعتناقه بقوة السيف) .

فالإسلام لا يكره أحدا على الدخول فيه ، ولكن يمنع من أن يفرض الكـــافر عقيدتـــه، ونظـــام حياتـــه الشيطانية والبهيمية على الأمم والأجيال والشعوب، لأن هذا ظلم للبشرية، وعدوان على الآدمية، ومنع من الحرية الحقيقية التي هي التحرر من سلطان الطاغوت، ليحقق الإنسان غايته من الحياة في عبـــادة الله وحده لا شريك له فمن أراد الكفر بعد ذلك فليعش به لنفسه تحت سلطان الحـــق ويـــدفع الجزيـــة صاغرًا دون أن يعرضه على الناس ،

فإذا قبل الناس الإسلام ، واهتدوا إلى دين الحق ، فلا حرب ولا خصومة ولا خضوع من أمة لأمة ، فمن أبى الإسلام وأراد أن يحتفظ بعقيدته في ظل النظام الإسلامي – فله ذلك دون إكراه ولا ضغط ، على أن يدفع الجزية مقابل حماية الإسلام له ، بحيث تسقط الجزية أو ترد إن عجز المـــسلمون عـــن حمايته ، فإن أبوا الإسلام والجزية فهم إذن معاندون متبجحون ، لا يريدون للدعوة السلمية أن تأخـــذ طريقها ، وإنما يريدون أن يقفوا بالقوة المادية في طريق النور الجديد يحجبونه عن عيون قوم ربمـــا اهتدوا لو خلي بينهم وبين النور .

عند ذلك فقط يقوم القتال ، ولكنه لا يقوم بغير إنذار أو إعلان ، لإعطاء فرصة أخيرة لحقـــن الـــدماء ونشر السلم في ربوع الأرض : (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) (الأنفال61).

تلك هي الحرب الإسلامية ، لا تقوم على شهوة الفتح ولا رغبة الاستغلال ، ولا عشق إراقة الـــدماء ، ولا دخل فيها لغرور قائد حربي أو ملك مستبد ، فهي حرب في سبيل هداية البشرية ، حـــين تخفـــق الوسائل السلمية كلها في هداية الناس .

ولها مع ذلك تقاليد وضوابط ؛ فلا قتل لغير المحارب الذي يقف بالسلاح يقاتل المسلمين ، ولا تخريب ولا تدمير ولا هتك للأعراض ، ولا إطلاق لشهوة الشر والإفساد : (إن الله لا يحب المفسدين) .[293]

---

[293] ـ كتاب : المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام

و دون أن ننسى التوكيد والتذكير _مرة أخرى_ على أن الجزية ليست للإرغام على الإسلام ، وإنمـــا هي نظير حمايتهم وتأمينهم وتقديم شتى الخدمات لهم. وليس أدل على هذا ممـــا رواه الـــبلاذري فـــي فتوح البلدان أنه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع، وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لواقعة اليرمـــوك، ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الجزية وقالوا: **(قد شُغلنا عن نصرتكم والدفع عـــنكم فـــأنتم على أمركم)** فقال أهل حمص للمسلمين: (لَـــولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعن جند هرقل ــ مع أنه على دينهم ــ عن المدينة مع عاملكم)، وكذلك فعل أهـــل المـــدن التـــي صولحت من النصارى واليهود. وقالوا : إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى مـــا كنـــا عليه ، وإلا فإنا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد ،

بعد كل هذا يتبين القارئ أنه لا تعارض بين آية (لا إكراه في الدين) وحديث (أمرت أن أقاتل الناس) فالقتال لإيصال الدعوة ، ولأمن الدولة ، ولنشر العدل وإنهاء الطغيان ، فإذا تحقق ذلك فلا قتـــال ولا إكراه ، فالجهاد ضد المشركين ، حتى يشهدوا وعدم الإكراه بالنسبة لأهل الكتاب المسالمين ومن ألحق بهم من المجوس ونحوهم ، الذين لا يشكلون تهديدا على الأمن القومي والروحي للإسلام ،

إن الكاتب الصحفي يريد منا أن نضرب بالبخاري ومسلم ومن دونهما وما في حكمهما _نضرب بكـــل ذلك_ عرض الحائط ، ثم نلحقه ونرفسه بالأقدام ، ثم نحتكم إلى عقله وفطنته وفراسته هو ، إذ يقـــول بعدما كذب هذا الحديث (أما أنا فأقول وقلبي مطمئن بأن هذا الكلام لم يفه به رسول الله.ص 28) ! ! !

سبحان الله أهو متنبئ جديد أوحى إليه ؟ أم حكيم فطن أوصي به ؟ أم أن الرجل توهم صعود الـــسماء وبلوغ الأسباب ، وعنوان عبارته : ما علمت لكم من حديث غير كلامي وخطابي ،

فغاية دليله وحجته في رد الحديث أن "عقله لا يقبل به" .. فعذرًا يا صـــاحب القلـــم ! فـــإن "العقـــول" و"الأذواق" ليست حجة في دين الله ولا دليلاً لإبطال سنة رسول الله ﷺ ورد كلامه ، فـــلا تغتـــر بالمطبلين لضلالك ، ولا تدع الكمال والعصمة لعقلك وفطنتك، فإما أن تأتي لنا بالدليل علـــى ضـــعف سند الحديث ، أو تستسلم لحكم الله ، أو تهيم مذموما مدحورا ، فمتى أصبحت "عقولكم وأذواقكم" حكمًا على دين الله ..؟ ! ومن سوغ للعقول أن تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض لأجل أن الأمر لا يناســـب هواها وذوقها ؟ نحن نعبد الله بالدليل وليس بـــ "تخاريف" النفس و"زفرات" الصدور.

ونقصد بالدليل دليلاً منطقيا صحيحا وعلميًا من "علم الحديث" وليس زفرة من مصدور وخيـــالاً مـــن حديث النفس ورغبات النفوس وتقبل العقول .. فلتحضروا أدلتكم على ضعف الحديث .. فلستم بـــأعلم من أهل الحديث في فنّهم،.. ولكن بخستم على "أهل الحديث" حقهم وسلبتوهم قولهم وفـــنّهم ومكـــانتهم الرفيعة، لا لشيء إلا لأن قولهم لم يُماشي عقولكم ولم يوافق هواكم !

بقي لنا أن نقول للكاتب في رد مجمل على طعونه حول مفهوم حرية العقيدة والقتال والإكراه .. الخ ، مع إنكاره للسنة وحجيتها : إنه قد بينا حكم الآيات وتأويلها بالصحيح من السنة ، وإن شئت أن نتعامل معك بأسلوبك ومنهجك ، فنفسر القرآن بالقرآن وننكر ما عداه من الحديث ، فإن آية (**فمن شاء فليؤمن** ..) مكية ، وآية (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (يونس 99) مكية ...كما أن آية (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ (من البقرة 256) وسورة البقرة نزلت في السنة الأولى من الهجرة وهي أول ما نزل في المدينة ،! في حين أن الآيات التي تأمر بالقتال وتحث عليه مدنية ، فعلى سبيل المثال آيات: فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ (محمد4) وآية : قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) وآية : (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) وقوله ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصدٍ) من التوبة وهي مدنية نزلت بعد غزوة تبوك الواقعة في سنة تسع من الهجرة ، فعلى هذا المنهج تكون الآيات الآمرة بالقتال متأخرة عن نظيراتها التي يفهم منها حرية الإعتقاد وحرية الكفر ..! كما يفهم من الآيات وجوب قتل الكفار رجالهم ونسائهم وأطفالهم ! فهل يسركم أن نلقي بخرافة الحديث ونعمل بظاهر القرآن،؟ هل تريدون أن نتعامل مع القرآن بسطحية وبعقولنا المسطحة ، إنا إذا لمن الظالمين .

هذا جواب عن الإعتراض إن قصد الكاتب علاقة المسلمين بغير المسلمين ، أما إن قصد به قتل المرتد ، وهو ما تثار حوله صخبات وصراخات ونحبات وخاصة في بلدنا ، فذاك موضوع مستقل ، لا علاقة له بالآية التي نحن بصددها ، وفي نفس الوقت حكمه من المسلمات ومن الأمور المجمع عليها التي لا خلاف فيها ولا نزاع حولها ، وسنعرج له في الفصل الموالي –استطرادا –، لنكشف بعض غموضه ولنحيط ببعض جوانبه ، بذكر أقوال العلماء وآراء الفقهاء ،

حـد الــردة

إن الإسلام يقرر حرية اختيار الدين ، فالإسلام لا يكره أحداً على أن يعتنق أي دين كما مر في الفصل السابق انطلاقا من قوله تعالى : (لا إكراه في الدين).

غير أن الأمر يختلف_تماما_ إذا ما تعلق الأمر بالمسلم الذي سبق أن دخل في دين الإسلام وعاشـر المسلمين وخالطهم ، وعد عضوا منهم ، فالوضع والحكم مختلفان تماما.

غاية ما هنالك أن الإسلام لا يقبل الشرك بالله ولا يقبل عبادة غير الله وهذا من صلب حقيقة الإسـلام باعتباره دينا من عند الله جل وعلا ، ومع ذلك يقبل النصارى واليهود ولا يقاتلهم على ما هـم عليـه ولكن يدعوهم إلى الإسلام . كما أن الإسلام لا يكلف أحداً أن يجهر بنصرة الإسلام ، ولكنه لا يقبـل من أحدٍ أن يخذل الإسلام ، فلا يبيح الخروج لمن دخل في دين الله ، والذي يرتد عن الإسلام ويجهـر بذلك فإنه يكون عدوًّا للإسلام والمسلمين ويعلن حرباً على الإسلام والمسلمين ، ولا عجب أن يفـرض الإسلام قتل المرتد ، فإن أي نظام في العالم _حتى الذي لا ينتمي لأي دين سماوي ولا أرضي_ تنص قوانينه أن الخارج عن النظام العام له عقوبة القتل لا غير فيما يسمونه بالخيانة العظمى .

وهذا الذي يرتد عن الإسلام في معالنة وجهر بارتداده ، إنما يعلن بهذا حرباً على الإسلام ويرفع راية الضلال ويدعو إليها المنفلتين من غير أهل الإسلام ، وهو بهذا محارب للمسلمين يؤخذ بما يؤخذ بـه المحاربون لدين الله .

والمجتمع المسلم يقوم أول ما يقوم على العقيدة والإيمان . فالعقيدة أساس هويته ومحور حياتـه وروح وجوده ، ولهذا لا يسمح لأحد أن ينال من هذا الأساس أو يمس هذه الهوية . ومن هنا كانـت الـردة المعلنة كبرى الجرائم في نظر الإسلام لأنها خطر على شخصية المجتمع وكيانه المعنوي ،

والإسلام كذلك لا يقبل أن يكون الدين ألعوبة يُدخل فيه اليوم ويُخرج منه غداً على طريقة بعض اليهود الذين قالوا : (آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (البقرة72)

كما أن الردة عن الإسلام ليست مجرد موقف عقلي ، بل هي أيضاً تغيير للولاء وتبديل للهوية وتحويل للانتماء . فالمرتد ينقل ولاءه وانتماءه من أمة إلى أمة أخرى ، فهو يخلع نفسه من أمة الإسلام التـي كان عضواً في جسدها وينتقل بعقله وقلبه وإرادته إلى خصومها وأعداءها، ويعبر عن ذلـك الحـديث النبوي يقول رسول الله ﷺ فيه : [**التارك لدينه المفارق للجماعة**] ([294]) ، وكلمة المفارق للجماعة وصف كاشف لا منشئ ، فكل مرتد عن دينه مفارق للجماعة .

[294] - أخرجه **البخارى** (2521/6 ، رقم 6484) ، و**مسلم** (1302/3 ، رقم 1676) ، **وأحمد** (382/1 ، رقم 3621) ، رقم 36492) ، و**أبو داود** (126/4 ، رقم 4352) ، و**الترمذى** (19/4 رقم 1402) وقال : حسن صحيح . و**النسائى** (90/7 ، رقم 4016) ، و**ابن ماجه** (847/2 ، رقم 2534) **وابن أبى شيبة** (321/7 ، وعبد الرزاق (167/10 ، رقم 18704) ، و**ابن حبان** (256/10 ، رقم 4407) ، و**الدارقطنى** (82/3) . مسند الطيالسي:ج1/ص37 ح289 وغيرهم

إن التهاون في عقوبة المرتد المعلن لردته المجاهر بها يعرض المجتمع كله للخطر ويفتح عليه باب فتنة لا يعلم عواقبها إلا الله سبحانه . فلا يلبث المرتد أن يغرر بغيره ، وخصوصاً من الضعفاء والبسطاء من الناس ، وتتكون جماعة مناوئة للأمة تستبيح لنفسها الاستعانة بأعداء الأمة عليها ، وبذلك تقع في صراع وتمزق فكرى واجتماعي وسياسي ، وقد يتطور إلى صراع دموي بل حرب أهلية تأكل الأخضر واليابس .

ومهما يكن جرم المرتد فإن المسلمين لا يتبعون عورات أحدٍ ولا يتسورون على أحدٍ بيته ولا يحاسبون إلا من جاهر بلسانه أو قلمه أو فعله مما يكون كفراً بواحاً صريحاً لا مجال فيه لتأويل أو احتمال ، وأي شك أو غموض في ذلك يفسر لمصلحة المتهم بالردة .

هذا وجمهور الفقهاء قالوا بوجوب استتابة المرتد قبل تنفيذ العقوبة فيه ، بل قال شيخ الإسلام ابن تيمية هو إجماع الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ !! وبعض الفقهاء حددها بثلاثة أيام وبعضهم بأقل وبعضهم بأكثر ومنهم من قال يُستتاب أبداً ،!! والمقصود بهذه الاستتابة إعطاؤه فرصة ليراجع نفسه عسى أن تزول عنه الشبهة وتقوم عليه الحُجة ، ويكلف العلماء بالرد على ما في نفسه من شبهة حتى تقوم عليه الحُجة إن كان يطلب الحقيقة بإخلاص، وإن كان له هوى أو يعمل لحساب آخرين، يوليه الله ما تولى .

هذا حكم المنتسب لدولة الإسلام ثم خلع انتسابه وولاءه ، وانتقل من كونه عضوا إلى وصفه عدوا ، فليس السبب في هذه العقوبة راجعا إلى كون المرتد اعتنق دينا آخر أو كفر بالإسلام، بدليل معاملة المسلمين لغيرهم داخل المجتمع الإسلامي أو خارجه من المنتمين لبقية المعتقدات، ولكنه راجع إلى ما يعنيه الارتداد في مفهوم الدين وسياق المجتمع من تآمر على المسلمين وخيانة لهم بكل ما في ذلك من كيد ومكر، وسعي إلى زرع الشك في صفوفهم وبث الفرقة بينهم وردهم عن دينهم وهدم بناء مجتمعهم

والكاتب الصحافي قد لا يعلم و لا يفقه أن كلمة دين لا تعني دائما المعتقد الديني ! فكلمة دين لها معنى "النظام السياسي" كما جاء في سورة يوسف "لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ". أي تحت سلطة وفي نظام ملك مصر. وعليه فالمرتد لم يبدل دينه ولم ينسلخ من عقيدته فحسب ، بل بدل هويته وغير انتماءه وتنكر لدولته وأمته ، وما فتئنا في عصرنا نرى أي دولة وأي حكومة تحاكم المخالفين (الخونة) بالإعدام أو بعقوبات مشددة ، والتهمة غالبا ما تكون الخيانة ، أو التجسس ، أو الولاء للعدو ، وكل هذه التهم تجتمع في أصل واحد : تغيير الدين، خيانة الوطن.. أليس المبدل لدينه المفارق لجماعته المتنكر لأمته أولى وأحرى بالعقاب مما سبق ؟!

إن هذه القوانين الوضعيّة تقتل الخائن لها والمحطّم لنظمها دون أن تتذرع بأنّه يمارس حريته الشخصيّة ولم نر تدخل ببغاواتنا لتدافع عنه ، فكيف بمن يجرم في حق نفسه ومجتمعه وعقيدة أمته ؟!

وإذا كان الإنسان مخيرًا في دخول أي بلد ، فإذا ما دخلها لزمه الانقياد لأنظمتها وإلا استحق العقوبة على إخلاله ، وليس له أن يحتج بأنّه كان مخيرًا قبل دخوله لها .
كذلك من دخل في الإسلام فإنّه قد التزم أحكام الإسلام وعقيدة الإسلام والتي منها أن من ارتدّ عنه قتل ، فهو بدخوله في الإسلام التزم بأحكامه التي منها عقوبته عند الإخلال به .
مع أن المرتدّ بردته ارتكب عدة جرائم ؛ جريمة في حق نفسه إذ أضلها ، وجريمة باستخفافه بعقيدة أمته ونظامها الذي يرتكز على الإسلام ، وجريمة بتشكيكه لضعاف العقيدة في عقيدتهم ، وهذا كله مؤدٍّ إلى اضطراب المجتمع واهتزازه كما أنّه أعلن وجاهر بجريمته ولم يسرّ بها ؛ لأنه لو أسرّ ردته لعد منافقًا ، والمنافق لايعاقب ولا يحاكم ، لكن لما أعلنها صار مرتدًا مجاهرًا .])
وكل هذه الجرائم جرائم متناهية في البشاعة ، فبذلك استحق العقوبة الشرعيّة على جرائمه تلك ،
جاء في مجلة البيان: أما قولهم: إن حد الردة مصادم لما قرره القرآن من مبدأ عدم الإكراه في الدين ، فإنه غير صحيح ؛ لأن الإكراه المنفي في الآيتين إنما هو الإكراه على الدخول في الإسلام ابتداءً ، فالإسلام يريد ممن يدخل فيه أن يدخله عن قناعة ورغبة واختيار ، وإدراك لحقائقه وميزاته ، وأنه الدين الذي ارتضاه الله لعباده ، وجعله مهيمناً على الأديان كلها ، ولن يقبل من أحد ديناً سواه . فإذا دخل فيه كذلك ، فليس له من بعد أن ينكص عنه ، ويشتري الضلالة بالهدى ، ويستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ؛ إذْ ماذا بعد الحق إلا الضلال !!.]
وإن القلب الذي تذوّق حلاوة الإيمان ، وعاش في ظلاله الوارفة ؛ لا يمكن أن يرتد عنه ، وينكص على عقبيه ، إلا إذا غلب عليه هواه ، وفسد فساداً لا يرجى له بعده صلاحٌ أبداً .
ومن كان هذا حاله ، فجدير به أن يُقتل ويُستأصل . وأما قولهم : إنها مصادمة للحرية الشخصية في التدين بما يراه الإنسان .فالجواب عنه من وجهين :
الوجه الأول : أن الحرية الشخصية مقيدة كما سبق بعدم الإضرار بالنفس أو بالغير ، والردة تلحق بصاحبها وبالمجتمع المسلم أشد الضرر وأبلغه . فبالردة يحبط عمل المرتد ، ويخسر الدنيا والآخرة . وبها يحصل العدوان على الدين ، والطعن في عقيدة الأمة ونظامها الذي تقوم عليه جميع شؤونها .
الوجه الثاني : أن عقوبة الردة لا تتنافى مع الحرية الشخصية في اختيار العقيدة التي يرتضيها الإنسان ؛ لأن حرية العقيدة توجب أن يكون الإنسان مؤمناً بما يقول ويفعل . وبأن يكون له منطق سليم في انتقاله من عقيدة إلى أخرى ، وإعلانه ذلك أمام الناس .
ومن أين يكون المنطق والعقل السليم ، لمن يخرج من ديانة التوحيد إلى الوثنية ؟ ومَنْ ذا الذي يخرج من دينٍ كلّ ما فيه موافق للفطرة والعقل المستقيم ، إلى دين مناقض للعدل والمصلحة ، ولا يستطيع العقل تسويغ ما فيه ؟ لا يفعل ذلك أحد ، وهو ذو حرية فكرية حقيقية ، إنما يخرج من هذا الدين

القويم اتباعاً للهوى ، أو جنوحاً إلى المادة يطلبها ، أو كيداً للإسلام وطعناً فيه . فإذا حارب الإســـلامُ اتخاذَ الأديان هزواً ولعباً وتضليلاً وعبثاً ؛ فإنما يفعل ذلك لحماية الفكر والرأي من هــؤلاء العـــابثين والمخربين . وليست الحرية في أي باب من أبوابها انطلاقاً عابثاً لا يعرف حدوداً أو حقوقاً ؛ إنما هي اختيار مبني على حسن الإدراك وتبين الحقائق [العقوبة ، لأبي زهرة ، ص 93 .] .[295] اهـــ

إذن هذا هو السبب في اعتبار الردة جريمة يعاقب عليها القانون الإسلامي. ونكرر بعبارة أخرى فنقول إن الذي يعاقب عليه القانون ليس هو أن يغير الإنسان ما في قلبه؛ فهذا أمر لا يستطيع البشر الاطلاع عليه اطلاعاً مباشراً، ولا يستطيع أحد أن يجبر أحداً على اعتقاد معين حقاً كان أو باطلاً؛ ولذلك يقول ربنا لرسوله ﷺ : {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [القصص: 56] . ويقول له: {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ} . [الغاشية: 21 - 22]

وعليه ، فالاستدلال بمثل هذه النصوص على إباحة الردة استدلال خطأ؛ لأن هذه النصوص لا تـــتكلم عن حرية التعبير عن الكفر وإنما تتحدث عن وجود الكفر في القلب ، ومنـــع التعبيـــر عـــن الكفـــر والتصريح به غير منع وجوده في القلب ، والتفريق بين هذين أمر متفق عليه بين كـــل العقـــلاء، ولا يمكن إلا أن يراعى حتى في القوانين الوضعية. فالقانون لا يعاقب إنساناً على اعتقاده بأن إنساناً آخـــر سارق مثلاً، وإنما يعاقبه على إعلانه عن هذا الاعتقاد لما يترتب عليه من ضرر بـــالمتهم ، ولـــو أن مسلماً رأى أخاً له يزني وتأكد من هذا الأمر فلا يجوز له أن يصرح به، بل إن تصريحه به يعد ذنبـــاً يعاقب عليه إذا لم يشهد معه ثلاثة مثل شهادته.

وكذلك الأمر بالنسبة للردة ، فالمسلم إذا ارتد وكتم ردته في قلبه بحيث لم يطلع عليه إلا الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ فإن الله هو الذي يحاسبه. أما في الدنيا فيعامل معاملة المسلم. وأما إذا أعلـــن ردتـــه فإنـــه يعاقب لما قد يترتب على ردته من عواقب سيئة عليه وعلى غيره. ومن هذه العواقب:

أولاً : استعمال الردة وسيلة لمحاربة الدين، ومن ثَم الدولة التي يقوم عليها هذا الدين. قال ـــ تعالى ـــ عن بعض الكفار: {وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [آل عمران: 72] . فتأمل في قولهم لعلهم يرجعون ،

ثانياً : أن الإنسان قد تخطر بباله شبهات تشككه في دينه؛ فإذا ما صرح بها وعرفها الناس عنه، ربما كان من الصعب عليه أن يتنازل عنها. وأما إذا ما كتمها في قلبه، أو بدأ يناقش بعض إخوانـــه فيهـــا مناقشة علمية، فقد يرجع عنها. وقد جربنا هذا كثيراً.

[295] - مجلة البيان / العدد 193 / دحض الشبهات التي تثار حول العقوبات الشرعية / د. عبد العزيز بن فوزان بن صالح الفوزان

ثالثاً : إن التصريح بالخروج من الدين لا تقف حدود ضرره على المرتد وحده، بل إن هذا قد يؤثر في كل من له صلة به ولا سيما الزوجة أو الزوج والأولاد والأقارب وكل محيطه.
فتجريم إعلان الردة هو في الحالة الأولى حماية للأمة، وفي الحالة الثانية حماية للفرد، وفي الحالة الثالثة حماية لمن حوله ممن قد يتأثر به.
قال السيد سابق : وليس في عقيدته (الإسلام) ولا شريعته ما يصادم فطرة الإنسان، أو يقف حائلاً دون الوصول إلى كماله المادي والأدبي.. ومن دخل فيه وعرف حقيقته، وذاق حلاوته، فإذا خرج منه وارتد عنه بعد دخوله فيه وإدراكه له، كان في الواقع خارجاً على الحق والمنطق ومنكرا للدليل والبرهان وحائداً عن الحق السليم والفطرة المستقيمة ، والإنسان حين يصل إلى هذا المستوى، يكون قد ارتد إلى أقصى دركات الانحطاط ، ومثل هذا الإنسان لا ينبغي الحفاظ على حياته، ولا الحرص على بقائه لأن حياته ليست لها غاية كريمة ولا مقصد نبيل؟.
هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن الإسلام وهو منهج عام للحياة ونظام شامل للسلوك الإنساني لا غنى له من سياج يحميه، ودرع يقيه..
فإن أي نظام لا قيام له إلا بالحماية والوقاية والحفاظ عليه من كل ما يهز أركانه ويزعزع بنيانه، ولا شيء أقوى في حماية النظام ووقايته من منع الخارجين عليه، لأن الخروج عليه يهدد كيانه، ويعرضه للسقوط والتداعي..
إن الخروج على الإسلام والارتداد عنه، إنما هو ثورة عليه والثورة عليه ليس لها من جزاء إلا الجزاء الذي اتفقت عليه القوانين الوضعية فيمن خرج على نظام الدولة وأوضاعها المقررة.
إن أي إنسان سواء كان في الدول الشيوعية أم الدول الرأسمالية، إذا خرج على نظام الدولة، فإنه يتهم بالخيانة العظمى لبلاده والخيانة العظمى جزاؤها الإعدام. ، فالإسلام في تقرير عقوبة الإعدام للمرتدين منطقي مع نفسه ومتلاق مع غيره من النظم".[296]
جاء فيكتاب : المفصل في شرح آية لا إكراه في الدين للشيخ علي بن نايف الشحود :
وما زعمه بعض المعاصرين، من المساواة بين المسلم المرتد والكافر الأصلي، في أن لكل منهما حرية الاعتقاد ، ودخولهما في النهي عن الإكراه في الدين ، الوارد في كتاب الله ، مثل قوله تعالى: {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الْغَيِّ} []هو زعم باطل، من ثلاثة أوجه:
الوجه الأول: ما سبق من المفاسد المترتبة على ارتداد المسلمين، وتأثيره الخطير على الأمة ودينها...
الوجه الثاني: أن النهي عن الإكراه في الدين، حكم عام أريد به الخاص، وهو الكافر الأصلي الذي لم يدخل في الإسلام ، بدليل ما ورد من السنة في حكم المرتد ، ولو فرض أن المرتد يدخل في

296 - [فقه السنة (457/2)].راجع أيضا [كتاب الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي (101/2، 188)]

عموم النهي عن الإكـــراه في الدين ، فإنه يجب تخصيصه بـــما ورد في السنة من حكم المرتد ، لأن الخاص مقدم على العام.

الوجه الثالث : إجماع علماء الأمة على القول بحكم المرتد الذي ورد في السنة الـــصحيحة ، وكـــذلك عمل الصحابة وغيرهم من ولاة الأمور به.

ولا يجوز أن يساوى بين المسلم المرتد عن الإسلام، والكافر الأصلي، لأن الداخل فـــي الإســـلام، لا يخلو من أحد شخصين: شخص نشأ مسلما في أسرة مسلمة وشعب مسلم، وهذا لعمر الله جدير بـــشكر نعمة الله عليه، حيث هيأ الله تعالى له بيئة لم تتلوث برجس الكفر الذي لا يتمكن كثير من أهلـــه مـــن الاهتداء إلى هذا الدين والدخول فيه.

وشخص آخر لم يكن مسلما، ولكنه دخل في الإسلام مختارا حرا لم يكرهه على الدخول فيه أحد، بـــل دخله بسبب قيام حججه وبراهينه التي تضطر العقل على الاعتراف بأنه الدين الحق الذي لم يعد فـــي الأرض دين حق سواه ، وهو يعلم كذلك أنه لا يجوز لمن دخل في الإسلام الخروج منه إلى غيره ، ويعلم أنه بنطقه بالشهادتين، قد أسلم وجهه لله، وأصبح بذلك خاضعا لشرعه الكامل وحكمـــه العـــادل الذي إذا ثبت أي حكم من أحكامه، وجب تطبيقه عليه رضيه أو كرهه.

أقول بعد هذا: إن الذين فسروا عبارة {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} ذلك التفسير الغربي، والتزموا لوازمه كلها أو بعضها، وأباحوا الردة ، اضطروا كلهم لأن ينكروا أو يحرفوا نصوص القرآن والسنة النبوية.

إن الذين يتغنون بتجريم أو إلغاء حد الردة ، لا نشك في زندقتهم وعمالتهم ، لأنهم لا يريدون للإسلام ظهورا ولا استقرارا ولا استمرارا ، وهم من يدندنون كل صباح ومساء حول مـــصطلحات التقـــارب والتعايش والحوار، وقد يستلزم سعيهم هذا عدة مفاسد ، بل اصطدامات مع أصول الإسلام وثوابته ، وهذا يعرفونه ويفهمونه ، ولا يحزنهم ذلك لأن ذلك أملهم ومبتغاهم ومن أوضح مفاسده :

أنه يتضمن المساواة بين الكافرين والمسلمين، يقول تعالى : {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَـــالْمُجْرِمِينَ} (القلـــم: 35). ويقول تعالى : {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِـــينَ كَالْفُجَّـــارِ} (صّ: 28). ودعوة التقريب في أساسها تقرر مبدأ المساواة الدينيّة، وهذا رفع لما وضعه الله، وتنزيل لما رفعه الله تعالى, فالتقارب يفترض المساواة بين الأديان وعدم امتلاك الحقيقة المطلقـــة لأي منها، وهذا شك في الإيمان والإسلام وتوسط بين الأديان ، وهذا يقتضي ترك الجزم بصحة الحقـــائق المطلقة في الإسلام ونظرته إلى أهل الأديان الأخرى .

فإن قال أحدهم: إنه لا ذكر لتجريم المرتد في القرآن الكريم. نقول له: بلى! قـــال ـــ تعـــالى ـــ: {إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا

لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ * فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} [محمد: 25 – 28] .

فإن قال لك: لكن المذكور في هذه الآية وآيات غيرها إنما هو عقاب أخروي. نقول له: لكنه تجريم على كل حال . ثم إن تفاصيل كثير من الأحكام إنما جاءت بها السنة التي أمرنا الله ــ تعالى ــ في كتابه أن نأخذ بها. فإنكار السنة أو شيء منها إنكار للقرآن الكريم. كما سبق في الفصول الأولى ،

ويقول عز وجل {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ} فالقرآن يحكم على من اعتنق غير الإسلام بالخسران ، وأنه لن يقبل منه دين غيره ، كما بين الحق سبحانه أن من يبدل الإيمان بالكفر فقد سلك سبيل الضلال {وَمَنْ يَتَبَدَّلْ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} ووصف من رغب عن ملة الإسلام بسفه النفس، فقال تعالى: {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ؛ أي ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره ، فمن ترك طريقه هذا ومسلكه وملته، واتبع طرق الضلالة والغي، فأي سفه أعظم من هذا أم أي ظلم أكبر من هذا، كما قال تعالى: {إن الشرك لظلم عظيم}"

فإن قال قائل : إن الذي ارتد عن الإسلام لا يعني أنه حاربه أو لعب به ،

نقول : إذا لم تكن الردة عن الإسلام استهزاء بدين الله، فما هو الاستهزاء؟ هل الإسلام ملعب كرة أو صالة عرض سينمائي، يحق لكل إنسان أن يحمل على صدره بطاقة للدخول فيهما والخروج منهما متى شاء؟

فإن قال قائل : إن الذي ارتد عن الإسلام يتحمل وزر نفسه ، ولا يتعدى ضرره ،

نقول: إننا لم نر مرتدا عن الإسلام، خرج منه بهدوء وعفوية، بل إن الذين يعلنون ردتهم وكفرهم بالإسلام، يصبحون مع ردتهم دعاةً إلى ما انتقلوا إليه من دين محرف، أو منحازين إلى مؤسساته مستهزئين بالإسلام وأهله وشعائره وعلمائه، مستفزين عامة المسلمين ، متخذين كل وسيلة متاحة لنشر أفكارهم وهجومهم على هذا الدين.

ولولا أولئك ما سمعنا كل هذا الصراخ العويل ، بل تجده يخرج على الملإ ويعلن مستوره ، ويتحدى باستهزاء واستفزاز ، ويكتب في صفحاته ويعلن في الإذاعات والقنوات ، ويحاول جلب غيره وإلحاقه به ، أفلا يعد ذلك خروجا على النظام ، ودعوة للثورة والعصيان ،

وبعد .. فقد تبين ولله الحمد أنه لا تناقض ولا تعارض بين أي حديث ولا أي آية ، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، ولمن ركب حصان الحق والإنصاف لا بغل الهوى والإجحاف .

الأمة الممسوخة

قال الكاتب مستهزئا متهكما بالحديث ومنكرا له :

ومن الغرائب المضحكة والأساطير الغريبة المغرقة في الخرافة والمؤسسة للجهل المطبق ما ورد في صحيح البخاري منسوبًا للرسول الكريم صلى الله عليه و سلم بأنه اعتبر الفأر أمة فقدت من بني إسرائيل!!! خرافة من خرافات صحيح البخاري المضحكة سيدافع عنها الجهلاء بشكل غريب فقط لأنها وردت في هذا الكتاب الذي يعج بالخرافات والإساءات لمقام النبوة ومقام الألوهية بشكل غريب . (ص67)

يقول ﷺ : **فقدت أمة من بني إسرائيل لا يدرى ما فعلت وإني لا أراها إلا الفأر ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشرب وإذا وضع لها ألبان الشاة شربت،)** في هذا الحديثِ يخبر ﷺ أنَّ طائفةً من بَني إسرائيلَ فُقدتْ ممسوخةً ولا يُعلَمُ ما وقَع لهم؛ وأنه يظن أنها الفأر وعلامةُ ذلك أنَّه إذا وُضِعَ لها ألبانُ الإبل لم تَشربْ؛ لأنَّها كانتْ محرَّمةً على بَني إسرائيلَ، وإذا وُضِعَ لها ألبانُ الشَّاءِ شرِبتْ، والشَّاءُ جمْعُ شاةٍ، وهي الغَنَمُ، وفي روايةٍ قال ﷺ : **(الفأرةُ مَسْخٌ، وآيةُ ذلك أنَّه يُوضَعُ بين يدَيْها لبنُ الغنمِ فتَشرَبُه، ويُوضَعُ بين يدَيْها لبنُ الإبلِ فلا تَذُوقُه)،**[297]

والظَّاهرُ من الحديث: أنَّه ﷺ قال ذلك اجتهادًا منه وظنًّا قبل أنْ يُخبَرَ من الله تعالى أنَّه _سبحانه_ لم يَجعَلْ لمسخٍ نَسْلًا ولا عَقِبًا كما ثبَت عنه ﷺ ، بعد ذلك ، فقد ذُكِرَ عند النَّبيِّ ﷺ القِردَةُ والخنازيرُ، فقال: إنَّ الله لم يَجعلْ للمَسخِ نسْلًا ولا عقبًا، وقد كانتِ القِردةُ والخنازيرُ قبل ذلك- كما في صحيح مسلمٍ وغيره- وعلى هذا يُحمَلُ قولُه ﷺ : لا أُراها إلَّا الفأرَ، وكأنَّه كان يظُنُّ ذلك، ثمَّ أُعلِمَ بأنَّها ليستْ هي ،

قال شراح الحديث: فقدت أمة من بني إسرائيل أي ذهبت طائفة منهم أو سبط لا يعلم ما وقع لهم. فيقول ﷺ : لا أراها أي لا أظنها إلا مسخها الله تعالى ...) ومعنى هذا أن لحوم الإبل وألبانها حرمت على بني إسرائيل دون لحوم الغنم وألبانها، فدل امتناع الفأرة من لبن الإبل دون الغنم على أنها مسخ من بني إسرائيل. وعليه؛ فهذه الحيوانات كانت قبل أن يكون المسخ لبعض الأمم، ومن مسخ منهم قردة أو خنازير أو غيرها فقد انقرض ولم يبق له وجود.

فنخرج من ذلك بأمرين :

الأول : احتمالية أن يكون قالها النبي ﷺ قبل أن يوحى إليه و انه قال هذا القول من حدسه . ثم لما أوحي إليه علم انه لم يقع مسخ الفار على بني إسرائيل . و هذا الرأي تبناه الإمامان ابن حجر والإمام القرطبي رحمهما الله . و هذا القول رده الجمهور مما يوصلنا للأمر الثاني .

---

[297] -أخرجه أحمد (234/2 ، رقم 7196) ، والبخاري (1203/3 ، رقم 3129) ، ومسلم (2294/4 ، رقم 2997) . وأخرجه أيضًا : أبو يعلى (420/10 ، رقم 6031) ، والديلمى (126/3 ، رقم 4340) . _ مصنف عبد الرزاق:ج4/ص447 ح8399

الثاني: أن المسخ وقع . ومعنى هذا أن هناك أمة من الأمم السابقة من بني إسرائيل مسخت فارا ثم توفيت وانقرضت ، و هذا يعني أن الممسوخين لم يتناسلوا ، بل إن المعلوم من حديث النبي ﷺ أن المسخ لا يتناسل ، فعن عبد الله بن مسعود... قال رجل يا رسول الله القردة والخنازير هي مما مسخ فقال النبي ﷺ **(إن الله عز وجل لم يهلك قوما أو يعذب قوما فيجعل لهم نسلا وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك)** حدثنا سفيان بهذا الإسناد غير أنه قال وآثار مبلوغة قال ابن معبد وروى بعضهم قبل حله أي نزوله (صحيح مسلم ، كتاب القدر)

و على هذا علم أن الفئران التي مسخت إليها تلك الجماعة من بني إسرائيل لم يتناسلوا وأن الفار اليوم ليس من نسل المسوخ بل وجد قبل و بعد المسوخ .

و هذا الرأي هو رأي الجمهور ، ولا مشكلة في اتباع الرأي الآخر (انه كان حدسا من النبي ﷺ قبل أن يوحى إليه) أيضا لأنه وارد ومحتمل .

أما الإمام الدارقطنى فقد رجح وقف الحديث على أبى هريرة رضى الله عنه لا رفعه إلى النبي ﷺ

ففي علل الدارقطني 385 (5/ 21) – وسُئِل عَن حَديث مُحمد بن سيرِين، عَن أَبي هُريرة، عَن النَّبيِّ: فُقِدَت أُمَّة من بَني إِسرائيل لا يُدرَى ما فعلَت، لا أُراها إِلاَّ الفَأر، أَلا تَرَون أَنها إِذا وجَدَت أَلبان الإِبل لَم تَشربَها فإِذا وجَدَت أَلبان الغَنَم شَرِبَتها. فقال: اختُلِف في رَفعِه، فرفَعه خالِد الحَذَّاء، وهِشام بن حَسان، وأَشعث عَن ابن سِيرِين، عَن أَبي هُريرة. واختُلِف عَن أَيوب، فرُوِي عَن عَبد الأَعلَى بن حَماد، عَن حَماد بن سَلَمة، عَن أَيوب وحَبيب وهِشام، عَن ابن سِيرِين، عَن أَبي هُريرة، مَرفُوعًا.

ورَواه الحَسن بن مُوسَى، عَن حَماد بن سَلَمة، عَن حَبيب بن الشَّهيد وهِشام، عَن ابن سِيرِين، عَن أَبي هُريرة، مَوقوفًا، وهو أشبه بالصواب.

هذان قولان لأهل العلم ، هناك من قال أن النبي ﷺ قال ذلك من حدسه ثم أوحي إليه أنه ليس كذلك وأنه لم يقع مسخ إلى الفأر .

والقول الثاني أن المسخ إلى الفأر وقع ولكنه الممسوخين لم يتناسلوا بل عاشوا مدة وانقرضوا ،

بيد أننا لا ندري وجه إنكار الكاتب واستنكاره ، أهو المسخ إلى الفأر خاصة ، أم عموم المسخ ،؟! فإن كان ينكر المسخ عموما _وهو الغالب في ظني_ فقد أنكر صريح القرآن ، وإن كان أنكر أن تكون أمة مسخت فأرا فنقول له إن القادر على مسخ الإنسان إلى قردة وخنازير قادر على مسخهم إلى ما هو أدنى أو أعلى من ذلك ،

وهذا يسلمنا إلى القول الثالث الذي لم يذكره العلماء السابقون ولم أقف عليه في كتبهم ، وهو أن المسخ واقع مستمر ، بل متجدد يمكن أن يقع في عصرنا وما بعده ،

أما الدليل على وقوع المسخ فمن ذلك قوله تعالى في المائدة : " قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّن ذَالِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَائِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ السَّبِيلِ" والمتأمل المتبصر يستوقفه دخول (الـ) على كلمة "قردة وخنازير " مما يعني أنهم مسخوا إلى القردة والخنازير المعروفة لا إلى جنس آخر لا يعلم عنه شيء .

وجاء في سورة البقرة الآية 65 " ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين " وفي سورة الأعراف الآية 166 " فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين "

فهذه الآيات البينات تدل على أن من أمة اليهود من مسخوا قردة وخنازير ، فكيف يستحيل عقلا وشرعا أن تكون أخرى مسخت فأرا أو ضبا أو غيرها ؟!

بل إن المسخ يمكن أن يقع في أي وقت وفي أي أمة ، فالأمر لم يقتصر على اليهود فقط !! بل يمكن أن ينال أيضا بعض العصاة من أمة المسلمين ، ففي البخاري أن النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ "لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ يَأْتِيهِمْ يَعْنِي الْفَقِيرَ لِحَاجَةٍ فَيَقُولُوا ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا. فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ وَيَضَعُ الْعَلَمَ وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ".

يؤكد هذا الحديث على أن مستحلي الزنا وشرب الخمر والمعازف من أمة محمد ﷺ يعاقبهم الله ويجعل منهم القردة والخنازير إلى يوم القيامة وهذا يعنى استمرار عملية العقاب في كل حين وفى كل عصر ويؤكد نفس المعنى حديث آخر جاء أيضا في البخاري ".. عَنْ أَبِى مَالِكٍ الأَشْعَرِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: « لَيَشْرَبَنَّ أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا وَتُضْرَبُ عَلَى رُءُوسِهِمُ الْمَعَازِفُ يَخْسِفُ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ وَيَجْعَلُ مِنْهُمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ".

وهنا نقف ونتساءل، هل يعجز الله تعالى عن مسخ هؤلاء العاصين إلى قردة أو نوع منهم؟ بالطبع لا، لقد استخدم الله تعالى في أية البقرة وأية الأعراف أمر " كن " وهو مفتاح من مفاتيح قدرته حينما ذكر قوله تعالى " كونوا قردة خاسئين " وقد استخدم الله أمر " كن " كما جاء في عدة آيات في كل ما يخرق الطبيعة ، أليس كل ما جاء في هذه الآيات يدل على أن الله تعالى مسخهم بالفعل إلى قردة حقيقيين وليس تشبيها لأنه استخدم أمر" كن " لتنفيذ إرادته وقضائه وقدره؟

وعلى أي ، فإن علماء الحديث عندما يَسمون حديثا بالضعف أو الصحة فإن ذلك لا يعني _ولا يعنون أنه صحيح قطعا لا مجال فيه للشك أو ضعيف لا مجال فيه لنسبة من الصحة !! إنما قصدهم بالصحيح والضعيف الظن فقط، وأن هذا هو الغالب، وإلا فقد يكون عكس ذلك فيمكن أن تكتشف فيه علة، ولو كان ظاهره الصحة، ويمكن أيضاً أن يكون ما عللوه به وضعفوه من أجله لا يضر، فيكون صحيحاً من وجه لم يطلعوا عليه، وإلى هذا يشير الإمام الحافظ العراقي في ألفيته في علم الحديث حين

قال: وفي الصحيح والضعيف قصدوا // في ظاهر لا القطع والمعتمد

وهنا أتساءل سؤالا آخر ، أليس الفئران هم الذين يجرى عليهم العلماء التجارب لاختبار دواء معين يستخدمه الإنسان فيما بعد لوجود صفات مشتركة بينهم وكونهم من الثدييات؟

والعلم الحديث يؤكد أن هناك تقاربا بين الإنسان والفئران ونوع معين من أنواع القرود وكذلك نوع من الخنازير ، والعلم الحديث يؤكد على أن الشمبانزي هو أقرب إلى صفات الإنسان، فقد نشر على موقع محطة C.N.N باللغة العربية في عددها رقم 1726 بتاريخ 2002/9/25 أن العالم البيولوجي روي بريتن من معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا كشف في دراسة نشرت مؤخراً أن الطرق الجديدة لمقارنة الجينات بين البشر والشمبانزي أثبتت أن التطابق وصل إلى حد95% ،!! وعلى نفس الموقع نشر في العدد رقم 1846 بتاريخ 2002/10/22 وتحت عنوان " جينات بشرية في قلوب الخنازير " جاء فيها أن الباحثين الإيطاليين قد توصلوا إلى تحميل جينات بشرية في قلوب وأكباد وكلى الخنازير في تطور يمكن أن يقود إلى تخليق قطعان من الخنازير يمكنها تقديم أعضاء يمكن زرعها في جسم الإنسان "

وجاء أيضا في سياق الموضوع أن دراسة نشرت للأكاديمية الوطنية للعلوم (الأمريكية) توصل باحثون من جامعة ميلان إلى أنهم حينما خلطوا السائل المنوي للخنازير بالحامض النووي البشري لنقل جين يسمى DAF، فإن السائل المنوي المرشح ساهم في تخصيب بويضات الخنزير لإنتاج أجنة منها تحمل جينات بشرية تستخدم كقطع غيار بديلة للأعضاء البشرية ".

كما أعلن العلماء الأمريكيون كما جاء على موقع (إسلام أون لاين) على شبكة الانترنيت بتاريخ 2001/1/12 أنهم أدخلوا تعديلات وراثية على قرد في أول محاولة لتعديل أقرب الأنواع إلى البشر جينيا، في خطوة قد تسرع بابتكار عقاقير لعلاج أمراض مثل "الزهيمر" (خرف الشيخوخة) والسرطان.

وقال "جيرالد شاتن" بمركز أوريجون لأبحاث الرئيسيات وهي رتبة الثدييات التي تشمل الإنسان والقرد – إن الفكرة هي تعديل قردة بحيث يمكنها أن تحمل جينات من المعروف أنها تسبب أمراضا للإنسان. مشيرا إلى أنه ربما يمكن استنساخ هذه القردة بحيث تستخدم نسخها المطابقة في دراسة العقاقير وأنواع مختلفة من العلاج دون الحاجة إلى التشتت الناجم عن الاختلافات الجينية.

وأضاف "شاتن" الذي نشر إنجازه في مجلة "ساينس" العلمية في عددها الصادر الجمعة 2001/1/12 أن العالم ربما يستعد لاستقبال بعض القردة المعدلة بطريقة خاصة لسد الهوة بين الفئران والإنسان، فالقردة أقرب إلى الإنسان من الفئران والتي لا تمر بالدورة الشهرية كما لا تعاني من سرطان الثدي مثلما تعاني النساء؛ ولهذا فإن عددا محدودا من القردة المخلقة بطريقة خاصة يمكن أن يساعدنا على اقتلاع جذور السرطان. // ففي كل الأحوال تبقى أمور لا تدرك كنهها عقولنا وأمور غيبية لم تصلنا حقائقها ، وكل الإحتمالات واردة والله تعالى أعلى وأعلم .

كيف تسجد الشمس

قال ابن العربي المالكي : "أنكر قوم سجود الشمس، وهو صحيح ممكن". قلت: إنما ينكر ذلك من يرتاب في صدق النبي ﷺ ، فأما من لا يشك في صدقه، ويعتقد أنه مبلغ عن ربه كما أخبر الله عنه في قوله: { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى } ؛ فلا ينكر ذلك ولا يرتاب فيه.

فإن قيل: إن الشمس لا تزال طالعة على الأرض، ولكنها تطلع على جهة منها، وتغرب عن الجهة الأخرى؛ فأين يكون مستقرها الذي إذا انتهت إليه سجدت واستأذنت في الرجوع من المشرق؟!

فالجواب أن يقال: حسب المسلم أن يؤمن بما جاء في الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ ، ويعتقد أنه هو الحق، ولا يتكلف ما لا علم له به من تعيين الموضع الذي تسجد فيه الشمس، بل يكل علم ذلك إلى الله تعالى. قال ابن كثير : "وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قرأ: { وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا } ؛ أي: ليست مستقرة؛ فعلى هذا تسجد وهي سائرة". انتهى.

وغاية ما في الأمر: أن سجود الشمس صحيح ممكن, وتأوله قوم بأن سجودها هو ما هي عليه من التسخير الدائم ، وذهابها هو غروبها ووجه بعض العلماء المعنى بأن المراد من سجودها هو سجود من هو موكل بها من الملائكة فيكون الاستئذان أسند إليها مجازاً , والمراد من هو موكل بها من الملائكة .

وقال صاحب كتاب أيسر التفاسير : " وكونها أي الشمس تحت العرش فلا غرابة فيه فالكون كله تحت العرش وكونها تستأذن فيؤذن لها لا غرابة فيه إذا كانت النملة تدبر أمر حياتها بإذن ربها وتقول وتفكر وتعمل فالشمس أحرى بذلك وأنها تنطق بنطقها الخاص وتستأذن ويؤذن لها " . أهـ

والكاتب ينكر سجود الشمس ويعد ذلك خرافة ، فإن كان ينكر سجودها جملة وتفصيلا ، فقد كذب القرآن الكريم ، فالله سبحانه يقول ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ))

وإذا كان الحديث في نظر الكاتب ومن يمده بالشبهات خرافة فليفسروا لنا ما جاء في كتاب النصارى المقدس في سفر الجامعة [1 : 5] : ((الشمس تشرق ثم تغرب ، مسرعة إلي موضعها الذي منه طلعت !!!)) فمنذ متى كانت الشمس _ عند غروبها _ تسرع عائدة إلي المكان الذي تشرق منه ؟

وليعلم المنكرون أن (الاستشكال لا يستلزم البطلان.) وأن عدم العلم ليس بدليل على العدم.

ما المراد بالغروب المذكور في الحديث ؟

الذي يظهر أن معنى "الغروب" قد التبس على قوم فظنوا أن المراد بقوله ﷺ **(أتدري أين تغرب)** هو التواري التام عن نظر جميع أهل الأرض وأن هذا من لوازم السجود المذكور ولفظ الحديث لا

يومئ إلى هذا ولا يدل عليه فضلاً عن أن يكون من لوازم لفظ الغروب. والحق أن المراد بالغروب الذهاب لا الغياب التام كما فسرته لفظة الرواية الأخرى وهو قوله ﷺ (أتدري أين تذهب) وهذا معنى صحيح من حيث اللغة وهو مستعمل عند العرب ، قال ابن منظور "غرب القوم غرباً (أي) ذهبوا" ، كما أن باقي الحديث في روايات فيه "**إنها تذهب...**" وفائدة لفظة الذهاب أنها تتضمن معنى الحركة فما من ذاهب إلا وهو متحرك.

قال الشهري: قوله ﷺ :" **فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش**" عند البخاري وغيره. ولم يقل عليه الصلاة والسلام أنها "تغرب تحت العرش" أو "حتى تغرب تحت العرش" وهذا فهم توهمه بعض الناس الذين أشكل عليهم هذا الحديث وهو فهم مردود لأن ألفاظ الحديث ترده. فقوله:"تذهب" دلالة على الجريان لا دلالة على مكان الغروب لأن الشمس لا تغرب في موقع حسي معين وإنما تغرب في جهة معينة وهي ما اصطلح عليه الناس باسم الغرب ، والغروب في اللغة التواري والذهاب كما ذكره ابن منظور وغيره ، صحيح أن الشمس "تغرب" عن نظر قوم ولكن هذا بالنسبة إليهم ولذلك يجب التفريق بين حقيقة "الغروب" ومجرد "رأي العين" ، كما في قوله تعالى (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) وهذا صحيح برأي البصر ولذلك نسب المرئي إلى من يراه فقال "وجدها" ..[298]

وهذا القدر الذي بينا كاف لأولي الألباب ، ومن أراد الإستزادة فدونكم صفحات منقولة بتصرف من بحث رائع للأستاذ : عبد الله بن سعيد بن علي الشهري بعنوان (رفع اللبس عن حديث سجود الشمس) حيث قال : واعلم أن الغرض من هذا البحث ليس إثبات صحة الحديث فهو صحيح بلا ريب ، وإنما الغرض نفي الامتناع ، أي امتناع حصول سجود الشمس واستئذانها مع كون الناس لا يستنكرون من أمر سيرها وجريها شيئا. أما من يرمي جاهداً إلى إثبات الامتناع فيلزمه – قبل أن يمشي خطوة واحدة – الإحاطة بحقائق ثلاث أمور عليها يدور معنى الحديث فإذا أحاط بحقائقها وتيقن من ذلك حق اليقين فليأتنا بالدليل القاطع على ما حصلّه من علم (وما أظنه قادرا على ذلك) وهذه الحقائق هي :

1- ... حقيقة العرش. 2- ... حقيقة حركة الشمس. 3- ... حقيقة سجود الشمس.

أولاً: حقيقة العرش: فالذي يمكن قوله هنا هو أن نقص الإحاطة بحقائق هذه الثلاث مؤثر ولا بد في مقدار الفهم و طريقة الإدراك ، فما بالك إذا كان المرء يجهل أكثر حقيقتها وعلى رأس هذه الأشياء حقيقة العرش الذي لا يعلم حقيقة كيفيته و هيئته و حجمه وصفته إلا الله وحده. وليس لنا أن نتكلف للعرش من الأوصاف ما لم يجيء بها القرآن والسنة. فنؤمن بأنه عظيم القدر حجماً و وزناً. أما عظم حجمه فقد جاء في الحديث (**ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، و فضل**

[298] بحث للأستاذ : عبد الله بن سعيد بن علي الشهري بعنوان (رفع اللبس عن حديث سجود الشمس)

العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة) وأما عظم وزنه فقد جـاء عنـد مـسلم ... وللعرش قوائم كما في الصحيحين... أما إذا شغبنا بطلب الإيغال في معرفة حقيقة حجم العرش وحقيقة قوائمه وسائر أحواله وصفاته فهذا مما لا علم لنا به ، و هو الحد الفاصل الذي يستوي عنـده العـالم والجاهل ، فيبقى الكل عاجزاً حسيراً عن تصور ماهيته ومعرفة أصل حقيقته ، ...

ثانياً: حقيقة حركة الشمس: وكذا حقيقة حركة الشمس. فالحديث صريح في أن الـشمس هـي التـي تتحرك وأنها غير ثابتة ، ولا يقولن مسلم: لكن الحق الذي لا مرية فيه أن الشمس ثابتة، لأن هذا غير ثابت بطريق القطع الحسي كما سنرى ولا يوجد إجماع كامل من كل العلماء على ذلك بل يوجد فريق كبير من العلماء المعاصرين على خلاف هذا الرأي كما سيتبين لاحقاً. .. فهذه النظريات ليست محـل اتفاق كلي أبدي سرمدي! وأن حقيقة حركة الشمس أمر لم يحسم حسماً تاماً .. أقول لم يطبق على أمر ثبات الشمس كل علماء الفلك والفيزياء ولم يتفقوا عن بكرة أبيهم على ضد ذلك وإن اتفق أكثر النـاس لشهرة المعلومة لا لثبوتها لديهم من طريق حسي يقيني. لم يقل أحد من العلماء المعتبـرين أن القـول بثبات الشمس يستند إلى شاهدٍ قطعي من الواقع الملموس. غاية ما هنالك أن هذا النموذج الذي يسمونه النموذج الشمسي (heliocentric) والذي وضعه كوبرنيكس استحسنه وفضله العلماء لأنه أنسب مـن جهة الحساب في تفسير دوران الكواكب وحركة الأجرام. وقد نص كثير من كبار علمائهم مثل "فـرد هويلي" و "بول ديفس" و "برتراند رسل" على احتمالية هذه المسألة وخضوعها لمبدأ النسبية أكثر مـن كونها نظرية أضحت حتماً مقضياً. وصرح آخرون كالفيسلوف الأمريكي والتر ستيس بأنه لو قال أحد أن الشمس هي التي تدور لا يمكن لأحدٍ أياً كان أن يبرهن (بطريق الحس) على خطأه إلا إذا استطاع أن ينظر للكون كله من الخارج ويرى ذلك وهذا مستحيل في الوقت الراهن. ولذلك يؤكـد الفيزيـائي المعاصر بول ديفس على أنه لن نتمكن أبدًا من التأكد من صحة هذا التصور مهما بدا دقيقًا ، وعليـه (فليس لنا أن نستبعد كليًّا أن صورة أكثر دقة قد تُكتشف في المستقبل).

ومن هنا دافع مؤيدوا كوبرنيكس نفسه عنه أمام الكنيسة – التي عارضته – وقالوا (بأن النموذج الذي قدمه كان مجرد تحسين رياضي مفيد لتحديد أماكن الكواكب في المجموعة الشمسية، ولـيس تمثـيلاً حقيقيًّا لواقع العالم).

وقد ظهر الآن فريق من العلماء يعرفون ب (Neo-geocentric scientists) أي "علمـاء النمـوذج الأرضي المتأخرين/ المعاصرين" و يؤيدون في نموذجهم بأدلتهم الجديدة النمـوذج الأرضـي القائـل بثبات الأرض ودوران الشمس. ولذلك لم يجرؤ عالم معتبر على زعم ثبوت النموذج الشمسي بطريق الحس وإن كان لديهم قرائن ليست بأفضل من استحسانهم الرياضي للنموذج. ومع كونه رياضيا فإنهم لم يجعلوا الحساب فيصلاً يقينياً لأن جمهورهم متفقون على أنه لا يلزم من صحة النتيجـة الرياضـية

مطابقتها للحقيقة الفيزيائية الخارجية من كل وجه ، .. ومما يجدر التنبيه عليه هو أن اختلاف زمـــان ومكان الملاحظين مؤثر في الحكم على الأعيان المتحركة التي تشغل زماناً ومكاناً مختلفــين كــذلك. وهو ما يسمى "بالإطار المرجعي" للأشياء أو (frame of reference).

فالعلماء المؤيدون للنموذج الأرضي يشترطون التواجد في إطار مرجعي منفــصل عــن المجموعــة الشمسية بأسرها للوقوف على حقيقة حركتها ومن ثم الحكم عليها حساً بالإثبات أو النفي. وهذا الأمــر غير متأت وتبقى الحقيقة الكونية مجهولة. أما الحقيقة الشرعية فظواهر النصوص دالة علـــى حركــة الشمس ولكنها لا تنفي حركة الأرض. والآيات والأحاديث دالة على ذلك أوضح دلالة ، ولا يمنـــع أن يكون كل من الشمس والأرض يدوران حول بعضهما بحيث تتكامل سرعة دورانهما حــول بعــضهما في سرعة مركبة يظنها المشاهد على الأرض سرعة كوكب الأرض ، وهو رأي لبعض علماء الفلك. يقول الفيلسوف والتر ستيس إنه: (ليس من الأصوب أن تقول إن الشمس تظــل ســاكنة، وإن الأرض تدور من حولها من أن تقول العكس. إلا أن كوبرنكس قد برهن على أنه من الأبسط رياضيًّا أن نقول إن الشمس هي المركز، ومن ثم فلو أراد إنسان في يومنا الراهن أن "يشذّ" ويتفوه بأنه لا يزال يــؤمن بأن الشمس تدور حول أرض ساكنة فلن يكون هناك من يستطيع أن يثبت أنه على خطأ).

والذي اضطرني لوضع هذه المقدمة أمر واحد: ألا وهو أننا لا نزال نجهل الكثير عن ما نعتقــد فـــي أذهاننا أننا قد بلغنا النهاية والغاية في إدراك حقيقته ، مع أن هذه الأشياء هي المقدمات التـــي يترتــب على كمال إدراكها صحة النتيجة العقلية الحاكمة على تلك القضية ، ولكن كثير مــن النـــاس لفــرط استجابتهم لبادي الرأي من أنفسهم يحكمون بالنتيجة قبل استصلاح المقدمات و اكتمالها ، وقد قـــال الله تعالى (وكان الإنسان عجولا).

ثالثاً: حقيقة سجود الشمس: فباعتمادنا على الحساب وحده نحن نجهل حقيقة الواقع "الحسي" لحركــة الشمس فصار عندنا الآن جهلان بحقيقة شيئين: جهل بحقيقة العرش الذي يحصل الــسجود تحته وجهل بحقيقة حركة الشمس الفاعلة للسجود. وبناءً على هاتين المقدمتين يقال: يكفي فـــي سجود الشمس واستئذانها القول بأن عدم العلم ليس بدليل على العدم وهي قاعــدة مــشهورة ، فعــدم الوقوف على حقيقة سجودها واستئذانها لا يلزم منه نفي إمكان السجود والاستئذان ، ولذلك يقال لمــن ارتاب : إذا أوضحت لنا حقيقة سجود الشمس والقمر والنجوم والشجر في قوله تعالى : (**ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس**) نقول إذا استطعت أن توضح لنا حقيقة ذلك فانتقل إلى إيضاح حقيقة الأخص وهو سجود الشمس تحت العرش ذلك أن تفسير الأعم في الأغلب أيسر من تفسير الأخــص لمـــا يكتنــف الأخص من التقييدات والتحرزات التي لا يتفطن لها كثير من أرباب العلوم فضلاً عن عــوام النـــاس.

فالجاهل يراها من المستحيلات الممتنعات ، والأعلم منه يراها من المحارات الممكنات ، والناس بين هؤلاء وهؤلاء درجات. والحق أن الله قد اختص كل مخلوق بسجود يناسب هيئته وخِلقته لا يشترك فيه مع غيره إلا بموجب الاشتراك اللفظي لا الاشتراك الفعلي الحقيقي المطابق للفعل والهيئة ، وقد أخبرنا الله تعالى أن الشجر يسجد مع كونه أمام ناظرنا صباحاً ومساءً ، بل يقطف ثمره ويجلس في ظله ومع ذلك لا نقول الشجر لا يسجد. مع أن هذا أدعى للاستنكار لقرب الشجر منا وملامستنا له و رؤيتنا له على الدوام وأكلنا من ثمره. فدل هذا على جهل بني آدم بحقيقة سجود هذه المخلوقات و حقيقة تسبيحها لله عز وجل ، قال تعالى **(وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم)** فحسم الخلاف وقطع الريب والجدال بنفي قدرتنا على إدراك حقيقة التسبيح ، فيصبح السؤال عن ذلك من أشد التكلف.

فإذا استقرت هذه المسألة في الأذهان انقطع المستشكل عن بحث ما وراء ذلك والخوض فيه إذ كيف يُتوصل إلى نتيجة صحيحة دون القطع بفهم حقيقة مقدمات تلك النتيجة وهو الأمر المنتفي هنا. ومن المعلوم أن صحة النتيجة هو ملزوم صحة المقدمات و صحة المقدمات هو ملزوم صحة إدراك وفهم المقدمات. فاتهام الرأي البشري المحدود المتقلب يأتي قبل اتهام الحقائق الخارجية التي لا تتغير ولا تتبدل **(فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا)**.

... إذا تقرر هذا اتضح معنى آخر وهو أن الشمس لا تسجد تحت العرش عند كل غروب تغربه عن أنظار كل بلد ، فإن هذا هو اللبس الذي ينشأ عند من فهم أن الشمس تسجد عند كل غروب يراه أهل كل قطر ، ولو كان الأمر كذلك لكانت ساجدة على الدوام ولاستنكر أهل الأرض ذلك ، ولذلك جاءت فائدة الاحتراز من هذا الاحتمال في رواية مسلم **(ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا)** . والشمس إنما تسجد مرة واحدة وذلك عند محاذاتها لباطن عرش الرحمن، كما أشار إلى ذلك ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية. ويؤيد هذا قول الحافظ ابن حجر في الفتح : وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجري، والله أعلم . قلت: وقول الحافظ (كل يوم وليلة) أي كل أربع وعشرين ساعة وهي فترة دوران الشمس حول الأرض دورة كاملة (أو على قول من يؤول الأدلة ويرى ثبات الشمس: فترة دوران الأرض حول نفسها دورة كاملة).

ولذلك قال الإمام الخطابي – كما نقله الحافظ في الفتح – رحمه الله (يحتمل أن يكون المراد باستقرارها تحت العرش أنها تستقر تحته استقرارا لا نحيط به نحن...وليس في سجودها كل ليلة تحت العرش ما يعيق عن دورانها في سيرها).

وعند محاذاتها لباطن العرش فإنها تكون عندئذٍ مقابل سمت أو حد من الأرض يحدث عند مواجهته السجود المذكور. ولكن هذا السمت أو الحد أو المنتهى – كما قال الإمام ابن عاشور– لا قِبَل للناس بمعرفة مكانه. قال رحمه الله في "التحرير والتنوير" في تفسير قوله تعالى "**والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم**": ((وقد جعل الموضع الذي ينتهي إليه سيرها هو المعبر عنه بتحت العرش وهو سمت معيّن لا قبل للناس بمعرفته، وهو منتهى مسافة سيرها اليومي، وعنده ينقطع سيرها في إبان انقطاعه وذلك حين تطلع من مغربها، أي حين ينقطع سير الأرض حول شعاعها لأن حركة الأجرام التابعة لنظامها تنقطع تبعاً لانقطاع حركتها هي وذلك نهاية بقاء هذا العالم الدنيوي)) ا.هـ.

وقال الطيبي رحمه الله – كما نقله صاحب تحفة الأحوذي – بشأن حقيقة الاستقرار (وأما قوله مستقرها تحت العرش فلا يُنكَر أن يكون لها استقرار تحت العرش من حيث لا ندركه ولا نشاهده , وإنما أخبر عن غيب فلا نكذبه ولا نكيفه . لأن علمنا لا يحيط به).

فإذا حاذت الشمس هذا السمت الذي هو منتهى سيرها اليومي مع محاذاتها في ذات الوقت لمركز باطن العرش فإنها تسجد سجودا على الكيفية التي لا يلزم منها أن توافق صفة سجود الآدميين وعلى هيئة لا تستلزم استنكار الناس من أمرها شيئا كما جاء في الحديث (**ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا**).

و.. لا يلزم من سجودها أن يشابه سجود الآدميين لمجرد الاشتراك في لفظ الفعل الدال عليه. ومن أمثلة ذلك أن مشي الحيوان ليس كمشي الآدمي وسباحة السمك والحوت ليست كسباحة الإنسان وهكذا ، مع أنهم يشتركون في مسمى الفعل وهما المشي والسباحة.

والخلاصة أن سجود الشمس على المعنى الذي ذكرناه غير ممتنع أبدا ولا يخالف الحديث صريح العقل إنما قد يخالف ما اعتاد عليه العقل ومألوفه وهذا ليس معياراً تقاس به الممكنات الكونية فضلاً عن الممكنات الشرعية لأن الله على كل شيء قدير ولأن المألوفات نسبية باعتبار منشأ الناس واختلاف عقولهم وعلومهم...أن لله حكم بالغة يطلع من يشاء عليها ويستأثر بما يشاء عنده، قال تعالى :"ويخلق ما لا تعلمون" ، وقال تعالى:"والله يعلم وأنتم لا تعلمون" ، وقال:"وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً" . والإنسان الأصل فيه الضعف والجهل ، قال تعالى:"وخلق الإنسان ضعيفا" وقال في آية الأحزاب:"إنه كان ظلوما جهولا" ولذلك فابن آدم يسعى على الدوام لدفع ذلك عن نفسه بطلب ضديهما وهما القوة والعلم ، فإن انكشف له بموجب ذلك شيء فهذا بتوفيق الله وما استغلق و خفي ودق فلله الأمر من قبل ومن بعد.

وكما قدمنا فإن **سجود الشمس لا يستلزم توقفها** ووقوفاً يحصل بسببه استنكار الناس و هـو اللـبس الذي أزاله ﷺ بقوله:" فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري لا يستنكر الناس منها شـيئا" وحـرف "الفاء" في قوله "فتصبح" للتعقيب الذي بدوره يفيد معنى السرعة ومن لوازم السرعة تقلـص الوقـت وضآلته فيكون سجودها حاصلا في وقت قصير للغاية ولو في جزء من الثانية يـضمحل فـي فـرق الثمان دقائق الذي تستغرقه رحلة الضوء من الشمس إلى الأرض ، والثمان دقائق عبـارة عـن 480 ثانية فهل يمتنع حصول سجود من الشمس في هذه الفترة ؟ بل إن سجودنا في جميع الصلوات الخمس لا يبلغ مجموع فترته 180 ثانية في غالب الأحوال مع أنه يصح أن يحصل فعل السجود بإيقاع سجدة واحدة ويسمى فاعلها ساجداً

ولو قال قائل:"نقبل منك صحة السجود دون أن يلزم منه وقوف الشمس ولكن الشمس لابد أن تقف لأن هذا لازم الخرور والاستئذان وإن لم يكن لازم السجود؟" والجواب عليه:

حتى لو لزم من الخرور والاستئذان توقف الشمس فإنه لا يلزم من ذلك وقوفها وقوفاً يلاحظه النـاس كما قدّمنا ولذلك قال ﷺ :" ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا ". كما أن في الحديث نكتة ربمـا خفيت على البعض وهي أن مقدار وقوفها لم ينص عليه الحديث ولذلك فلا يمنـع أن يكـون وقوفهـا للخرور والاستئذان حاصل في ثوانٍ أو أجزاء من الثانية وهذه الثوان تضمحل في فرق الثمان دقـائق الذي يفصل بيننا وبين الشمس فلا يمكن ملاحظة فترة السجود حينئذٍ ، هذا للشخص الملاحظ ، فكيـف بالبشرية المشغولة بضيعات الدنيا ، النائمة في النهار المستيقظة في الليل !. وهذا ممكـن و صـحيح شرعاً وعقلاً وطبعاً.

فائدة منهجية معرفية للعلامة عبدالرحمن المعلمي اليماني ، قال - رحمه الله - **في "الأنوار الكاشفة"** :

(واعلم أن الناس تختلف مداركهم وأفهامهم وآراؤهم ولا سيما في ما يتعلق بالأمور الدينيـة والغيبيـة لقصور علم الناس في جانب علم الله تعالى وحكمته، ولهذا كان في القرآن آيات كثيرة يستشكلها كثيـر من الناس وقد ألفت في ذلك كتب ، وكذلك استشكل كثير من الناس كثيراً من الأحاديث الثابتةعن النبي ﷺ ، منها ما هو رواية كبار الصحابة أو عدد منهم كما مر، وبهذا يتبين أن استـشكال الـنص لا يعني بطلانه. ووجود النصوص التي يستشكل ظاهرها لم يقع في الكتاب والسنة عفواً وإنما هو أمـر مقصود شرعاً ليبلو الله تعالى ما في النفوس ويمتحن ما في الصدور. وييسر للعلماء أبوابا من الجهـاد يرفعهم الله به درجات).

قَتلِ الوَزَغِ،

إن قصور عقل الكاتب ، وبعده عن روح الإسلام ، وقلة معرفته بعلوم الدين ، إضافة إلى العجب والغرور ، جعلته يسمي كل ما لم تدركه عقليته بالهراء أو الغثاء ، فاستنكر قتل الوزغ[299] ، وهاجم الحديث ومن رواه ومن صدقه ، وعلق عليه بقوله (هل يمكن تصديق هذا الهراء؟(ص65) ونحن نقول للكاتب ما رأيك بقتل الحيات والعقارب والفئران وكل الحيوانات أو الحشرات المؤذية والمضرة ؟! أليس من البديهي أن يسارع أي شخص رأى شيئا من ذلك للتخلص منه ؟ لايسعك إلا أن تقول نعم، فنقول لماذا ؟ قد تقول لأنها مؤذية وأحيانا قاتلة ! فنقول والوزغ كذلك ، إلا أن الوزغ إذايته غير ظاهرة وغير مباشرة ،

فالأمر بقتل الوزغ لا يختلف عن الأمر بقتل العقرب والحية والفأرة والكلب العقور، وهو الكلب المفترس الذي يعدو على الناس. وقد صح الحديث بالأمر بقتل الفواسق الخمس في الحل والحرم، وهي الحية والعقرب والكلب العقور والفأرة والحدأة ــ وهي طائر من الجوارح ــ[300] وعند النسائي : (الوزغ فويسق، والفويسقات يُقتلن في الحِل والحرم)

فالأمر بقتل الوزغ هو للعلة نفسها التي أمر لأجلها بقتل الفواسق الخمس وهي الإيذاء[301] فكل مؤذٍ يشرع قتله والتخلص منه، فليس قتل الوزغ لأجل أنه كان ينفخ على إبراهيم –عليه السلام– في النار فحسب، بل أمر بقتله لأنه مؤذٍ فهو سامّ، ولذا تسميه العرب سامّ أبرص، والإخبار بأنه كان ينفخ بالنار على إبراهيم –عليه الصلاة والسلام– بيان لخبثه وعظم إيذائه، فجنسه خبيث. فلذلك _ وبعد موته بآلاف السنين_ نحن نقتل الوزغ مشاركةً شعورية منا لأبينا إبراهيم في محنته تلك،

وقد يقول قائل: ما ذنب الوزغ في عصرنا حتى تؤخذ جميع الوزغات بجريرة وزغة كانت تنفخ في النار على إبراهيم عليه الصلاة والسلام؟ فنقول : إن قتلها ليس لأجل جريرة واحد منها في عهد غابر، وإنما لأجل أنها مؤذية بطبعها تفسد الطعام وتسم الإنسان، فاقتضى ذلك قتلها، وما ذكره النبي ﷺ من كون الوزغ ينفخ بالنار على إبراهيم –عليه الصلاة والسلام– كاشف عن خبث طبيعة هذه الدويبة. انظر صحيح البخاري (3359). والله أعلم.[302]

فإن كان الكاتب تضايق من الحديث السابق ومضمونه ، فسنزيد له معلومة قيمة كان لابد أن تذكر مع حديث قتل الوزغ لتنفجر جمجمته ، وهي أن النبي ﷺ أمر بقتل الوزغة مع الإحسان في قتلها ،

---

[299] - (الأوزاغ) جمع وزغ وهو سام أبرص التي تكون في الجدران والسقوف ويسميه العامة في دمشق أبا بريص] وتعرف في الأمازيغية ب تقليت

[300] - صحيح البخاري (3314) وصحيح مسلم (1198).

[301] - انظر صحيح مسلم (2338)،

[302] - من فتاوى الشيخ : سامي بن عبد العزيز الماجد عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ووعد بمأة حسنة لمن قتلها بضربة واحدة ،!![303] فحتى ولو كانت مؤذية وخبيثة فقتلها بضربة واحـــدة وعدم تعذيبها سبب في نيل الأجر الكثير والثواب الجزيل ، نعم بقدر سرعتك في القتل تنـــال عظـــيم الأجر ، والضربة الثانية أقل من الأولى في الأجر .

وإن كنتم _معشر المنكرين_ لا تؤمنون بكل هذا باعتباركم لا تصدقون آثار البخاري ولا تثقـــون فـــي رواية الصحابة ولا وحي الحديث ، فدونكم أقوال العلماء العصريين ،

_تعد حشرة الوزغ من الحشرات السامة و يوجد الكثير من أضرار حشرة الوزغ عند تكاثرهـــا فـــي الحجور و الشقوق التي تكون قريبة من المنزل و من أهم هذه الأضرار :

تنقل الأمراض المعوية بسبب حملها للكثير من الطفيلات المعوية و الديدان الدبوسية و هذه البكتريـــا تصيب الإنسان مباشرة و تؤثر علي صحته ،

و تؤثر حشرة الوزغ أيضا علي الجهاز التنفسي حيث إنها تعمل علي تآكل أنسجة الجيوب الأنفية مما يصيبها بالالتهابات الحادة و صعوبة في التنفس ،

يتسبب تواجد الوزغ في تلوث المفروشات و بهذا تنتقل الفيروسات و البكتريا بسهولة مما يؤدي إلـــى تسبب الكثير من الأمراض .

الأوزاغ موطن للعديد من الأمراض:

كما علمنا أن الأوزاغ تتغذى على العديد من الحشرات كالذباب، والناموس، والـــصراصير، وأيـــضاً الديدان كالديدان الشمعية، وغيرها؛ لذلك من المعروف أن الحشرات أكثـــر وســـط فعـــال فـــي نقـــل الأمراض المتوطنة . مسكن الأوزاغ أيضاً يلعب دوراَ هاماً في الإصـــابة بـــالأمراض، لأن معظـــم الأوزاغ تسكن في الأماكن الرطبة والأكثر تلوثاً .

أولاً / الأمراض البكتيريه Bacterial diseases: تحمل الأوزاغ بكتيريا الـــسالمونيلا Salmonella، حيث أنها لا تتأثر بها ولكنها تنقلها إلى العوائل الأخرى .

ثانياً / الأمراض المعويـــه :Gastrointestinal diseases

• تحتوى الأوزاغ العديد من الطفيليات الممرضـــه، وأكثـــر هـــذه الطفيليـــات شـــيوعاً هـــو طفيـــل الكريبتوسبوريديم Cryptosporidium، (...).

• أيضاً يأتى إليها الديدان الدبوسيه Entrobius vermicularis، حيث تشاهد بيوض هذه الديدان فـــي البراز، ومن المعروف أن الدودة الدبوسيه معديه، ولذلك من السهل أن تنتقل من الأوزاغ إلى غيرهـــا من العوائل .

---

[303] - روى مسلم (2240 ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - ص -: " من قتل وزغة في أول ضربة ؛ كتبت له مائة حسنة ، وفي الثانية دون ذلك ، وفي الثالثة دون ذلك " ورواه الإمام أحمد ، و أبو داود و الترمذي ، و ابن ماجة ، عن أبي هريرة مرفوعاً،

ثالثاً / الأمراض التنفسية : Respiratory diseases

تأتى أمراض الجهاز التنفسى من أشياء عديده، منها نوع من أنواع الطفيليات يسمى البنتاستوميدا Pentastomida، والمعروفه بعد تطورها بالديدان اللسانية (...).

خطورة تربية الأوزاغ كزواحف أليفة:

أظهرت نتائج أحدث إحصاءات وكالة حماية الصحة في بريطانيا، أن الأطفال في المنازل التي تربى بها الأوزاغ كزواحف أليفه أكثر عرضة للإصابة ببكتيريا السالمونيلا (ولقد تم اكتشاف 14 حالة إصابة بالسالمونيلا فى الولايات المتحدة الأمريكية بالأشخاص الذين يهتمون بتربيه الأوزاغ كزواحف أليفة.).

نشرت مجله العلوم الأمريكية جزئاً خاصاً ناقشت فيه مسببات الأمراض من الزواحف الأليفة، حيث قال الدكتور برندان بوريل أنه قد وجد عشرة أنواع من السالمونيلا في أحد الأوزاغ، (...) حيث يصاحب الإصابة حمى معتدلة، وغثيان وآلام في البطن والمغص والإسهال.[304]

تم الإختبار على بعض الأنواع من الأوزاغ، والتي وجدَ أنها تحتوى على عشره أنواع من السالمونيلا، وذلك عن طريق الدكتوره كاثرين سميث بجامعه براون والتي قالت هي وزملائها أن تجاره الحيوانات الأليفة تجعلها قادرة على إمكانية تحقيق العديد من الأمراض الخطيرة في الولايات المتحدة الأمريكية، وذكرت سميث فى مجله العلوم أن الولايات المتحدة استوردت بـ1.5 مليار جنيه حيوانات أليفه من ضمنها الأوزاغ، ولذلك شهدت الفترة من2000 إلى 2006 العديد من الإصابات ببكتيريا السالمونيلا.

كان قد عقد فى الجمعية البيئية الأمريكية اجتماعا وصفت فيه سميث النتائج الجديدة لدراستها على 150 وزغة مستورده من إندونيسيا، وجدت أن 60% منها جاءت إيجابيه للسالمونيلا .

<u>الإتحاد الأفريقي لعلم الأوبئة والصحة العامة ():</u>

تم عقد مؤتمر بالإتحاد الإفريقي لعلم الأوبئة والصحة العامة، وذلك تحت عنوان الأمراض حيوانيه المنشأ (بتاريخ 1985/9/12) وكان المؤتمر يتضمن دراسة أجريت على 90 وزغة منزليه، وذلك في تسوكا، ونينجيريا، وأكدت النتائج أن السالمونيلا إيجابيه للـ90 وزغة، وقد وجدت العديد من الأجناس المتنوعة للسالمونيلا، سالمونيلا تيفيميريم Typhimurium، وغيرها.

<u>مستشفى رويال قسم طب الأطفال (هامبيشبر وينشيستر):</u>

---

[304] بحث للدكتور أحمد كمال الدين عبد الجواد / كليه العلوم جامعه الأزهر الشريف. وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:www.quran-m.com

أعلنت المستشفى بتاريخ 2000/3/3 عن وفاه طفلين بالسالمونيلا، والتي تم عزلها من السائل النخاعي . وكانت الإصابة نتيجة براز الوزغ الذي يحمل السالمونيلا . وأشادت المستشفى بالبعد عن التعامل مع الأوزاغ، خاصة في الأماكن التي يتواجد فيها الأطفال .

مجله العلوم الأمريكية 4 أغسطس 2009 (10,9):

نشرت مجله العلوم الأمريكية جزئاً خاصاً ناقشت فيه مسببات الأمراض من الزواحف الأليفة، حيث قال الدكتور برندان بوريل أنه قد وجد عشره أنواع من السالمونيلا في أحد الأوزاغ .

لذلك من الأمراض الأكثر شيوعا التي قد نحصل عليها من الأوزاغ هى السالمونيلا، وفقا لمراكز السيطرة على الأمراض والوقاية منها، تصل نسبه الأشخاص المصابون بالسالمونيلا من الأوزاغ ومعظم الزواحف الأخرى إلى 70,000 شخص كل عام في الولايات المتحده الأمريكيه، حيث يصاحب الإصابة حمى معتدلة، والغثيان وآلام في البطن والمغص والإسهال.

الجامعة العبرية بالقدس ():

عثر على بعض الأشخاص المصابين بطفيل الكريبتوسبيريديم ببلدة رحوفوت بإسرائيل، وأكدت الدراسة أن العدوى كانت عن طريق الأوزاغ المنزلية والتي تعرف بإسم هيميداكتيلس Hemidactylus turcicus، والتي تم عزل الطفيل من القناة الهضمية الأمامية . وتم التعرف على الطفيل وأبعاده بالميكرسكوب الإلكتروني والذي وضح الكائنات البوغيه **Sporozoite** بالبيض المتحوصل Oocyst والتى تكون السبب الرئيسي في الإصابة .

اتفاقية حقوق الطفل، وبوكا راتون (فلوريدا) ص. 147-156 (18):

أشادت بوجود نوعان من طفيليات الكريبتوسبوريديم فى بعض الأوزاغ، وكانت قدلاحظت بعض الإصابات بالأسر المحيطه للأوزاغ، ولذلك تم أسر بعض الأوزاغ من قبل النيابه بفلوريدا، وذلك لإبعادها عن الأماكن المحيطة بالأسر .

وتقول الباحثة Sonia M. Hernandez المتخصصة في أمراض الحيوانات البرية: إننا لا نزال نجهل لماذا البكتريا التي يحملها هذا الكائن عنيدة لهذه الدرجة وتقاوم أي مضادات حيوية على عكس الكثير من الحيوانات التي تحمل بكتريا عادية.[305]

فهل تصدق هذه العلوم أم أنها هي أيضا مجرد كذب وخرافة كما وصمت الحديث وعلومه ؟!

---

[305] بقلم عبد الدائم الكحيل www.kaheel7.com/ar

هل للعرب فضل ؟

لقد جاء تقرير المساواة بين الشعوب والأعراق في قواطع نصوص الكتاب والسنة على أجلى وجه، كما في قوله –تعالى–: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير" [الحجرات: 13] وكما في قوله ﷺ في حجة الوداع وفي خطبة أيام التشريق: "**يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى**". [306]

ثم إن نصوص الكتاب والسنة كلها، لا يوجد فيها تفريق بين الناس في الفروض من الأوامر والنواهي، ولا تمييز بين الشعوب بتحريم حلال أو تحليل حرام على شعب دون شعب، ولم يأت في شيء من نصوص الوحيين أيضاً ما يحكم بالنجاة من عذاب الله –تعالى– لمجرد الانتماء العرقي أو النسبي أو اللوني. بل النصوص واضحة كل الوضوح أن النجاة من عذاب الله والفوز بالجنة لا يكون بغير الإسلام والإيمان، وأن الكافر مخلد في النار ولو كان أعرب العرب، وأقرب الناس إلى رسول الله – ﷺ وما خبر أبي لهب عم رسول الله ﷺ عن كل مسلم ببعيد، فقد نزلت فيه سورة تذكر مصيره في العذاب المخلد في نار جهنم ، تتلى إلى يوم الدين .

ومما ينبغي أن يذكر في هذا السياق، مما لا بد من بيانه، ليصح التصور الإسلامي في هذه المسألة على وجه أتم أن ما سبق كله لا ينفي أن للعرب المسلمين فضلاً ثابتاً ، من جهة لغتهم، ومن جهة أن النبي ﷺ منهم، وأن القرآن نزل بلغتهم، وأنهم أول من حمل را ية الإسلام، وأن قبلة المسلمين والحرمين الشريفين في بلادهم، وغير ذلك من الفضائل التي اتفق أهل السنة والجماعة على الإيمان بها والاعتراف بها للعرب المسلمين.

فتفضيل العروبة هو تفضيل جنس وليس تفضيل أفراد ، فالعجمي المتقي الصالح خير من العربي المقصر في حق الله تعالى ، وتفضيل العروبة إنما هو اختيار من الله تعالى ، قد تظهر حكمته جلية ، وقد لا تكون ظاهرة لنا ، إلا أن في العرب من الصفات والخلال ما يشير إلى وجه هذا التفضيل .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" تفضيل الجملة على الجملة لا يستلزم أن يكون كل فرد أفضل من كل فرد ، فإن في غير العرب خلقا كثيرا خيرا من أكثر العرب ، وفي غير قريش من المهاجرين والأنصار من هو خير من أكثر قريش ، وفي غير بني هاشم من قريش وغير قريش من هو خير من أكثر بني هاشم " انتهى.

"مجموع الفتاوى" (19/29-30)

---

[306] أخرجه الإمام أحمد(22978) بإسناد صحيح.

وأعود وأذكر أن هذا لا يعارض ما سبق بأن المنزلة عند الله تعالى إنما تنال بالتقوى والعمل الصالح ، فلا ينفع العربي نسبه إذا كان كافراً، ولمؤمن غير عربي أحب وأقرب إلى الله –تعالى– من عربي فاجر أو كافر. فذلك الفضل لا ينفع بمجرده، إنما ينفع مع الإسلام والإيمان والعمل الصالح،

وقد ذكر شيخ الإسلام في منهاج السنة أن أهل السنة والجماعة يقولون بنو هاشم أفضل قريش وقريش أفضل العرب والعرب أفضل بني آدم، وهذا هو المنقول عن أئمة السنة كما ذكره حرب الكرماني عمن لقيهم مثل أحمد وإسحاق وسعيد بن منصور وعبد الله بن الزبير الحميدي وغيرهم، وذهبت طائفة إلى منع التفضيل بذلك كما ذكره القاضي أبو بكر والقاضي أبو يعلى في المعتمد وغيرهما.

والأول أصح، فإنه قد ثبت عن النبي ﷺ في الصحيح أنه قال: **إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى هاشماً من قريش واصطفاني من بني هاشم** . انتهى.

وقال في اقتضاء الصراط المستقيم: واعلم أن الأحاديث في فضل قريش ثم في فضل بني هاشم فيها كثرة وليس هذا موضعها وهي تدل أيضاً على ذلك إذ نسبة قريش إلى العرب كنسبة العرب إلى الناس، وهكذا جاءت الشريعة كما سنومئ إلى بعضه. فإن الله تعالى خص العرب ولسانهم بأحكام تميزوا بها، ثم خص قريشا على سائر العرب بما جعل فيهم من خلافة النبوة وغير ذلك من الخصائص، ثم خص بني هاشم بتحريم الصدقة واستحقاق قسط من الفيء إلى غير ذلك من الخصائص فأعطى الله سبحانه كل درجة من الفضل بحسبها والله عليم حكيم . انتهى.

ولا يعارض هذا ما دلت عليه نصوص الوحي من تفضيل أهل التقوى، فإن أتقياء العرب وقريش وبني هاشم أفضل من أتقياء غيرهم إذا تساوى الجمع في درجة التقوى، وأما الكفار والفجار منهم، فإنهم لا يساوون شيئاً بالنسبة لأتقياء المسلمين، فإن الكفار هم شر الدواب عند الله كما تدل عليه الآية: إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ {الأنفال:55}، فليس للعرب والآل فضل بمجرد النسب، وإنما الفضل بالتقوى، ولهذا فإن أبا بكر وعمر وعثمان أفضل من بني هاشم وسلمان الفارسي وبلال الحبشي أفضل من القرشيين الذين أسلموا عام فتح مكة باتفاق أهل السنة.

وقد روى ابن عمر : أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة فقال: **يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة** [307] **الجاهلية وتعاظمها بآبائها فالناس رجلان بر تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب قال الله: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**. رواه الترمذي وصححه الألباني .

307 ـ العبية بضم العين وكسر الباء الموحدة وتشديدها وتشديد الياء قال أهل اللغة: هي الكبر والفخر والنخوة.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: خطبنا رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق خطبة الوادع فقال: **يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم** . رواه البيهقي، وقال الألباني في صحيح الترغيب: صحيح لغيره،

قلت وإنك في قراءتك لفصله هذا لتجد داخله دهاء ومكرا يصعب اكتشافه من أول وهلة ، فالكاتب أراد نقض الحديث والطعن فيه بأنه يعارض نصوص القرآن ، وفي نفس الوقت يمرر دعايته للنعرة العصبية ، فأتى بأحاديث ضعيفة وبين ضعفها ، لتستنتج بذلك أن بعض الأحاديث تعارض القرآن كأحاديث تفضيل العرب ، فهي إذن من صنع الوضاعين ، وبالتالي فأغلب الأحاديث _إن لم تكن كلها_ كذلك ، ومن ناحية أخرى ، قصد ترسيخ فكرة أن لا فضل للعربية على غيرها ، كما يصيح العلمانيون الأمازيغ وغيرهم في كل وقت وحين ، منخدعون بإغراءات الأعداء الذين يحركون فيهم النعرة الجاهلية والعصبية المقيتة ، يستغلون ضعفهم وحالتهم للتشويش على الإسلام ودوله ، [308]

ونحن لا ننكر _ولا يشرفنا ذلك_ أن الأحاديث الأخرى التي تبالغ في تفضيل جنس العرب وذكر مناقبهم أغلبها _حقا_ موضوع ،

وأصح ما ورد في ذلك **(إن الله اصطفى كِنَانَةَ من بنى إسماعيل واصطفى قُريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هَاشِمٍ واصطفانى من بنى هاشم ([309])**

ولكن هذا لا يعني أن لا فضل للعربية !! بل هي أفضل اللغات ، وكفى بها شرفا أنها لغة القرآن ولغة خير الأنام ، والعبرة بالتقوى والعمل ، فالأعجمي المتقي خير من العربي الفاجر ، واختلاف الألسن والألوان هو من آيات الله تعالى ومن دلائل قدرته (وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (الروم22)

---

[308] – وإني أود أن أبين أنني لا أناصر لغة على لغة ولا قومية على أخرى ، ولست ضد الأمازيغية ولا أنتقص من أي لغة أو ثقافة أخرى ، فأنا أمازيغي أبا عن جد وأعتز بذلك ، ومن المدافعين عن القضية الأمازيغية ، لكن تحت ضوء الإسلام ، الأمازيغية المسلمة لا الملحدة ، دفاعي عن الأمازيغية دفاع المستقلين الأحرار ، الذين لا تحكمهم الأحقاد ولا تمولهم وتشجعهم الجهات ، ولا لهم خلفيات ، نعم ! طالما هاجمت من ينتقصون الأمازيغية وأهلها ، إذا صدر ذلك عن قومية وعصبية وحقد وكراهية ، وهذا يعرفه عني كل من له صلة بي ، وكل من متواجد على صفحتي ،

---

[309] - أخرجه مسلم (1782/4 ، رقم 2276) ، والترمذى (583/5 ، رقم 3606) عن وَاثِلَة بن الأسْقَعِ وقال : حسن صحيح غريب . أخرجه أيضًا : أحمد (107/4 ، رقم 17027) ، وأبو يعلى (469/13 ، رقم 7485) ، والخطيب (64/13) .
وغيره لا يخلو من علة ، ونشير لحديثين ذكرهما ، ولضعفهما
إن الله حين خلق الخلق بعث جبريل فقسم العرب قسمًا وقسم العجم قسمًا وكانت خيرة الله فى العرب ثم قسم العرب قسمين فقسم اليمن قسمًا وقسم مضر قسمًا وكانت خيرة الله فى قريش ثم أخرجنى من خير ما أنا منه (الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة) أخرجه الطبرانى في الأوسط (135/4 ، رقم 3802) قال الهيثمى (217/8) : فيه من لم أعرفه . وعلق الطبراني لا يروى هذا الحديث عن ابي هريرة الا بهذا الإسناد تفرد به بشر بن معاذ
عن سلمان الفارسي - رضي الله عنه - قال : قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «لا تُبغِضْني فتفارِقَ دِينكَ ، قلت : يا رسولَ الله ، كيف أُبْغِضُكَ ، وبِكَ هَداني الله ؟ قال : تُبغضَ العَربَ فَتُبْغِضُني» أخرجه الترمذي. منقطع

كيف يعذب الميت ببكاء أهله

حديث (إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه) حديث متفق عليه عن عمر وعن ابن عمر رضي الله عنهما, وكذلك رواه عن عمر جمع من الصحابة منهم ابن عباس, وابن عمر, وأبو موسى الأشعري وأنس بن مالك, وغيرهم. ورواه النسائي بسند صحيح عن عمران بن حصين (17/4)

فإنكار عائشة لهذا الحديث مقابل بإثبات جمع كبير من الصحابة له،! وهم عمر, وابـن عمـر, وابـن عباس, وأنس, وأبو موسى الأشعري, وعمران بن حصين, وغيرهم, وكما يقول الأصـوليون المثبـت مقدم على النافي. لأننا نتصور أنه قد يخفى على عائشة هذا الحديث فلم تسمعه من رسول الله ﷺ , لكن لا نتصور أن يقول خمسة أو ستة من الصحابة إن الرسول ﷺ قال هذا الحديث ويكون لم يقله!.

لا شك أن عائشة رضي الله عنها أنكرت ذلك, وقالت (إن عمر أو أبا عبد الرحمن –ابن عمـر– لـم يكذب لكنه نسي أو أخطأ) ومع ذلك فإن من الصعب أن ننسب هذا الوهم لعدد من الصحابة,

واختلف العلماء في هذا الحديث : فتأولَها الجُمهورُ على من وصى بأن يبكى عليه ، ويناح بعد موته ، فنفذت وصيته ، فهذا يعذبُ ببكاء أهله عليه ونوحِهِم ، لأنه بسببه ، ومنسوب إليه ، قالوا : فأمـا مـن بكَى عليه أهله وناحوا من غير وصية منه ، فلا يعذب لقول الله تعالى (وَلَا تَـزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْـرَىٰ) قالوا : وكان من عادة العرب الوصية بذلك ، ومنه قولُ طَرَفَةَ ابنِ العبد

إذا مِتُ فانعيني بما أنا أهله *** وشُقِّي عليَّ الجيب يا ابنةَ مَعْبَدِ

وهناك من قال أن معنى قوله ﷺ : (**يعذب ببكاء أهله عليه**) أي أنه يتألم لبكائهم وحـزنهم لا أن ذلك عذاب القبر أو عذاب الآخرة. ، وهناك أقوال وتأويلات أخرى ، لكن هذين أرجحها .

وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها لها مثل هذه النظائر ، ترد الحديث بنوع من التأويـل والاجتهـاد لاعتقادها بطلان معناه ، أو ما تراه _حسب اجتهادها_ يخالف ظاهر القرآن ،

والإمام أحمد يقول: (إن من علامات الزيغ أن تعارض السنة بظاهر القرآن)، قال الحويني : هذه مـن علامات الزيغ، مثل الجماعة الذين ردوا حديث: (إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه) بقولـه تبـارك وتعالى: { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ } []. فقالوا: إذا بكى أهل ميت على ميتهم ، فلماذا الميت يعـذب ببكاء أهله عليه؟ و البخاري رحمه الله قد بين ولفت النظر إلى أنه لا تعارض بين الآيـة والحـديث، فقال: (باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه –ووضع قيداً– إذا كان ذلك من سنته).[310]

وهذا الحديث إن فهم منه الكاتب وقرناؤه ، تعارض الصحابة واختلافهم ورد بعضهم على بعض ، فإن ذا العقل السليم والمنطق القويم يفهم منه عكس ذلك، فهو لا يدل على ما يدعون ويروجون له، بل يدل

[310] - شرح صحيح البخاري : أبو إسحاق الحويني الأثري 1

على ثقة الصحابة بعضهم ببعض، ثقة لا يشوبها شك ولا ريبة، لما يؤمنون به من تدينهم بالصدق ، وأنه عندهم رأس الفضائل، وبه قام الإسلام ، وساد أولئك الصفوة المختارة من أهله الأولين . فتأمل قول عائشة رضي الله عنها وفوض لعقلك التفكير بحكمة وإنصاف ثم قرر : قَالَتْ إِنَّكُم لَتُحَدِّثُونِّي عَنْ غَيْرِ كَاذِبَيْنِ وَلاَ مُكَذَّبَيْنِ وَلَكِنَّ السَّمْعَ يُخْطِئُ ([311])، وفي رواية قالت : " يغفر الله لأبى عبد الرحمن، أما إنه لم يكذب، ولكنه نسى أو اخطأ،

هذا وقد وقفت على كلام بليغ يرد على كل شبهات صاحب الكتاب ، لابن تيمية قال رحمه الله: (وَالْخَطَأُ الْمَغْفُورُ فِي الِاجْتِهَادِ هُوَ فِي نَوْعَيْ الْمَسَائِلِ الْخَبَرِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ كَمَا قَدْ بُسِطَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ كَمَنْ اعْتَقَدَ ثُبُوتَ شَيْءٍ لِدَلَالَةِ آيَةٍ أَوْ حَدِيثٍ وَكَانَ لِذَلِكَ مَا يُعَارِضُهُ وَيُبَيِّنُ الْمُرَادَ وَلَمْ يَعْرِفْهُ مِثْلَ مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ الذَّبِيحَ إسْحَاقُ لِحَدِيثِ اعْتَقَدَ ثُبُوتَهُ ، أَوْ اعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُرَى ؛ لِقَوْلِهِ : { لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ } وَلِقَوْلِهِ : { وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ } كَمَا احْتَجَّتْ عَائِشَةُ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ عَلَى انْتِفَاءِ الرُّؤْيَةِ فِي حَقِّ النَّبِيِّ ﷺ وَإِنَّمَا يَدُلَّانِ بِطَرِيقِ الْعُمُومِ . أَوْ مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ الْمَيِّتَ لَا يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ ؛ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّ قَوْلَهُ : { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ ؛ وَأَنَّ ذَلِكَ يُقَدَّمُ عَلَى رِوَايَةِ الرَّاوِي لِأَنَّ السَّمْعَ يَغْلَطُ كَمَا اعْتَقَدَ ذَلِكَ طَائِفَةٌ مِنْ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ . أَوْ اعْتَقَدَ أَنَّ الْمَيِّتَ لَا يَسْمَعُ خِطَابَ الْحَيِّ ؛ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّ قَوْلَهُ : { فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى } يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ . أَوْ اعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْجَبُ كَمَا اعْتَقَدَ ذَلِكَ شريح ؛ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّ الْعَجَبَ إنَّمَا يَكُونُ مِنْ جَهْلِ السَّبَبِ وَاَللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ الْجَهْلِ .[312]

وقال –رحمه الله–: (...كان أصحاب رسول الله _والتابعون لهم بإحسان –وإن تنازعوا فيما تنازعوا فيه من الأحكام– فالعصمة بينهم ثابتة، وهم يردّون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، فبعضهم يصيب الحق فيعظم الله أجره ويرفع درجته، وبعضهم يخطئ بعد اجتهاده في طلب الحق، فيغفر الله له خطأه تحقيقًا لقوله تعالى: (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) [البقرة:286]، سواء كان خطؤهم في حكم علمي أو حكم خبري نظري، كتنازعهم في الميت هل يُعذب ببكاء أهله عليه؟ وهل يسمع الميت قرع نعالهم؟ وهل رأى محمد ربه). "درء التعارض" (272/1-273).

ومن أراد التعمق والإستزادة من ذلك فلينظر كتاب: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ، فيه فصل كامل شامل بعنوان : باب ذكر الدليل في أقاويل السلف على أن الاختلاف خطأ وصواب يلزم طلب الحجة عنده وذكر بعض ما خطأ فيه بعضهم بعضا، وأنكره بعضهم على بعض عند اختلافهم، وذكر معنى قوله ﷺ أصحابي كالنجوم) أورد فيه كل الروايات التي تتعارض أو تختلف عن الصحابة رضي الله عنهم ، فقد أفاض واستفاض .

---

[311] - أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الجنائز ،باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه501/3رقم929

[312] - ينظر فتاوى ابن تيمية / فصل في الخطأ المغفور في الاجتهاد

الشؤمُ في ثلاث

محاولة من الكاتب في تأليب الجمهور وخاصة الجنس النسوي وحشده ضد السنة ، حشر هذا الحديث الذي يقول فيه النبي ﷺ (**الشُّؤْمُ فِي ثَلَاث فِي الْفَرَسِ وَالْمَرْأَةِ وَالدَّارِ**) ([313]) وتعمد ذكر الحديث الأول الذي يفهم منه إثبات الشؤم في الثلاث ، وقد ذكر البخاري بعد هذا اللفظ حديثين مسبوقين بأداة الشرط (إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ فَفِي الْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ وَالْمَسْكَنِ ([314]) فالحديث الأول يقتضي تحقق الشؤم في الثلاثة والأخيران لا يقتضيانه، لكن الكاتب أنكر أن يكون رسولنا قال ذلك ، ثم علق على الحديث بعبارة ركيكة خسيسة (**ألا ساء ما يحكم به صحيح البخاري في هذا ، ألا ساء وحاشا رسولنا أن يقول ذلك**) ونقول للكاتب الحديث ثابت صحيح ومرادك من ذكره متجاوز مرفوض، فنقول له اعكس تصب ، فقد نبى فهمك وطاش سهمك، وسيصطدم بسور الإسلام وينقلب على عينك، فالمرأة المسلمة الملتزمة عرفت قيمتها ، ورضيت مكانتها ، ولا تحتاج إلى تأويل الطاعنين ولا ارتياب المبطلين ،

إن النهي عن التشاؤم والتطير والتحذير منهما ، والإخبار بأن ذلك شرك ، معلوم وثابت في السنة ومن ذلك قوله ﷺ : " **لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل قالوا وما الفأل قال كلمة طيبة**"[315] وقوله ﷺ **الطيرة شرك** "[316] ومعلوم أن أهل الجاهلية كثرت فيهم الطيرة والتشاؤم ، ولذا بين النبي ﷺ في غير ما حديث _ ذكرنا بعضا منها_ أن لا طيرة ولا شؤم ، وأنه لا يقع شيء إلا بقضاء الله وقدره ، فلما أبوا أن ينتهوا عن تطيرهم ، وصعب عليهم نسيان هذا الإعتقاد ، قال إن كان الشؤم ممكنا وحقيقيا ففي هذه الثلاثة ،! وقال القرطبي : " إنما عنى أن هذه الأشياء هي أكثر ما يتطير به الناس ، " . ونوعية شؤمها قد بينه العلماء ،

قال ابن القيم رحمه الله :(وقالت طائفة أخرى : الشؤم في هذه الثلاثة إنما يلحق من تشاءم بها وتطير بها فيكون شؤمها عليه ومن توكل على الله ولم يتشاءم ولم يتطير لم تكن مشؤومة عليه. قالوا ويدل عليه حديث أنس" **الطيرة على من تطير**" وقد يجعل الله سبحانه تطير العبد وتشاؤمه سببا لحلول المكروه به كما يجعل الثقة والتوكل عليه وإفراده بالخوف والرجاء من أعظم الأسباب التي يدفع بها الشر المتطير به . وسر هذا أن الطيرة إنما تتضمن الشرك بالله تعالى والخوف من غيره وعدم التوكل عليه والثقة به ، فكان صاحبها غرضا لسهام الشر والبلاء فيتسرع نفوذها فيه لأنه لم يتدرع من التوحيد والتوكل بجنة واقية وكل من خاف شيئا غير الله سلط عليه ، كما أن من أحب مع الله غيره عذب به ومن رجا مع الله غيره خذل من جهته ، وهذه أمور تجربتها تكفي عن أدلتها ، والنفس لا بد

---

[313] - أخرجه البخاري (الفتح 6 / 60 - ط السلفية) ومسلم (4 / 1747 - ط الحلبي) من حديث عبد الله بن عمر .
[314] - أخرجه البخاري (الفتح 6 / 60 ط السلفية) ومسلم (4 / 1748 ط الحلبي)
[315] - رواه البخاري (5776) ومسلم (2224) عن أنس بن مالك
[316] - أحمد (4194) وأبو داود (3910) والترمذي (1614) وابن ماجه (3538) عن عبد الله بن مسعود

أن تتطير ولكن المؤمن القوي الإيمان يدفع موجب تطيره بالتوكل على الله فإن من توكل على الله وحده كفاه من غيره قال تعالى : " *فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون*" ولهذا قال ابن مسعود : "وما منا إلا يعني من يقارب التطير ولكن الله يذهبه بالتوكل" ... قالوا فالشؤم الذي في الدار والمرأة والفرس قد يكون مخصوصا بمن تشاءم بها وتطير وأما من توكل على الله وخافه وحده ولم يتطير ولم يتشاءم فان الفرس والمرأة والدار لا يكون شؤما في حقه).

ثم قال : (فمن اعتقد أن رسول الله نسب الطيرة والشؤم إلى شيء من الأشياء على سبيل أنه مؤثر بذاته دون الله فقد أعظم الفرية على الله وعلى رسوله وضل ضلالا بعيدا...

كما لا ينبغي أن نغفل أن عائشة رضي الله عنها كانت تنكر الحديث ، وترى أن الرسول ﷺ إنما بين حال الجاهلية ومعتقداتها ، فقد ذكر لها قول أبي هريرة (إن الشؤم في المرأة والفرس والدار فقالت لم يحفظ أبو هريرة إنما دخل ورسول الله يقول (قاتل الله اليهود يزعمون أن الشؤم في المرأة والفرس والدار) فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله ،

وقال ابن ناجي في شرح الرسالة 412/2: (ومنهم من ضعف حديث الشؤم بما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها أنكرت على أبي هريرة رضي الله عنه حديثا عن النبي ﷺ أنه قال: الطيرة في المرأة والدار والدابة، وأقسمت أنه ما قاله رسول الله ﷺ قط، وإنما كان أهل الجاهلية يقولونه، ثم قرأت: " ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ").

كما يجدر التنبيه أن أغلب الأحاديث جاءت بصيغة الشرط (إن كان – إن يكن) فليس فيها إثباته بل معناه إن كان في شيء ففي هذه الأشياء لكنه ليس فيها ولا في غيره ،

ذكر في (التعليق المُمَجَّد لموطّأ الإمام محمد) بعدما أورد عدة أقوال في تأويل الحديث .. قال :

ومنها : وهو أرجحها أن الشؤم يكون في هذه الثلاثة غالبا بحسب العادة لا بحسب الخلقة ولا يكون شيء من ذلك إلا بقضاء الله وقدره فمن وقع شيء من هذه الأشياء أبيح له تركه وهناك أقوال أخر أيضا مبسوطة في " فتح الباري " (6 / 61 ، وفي بذل المجهود (251/16) أن الطيرة بمعنى الشؤم الذاتي والنحوسة الذاتية منتفية حيث أوردها بلفظ إن الشرطية الدالة على أنه غير واقع ، فالمعنى لو تحقق الشؤم في شيء بهذا المعنى لكان في هذه الثلاثة لكنه غير متحقق فيها فلا يتحقق في شيء ، وأما الشؤم بمعنى ما يلحق من المضار أحيانا أو قلة الجدوى في بعض أفرادها نسبة إلى البعض الآخر منها فغير منفي بل أثبته بعد قوله الشؤم في الدار إلى آخره) اهـ

قال الخطابي: لما كان الإنسان في غالب أحواله لا يستغني عن دار يسكنها و زوجة يعاشرها و فرس يرتبطه وكان لا يخلو من عارض مكروه أضيف اليمن و الشؤم إلى هذه الأشياء إضافة محل و ظرف و إن كانا صادرين عن قضاء الله ، قال: وقد قيل إن شؤم المرأة الا تلد و شؤم الفرس الا يحمل عليها في سبيل الله و شؤم الدار سوء الجوار .

وقال آخرون شؤم الدار ضيقها وسوء جيرانها وأذاهم ، وشؤم المرأة عدم ولادتها وسلاطة لسانها وتعرضها للريب، وشؤم الفرس أن لا يغزى عليها وقيل حرانها وغلاء ثمنها ،

وهذا وارد في حديث عن علقمة بن مرثد ، عن النبي ﷺ أنه قال : « **إن يكن الشؤم في شيء ففي الدار والمرأة والفرس ، فأما الدار فشؤمها ضيقها وخبث جيرانها ، وأما الشؤم في المرأة فسوء خلقها وعقم رحمها ، وأما الفرس فإنه يكون جموحا** »

فإثبات الشؤم في هذه الثلاث، بمعنى أنها أسباب، يقدر الله بها الشؤم واليمن ويقرنه، ولهذا شرع لمن استفاد زوجة أو أمة أو دابة، أن يسأل الله من خيرها وخير ما جبلت عليه، ويستعيذه من شرها وشر ما جبلت عليه، وكذا ينبغي لمن سكن دارا أن يفعل ذلك.

وهذا ما رجحه الإمام البخاري في صحيحه وغيره, من أن المراد ما يكون في بعض أعيان هذه الثلاثة من الضرر المحسوس, كالمرأة السيئة الخلق, والدار الضيقة, أو السيئة الجيران, والفرس السيئة الطباع, ونحو ذلك, كما في الحديث الذي رواه ابن حبان (4032) بإسناد حسن عن النبي ﷺ قال: **((أربع من السعادة: المرأة الصالحة, والمسكن الواسع, والجار الصالح, والمركب الهنيء, وأربع من الشقاوة: الجار السوء, والمرأة السوء, والمسكن الضيق, والمركب السوء)).**

وفي رواية للحاكم **(وثلاث من الشقاء المرأة تراها وتسوؤك وتحمل لسانها عليك والدابة تكون قطوفا فإن ضربتها أتعبتك وإن تركتها لم تلحق أصحابك والدار تكون ضيقة قليلة المرافق)**

كما نقل عن تقي الدين السبكي قوله: (الإشارة إلى تخصيص الشؤم بمن تحصل منها العداوة والفتنة، لا كما يفهمه بعض الناس من التشاؤم بكعبها أو أن لها تأثيرا في ذلك، وهو شيء لا يقول به أحد من العلماء) – الفتح 171/9–.

ولا يتصور من مسلم عاقل _ومسلمة أيضا_ حصيف ، أن ينكر ذلك ويرده ، فالمرأة السيئة من لدن آدم إلى عصرنا هذا تكون شؤما على زوجها وأهله وأبنائها ومجتمعها ، وما الذي أوصل المجتمعات إلى ما وصلت إليه من التفكك والإنحلال إلا المرأة (السيئة) !! أقول : السيئة !

وبالمقابل فالمرأة الصالحة العفيفة ، تكون مفتاح خير لزوجها وأهلها ومجتمعها، عرفت مالها وما عليها ، وأخذت وضعها الصحيح ، ومقامها المناسب لفطرتها وخلقتها ، من غير ذل ولا هوان ، ولا احتقار ولا استصغار . فلم يحتقرها الإسلام ، ولم يهضمها حقها مع أنه وجدها بلا حق ولا اعتبار ،

فكرمها الإسلام أما وأختا وزوجة وبنتا ، وأوصى بالإحسان إليها رب العزة والجلال ، ومنحها حقوقا كثيرة لم تكن لتتعم بها إلا في ظله ، وسوى بينها وبين الرجل في أصل الخلقة ، (..خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) وفي التكليف والجزاء (أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) وقال رسول الله : **(النساء شقائق الرجال)** .وجعل لها حق اختيار الزوج الذي ترضى به ، وأمر بإعطائها المهر وجعله حقا لها ، كما أمر بحسن عشرتها والإحسان إليها ، وإعفافها وصيانتها ، والإنفاق عليها وإسكانها حسب وسع الزوج ، وتعليمها ما ينفعها في دينها ودنياها ، وجعل لها حقا في الميراث ، وأبطل ما كان عليه أهل الجاهلية من ظلمها بالعضل والإرث ونحو ذلك.. وقبلها مربية ومحدثة وفقيهة وعالمة ، واحترم مشاعرها ومطالبها ، وجعل لها حق التعبير عن رأيها ، وحفظها من التبذل وطمع الرجال فيها..والكلام يطول ، وهذا مسلم عند أهل الإيمان ، موضح معلوم في أماكنه لغيرهم فاقرأه إن شئت .

والمشككون المغرضون يقولون في دعاواهم أن النبي يجعل المرأة مصدرا للشؤم وسببا له وقرينة له متجاهلين الطرق المتعددة التي ورد بها الحديث، ومجمل الطرق تزيل اللبس عن القارئ المنصف اللبيب..

فإنّ الحديث وردت فيه كلمة (الشؤم) وهي مصدر في اللغة العربية، ونفهم من الحديث أنّه إن كان يمكننا التشاؤم من شيء فمن المرأة أو الدابة أو الدار، ولا مجال لفهم الحديث على أنّه اعتبار لحصول التشاؤم مطلقا من المرأة والدابة والدار، فإنّ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم تزوج النساء وروي أنه قال: (حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة)، وصحّ عن النبي أنه اتخذ دارا للسكنى وركب في سفره الدواب، وعليه فإنّ الادعاء بأن المراد من الحديث توكيد حصول التشاؤم مطلقا من المرأة والدار والدابة ادعاء مردود لغة وشرعا وعقلا تبطله طرق الحديث المتعددة، كرواية أحمد وابن حبان والحاكم وقد مرت " من سعادة ابن آدم ثلاثة المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح ، ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة المرأة السوء والمسكن السوء والمركب السوء"..

وعلماء الإسلام –رحمهم الله– لم يفهموا الحديث الشريف (الشؤم في ثلاث....) إلا على أنّه تخصيص لحصول التشاؤم من المرأة التي تحصل منها العداوة والفتنة، وإلا فالمرأة مكرمة مصونة في الإسلام أما وبنتا وأختا وزوجة؛

فلا تستنطق الحديث بما لم ينطق ، فالطفل الصغير يفحمك في ذلك قبل الكبير ، فالقرآن والحديث كرما المرأة ، وقدروها قدرها ، بعد أن كانت ولا تزال مهانة ذليلة عند غيره ، والواقع والتاريخ يشهدان على ذلك ، والموضوع يحتاج إلى كتاب مستقل ،

وليس يصح في الأذهان شيء ** إذا احتاج النهار إلى دليل

لكل إنسان حظه من الزنا ،

قبل الدخول في تفاصيل الشبهة التي أثارها حول حديث (كتب على ابن آدم حظه من الزنا..)
يجب أن نبين أولا ، أن على العبد أن يؤمن بأمور ثلاثة :
الأول : أن الله تعالى خالق كل شيء ، وأنه لا يقع في الكون شيء إلا بإرادته ومشيئته، وأن الله تعالى قد علِم ما سيفعله خلقه في حياتهم الدنيوية ، وقد أمر عز وجل القلمَ أن يكتب ذلك العلم الذي سيحصل من خلقه ، ولم يُطلع الله تعالى على ذلك العلم ملَكاً مقرَّباً ولا نبيّاً مرسلاً ، فلا أحد يعلم ماذا كُتب له أو عليه في اللوح المحفوظ ، كتب ذلك كله في كتاب ، قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، كما صح عن نبينا ﷺ ، وأنه سبحانه وتعالى عدل لا يظلم أحدا مثقال ذرة ، لأنه غني عن خلقه ، لا يحتاج إليهم ، وهو المتفضل عليهم في جميع الأحوال ، فكيف يظلمهم !
وقد دل على هذا الأصل أدلة كثيرة من الكتاب والسنة ، فمن ذلك قوله تعالى : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) القمر/49، وقوله : (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) الحديد/22 ، وقول النبي ﷺ : (كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) رواه مسلم (2653).
والأمر الثاني : أن العبد له مشيئة واختيار ، بها يفعل ويترك ، ويؤمن ويكفر ، ويطيع ويفجر، وعليها يحاسب ويجازى ، مع أن الله سبحانه يعلم ما يكون عليه ، وما سيختاره ، وكيف سيكون مصيره، لكن الله لم يجبره على فعل الشر، ولا اختيار الكفر، بل وضح له الطريق ، وأرسل له الرسل وأنزل له الكتب ، ودله على الصواب ، فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا. قال تعالى : (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) الكهف/29)، وقال : (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) الإنسان/3، وقال : (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) الزلزلة/7) وقال : (وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) الأعراف/43 ، وقال : (وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)السجدة/14 . فبين سبحانه أن الإنسان يؤمن ويعمل الصالحات، باختياره ومشيئته فيدخل الجنة ، أو يكفر ويعمل السيئات باختياره ومشيئته ، فيدخل النار .
وكل إنسان يعلم من نفسه ومن النظر إلى من حوله ، أن أعمالنا – من خير وشر ، وطاعة ومعصية – نفعلها باختيارنا ، ولا نشعر بسلطة تجبرنا على فعلها ، فأنت تستطيع أن تحمد وتسبح وتستغفر وتصدق وتنصح ، كما تستطيع أن وتشتم وتكذب وتغتاب، وتستطيع أن تمشي إلى المساجد وأماكن الخير والطاعة ، كما تستطيع أن تمشي إلى أماكن اللهو والباطل والمنكر ، وهكذا يستطيع الإنسان أن يبطش بيده ، ويسرق ويزوّر ويخون ، ويستطيع أن يساعد المحتاج ، ويبذل الخير ، ويقدم المعروف

بيده . وكل إنسان يؤدي شيئا من هذه الأعمال ، لا يشعر بالجبر ولا بالقهر ، بـل يفعلهـا باختيـاره وإرادته ، ومن ثم فإنه سيحاسب عليها ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .
وما كتبه الله تعالى وقدره ، أمر لا يعلم به العبد ، ولا يصح له أن يعتمد عليه ، أو يحتج به ، كمـا لا يصح أن يعترض على ربه، لم جعلت هذا في الأشقياء، وذاك في السعداء، فإن الله لم يظلم هذا الشقي، بل أعطاه المهلة والقدرة والاختيار ، وأرسل له الرسل وأنزل معهم الكتب، وذكّره وأنذره بأنواع مـن المذكّرات ، ليتوب إليه ، ويقبل عليه ، فإذا اختار طريق الغواية ، وسلك سبيل المجرمين ، فهو مـن أهلك نفسه ، كما قال تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) الشمس/
وهذا يدل على أن ما يحتج به بعضهم بالقدَر لا قيمة له ، فالعبد مكلَّف بالإيمان والعمل ، وسـيجازيه ربُّه تعالى يوم القيامة على ما قدمت يداه لا على ما كتبه الله تعالى عليه في اللوح المحفوظ ، وقد أقام الله عز وجل الحجة على خلقه بإرساله الرسل مبشرين ومنذرين ،
كما يجب أن يعلم المؤمن ويعتقد أن للقدر أربع مراتب دلت عليها النصوص وقررها أهل العلم ، وهي بإيجاز بليغ : مرتبة العلم.. مرتبة الكتابة.. مرتبة الإرادة والمشيئة.. مرتبة الخلق ، فيجـب الإيمـان بهذه المراتب الأربع لتحقيق الإيمان بالقدر ومن أنكر شيئًا منها لم يحقق الإيمان بالقدر.
وقد حذر العلماء قديما وحديثا من الخوض والتنقيب في باب القضاء والقدر ، كما قال وهب بن منبـه رحمه الله تعالى: رأيت أعلم الناس بالقضاء والقدر أجهلهم به، وأجهل الناس بالقضاء والقدر أكثـرهم بحثاً فيه وتنقيباً، ولعل السبب في ذلك: ما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه لما قـال: [إن القضاء والقدر هو سر الله في خلقه، فمن يكشف سر الله تعالى؟].
وتبقى العقول قاصرة أن تفقه أو تعلم دقائق هذا الأمر، ولكن أعطيت قواعد لابد من الإيمـان بهـا، وهي المراتب الأربع.. ، فإذا أقر الإنسان بها على ضوء النصوص اطمأنت نفسه ولم يجد فـي قلبـه شيئاً من الاعتراض على أي شيء يحدث في هذا الكون من قضاء الله وقدره.
وقد قدمت هذه الأمور العقدية _وإن كانت مسائل العقيدة من غوامض المسائل وأدق الأمور ، وهـي التي انزلقت فيها أقدام الرجال وهلكت فيها أغلب الطوائف ، فهو منشأ ضلال الفرق _ قلت قدمتها لأن الكاتب بإثارته هذه الشبهة أثار مسألة القضاء والقـدر، (**كيف ينهانا الله عن شيء قد كتبه علينا!!!** ص66) ونحن لن ننجر وراء هذه التساؤلات والإستفهامات ،
والخوض في مثل هذه الأمور يدخلك في مخاضة من الكلام قلّما تخرج منها بما يهديك في دينـك، أو ينفعك في دنياك .، ولهذا لما ذكر العلماء رحمهم الله تعالى أن البدع والشبه خطيرة علـى الإنسـان، قالوا: وأشدها خطراً ما كان متعلقاً بالقضاء والقدر،

والأمر الثالث : من المقرر في مذهب أهل السنة والجماعة أن مجرد الإعتقاد لا يبنى عليه شيء، وأن المعتبر هو التطبيق بالعمل ، فالإيمان اعتقاد وقول وعمل ، وأن الأفعال تسمى تصديقاً ، قال الحسن البصري: «ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكنه ما وَقَر في القلب وصدَّقَتْه الأعمال» .

إذا تقرر ذلك فليعلم أن الأعمال كذلك لا تعتبر معاصيا بالنية، لأن النية لا مدخل لها في المحرمات، فلا يصح القول بأن التفكير أو الإقدام على فعل الجرم كفعله ، فليس كذلك ! فمن هم بالمنكر ثم تركه كان مأجورا مثابا ، كما في الحديث **(وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً)** ،[317]
ومن المعلوم من شريعتنا أن الذنوب كبائر وصغائر وهي التي سميت في القرآن باللمم ، (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ [النجم:32] واللمم يغفره الله تعالى بأدنى عمل من العبد كالوضوء والصلاة والذكر ونحوها ، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى بقوله (**إذا توضأ العبد المسلم خرجت خطاياه مع الماء أو مع آخر قطرة من الماء حتى يخرج من تحت أظفاره ...)**

أما تسمية هذه المسائل بالزنا فهو من باب تسمية السبب باسم المسبب كما هو معروف في المجاز ، لما بينهما من التعلق ، وإنما سمى النظر والمنطق ومنى النفس وشهوتها زنا لما كانت دواعي إلى الزنا ، قال النووي في شرح مسلم : إن من الناس من يكون زناه مجازا بالنظر الحرام والفكر بالقلب.
قَالَ ابْن بَطَّال رحمه الله : " سُمِّيَ النَّظَر وَالنُّطْق زِنًا لأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى الزِّنَا الْحَقِيقِيّ , وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ **(وَالْفَرْج يُصَدِّق ذَلِكَ وَيُكَذِّبهُ)**"

قال المهلب : وكل ما كتبه الله على ابن آدم فهو سابق في علم الله لابد أن يدركه المكتوب عليه ، وإن الإنسان لا يملك دفعه عن نفسه ، غير أن الله تعالى تفضل على عباده وجعل ذلك لممًا وصغائر ، لا يطالب بها عباده إذا لم يكن للفرج تصديق لها ، فإذا صدقها الفرج كان ذلك من الكبائر ، رفقا من الله بعباده ، ورحمة لهم ، لما جبلهم عليه من ضعف الخلقة ، ولو آخذ عباده باللمم أو ما دونه من حديث النفس لكان ذلك عدلا منه في عباده وحكمة ، لا يسأل عما يفعل وله الحجة البالغة ، لكن قبل منهم اليسير وعفا لهم عن الكثير تفضلاً منه وإحسانًا .[318]

وفي مثل هذا نزل قوله تعالى { وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ } (هود114) والمقصود بذلك من كان كتب عليه ذلك، ولا يعني أن كل بني آدم كتب عليهم ذلك، فإن من عباد الله ومن خلق الله من يعصمه الله عز وجل من ذلك، فالكتابة ليست على كل واحد، والعموم فيها ليس بمراد على الإطلاق؛

---

[317] - رواه البخاري (6491) ومسلم (131) .والحديث بكامله : عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : قَالَ : إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً)

[318] - شرح صحيح البخارى - لابن بطال (23/9)

ويجب التنبيه إلى أن الرسول ﷺ لا يتهم أو يحكم هنا على العالمين بالزنا، كما ادعى الكاتب متبجحا (نستنتج من خلال هذا الحديث أن جميع الرسل لديهم حظهم من الزنا باعتبارهم من بني آدم، بمن فيهم رسولنا الكريم، وأيضا الصحابة الكرام والسلف الصالح، الكل له حظه من الزنا ، فنحن زناة من نسل زناة، هذا هو الحديث في أصح الكتب كما يتبجحون .ص66)

ولا يشجع على التساهل والتواكل، بل يعصم النفوس من اليأس إن حسبت أنها يمكن أن تعلو تماما عن مطالب الجسد وشهواته وكأنها ملائكة نورانية ، ثم تُفاجأ بأن ذلك مستحيل تماما مما يدفعها إلى الوقوع في حمأة الإثم والتخبط في شباكه. وهل هناك شخص يستطيع أن يزعم صادقا أنه قد نجح تمام النجاح في ألا ينظر إلى امرأة فاتنة أو يسمع صوتا جميلا أو يشم عطرا فواحا طوال حياته، أو أنه نظر وسمع وشم ولم يكن لهذا أي تأثير في نفسه على الإطلاق؟ إنه إذن لأكذب الكذابين!

والعبرة على أي حال في ألا يستجيب لصوت الشهوة أو ينساق معه، بل يوقفه بكل ما عنده من جهد. والبشر متفاوتون في هذا الجهد: فمنهم من يتوقف سريعا فلا يمضى بعيدا في خيالاته، ومنهم من يضعف فيترك لخواطره العنان، ومنهم من قد يمضى إلى ما هو أبعد من ذلك..

أما قوله (فنحن زناة من نسل زناة، ..) فهذا الفهم مغلوط متعسف، والله سبحانه يعصم من شاء من خلقه، ومن قدر عليه أن ينظر أو يلمس أو يفعل ما هو يعتبر من مقدمات الزنا ، فذلك لا يعتبر زنا حقيقيا بل هو من اللمم ، والله سبحانه يغفره بأدنى عمل صالح ، بوضوء وصلاة وذكر وما إلى ذلك ،

والكاتب الصحفي لا يشمئز من الفحش ولا يجرم الزنا ولا يستنكره كما يفهم من كلامه ، إنما يريد الطعن في الحديث والإسلام ، والحقيقة أنه يدعي أن الزنا جائز بنصوص القرآن حسب زعمه ، ويسعى إلى تثبيت فكرته وتزكية زعمه بإصدار كتاب في الموضوع ..

ومثل هذه الشبهة لا تصدر إلا ممَن لم يعرف مراد الله تعالى من خلقه للجن والإنس ! فالله تعالى لو أراد أن يخلق خلقاً لا يُخطئون البتة : لكان في الملائكة الكفاية !!!.. فهم خلقٌ لا يُخطئون ، وعلى الإيمان والطاعة مفطورون ، كما أنه سبحانه يعلم أننا من طبعنا معرضون للخطأ بسبب ضعفنا، ولو شاء ربك لعصم خلقه ، فما ذلك على الله بعزيز ، ولكن لحكم يعلمها.. وليستغفره المذنبون فيغفر لهم ، فهو التواب وهو الغفور الرحيم ، فالذنب من شيم الثقلين ، وفي هذا يقول رسولنا الكريم ﷺ : " **(والذي نفسي بيده: لو لم تذنبوا** (أي لو كنتم خلقاً لا يُذنبون) **لذهب الله بكم ولجاء بقومٍ يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم)**" رواه مسلم وغيره .. ويقول ﷺ " كل بني آدم خطاء !!.. وخير الخطائين : التوابون " !!!..

رواه أحمد والترمذي وابن ماجة والدارمي وحسنه الألباني ..

صدقك وهو كذوب

كذب الكاتب وشكك من جملة شكوكه في حديث أبي هريرة ، وطعن فيها سندا ومتنا ، لفظا ومعنى ، فأنكر تعليمه لأبي هريرة ، وأنكر إقرار النبي له ، وأنكر أن يظهر الشيطان للإنسي ، وأنكر عفو أبي هريرة عنه ، .. الخ ، فيعلق قائلا (وهاته عجيبة من عجائب صحيح البخاري التي تسيل الدماء ..)

ومما قاله (أن الرسول أقر السارق على قول قاله في الدين لم يعلمه رسول الله، فلو كان يعلمه لكان أولى بقوله من السارق – أو من الشيطان–،ص159)

أولا :نقول للصحفي : من أين فهمت أنت وبحيري أن ما علمه الشيطان لأبي هريرة لم يكن الرسول يعلمه ؟، فليس في الحديث أي دلالة على ذلك ! ولا يقول به مسلم ولا عاقل ، فلو كان النبي ﷺ لا يعلم ذلك لتردد أو لأجل الجواب حتى ينزل الوحي ! وهو ﷺ منزه عن تصديق الشيطان والقول بقوله دون وحي من الله ، كما أن قول النبي ﷺ لأبي هريرة صدقك يفهم منه أن النبي على علم بذلك ، على علم بكون القرآن طاردا للشياطين ، ثم عقبه بقوله وهو كذوب لئلا يتوهم أن الشيطان يريد الخير أو يسعى في سبيله ، لأجل ذلك عقَّب الرسول ﷺ على قوله: «صدقك» بكلمة: «وهو كذوب» حتى لا يكون قوله: «صدقك» تعديلاً وتوثيقاً له يحمل السامع على قبول كل ما جاء به، فلم يمنع كونه شيطاناً أن يُقر الحق الذي قاله، لكن لا بد من الاحتراز في مثل ذلك؛ حيث لا يقبل منه إلا الجزء الذي تبينت حقيقته، إنَّ من مظاهر العدل قبول الحقِّ ممن جاء به، فالعبرةُ بالقولِ لا بالقائل، لأن الحق لا يستمد قيمته من قائله، أو من الظرف الذي قيل فيه، وإنما يستمد ذلك من كونه الحق؛ فالحق يحمل قيمة ذاتية مستقلة عن ظروف الزمان والمكان والأشخاص والأحوال، وإذا كان الحق يُقبل لأنه حق؛ فلذلك يُقبل الحق ممن جاء به، سواء كان من جاء به مسلماً أو كافراً، أو شريفاً أو وضيعاً؛ فقد يقول الكافر أو المنافق كلمة الحق، كما قد يقول المؤمن كلمة الباطل؛

ثانيا : تقول (وثالثها أن الشيطان يحفظ القرآن جيدا ، ويعرف بدايات الآيات ونهايتها بدقة، وغير هذا من الخرافات .159) هل لك دليل على أن الشيطان أمي ؟ وأنه لا يعلم شيئا عن القرآن ولا عن أمور الدين ؟ فإذا أتيتنا بدليل على ذلك سلمنا بصدق جميع طعونك ، ولكن العكس هو المتبادر وهو الصحيح ، فإن الشيطان يعلم القرآن الكريم وما فيه من عظات وعبر وحجج... وليس معنى ذلك أنه يقرؤه أو يؤمن به، ولكنه بلغه وقامت به الحجة عليه كما قامت على غيره من أتباعه العتاة من الكفار، كما قال الله تعالى: كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ* لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ {الحجر:12-13}.

فالشيطان يعرف بعض خصائص القرآن وفضائله ، وهناك مسائل يمكن أن يعرفها بالتجربة والمشاهدة ، مثل هذه التي علمها لأبي هريرة ، فمن البديهي أن يعلم الآيات التي تؤثر فيه كثيرا وتؤلمـه ، كما نعلم نحن أن النار تحرقنا وأن الأدوات الحادة تجرحنا .. الخ ،

والكاتب بإيراده لهذا الحديث يثير _حسب زعمه ومن نقل عنه_ إشكاليات عديدة ، وقد أجبنا عن الشبهتين الأوليين بإيجاز ، وسنرد من خلاله على الشبهتين الأخريين بالتفصيل وهما البارزتان :

الأولى : أن الحديث يتعارض مع قوله تعالى : { يَا بَنِي آَدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآَتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ } (الأعراف 27) فالآية قد نفت رؤية البشر للشيطان ، فكيف يراه أبو هريرة ويكلمه ؟ فمن ثم فالحديث غير صحيح لمعارضته للقرآن . قال حاكيا لكلام بحيري : (ولنذكر جيدا أننا ترخصنا مع هذه الخرافة التي تدعي أن الشيطان يتصور بالإنسان ويكلمه فقط لتبيين العلل الفاسدة في النص وإلا فإن هذا الادعاء بأن الشياطين تتمثل كبشر هو علة في ذاته نرد بها هذا الحديث كلية، 160)

فنقول له لا تترخص ولا تسامح ، فترخيصك مردود عليك وسنرد عليه بأدلة من القرآن والسنة .. ،

الشبهة الثانية : أن أبا هريرة لا يحق له أن يعفو عن السارق : لعدم جواز العفو عن الحدود ، ومن ثم فالحديث مخالف لحديث عائشة الذى رواه البخارى بقولها : { أنَّ قُرَيشًا أهَمَّتهُمُ المَرأةُ المَخْزوميَّةُ التي سَرَقَت ، فقالوا : مَن يُكَلِّمُ رسولَ اللهِ ﷺ ، ومَن يَجْتَرِئُ عليه إلَّا أُسامَةُ ، حِبُّ رسول الله ﷺ ، فكَلَّمَ رسولَ اللهِ ﷺ ، فقال : (أتَشْفَعُ في حَدٍّ مِن حُدودِ اللهِ) . ثم قامَ فخطبَ ، قال : (يا أيُّها الناسُ ، إنَّما ضلَّ مَن كان قَبلَكم ، أنهُم كانوا إذا سرَقَ الشَّريفُ تَركوه ، وإذا سَرَقَ الضَّعيفُ فيهِم أقاموا عليه الحَدَّ ، وايْمُ اللهِ ، لو أنَّ فاطِمَةَ بنتَ مُحمدٍ ، سَرَقَت لَقطَعَ مُحمدٌ يَدَها }

الرد على الشبهة الأولى :

أن الآية التى يحتجون بها ليس فيها نفى إمكانية الرؤية مطلقا ، وإنما النفي مخصوص برؤيتهم على صورتهم الحقيقية التي خلقهم الله عليها ، إذ لو كان نفى الرؤية مطلقا هو المراد لقال تعالى { إنه يراكم هو وقبيله ولا ترونهم } ، ولكنه سبحانه قال : { من حيث لا ترونهم } ، فدلّ على أن عدم رؤيتنا لهم مخصوص في بعض حالاتهم ، ذلكم أن الله أعطاهم قدرة على أن يتشكّلوا بأشكال لا نستطيع رؤيتهم بها ، وأعطاهم قدرة على أن يتشكّلوا بأشكال نستطيع رؤيتهم بها ، قال الحافظ ابن حجر في الفتح : { وفي الحديث من الفوائد ... أن الشيطان من شأنه أن يكذب ، وأنه قد يتصور ببعض الصور فتمكن رؤيته ، وأن قوله تعالى (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) مخصوص بما إذا كان على صورته التي خلق عليها } اهـ

ومما يؤيد ذلك من القرآن :-

1- قوله تعالى : { ، وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ، فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (الأنفال 47 – 48)

روى ابن جرير الطبري – رحمه الله – في تفسيره ، وابن كثير – رحمه الله – في " البداية والنهاية " عن عروة بن الزبير ، قال : { لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر – يعني من الحرب – فكاد ذلك أن يثبطهم ، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن جعشم المدلجي ، وكان من أشراف بني كنانة ، فقال : أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه ! فخرجوا سراعا }

2- قوله تعالى : { كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } (الحشر 16)

روى ابن جرير عن علي ابن أبى طالب : { ان راهبا تعبد ستين سنة ، وإن الشيطان أراده فأعياه فعمد إلى امرأة فأجنها ، ولها إخوة فقال لإخوتها : عليكم بهذا القس فيداويها قال : فجاءوا بها إليه فداواها وكانت عنده فبينما هو يوما عندها ، إذ أعجبته فأتاها فحملت فعمد إليها فقتلها ، فجاء إخوتها فقال الشيطان : للراهب أنا صاحبك إنك أعييتني أنا صنعت هذا بك فأطعني أنجك مما صنعت بك ، اسجد لي سجدة فسجد له فلما سجد له قال : إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين فذلك قوله كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين .}

فالثابت من الآيتين أن الشيطان تكلم مع الإنسان (كفار قريش، والرجل الكافر) ومن ينفى الرؤية مطلقا ينفيها وينفى ما يستلزمها من سماع لكلامهم ، فيقول لا يمكن رؤية الجن ولا سماع كلامهم، وهنا تثبت الآيتان سماع الإنس لكلام الشياطين ، والسماع فيهما حقيقي_ إذ لا يجوز صرف اللفظ عن معناه الحقيقي بغير قرينة صارفة ، وليست هناك قرينة معهم على صرف اللفظ عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازى – فالسماع هنا يستلزم الرؤية ، والرؤية هنا مخصوصة بالتمثل في صورة بشرية ترى وتسمع .

ولعل البعض قد يعترض على القصتين الواردتين في تفسير الآيتين بأنهما ضعيفتان ، إلا أن التدقيق في الآيتين يدعم صحة القصتين ، لأن التزيين بالوسوسة إنما يكون بتزيين العمل للنفس والحث على الفعل ، وأما المضامين التي تذكرهما الآيتان الكريمتان ، كقوله { إني جار لكم } وقوله : { إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ } وقوله { قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } (الحشر 16) فهذا ما لا تستوعبه الوسوسة ، لأن الوسوسة يمكن أن تستوعب إيصال أفكار مجردة

في تزيين العمل المنكر وتصوير الأشياء للإنسان ، وأما الحوارات التي تتضمن أقوالاً فلا تستوعبها الوسوسة وإنما لا بد أن تكون معاينة ، وذلك لا يتم إلا إذا تصور إبليس بصورة بشر .
وهذه المعاينة إما أن تكون في الدنيا من خلال تصور الشيطان بصورة ما ، وإما أن تكون في الآخرة . كمثل حوار الشيطان يوم القيامة مع الواقعين في شباكه ومكايده الوارد فى قوله تعالى : { وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ } (إبراهيم : 22)
ومما يؤيد ذلك من السنة :
أنه ثبت أن الجن يتشكلون في صورة حيات وثعابين ، وغيرها ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يقول : { إِنَّ بِالْمَدِينَةِ نَفَرًا مِنْ الْجِنِّ قَدْ أَسْلَمُوا فَمَنْ رَأَى شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْعَوَامِرِ فَلْيُؤْذِنْهُ ثَلاثًا فَإِنْ بَدَا لَهُ بَعْدُ فَلْيَقْتُلْهُ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ } (رواه مسلم)
والعوامر : الحيات والثعابين التي تكون في البيوت ، لا تقتل حتى تستأذن ثلاثاً فقد تكون من الجن . انظر " غريب الحديث " لابن الأثير .
قال النووي – رحمه الله – في " شرح مسلم " : { معناه : وإذا لم يذهب بالإنذار علمتم أنَّه ليس من عوامر البيوت ، ولا ممَّن أسلم من الجنِّ ، بل هو شيطان ، فلا حرمة عليكم فاقتلوه ، ولن يجعلُ اللهُ له سبيلاً للانتصار عليكم بثأره بخلاف العوامر ومن أسلم ، واللهُ أعلم } أهـ .
و قال شيخ الإسلام – رحمه الله – في " مجموع الفتاوى " : { والجن يتصورون في صور الإنس والبهائم فيتصورون في صور الحيات والعقارب وغيرها وفي صور الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير وفى صور الطير وفى صور بني آدم كما أتى الشيطان قريشا في صورة سراقة بن مالك بن جعشم لما أرادوا الخروج إلى بدر } أهـ .
وقال أيضا فى " مجموع الفتاوى " : { وكثيراً ما يتصور الشيطان بصورة المدعو المنادى المستغاث به إذا كان ميتا . وكذلك قد يكون حيا ولا يشعر بالذي ناداه ; بل يتصور الشيطان بصورته فيظن المشرك الضال المستغيث بذلك الشخص أن الشخص نفسه أجابه وإنما هو الشيطان ، وهذا يقع للكفار المستغيثين بمن يحسنون به الظن من الأموات والأحياء كالنصارى المستغيثين بجرجس وغيره من قداديسهم ، ويقع لأهل الشرك والضلال من المنتسبين إلى الإسلام الذين يستغيثون بالموتى والغائبين ، يتصور لهم الشيطان في صورة ذلك المستغاث به وهو لا يشعر ....وذكر لي غير واحد أنهم استغاثوا بي ، كلٌّ يذكر قصة غير قصة صاحبه فأخبرت كلا منهم أني لم أجب أحداً منهم ولا علمت باستغاثته ، فقيل : هذا يكون مَلَكاً ، فقلت : المَلَكُ لا يغيث المشرك ، إنما هو شيطان أراد أن يضله } أهـ

يتضح مما بينا أن تمثل الشيطان أو الجني _بصفة عامة_ وظهوره بصورة آدمي ونحوه فـذلك وارد وثابت بالنقل والعقل بل ومشاهد في جميع العصور،

الرد على الشبهة الثانية :- ويرد عليها من وجوه هى :

الوجه الأول : ما ذكره ابن حجر في " فتح الباري شرح صحيح البخاري " بقوله : { وفيه أن السارق لا يقطع في المجاعة ، ويحتمل أن يكون القدر المسروق لم يبلغ النصاب ولذلك جاز للصحابي العفـو عنه قبل تبليغه إلى الشارع } أهـ

. ومما يؤيد أن المبلغ المسروق لم يبلغ النصاب ، ما جاء في رواية أبي المتوكل عن أبـي هريـرة { أنه كان على تمر الصدقة فوجد أثر كف كأنه قد أخذ منه} ورواية ابن الضريس من هذا الوجـه : { فإذا التمر قد أخذ منه ملء كف} (ذكرهما ابن حجر فى الفتح)

الوجه الثانى : جواز العفو عن الحدود ، قبل أن ترفع للحاكم ، فعن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : { **تعافُّوا الحدودَ فيما بينَكُم ، فما بلغَني مِن حدٍّ فقد وجـبَ** } (أبـو داود وصححه الألبانى) وفى رواية : { **تعافوا الحدودَ قبلَ أن تأتوني به ، فما أتاني من حدٍّ فقد وجـبَ.** }
(رواه النسائى وصححه الألبانى)

الوجه الثالث : ما ذكره البعض من أن أبا هريرة كان وكيلا عن النبي ﷺ في حفظ تمر الـصدقة وقد أسلف أبو هريرة الرجل (الذي جاء الشيطان في صورته) التمر الذي أخذه ، وأجازه النبي ﷺ فلم ينكر عليه، ولذلك بوب البخاري الباب الوارد فيه الحديث بقوله :(باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز، وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز) قال الحافظ في الفتح : { وأخذ ذلك من حديث الباب بطريق أن الطعام كان مجموعا للصدقة وكانوا يجمعونه قبل إخراجه ، وإخراجه كان ليلة الفطر، فلما شكا السارق لأبي هريرة الحاجة تركه فكأنه أسلفه له إلى أجل وهو وقـت الإخـراج وقال الكرماني: تؤخذ المناسبة من حيث أنه أمهله إلى أن رفعه إلى النبي ﷺ } أهـ

من كل ما سبق يتضح تهاوى الشبهتين ، وأنهما على غير أساس ، ويتضح جواز رؤية الإنس للجـن على غير صورتهم الحقيقية التي خلقهم الله عليها ، والله أعلم .

قال العلماء: ويؤخذ من هذا الحديث أن الشيطان قد يعلم ما ينتفع به المؤمن ، وأن الكذاب قد يصدق ، وأن الحكمة قد يتلقاها الفاجر فلا ينتفع بها وتؤخذ عنه فينتفع بها ، وقد علـم الـشيطان أن اسـتعانة الإنسان بالحي القيوم يبقيه قائما بربه فلا يقدر على القرب منه .

ومن فقه هذا الحديث وفوائده – كما قال ابن حجر رحمه الله – : انَّ الحكمة قد يتلقّاها الفاجرُ فلا ينتفع بها، وتؤخذُ عنه فينتفعُ بها، وإنَّ الكافرَ قد يصدقُ ببعض ما يصدقُ به المؤمن، ولا يكون بذلك مؤمناً، وبأنَّ الكذّاب قد يصدُقُ []

حديث المعوذتين

انقضت شبهات الكاتب ، وانمحت أبجدياته ، وانقضى علمه الغزير ، فاعترف دون إشعار منه _ وبعد أن أعياه البحث والتفكير، في جملة عربية فصيحة ، استشكلت عليه فلم يجد لها بابا ولا نافذة، فما كان منه إلا أن سطرها وتحدى أيا كان أن يفهمها أو يفسرها ، وهذا إقرار بالجهل ، ودليل على التكبر والتعاظم ، فالكاتب لما وجد حديثا لم يتطرق إليه سلفه (الطالح) ولم يجده في مصادرهم ومواقعهم ، وحيث أن عقله عجز عن إدراكها وفهمها فاعتقد أن فهم معناها وتفسيرها من المحالات ، فحسب أنه اكتشف شبهة لم يسبق إلها ، فيتخذ ذلك مقدمة للقول بأن في البخاري كلاما عبثيا ، وقولا رديئا ، لا معنى له ولا بيان ،

وما استشكله الكاتب هو حديث يروى في معرض مناقشة المعوذتين ، وإنكار ابن مسعود لقرآنيتهما ، وللتنبيه فابن مسعود رضي الله عنه لم يجحد أن تكونا مما أنزله الله ، بل حسب أنهما دعاء أوحي إلى رسول الله ﷺ . فلذلك لم يكتبهما في مصحفه ، وعارضه جمع الصحابة ، ثم رجع إلى إجماعهم ، والحديث هكذا مع الشكل : عَنْ زِرٍّ قَالَ سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ قُلْتُ : يَا أَبَا الْمُنْذِرِ ؛ إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا فَقَالَ أُبَيٌّ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي :(قِيلَ لِي فَقُلْتُ) قَالَ : فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .[319]

فقوله إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا أي يقول بأن المعوذتين ليستا من القرآن كما في رواية : (إن أخاك بن مسعود يحكهما من المصحف) وفي رواية أخرى (لاَ يَكْتُبُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فِي مُصْحَفِهِ)
فقال (أبي) سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عن المعوذتين فَقَالَ لِي :(قِيلَ لِي فَقُلْتُ) فالكلام مابين المعكوفين هو كلام الرسول ، كما في رواية : ((قيل لي: قل. فقلت)). وأخرى (" قيل لي، فقلت لكم، فقولوا".)
قال أي : أُبَيٌّ : فنحن نقول كما قال الرسول ، أي بأنهما سورتان من القرآن .

في الفتح : (قوله : (يقول كذا وكذا) هكذا وقع هذا اللفظ مبهما , وكأن بعض الرواة أبهمه استعظاما له وأظن ذلك من سفيان فإن الإسماعيلي أخرجه من طريق ابن العلاء عن سفيان كذلك على الإبهام , كنت أظن أولا أن الذي أبهمه البخاري ، لأنني رأيت التصريح به في رواية أحمد عن سفيان ولفظه "قلت لأبي إن أخاك يحكها من المصحف " وكذا أخرجه الحميدي عن سفيان ومن طريقه أبو نعيم في " المستخرج " وكأن سفيان كان تارة يصرح بذلك وتارة يبهمه . وقد أخرجه أحمد أيضا وابن حبان من رواية حماد بن سلمة عن عاصم بلفظ " إن عبد الله بن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه ", وقد أخرجه عبد الله بن أحمد في زيادات المسند والطبراني وابن مردويه من طريق الأعمش عن أبي

---

[319] - صحيح البخاري:ج4/ص1904 ح4693 سنن البيهقي الكبرى:ج2/ص394 ح3851 المسند:ج1/ص185 ح374 / أحمد في مسنده ج 5/ ص130

إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد النخعي قال " كان عبد الله بن مسعود يحك المعوذتين من مـصاحفه ويقول إنهما ليستا من كتاب الله . قال الأعمش : وقد حدثنا عاصم عن زر عن أبي بن كعـب فـذكر نحو حديث قتيبة, وقد أخرجه البزار وفي آخره يقول " إنما أمر النبي ﷺ أن يتعوذ بهما " قال البزار ولم يتابـع ابن مسعود على ذلك أحد من الصحابة . وقد صح عن النبي ﷺ أنه قرأهما في الصلاة.

فهذا حديث بلفظ بسيط لا يحتاج كثير تأمل ، ولا يبلغ أن يتحدى به ، (إن أخاك ابن مسعود يقول كـذا أي يدعي أنها ليست من القرآن ، فيجيب أبي ويقول : لقد سألت النبي ﷺ عن ذلك فقال لي النبي ﷺ قيل لي قل فقلت) أي لما أنزل علي القرآن قيل لي قل أعوذ برب الفلق قل أعوذ برب الناس.. فقلت ... قال أبي: فنحن نقول ما قاله الرسول ﷺ .

وهذا يعيدنا إلى ما قلناه في الفصول الأولى ، وهو أن خوض المرء في غير فنه ، وتقوله بغير علمـه ، ونزاعه أهله ، وتطفله على غير تخصصه ، يجعله يأتي بالعجائب ، والبحث كله أعجوبة ،
فهلا ناقش خطابات الحزبيين ، وحلل تصريحات السياسيين ،وإصدارات المغنيين ، ؟! وترك العلـوم التي ليس بينه وبينها إلا نظرة حشمة ، وكلمة خجول !
إن من بديهيات الكتابة والتصنيف الصدق والنزاهة ، والوقوف عند القدر المعلـوم والممكـن ، لكـن الكاتب أبى إلا أن يجعل من الجبة قبة ، ومن الحبة صخرة ، فكثيرا ما نجده يعنون لباب بارز وفصل شامخ ، ثم يأتي بدليل أو مثال واحد متكلف محرف ثم يقول: والأمثلة كثيرة لكن نكتفي ...) وهـذا النهج في الخطاب كما قال الأستاذ يوسف سمرين يذكرنا بمحاورة الأطفال ، عندما تسأله عن شيء ما فيقول لك أعرف ولكن لا أريد أن أقول لك ،
هكذا دأبه ونهجه فيما كتب ، ويفترض بك أيها القارئ أن تصدق أن له شواهد وأمثلة كثيـرة ، ومـن أحالك إلى غائب ما أنصفك ، إنك ترى أن الكاتب لا يكاد يخرج عن النقول حتى يجف مداده ويخرس لسانه ، ويحيلك إلى مجهول ، عنوان يجعل العمي حذاقا ، أرعد ولم يسح ،

الباب السادس:
فصول وشبهات حول القرآن

فصول حول الإجماع

ثبوت النسخ وأنواعه في القرآن

تظاهر الكاتب في بداية فصله بغيرته على كتاب الله ، و دعوته لتعظيمه وتقديسه ، وتنزيهه عن الخرافة والإسترزاق به ، وادعى _في ذلك_ ما يعكس أهدافه وتوجهه ،
كعادته فالكاتب يفتقر إلى أدنى مقومات البحث والكتابة ، فعنون لموضوع نسخ القرآن بالسنة ، ثم عاد يكرر نصوصا سبقت في فصول أخرى ، ولعله نسي أنه نسخها من قبل ، أو أنه وجدها في موقع آخر فظن أنها جديدة ، ولكن كل ذلك لم يبرر وضع العنوان عن النسخ ومناقشة حديث (ومثله معه) ، مناقشة الأطفال لأقرانهم ، هو وأستاذه أبو رية الذي نقل عنه الفصل ، فيطرحون أسئلة العاجزين ، .. فلِمَ لَم يعن النبي بكتابة هذا (المثل) في حياته،؟ ولِمَ لَم تقل عائشة كان خلقه القرآن ومثله ؟ ولم ولم ؟
وتكاد شبهات العلمانيين والملحدين تتشابه وتتحد ، فالمتتبع يمكن أن يحصي المسائل التي ينتقدونها ويدندنون حولها ، وقد كنت في جدال ومناقشة لأحدهم على مواقع التواصل ، فرأيت أن العبارات التي يرددها ويكررها ، هي التي يرددها كل واحد منهم ، وهي التي يطرحها الكاتب هنا ، ومنها مسألة النسخ، فهم ينكرون هذا ادعاء منهم أن ذلك تلاعب بالقرآن ، ولم يكن ذلك مقصدا لهم بتاتا كما أسلفنا،

وقد أجمعت الأمة على جواز النسخ ووقوعه في هذه الشريعة([320]) ومن الأدلة على ذلك:
1- قوله تعالى: { يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ } [الرعد: 39].
2- وقوله تعالى: { مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا } [البقرة: 106].
3- وقوع النسخ. فمن ذلك تحويل القبلة إلى الكعبة عن بيت المقدس، ونسخ العدة بأربعة أشهر وعشر للحول، ونسخ مصابرة المسلم لعشرة من الكفار إلى مصابرة الاثنين([321]).
وللنسخ حكم عديدة وفوائد متعددة ، ذكر العلماء بعضا منها.
فمن بعض حكم النسخ: رحمته سبحانه لخلقه والتخفيف عنهم والتوسعة عليهم، كما قال تعالى: { يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ }]، وهذه الحكمة تتضح في نسخ الأثقل بالأخف، مثل نسخ وجوب مصابرة المسلم عشرة من الكفار المنصوص عليه في قوله تعالى: { إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ }، بمصابرة المسلم اثنين من الكفار المنصوص عليه في قوله تعالى: { الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ } [الأنفال: 66].

[320] (1) انظر: "الفقيه والمتفقه" (122/1)، و"روضة الناظر" (200/1)، و"تفسير ابن كثير" (156/1)، و"شرح الكوكب المنير" (535/3)، و"تيسير الكريم الرحمن" (1/

[321] - آية 65 و 66 من سورة الأنفال : إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (65) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (66)

وهناك حكم أخرى كثيرة ذكرها العلماء في مواضعها ،
وحاصل القول في الحكمة من النسخ: أن الناسخ خير من المنسوخ كما قال تعالى: { مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا } [البقرة: 106].
فالناسخ خير سواء كان هو الأخف أو الأثقل أو كان مساويًا للمنسوخ. فالمنسوخ – وقت العمل بــه – كانت فيه المصلحة والحكمة، والناسخُ هو المشتمل على الحكمة والمصلحة بعد النسخ.
أقسام النسخ :
للنسخ تقسيمات متعددة باعتبارات مختلفة، وبيان ذلك على النحو الآتي:
أولاً: ينقسم النسخ (من حيث معانيه) إلى ثلاثة أقسام: نسخ الأخف بالأثقل، ونــسخ الأثقــل بــالأخف، ونسخ المساوي بالمساوي.
ينقسم النسخ (من حيث أنواعه) إلى ثلاثة أقسام كذلك:
القسم الأول: نسخ التلاوة والحكم معًا. وذلك مثل آية التحريم بعشر رضعات، فإنها منسوخة الــتلاوة والحكم معًا. القسم الثاني: نسخ التلاوة وبقاء الحكم. وذلك كنسخ آية الرجم. القسم الثالث: نسخ الحكــم وبقاء التلاوة. وهو غالب ما في القرآن من المنسوخ، كقوله تعالى: { وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَــامُ مِسْكِينٍ } [البقرة: 184]
ينقسم النسخ (بالنظر إلى دليله) إلى أقسام متعددة، يمكن جمعها في قسمين: قسم متفق علــى جــوازه، وقسم وقع فيه الخلاف.   أما القسم المتفق عليه فهو([322]): – نسخ القرآن بــالقرآن. – نــسخ الــسنة المتواترة والآحادية بمتواتر السنة. – نسخ الآحاد من السنة بالآحاد من السنة.
وأما القسم المختلف فيه فيمكن بيانه في ثلاث مسائل:
المسألة الأولى: نسخ القرآن بالسنة.
ذهب جمهور الأصوليين إلى أنه يجوز نسخ القرآن بالسنة المتواترة[323]) وهو اختيار الأمين الشنقيطي.
وذهب الإمام الشافعي([324]) وأحمد([325]) إلى أنه لا يجوز نسخ القرآن بالسنة، بل لا ينسخ القــرآن إلا قرآن مثله، وهذا اختيار ابن قدامة وابن تيمية([326]).   وهذا الخلاف في الجواز وفي الوقوع.
وحجة الجمهور أن الجميع وحي من الله تعالى، فالناسخ والمنسوخ من عند الله، والله هو الناسخ حقيقة، لكنه أظهر النسخ على لسان رسوله – ﷺ –).
ومثل الجمهور للوقوع بأن آية التحريم بعشر رضعات نُسخت بالسنة (كما مر قريبا).

---

[322] - انظر: قواعد الأصول (72)، ومختصر ابن اللحام (138)، ونزهة الخاطر العاطر (223/1)، ومذكرة الشنقيطي (83).
[323] - (انظر: "شرح الكوكب المنير" (563/3)، و"نزهة الخاطر العاطر" (225/1).
[324] - انظر: "الرسالة" (106).
[325] - انظر: "العُدة" لأبي يعلى" (788/3)، و"روضة الناظر" (224/1)، و"مجموع الفتاوى" (397/20 - 399).
[326] - انظر: "روضة الناظر" (225/1)، و"مجموع الفتاوى" (195/17، 197، 202/19)، وربما يفهم من كلام ابن القيم موافقة هذا المذهب. انظر: "إعلام الموقعين" (306/2، 308).

المسألة الثانية: نسخ السنة بالقرآن:

ذهب جمهور الأصوليين إلى أنه يجوز نسخ السنة بالقرآن[327]، وهذا اختيار ابن النجار الفتوحي والأمين الشنقيطي). وقد مثل الجمهور للوقوع بأمثلة كثيرة منها:

1- التوجه إلى بيت المقدس وهو ثابت بالسنة، وناسخه في القرآن قوله تعالى: { فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } [البقرة: 144]. 2- تحريم مباشرة النساء في رمضان ليلاً ثابت بالسنة، وناسخه في القرآن قوله تعالى: { فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ } [البقرة: 187].

3- وجوب صوم عاشوراء ثابت بالسنة، فنسخ بوجوب صوم رمضان بقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ }

وخلاصة القول في هاتين المسألتين:

أن الخلاف في جواز نسخ القرآن بالسنة والعكس خلاف لا يترتب عليه أثر كبير ، والخطب فيه يسير. وذلك إذا تقرر - عند الجميع - ما يأتي:

أولاً: تعظيم نصوص الكتاب والسنة وتقديم جانب العمل بها مهما أمكن.

ثانيًا: أن الكتاب والسنة وحي من عند الله، وأنهما متفقان لا يختلفان، متلازمان لا يفترقان.

ثالثًا: أن النسخ لا يكون إلا بأمر من عند الله سبحانه: { يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ } [الرعد: 39].

المسألة الثالثة: نسخ المتواتر بالآحاد:

ذهب جمهور الأصوليين إلى أنه لا يجوز نسخ القرآن - والمتواتر من السنة - بالآحاد من السنة. واحتجوا بأن الآحاد ضعيف، والمتواتر أقوى منه فلا يُرفع الأقوى بما هو دونه ، وذهب الأمين الشنقيطي إلى جواز نسخ القرآن بأخبار الآحاد. وهذا المذهب مبني على: القول بجواز نسخ القرآن بالسنة، اهـ .[328]

وهذا القسم الثالث وهو نسخ القرآن بالسنة لعله لم يقع ، وبعضهم يمثل له بتحريم الحمر الأهلية ، وهو غير مسلم ، فإن المثال المذكور يمكن أن يعترض عليه بأن هذا ليس من باب النسخ وإنما هو من باب تخصيص عموم مفهوم الحصر.

أما رأي بعض العلماء المعاصرين ، _كالشيخ المنجد_ فهو مرجوح وليس بحجة للكاتب ، فميله هو وغيره_ إلى جواز نسخ القرآن بالسنة_ مردود من وجوه : أنه مخالف للجمهور ، وأنه لم يقع ، وأن حديث خيبر في الحمر الأهلية مخصص لمفهوم العموم وليس ناسخا ، فإنه لا يحكم بالنسخ إلا إذا استحال التخصيص.

---

327 - انظر: "مختصر ابن اللحام" (138).

328 - من كتاب : معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة المؤلف : محمَّد بنْ حسَيْن بن حَسنْ الجيزاني

عشر رضعات والقدح في صدقية القرآن

في بابه الجاني جناية الحديث ، حاول الطعن في أحد الوحيين أو فيهما معا بحــديث الرضــعات ، إذ لازم الشبهة أن أحدهما يجب أن يكون محرفا أو مكذوبا ، فإذا ثبت الحديث وصح فالقرآن محــرف أو ناقص ، يقول (وهنا يبرز السؤال المحوري، إذا كان هذا صحيحا فأين هي هاته الآية التي ينسب إلى أمنا عائشة أنها قالت بها ، و إن الرسول الأكرم صلى الله عليه و سلم مات وهي تقرأ من القرآن ،ص61) اهــ

أما القرآن فلا يشك أحد من المسلمين في كونه صحيحا سالما كاملا لم يزد فيه ولم ينقص منه حرف!

وأما حديث عائشة في مسلم **(كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات يحرمن...)** فهو أيضا صــحيح وإن كان موقوفا على عائشة ،

وأجيب عنه أن مقصود عائشة هو تأخر النسخ قبيل وفاة النبي (ﷺ) حتى إن بعض الصحابة لــم يعلم بالنسخ فكان يقرأ بها بعد وفاة النبي (ﷺ) وهذا هو المتبادر للذهن .

قال النووي رحمه الله : (وَقَوْلهَا : (فَتُوُفِّيَ رَسُول اللَّه (وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأ) هُوَ بِضَمِّ الْيَاء مِنْ (يقْــرَأ) وَمَعْنَاهُ أَنَّ النَّسْخ بِخَمْس رَضَعَات تَأَخَّر إِنْزَالُهُ جِدًا حَتَى أَنْهُ (تُوفِي وَبَعْض النَّاس يَقْرَأ خَمْس رَضَعَات وَيَجْعَلهَا قُرْآنًا مَتْلُوًّا لِكَوْنِهِ لَمْ يَبْلُغهُ النَّسْخ لِقُرْبِ عَهْده فَلَمَّا بَلَغَهُمْ النَّسْخ بَعْد ذَلِكَ رَجَعُــوا عَــنْ ذَلِــكَ وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ هَذَا لَا يُتْلَى . وَالنَّسْخ ثَلَاثَة أَنْوَاع أَحَدهَا مَا نُسِخَ حُكْمه وَتِلَاوَته كَعَــشْرِ رَضَــعَات , وَالثَّانِي مَا نُسِخَتْ تِلَاوَته دُون حُكْمه كَخَمْسِ رَضَعَات وَالشَّيْخ وَالشَّيْخَة إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا , وَالثَّالِــث مَا نُسِخَ حُكْمه وَبَقِيَتْ تِلَاوَته وَهَذَا هُوَ الْأَكْثَر وَمِنْهُ قَوْله تَعَالَى :(وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًــا وَصِيَّة لِأَزْوَاجِهِمْ (الْآيَة وَاَللَّه أَعْلَم).[329]

وقال السيوطي في الإتقان 28/2: وقد تكلموا في قولها "وهن مما يقرأ من القرآن" فإن ظــاهره بقــاء التلاوة وليس كذلك، وأجيب بأن المراد قارب الوفاة، أو أن التلاوة نسخت أيضاً ولم يبلــغ ذلــك كــل الناس إلا بعد وفاة رسول الله ﷺ ، فتوفي وبعض الناس يقرؤها،

ومن المعلوم أن خبر النسخ, كخبر نزول شيء من القرآن لا يصل إلى الناس في لحظة واحــدة, بــل ينتقل بينهم بالتدريج.

يقول الدكتور هشام عزمي والجواب على هذه الشبهة بإذن الله – يتضمن عدة مسائل . . .

الأولى : من المعلوم لكل من وقف على تواتر القرآن و سلامة نقله و حفظه بواسطة رب العالمين أنه إذا تعارض حديث _مع ما نعلمه عن هذا التواتر و النقل و الحفظ_ يكون الإشكال في الحديث و ليس

[329] النووي في شرحه على مسلم ج10 ص29:

في القرآن لأن الأخير متواتر ثابت ثبوتاً قطعياً لا شك فيه ، لذا عند التعارض لا يجوز عقلاً التشكيك في القرآن و هذا من بداهات المنطق .

الثانية : أن منطوق الحديث لا يستوجب كون الآية غير منسوخة قبل وفاة النبي ﷺ بل إن غاية ما تدل عليه أنه كان هناك من لا يزال يعتبرها جزءاً من القرآن حتى بعد وفاة النبي و يجعلها في تلاوته و هذا غالباً لجهلهم بوقوع النسخ .

يقول محمد فؤاد عبد الباقي في شرحه لصحيح مسلم: (وهن فيما يقرأ) معناه أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله جدا، حتى إنه ﷺ توفى وبعض الناس يقرأ: خمس رضعات. ويجعلها قرآنا متلوا، لكونه لم يبلغه النسخ، لقرب عهده . فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك وأجمعوا على أن هذا لا يتلى.

الثالثة : أن من تأمل وضع الإسلام وقت وفاة النبي ﷺ واتساع رقعته حتى شملت الجزيرة العربية و اليمن و جنوب الشام أدرك أنه من المحال عقلاً أن يعلم كل المسلمين بوقوع النسخ في أي آية في نفس الوقت و أنه من الوارد جداً – بل من المؤكد – أن العديدين كانوا يتلون بعض الآيات المنسوخة تلاوتها لبعدهم المكاني عن مهبط الوحي و هذا مما لا مناص من الاعتراف به . و ما كلام عائشة رضي الله عنها إلا إقراراً بهذا الوضع .

الرابعة : من يرى أن الآية قد حذفها النساخ عند جمع القرآن فعليه البيان: ما هو الداعي لحذف مثل هذه الآية من القرآن إن كانت حقاً غير منسوخة ؟ و ما الفائدة التي تعود من حذفها ؟ فليس لها أي أهمية عقائدية بل هي تختص بأحد الأحكام الفقهية وهو حكم ثابت في العديد من الأحاديث الشريفة و لا يمكن إنكاره فما الداعي لحذف هذه الآية إذن ؟؟

الخامسة : أن السيدة عائشة رضي الله عنها راوية الحديث لا يمكن أن يكون قصدها من الرواية الطعن في جمع القرآن لأنها عاصرت هذا الجمع و كانت من أبرز المناصرين لأمير المؤمنين عثمان بن عفان الذي تم جمع القرآن الكريم في عهده و تحت إشرافه ، و لو كان لها أي مؤاخذات لجاهرت بها و لاعترضت على عثمان رضي الله عنه . و لكن هذا لم يحدث و لو حدث لعلمناه ، بل إن موقف عائشة رضي الله عنها من قتلة عثمان يدل على أنها لم تشكك يوماً في إمامته و خلافته و هذا كاف جداً للرد على هذه الشبهة .

خلاصة هذه المسائل أنه من غير المقبول عقلاً و لا منطقاً فهم قول عائشة رضي الله عنها على أن الآية المذكورة قد حذفها النساخ عند جمع القرآن للأسباب الواردة أعلاه و الله أعلم أهـ د هشام عزمي

من القرآن ما تم نسخه ورفعه

في سعي متواصل منه لإثبات أحد الأمور: تكذيب الحديث ، معارضته القرآن ، أو تحريف القرآن ، أورد حديث بعث أبي موسى الأشعرى إلى قراء البصرة ، محاولا ترسيخ شبهة أن القرآن محرف أو أنه نسي منه شيء ،

وهذه شبهة تثار في شكل روايات فيها آيات منسوخة التلاوة ، أو قراءات شاذة ، وهذه الروايات موجودة عند أهل السنة ، وقد أثيرت في كتب كثيرة للشيعة والمستشرقين والزنادقة .

إن الفئات الضالة الطاعنة في الإسلام قرآنا وسنة ، تأبى أن تقبل بالنسخ في القرآن ، وهذه الفئات على اختلاف أنواعها وأشكالها متفقة على ذلك من القرآنيين والعلمانيين والرافضة ، وهو المبدأ الذي اعتنقه الكاتب في بحثه والمعول الذي اعتمد عليه لهدم الدين ، فإذا بحثنا عن أصل هذه الشبهة نجدها في مصادر الشيعة الحاقدين ، ومنها التقطها الكاتب ،

فقد أتهم أية الله العظمي الخوئي وهو أحد مراجع الشيعة أهل السنة اتهاما باطلاً فلقد قال " ان القول بنسخ التلاوة هو بعينه القول بالتحريف والإسقاط" وقال أيضاً " ان القول بالتحريف هو مذهب أكثر علماء أهل السنة لأنهم يقولون بجواز نسخ التلاوة " ([[330]]).

هذا الخوئي _ومن لف لفه_ لم يجد عالماً سنياً يطعن بالقرآن الكريم ، ولا دليلا لذلك ، فاضطر إلى اتهام أهل السنة بالطعن في القرآن لأنهم أجازوا نسخ التلاوة .

وقد بينا في الفصل أعلاه أن نسخ التلاوة ثابت عند أهل السنة ، بأدلة من الكتاب والسنة ، وأيضا قد أقر كبار علماء الشيعة بأنواع النسخ بما فيها نسخ التلاوة ومنهم : الطبرسي والطوسي والعتائقي والكاشاني والمجلسي وغيرهم ..، فعلام هذا الحقد والطعن ؟

وكل هذه الأحاديث والشبهات التي ذكرها الكاتب في فصله هذا أثارها الحاقدون من الشيعة والزنادقة، وأجاب عنها العلماء بتفصيل ، ومنها هذا الحديث : بُعِث أبو مُوسى إلى قُرَّاءِ أهلِ البصرَةِ ، فدخل عليه ثلاثُمائة رجل قد قَرَءوا القرآن ، فقال : أَنتم خِيارُ أهلِ البصْرَةِ ، وقُرَّاؤهُمْ، فَاتلوهُ ، ولا يَطُولَنَّ عليكم الأَمَدُ ، فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ ، كما قَستْ قُلُوبُ مَنْ كانَ قَبْلَكُم ، وإنا كُنَّا نَقْرأُ سورة نشبِّهُها في الطُّولِ والشِّدَّةِ ببراءة ، فَأُنْسِيتُهَا ، غيرَ أني قد حَفِظْتُ منها :«لو كان لابنِ آدمَ واديانِ من مالٍ لا بْتَغَى واديا ثالثا ، ولا يَمْلأُ جَوْفَ ابن آدمَ إلا الترابُ»، وكُنَّا نقرأ سورة كُنَّا نُشَبِّهُها بإحدَى المُسبِّحاتِ فأُنْسِيتُها ، غير أني حَفِظتُ منها : {يا أيُّها الذين آمنوا ، لم تقولونَ ما لا تفعلون} فَتُكْتبُ – شَهادَة في أعناقكم فتُسأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ القيامة." [331]

---

[330] - البيان في تفسير القرآن ص205 .

[331] - مسلم في صحيحه ج2/ص726 ح1050

ومعنى الحديث أن أبا موسى رضي الله عنه أرسل إلى أهل القرآن في مدينة البصرة فأتــاه ثلاثمائــة رجل، فأثنى عليهم بما أكرمهم الله من الخير به، وأمرهم بتلاوة القرآن، ونهاهم عن استطابة مدة البقاء في الدنيا مخافة أن تقسو قلوبهم ، قال الســيوطي في شرح مسلم : ولا يطولن عليكم الأمد فتقــسو قلوبكم، أي لا تستطيبوا مدة البقاء في الدنيا فإن ذلك مفسد للقلوب بما يجره إليها من الحرص والقسوة حتى لا تلين لذكر الله ولا تنتفع بموعظة أو زجر. والمراد بمن قست قلوبهم أهل الكتاب كما قــال الله تعالى : أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُــوا كَالَّــذِينَ أُوتُــوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ [الحديد:16].

ثم نصحهم بعدم الحرص على الاستكثار من المال، واحتج في ذلك ببعض القرآن المنسوخ لفظه الباقي معناه فقال: وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة.. إلخ

فقوله: كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها، قال السيوطي : هذا من المنــسوخ تلاوة الذي أشير إليه بقول الله تعالى: مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّــهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة:106]، فكان الله ينسيه الناس بعد أن حفظوه ويمحوه من قلوبهم، وذلك فــي زمن النبي ﷺ خاصة إذ لا نسخ بعده، قال القرطبي : ولا يتوهم من هذا أو شبهه أن القرآن ضاع منه شيء فإن ذلك باطل، قال الله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [الحجر:9].[332]

وفي هذا الموضوع ورد حديث آخر في مسند الإمام أحمد ولفظه: عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال: كم تقرأون سورة الأحزاب، قال: بعضا وسبعين آية، قال: لقد قرأتها مع رسول الله ﷺ مثــل البقرة أو أكثر منها، وإن فيها آية الرجم.

قال الإمام القرطبي في تفسيره عند بداية سورة الأحزاب: وهي ثلاث وســبعون آيــة، وكانــت هــذه السورة تعدل سورة البقرة وكانت فيها آية الرجم: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً مــن الله والله عزيز حكيم)، ذكره أبو بكر الأنباري عن أبي بن كعب، وهذا يحمله أهل العلــم علــى أن الله تعالى رفع من الأحزاب إليه ما يزيد على ما في أيدينا وأن آية الرجم رفع لفظهــا.. ، إلــى أن قــال القرطبي أيضاً: عن عائشة قالت: كانت سورة الأحزاب تعدل على عهد رسول الله ﷺ مائتي آيــة، فلما كتب المصحف لم يقدر منها إلا ما هي الآن. ، قال أبو بكر: فمعنى هذا من قــول أم المــؤمنين عائشة أن الله تعالى رفع إليه من سورة الأحزاب ما يزيد على ما عندنا، قلت هذا وجــه مــن وجــوه النسخ. انتهى.

[332] [شرح السيوطي على مسلم] ج 3

ولذا فإن ما رفع من هذه السورة يعتبر منسوخاً، والنسخ سائغ معروف بين الأمم وفي مختلف الأمـــم، كما في الجواب السابق.

وعليه فإن القرآن سالم من النقص والغلط ، وكيف يعتريه النقص والخلل وهو كلام الله تعـــالى الـــذي تكفل بحفظه، حيث قال: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [الحجر:9].

وقال تعالى: وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ* لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِـنْ خَلْفِـهِ تَنْزِيـلٌ مِـنْ حَكِـيمٍ حَمِيـدٍ [فصلت:41-42].

فهذا هو النسخ _أيها الناقد_ وهذا قسم من أقسامه إن كنت تؤمن بالقرآن ، ونحن ولله الحمد لم نـــصدم ولن نصدم بشبهاتكم ، وأنتم من ستصدمون بنصوع الحقيقة ، ووضوح البرهان ، [333]

ونحن لسنا مقلدة ولسنا إمعة ، ولسنا ألعوبة الأزلام ولا أسارى الأقلام ، لتتهم معارضـــيك وتـــصفهم بالمقلدة ، (وسيشبعنا بعض المقلدة بكلام كبير متعرج عن نسخ التلاوة الذي جاءت به مخيلتهم لتمرير وتبرير هذا الهراء.63) والقارئ المنصف والعاقل الحصيف يعرف من المقلد الحقيقي ، وإن كنا مقلـــدة فلا نقلد عن جهل وعن عمى ، بل عن إدراك وبصيرة ، ولأن ذلك من صميم ديننا .

نعم نحن نقلد علماء راسخين ، ورجالا ربانيين ، وديننا يفرض علينا أن نقلد في أصوله ونجتهد فـــي فروعه لمن له أهلية وعدة ، أما أنت فقد ادعيت التحرر والتنوير والعقلنة ، ثم لم تأت بشيء ، وبقيت إمعة مقلدا ، وشتان بين مقلد ومقلد ، وما أبعد التقليد عن تقليد ،

وما كل الوقود كنار موسى ** وما كل الفواطم كالبتول

أما هذا الفن وهذا الكم الذي سميته غثاء بقولك (إننا نجد أنفسنا مضطرين لرفض هذا الغثاء، ص64) فهو غثاء بالنسبة إليكم ، وأنتم مضطرون لرفضه والطعن فيه ، ليس لأنه غثاء وهراء ، بل لأنه لا يخـــدم أجندتكم وأهواءكم ،

وإن العجب لا يكاد ينقضي من هذه الطعون الجائرة والبحوث المجيرة المؤجرة ، فلا يسعنا إلا نتمثـــل بقول ابن القيم – رحمه الله تعالى – :

والعلم معرفة الهـــدى بدليـــله*** ما ذاك والتقليد مستويان

حرما بكم والله لا أنتم مع الـــ***ـــعلمـــاء تنـــقادون للبرهان

كـــلا ولا متعلمون فمن تـــرى*** تدعون نحـــسبكم من الثيران

لكـــنهـــا والله أنـــفـــع منكـــمُ *** للأرض في حرث وفي دوران

نالت بهم خيرا ونـــالت منكم الـــ***ـــمعهـــــود من بغي ومن عدوان([334])

---

[333] - نقصد قوله (ولعل القارئ سيصدم من هذا الذي سردناه الآن نقلا من الصحيحين و سيصدم أيضا من الأسلوب الركيك لما يوصف بأنها كانت آية من كتاب الله، 63

[334] - القصيدة النونية - (ج 1 / ص 65)

قراءة والذكر والأنثى في والليل

ليعلم القارئ أن من مسلمات الفن أن القرآن أنزل على سبعة أحرف كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ، وأن تنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات. وذلك ضرب من ضروب البلاغة يبتدئ من جمال هـذا الإيجاز وينتهي إلى كمال الإعجاز.

أضف إلى ذلك ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة والأدلة القاطعة على أن القرآن كـلام الله وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله ﷺ فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تـؤدي إلى تناقض في المقروء وتضاد ولا إلى تهافت وتخاذل بل القرآن كله على تنوع قراءاته يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه بعضا ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم. وذلك من غير شك يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف.

ومعنى هذا أن القرآن يعجز إذا قرئ بهذه القراءة ويعجز أيضا إذا قرئ بهذه القراءة الثانيـة ويعجـز أيضا إذا قرئ بهذه القراءة الثالثة وهلم جرا. ومن هنا تتعدد المعجزات بتعدد تلك الوجوه والحروف.

وأن من قرأ حرفا من هذه الحروف فقد أصاب شاكلة الصواب أيا كان ذلك الحرف كما يدل عليه قوله ﷺ : "**فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا**" وقوله ﷺ لكل من المختلفين في القـراءة "**أصـبت**" وقوله ﷺ لهما في رواية ابن مسعود: "**كلا كما محسن**" وقوله ﷺ فيما يرويه عمرو بن العاص: "**فأي ذلك قرأتم أصبتم**" . وعدم موافقته ﷺ لعمر وأبي وابن مسعود وعمرو بـن العـاص علـى معارضة مخالفيهم بالطرق الآنفة في الأحاديث السالفة.

وليعلم أن القراءات كلها على اختلافها ، وبجميع حروفها ، كلام الله جل وعلا ، لا مدخل لبشر فيهـا، بل كلها نازلة من عنده تعالى ،

قال الإمام مكي: اعلم أن جميع ما روي من القراءات على أقسام: قسم يقرأ به اليوم: وذلك ما اجتمـع فيه ثلاث خلال وهن : أن ينقل عن الثقات عن النبي ﷺ / ويكون وجهه في العربية التي نزل بهـا القرآن سائغا / ويكون موافقا لخط المصحف.

فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث قرئ به وقطع على تعينه وصحته وصدقه لأنه أخذ عـن إجمـاع من جهة موافقة خط المصحف وكفر من جحده. قال: والقسم الثاني: ما صح نقله عن الآحـاد وصـح وجهه في العربية وخالف لفظه خط المصحف. فهذا يقبل ولا يقرأ به لعلتين: إحداهما أنه لم يؤخذ عن إجماع إنما أخذ أخبار الآحاد ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد. والعلة الثانية أنه مخالف لمـا قـد أجمع عليه فلا يقطع على تعينه وصحته وما لم يقطع على صحته لا تجوز القراءة به ولا يكفـر مـن جحده, ولبئس ما صنع إذا جحده.

والقسم الثالث: هو ما نقله غير ثقة أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف. قال: ولكل صنف من هذه الأقسام تمثيل تركنا ذكره اختصارا ا هـ.

ثم انبرى المحقق ابن الجزري لذاك التمثيل الذي تركه مكي اختصارا فقال:-

مثال القسم الأول: ملك ومالك ويخدعون ويخادعون وأوصى ووصى ويطوع وتطوع ونحو ذلك من القراءات المشهورة.

ومثال الثاني قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء: والذكر والأنثى في قوله تعالى {وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى} بحذف لفظ ما خلق ، وقراءة ابن عباس: (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا) بإبدال كلمة أمام من كلمة وراء ، وبزيادة كلمة (صالحة) . وأما الغلام فكان كافرا بزيادة كلمة (كافرا) ونحو ذلك مما ثبت برواية الثقات إلى أن قال:

ومثال القسم الثالث مما نقله غير ثقة كثير كما في كتب الشواذ مما غالب إسناده ضعيف كقراءة ابن السميفع وأبي السمال وغيرهما في {نُنَحِّيكَ بِبَدَنِكَ} " بالحاء المهملة "لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَفَكَ آيَةً" بفتح اللام أي من قوله خلفك بسكونها ، وكالقراءة المنسوبة إلى الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه والتي جمعها أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي ونقلها عنه أبو القاسم الهذلي وغيره إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ برفع الهاء ونصب الهمزة يعني برفع لفظ الجلالة ونصب لفظ العلماء.[335]

وجاء في كتاب مباحث في علوم القرآن ، بعدما ذكر حديث سبعة أحرف وبين المراد بالأحرف السبعة ، وأطال القول في شرحها وتفصيل الأقوال والأوجه فيها ، قال

وأصحاب هذا الرأي يرون أن المصاحف العثمانية قد اشتملت على الأحرف السبعة كلها، بمعنى أنها مشتملة على ما يحتمله رسمها من هذه الأحرف، ... وهذا لا يسلم لهم في كل وجه من وجوه الاختلاف التي يذكرونها. كالاختلاف بالزيادة والنقص، في مثل قوله تعالى: {وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ} 3. وقُرِئ: "من تحتها الأنهار" بزيادة "من" وقوله: {وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى} 4، وقُرِئ: "والذكر والأنثى" بنقص "ما خلق".

والاختلاف بالتقديم والتأخير في مثل قوله تعالى: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ} 5, وقُرِئ: "وجاءت سكرت الحق بالموت".. والاختلاف بالإبدال في مثل قوله تعالى: {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ} 6, وقُرِئ: "وتكون الجبال كالصوف المنفوش".

ولو كانت هذه الأحرف تشتمل عليها المصاحف العثمانية لما كان مصحف عثمان حاسمًا للنزاع في اختلاف القراءات، إنما كان حسم هذا النزاع بجمع الناس على حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ولولا هذا لظل الاختلاف في القراءة قائمًا، ولما كان هناك فرق بين جمع عثمان

---

[335] - كتاب : مناهل العرفان في علوم القرآن للمؤلف : محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى : 1367هـ)

وجمع أبي بكر. والذي دلت عليه الآثار أن جمع عثمان -رضي الله عنه- للقرآن كان نسخًا له على حرف واحد من الحروف السبعة حتى يجمع المسلمين على مصحف واحد، حيث رأى أن القراءة بالأحرف السبعة كانت لرفع الحرج والمشقة في بداية الأمر. وقد انتهت الحاجة إلى ذلك، وترجح عليها حسم مادة الاختلاف في القراءة، بجمع الناس على حرف واحد، ووافقه الصحابة على ذلك. فكان إجماعًا.[336]

هذا بحث حول الحروف والقراءات على الإجمال ، ونعود إلى قراءة ابن مسعود في سورة الليل ، وقد وقفت على كلام للحافظ في (الفتح) بعد أن ذكر الرواية التي تروي (والذكر) عن ابن مسعود والتي سأل عنها أبو الدرداء أصحاب ابن مسعود عند قدومهم .. فحدثه علقمة ... الخ ، يقول :

"ثم هذه القراءة لم تنقل إلا عمن ذكر هنا ومن عداهم قرؤوا وما خلق الذكر والأنثى وعليها استقر الأمر مع قوة إسناد ذلك إلى أبي الدرداء ومن ذكر معه ، ولَعَلَّ هَذَا مِمَّا نُسِخَتْ تِلَاوَته ولَمْ يَبْلُغ النَّسْخُ أَبَا الدَّرْدَاء وَمَنْ ذُكِرَ مَعَهُ . وَالْعَجَب مِنْ نَقْل الْحُفَّاظ مِنْ الْكُوفِيِّينَ هَذِهِ الْقِرَاءَة عَنْ عَلْقَمَة وَعَنْ ابْن مَسْعُود وَإِلَيْهِمَا تَنْتَهِي الْقِرَاءَة بِالْكُوفَةِ ثُمَّ لَمْ يَقْرَأ بِهَا أَحَد مِنْهُمْ , وَكَذَا أَهْل الشَّام حَمَلُوا الْقِرَاءَة عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء وَلَمْ يَقْرَأ أَحَد مِنْهُمْ بِهَذَا , فَهَذَا مِمَّا يُقَوِّي أَنَّ التِّلَاوَة بِهَا نُسِخَتْ ".

ونقل النووي عن الْمَازِرِيُّ قال :" يَجِب أَنْ يُعْتَقَد فِي هَذَا الْخَبَر وَمَا فِي مَعْنَاهُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ قُرْآنًا ثُمَّ نُسِخَ , وَلَمْ يُعْلَم مَنْ خَالَفَ النَّسْخ فَبَقِيَ عَلَى النَّسْخ , قَالَ : وَلَعَلَّ هَذَا وَقَعَ مِنْ بَعْضهمْ قَبْل أَنْ يَبْلُغهُمْ مُصْحَف عُثْمَان الْمُجْمَع عَلَيْهِ , الْمَحْذُوف مِنْهُ كُلّ مَنْسُوخ , وَأَمَّا بَعْد ظُهُور مُصْحَف عُثْمَان فَلَا يُظَنّ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ خَالَفَ فِيهِ , وَأَمَّا ابْن مَسْعُود فَرُوِيَتْ عَنْهُ رِوَايَات كَثِيرَة مِنْهَا مَا لَيْسَ بِثَابِتٍ عِنْد أَهْل النَّقْل , وَمَا ثَبَتَ مِنْهَا مُخَالِفًا لِمَا قُلْنَاهُ فَهُوَ مَحْمُول عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَكْتُب فِي مُصْحَفه بَعْض الْأَحْكَام وَالتَّفَاسِير مِمَّا يَعْتَقِد أَنَّهُ لَيْسَ بِقُرْآنٍ , وَكَانَ لَا يَعْتَقِد تَحْرِيم ذَلِكَ , ..., وَكَانَ رَأْي عُثْمَان وَالْجَمَاعَة مَنْع ذَلِكَ لِئَلَّا يَتَطَاوَل الزَّمَان وَيُظَنّ ذَلِكَ قُرْآنًا ".[337]

فأي إشكال وأي شبهة في سورة الليل ؟ إلا ما كان في أذهان المشككين ، والمتطفلين على الميدان ، أو الذين يصطنعون العلل والشبهات ، لتضليل الناس وزعزعة إيمانهم ،

فما لم يذكر في المصحف الموجود بأيدينا أو خالفه بشيء فأكثر العلماء على منعه لأنها لم تتواتر وإن ثبتت بالنقل فهي منسوخة بالعرضة الأخيرة أوبإجماع الصحابة على المصحف العثماني ، فانه قد ثبت في الصحاح عن عائشة، وابن عباس، رضي الله عنهم : ((أن جبريل عليه السلام كان يعارض النبي ﷺ بالقرآن في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قبض فيه: عارضه به مرتين)).

[336] - مباحث في علوم القرآن للمؤلف : مناع القطان (1_166)

[337] - [شرح النووي على صحيح مسلم /6] و [شرح السيوطي على مسلم] (الديباج) 415/2

والعرضة الآخرة: هي قراءة زيد بن ثابت، وغيره وهي التي أمر الخلفاء الراشدون أبو بكر، وعمـر، وعثمان، وعلي؛ بكتابتها في المصاحف، وكتبها أبو بكر وعمر في خلافة أبى بكر في صحفٍ ، أمـر زيد بن ثابت بكتابتها، ثم أمر عثمان في خلافته بكتابتها في المصاحف، وإرسالها إلى الأمصار، وجمع الناس عليها باتفاق من الصحابة .

وبعدما أتى الكاتب بهذه النصوص ظن أنه أمسكها من عنقها ، فشرع فـي خطـاب شـعبوي داعيـا للعقلانية ورفض (الغثاء) الحديثي ، والنضال والصبر على الإيذاء ، في سبيل الحقيقة الصلبة التي لا تقبل الجدل ، ص64)

إنك عندما تقرأ سطوره يدهشك الخطاب ، خطاب عاطفي خداعي (فهلموا يا أحباب الرسول الأكرم إلى هبة إيمانية إحسانية، مبناها ومعناها ينطلق من القرآن الذي لا يأتيه ... هلموا إذن، فلا مجال للرجوع، هلموا إذن فلا مجال للتراخي، هلموا إذن لننبذ عنا أسا ـير الماضي إلى عقلانية الحاضر.) يدعوا إلـى نبـذ أساطير الحديث والإنكباب على القرآن وهو يعلم أنه لو تحقق ذلك لانهار القـرآن ، هـذا الأسـلوب الخطابي الذي يخفي وراءه خدعة ودهاء ، يبين الكاتب من خلاله أنه من أحباء الرسول وحوارييـه ، ومن المدافعين عن القرآن ، وكأن الكاتب لا يفصل جبهته عن السجادة ، ولا يفتر لسانه مـن الـذكر والتلاوة ، وكأنك أمام ناصر السنة ، وحليف القرآن ، ونحن نعلم يقينا أنه لا يهمه حديث ولا قـرآن ، بل خرج بتصريح بعد ما لحقه من الإزدراء على دفتره ، فأبدى بعضا مـن مـستوره ، وادعـى أن القرآن لم يحرم الزنا ، ولم يوجب الحجاب ،

وما انفك يعيد حديث الرضعات مرة تلو أخرى ، ويدعونا للتبرؤ من مثل هذه الآثار الغثائية ، حتى لا نكون فريسة للملحدين ، وأي تحد أكبر من هذا الذي يدعوك لإلقاء السيف والدرع وكل سلاح ولتتقـدم إلى المعركة بصدرك العاري ويدك البيضاء ، أهذه هي النصائح والإرشادات ،؟ أسفل لـسانه يقـول اطرحوا ما تسمونه بالحديث جانبا ، فهو لا يزيدكم إلا رجعية وتخلفا ، ثم توسعوا في تفسير قـرآنكم ، ليوافق متطلبات العصر ، ومستلزمات الحضارة ، حتى لا تنفروا الناس من دينكم ،! أي دين وأي مبدأ يبقى بعد ذلك ؟!

لقد أظهر نفسه بمظهر المشفق وألبسها لبوس الصديق الغيور ، ولم يشمئز مـن اسـتعمال خطـاب وكلمات (تراثية) هلموا .. (فهلموا يا أحباب الرسول الأكرم إلى هبة إيمانية إحسانية، هلموا لننبذ أسا ـير الماضي !)

أليست هذه دعوة صريحة إلى المذهب القرآني الجامد ، باسم البحث العلمي الـذي يدعونـه لأنفـسهم باطلاً وباسم الإسلام والدراسات الإسلامية التي لا يلمون بشيء منها، يوجهون للفكر الإسلامي أخطر القوارع لدكه من أساسه، وإلغاء ما بينه وبين غيره من مميزات وفروق، قصد طي آثـار الحـضارة

الإسلامية ، وإذابة المجتمع الإسلامي ، والقضاء على هويته ومقوماته. ودليل ذلك أن حركة إنكار السنة ، _التي نحن إزاء جندي منها_ في الشرق والغرب لم تقف عند القول بعدم حجيتها، أو عند الدعوة إلى عدم العمل بها، وإن كان ذلك في ذاته منكراً من القول وزورا، وكفراً وتعطيلاً لأحكام الله وشريعته ، ولكنها تجاوزت ذلك إلى تأويل القرآن وتفسيره بغير علم ، وإخضاعه لما يرونه أو يعتقدونه من اتجاهات أو أفكار، وتصوير الإسلام بما يتفق وأغراضهم، ويخدم ميولهم ومصالحهم، لا بما أراده الله ، وهذا أنكره الكاتب في أول تصريح له ، ثم عاد بعد أيام لينقضه ، ويدعوا إلى الإكتفاء بالقرآن ، وليته سكت عند هذا الحد ، فقد سبقه إلى ذلك عشرات المفكرين ، ولكنهم تعلموا أساليب المكر وطرق الخداع ، أما غلامنا فلم يتحمل الكتمان ، فسارع للبوح ..

وسواء باحوا أو كتموا فلن يجدوا لعقول المؤمنين سبيلا ، ولن ينالوا من ديننا قطميرا ولا فتيلا .

وأخيرا نبشرهم بقول حبيبنا وقدوتنا ﷺ «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض** ([338]) ».

[338] رواه مالك بلاغاً: الموطأ 480/2 وقال ابن عبد البر عنه: (وهذا محفوظ معروف مشهور عن النبي -صلى الله عليه وسلم - عند أهل العلم شهرة يكاد يستغني بها عن الإسناد) التمهيد 331/24 كما صححه الألباني: صحيح الجامع 566/1 برقم 2937.

الإجماع ثابت ولا التفات لمن شذ وحاد [339]

بعدما طعن في الحديث من جميع نواحيه تدوينه وألفاظه ومعانيه ورجاله، رأى أنه بقيت ناحية قد يؤتى منها فتنسف أطروحته من خلالها وهي مسألة الإجماع ، فهو أصل ثابت معمول به قد يجابه به فزعم أنَّ الإجماع مختلف في ثبوته، ويقصد بذلك اختلاف جميع فرق الضلال مع أهل السنَّة؛

، وكان يكفيه ما سبق فكل ما تناوله في كتابه هو من قبيل المسلمات والتي وقع عليها الإجماع ، فإذا سقطت الأسس والأصول التي تناولها في كتابه ، فإن ذلك يعني سقوط الإجماع من باب الأولى والأحرى ، بل سقوط الدين كله ! فماذا بعد رفض المسلمات إلا هدم الدين جملة !. فلا تكون مسلَّمة إلا وهي محلُّ إجماع ، فإذا سقطت المسلمات التي عليها الإجماع سقط أصل الإجماع ، لكن الكاتب ربما لا يعرف شيئاً عن حقيقة ومكانة الإجماع ،

فحاول الطعن في أصل الإجماع ، معضدا زعمه بخلاف الشيعة ، ومقولة الإمام أحمد ، [340]

أما خلاف الشيعة فلا يناقش ولا يرد عليه ، لأن علماءنا اختلفوا حولهم _حقيقتهم_ إلى قولين وهو في عدهم من جملة المسلمين أم ليسوا منهم ، وقد ذهب إلى تكفيرهم كبار أئمة الإسلام كالإمام مالك، وأحمد، والبخاري، والفريابي وابن قتيبة وابن حزم والغزالي والقاضي عياض والسمعاني وابن كثير وابن تيمية والشوكاني.. وغيرهم كثير. وحتى على الرأي أنهم من المسلمين فلم يختلفوا أنهم فئة خارجة مبتدعة ضالة ، ففكرهم وعقيدتهم غريبة عن الإسلام الحق هذا في الأصول أما الفروع فحدث ولا حرج ، والكاتب استشهد أنهم لا يوافقوننا في الإجماع ! أقول له ارجع إلى أصولهم وقولهم في الإجماع وسترى ، وباختصار فالإجماع عندهم هو قول إمامهم المعصوم ، ولو خالف العالم كله قول إمامهم فالرأي رأيه وما عداه فهو باطل ، فهم في الحقيقة لم يقولوا بحجة الإجماع، وإنما قالوا بحجية

---

[339] ـ الإجماع من أصول أهل السنة، وهو الأصل الثالث بعد الكتابة والسنة الذي يعتمد عليه في العلم والدين [انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام: 157/3، وراجع في هذا: الآمدي/ الإحكام في أصول الأحكام: 200/1، الغزالي/ المستصفى: 173/1 وما بعدها، وانظر: الرسالة للشافعي: ص403 رقم 1105، وص 471 وما بعدها، ابن عبد البر/ التمهيد: 267/4.]، ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة" [مجموع فتاوى شيخ الإسلام: 346/3.]

[340] ـ أما ما نقل عن الإمام أحمد من مقولته المشهورة: من ادعى الإجماع فهو كاذب. فليس مراده بها نفي وقوع الإجماع أو حجيته قطعاً؛ لكون الإمام يحتج به، ويستدل به في كثير من الأحيان، وقد حملها العلماء على عدة أوجه، ومن أحسنها: أنه قال ذلك على سبيل الورع، لجواز أن يكون هناك خلاف لم يبلغه، أو أنه قال ذلك في حق من ليس له من معرفة بخلاف السلف، ويدل لذلك تتمة كلامه السابق حيث يقول: من ادعى الإجماع فهو كاذب، لعل الناس اختلفوا، ..، ولكن يقول: لا نعلم الناس اختلفوا، إذا هو لم يبلغه.. أي إذا لم يبلغه في المسألة خلاف.

قول المعصوم ،!! فمقتضى دفع مسألة الإجماع بسبب مخالفة الشيعة نفي وجود الإجماع أصلاً؛ لأنَّـــه من المستحيل اتِّفاق أهل السنَّة وأصحاب البدع والأهواء ،

ومسألة هل يعتبر خلافهم خلافا وهل يدخلون في الأئمة المشهود لهم بالعلم فيعتبـــر خلافهـــم نقيـــضا للإجماع هذا مبحث طويل ، ويمكن دحض هذه الوهم بمجرد فهم حقيقة الإجماع وتعريفه ،

وأما ما قاله الإمام أحمد فقد قال ابن القيم : وليس مراده –أي الإمام أحمد– استبعاد وجود الإجمـــاع، ولكن أحمد وأئمة الحديث بُلوا بمن كان يرد عليهم السنة الصحيحة بإجماع الناس على خلافها.[341]

أما الإجماع بالصورة التي يريد أن يخدعنا بها فهو لا يمكن حدوثه ولا تصوره ، فليس هناك مـــسألة واحدة أجمع عليها الكل ، وليس هناك موضوع ولا رأي ليس له مخالف ممن انتسبوا للإسلام أمـــا إن كبرنا الدائرة فحدث ، فالصلاة نفسها_على سبيل المثال_ التي يعتقد الكل أنه لا خلاف فيها قد خـــالف فيها بعض المتصوفة وقالوا بأن الصلاة تعد واجبة على العامي .. أما الخواص الذين وصلوا مرتبـــة من العرفان واليقين فإنها تسقط عنهم ، مستدلين بقوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ،!

الإجماع

أما أصل الإجماع فهو حق مقطوع به في دين الله – عز وجل – وأصل عظيم من أصـــول الـــدين ، ومصدر من مصادر الشريعة ، مستمد من كتاب الله الكريم ، وسنة رسوله ﷺ ، وتـــالٍ لهـــا فـــي المنزلة ، ثـــابت بنصوص القرآن والسنة وآثار الصحابة والسلف ولم يشذ عن ذلك أحد ، و له أدلـــة من الكتاب والسنة كثيرة

قال تعالى : وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) النساء(115) وأول من استدل بهذه الآية الشافعي رحمه الله ثم تبعه الناس علـــى الاستدلال بها.

وجه الاستدلال من الآية: أن معنى مشاقة الرسول ﷺ منازعته ومخالفته فيما جاء به عـــن ربـــه ، ومعنى (سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ) ما اختاروه لأنفسهم من قول أو فعل أو اعتقاد ؛ لأن سبيل المـــؤمنين مفـــرد مضاف ، فيعم هذه كلها ، وقد جعل الله كلاً من المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين موجبـــاً للعقـــاب ؛ لأنه عطف بعضها على بعض بالواو المفيدة للتشريك في الحكم، فيلزم أن يكون اتبـــاع غيـــر ســـبيل المؤمنين محرماً ، كما حرمت مشاقة الرسول ﷺ ، إذ لو لم يكن محرماً لما جمـــع بـــين الحـــرام والمباح في الوعيد ،[342]

[341] - انظر المسودة، ص: 316، ومجموع الفتاوى 271/19، 247/20، ومختصر الصواعق، ص: 506 .
[342] - انظر في هذا الدليل : أحكام القرآن للشافعي ، 39 ، والعدة لأبي يعلى ، 1064/4 .

ومنها قوله جل ذكره: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً [البقرة:143]. وجه الاستدلال بهذه الآية: أن الله تبارك وتعالى عدلهم بقبول شهادتهم، ولما كان قول الشاهد حجة يجب العمل بمقتضاه، إذ لا معنى لقبول شهادته إلا كون قوله حجة، فيدل هذا على أن إجماع الأمة حجة يجب العمل بمقتضاه وهو المطلوب.

ومنه قوله تعالى : ! (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون)

والأحاديث كثيرة لا تعد حصرا منها :

منها قوله ﷺ : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون. [رواه البخاري 293/13] . وفي لفظ ' **لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لا يضرهم خلاف من خالفهم** ' و: ' قوله ﷺ : من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه.[343]

وقوله ﷺ : من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية.[[344]]. إلى غير ذلك من الألفاظ التي يطول تعدادها

ووجه الاستدلال بهذه الأحاديث وغيرها: أن هذه الأحاديث ونحوها، وإن لم يتواتر كلّ واحدٍ منها لفظاً إلا أن القدر المشترك بينها –وهو عصمة الأمة– متواتر فيها؛ لوجوده في كل منها، وإذا ثبتت عصمة الأمة تواتراً كان ذلك دليلاً على حجية الإجماع.

وما قاله صلى الله عليه وسلم: "**فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رأوه قبيحاً فهو عند الله قبيح**" ([345]) .

ومرتبة الإجماع بين الأدلة الشرعية تلي مرتبة الكتاب والسنة، وهذا هو مذهب السلف الصالح ؛ كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مستدلاً على ذلك بما ثبت عنهم من الآثار، ومن ذلك:

– ما جاء في كتاب عمر رضي الله عنه إلى شريح رحمه الله حيث قال له: اقضِ بما في كتاب الله، فإن لم تجد فبما في سنة رسول الله ﷺ فإن لم تجد فبما قضى به الصالحون قبلك. ، وفي رواية: فبما أجمع عليه الناس.[346]

قال ابن حزم – رحمه الله – : (الإجماع قاعدة من قواعد الملة الحنيفية ،يُرْجع إليه ، ويُفْزَعُ نحوه ، ويكفر من خالفه ، إذا قامت عليه الحجة أنه إجماع).

وقال أيضا رحمه الله : ومن خالفه – أي الإجماع – بعد علمه به، أو قيام الحجة عليه بذلك فقد استحق الوعيد المذكور في الآية. [[347]]

---

[343] - أخرجه أحمد عن أبي ذر - رضي الله عنه - ، 180/5 ، وأبو داود ، 542/2 ، باب قتل الخوارج .

[344] - رواه البخاري ، 78/9 ، ومسلم ، 1475/3 .

[345] - انظر: المستدرك للحاكم 78/3، وكشف الخفاء 2/ 188، والمقاصد الحسنة 367، والمعتبر 234.

[346] - أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف 240/7، و البيهقي 115/10، و النسائي 231/8 .

[347] - مراتب الإجماع لابن حزم ، ص 7 .

هذا ومباحث الإجماع طويلة الذيول كثيرة الكلام ، لا يمكن أن نأتي عليها في هــذه الــصفحة ولا أن نحيط بها على عجالة ، فلتراجع في أماكنها من كتب الأصول،

والغرض أن الإجماع حق مقطوع به في دين الله عز وجل، وأصل عظيم من أصول الدين، ومــصدر من مصادر الشريعة، مستمد من كتاب الله الكريم، وسنة رسوله ﷺ ، وتالٍ لهما في المنزلة.

قال القاضي أبو يعلى رحمه الله: الإجماع حجة مقطوع عليها، يجب المصير إليها، وتحرم مخالفتــه، ولا يجوز أن تجتمع الأمة على الخطأ. العُدة 1058/4 .

ولذلك كان حتماً على الطالب للحق المتبع لسبيل جماعة المؤمنين، المبتعد عن مــشاقة الله ورســوله ﷺ أن يعرف ما أجمع المسلمون عليه من مسائل الشريعة العلمية والعملية، ليستنَّ بسلفه الــصالح، ويسلك سبيلهم، ولئلا يقع في عداد من اتبع غير سبيل المؤمنين، فيحق عليه الوعيد المحكم فــي قولــه جل ذكره: (نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً) [النساء: 115].

وبعد هذا التقرير لمكانة الإجماع في الدين، يحسن أن نذكر أهم فوائد الإجماع التي ذكرها أهل العلــم، وكان من دواعي ذكر هذه الفوئد:

الإجابة عن تساؤل ينقدح في الذهن عن مدى فائدة الإجماع والجديد فيه، مع القول بأن مــن شــروط الإجماع أنه لا بد أن يستند الإجماع إلى دليل من الكتاب والسنة، وأنه لا يمكن أن تجتمع الأمة علــى خلاف النصوص، كما أنه لا يمكن أن يكون الإجماع ناسخاً لنص !!

وقد أجاب العلماء على هذا فذكروا أهم فوائد الإجماع.[348] وهذا ملخص ما سطروه:

فوائد الإجماع

الفائدة الأولى: الإجماع على المعلوم من الدين بالضرورة يُظهر حجم الأمور التي اتفقت فيها الأمــة؛ بحيث لا يستطيع أهل الزيغ والضلال إفساد دين المسلمين، ومن طالع حال الأمم الــسابقة مــن أهــل الكتاب وغيرهم، في اختلافهم في أصول دينهم العلمية والعملية علم النعمة العظيمة التي اختُصت بهــا هذه الأمة؛ حيث أجمع أئمة الدين على مئات من الأصول بله الفروع، بحيث لا يخالف فيها أحد مــن المسلمين، وممن خالف بعد العلم حُكِم عليه بما يقتضيه حاله من كفر أو ضلال وفسق.

[348] ـ انظر كتاب نظرة في الإجماع الأصولي، ص73، وما بعده،

الفائدة الثانية: العلمُ بالقضايا المجمع عليها من الأمة يعطي الثقة التامة بهذا الدين، ويؤلف قلوب المسلمين، ويسدّ الباب على المتقولين الذين يزعمون أن الأمة قد اختلفت في كل شيء؛ فيكف يجمعها أو يربطها رابط؟!

الفائدة الثالثة: أن السند الذي يقوم عليه الإجماع قد يكون ظنياً فيكون الإجماع عليه سبباً لرفع رتبة النص الظنية والحكم المستنبط منه إلى رتبة القطع؛ لأنه قد دلّ الإجماع على أنه لا خبر عن النبي ﷺ يخالف ما أجمعوا عليه.

الفائدة الرابعة : أنه قد يخفى النصّ الدالّ على حكم مسألة بعينها على بعض الناس ، ويُعلم الإجماع الذي قد تقرر أنه لا بد أن يستند إلى نص ، فيُكتفى به في النقل والاستدلال .

الفائدة الخامسة : تحتملُ النصوصُ في جملتها التأويلَ والتخصيصَ والتقييدَ والنسخَ وغيرَ ذلك ، فإذا كانت هي المرجعَ وحدها كَثُرَ الخلاف بين الأئمة المجتهدين الذين يستنبطون الأحكام منها ؛ لاختلاف المدارك والأفهام ، فإذا وُجد الإجماعُ على المراد من النص ارتفعت الاحتمالات السابقة ، واتقى المجتهدون بذلك متاعبَ الخلافِ والنظرِ والاستنباط .

الفائدة السادسة : التشنيع على المخالفين بالجُرأة على مخالفة الإجماع ، فيكون ذلك سبباً قوياً لزجرِ المخالف ؛ لئلا يتمادى في باطله بعد أن يعلم أن الأمة مجمعة على خلاف مقالته . قال ابن حزم رحمه الله : (مال أهلُ العلم إلى معرفة الإجماع ؛ ليعظّموا خلافَ من خالفه ، وليزجروه عن خلافه ، وكذلك مالوا إلى معرفةِ اختلاف الناس ؛ لتكذيب من لا يبالي بادعاء الإجماع جُرْأة على الكذب ، حيث الاختلاف موجود ، فيردعونه بإيراده عن اللجاج في كذبه) .

وقد يقفز أحد المخالفين فيقول قد يكون إجماع على خلاف الصواب ، أو يكون مخالفا للحديث ، فنقول له أما أن يكون إجماع مخالف للأصلين فهذا مستحيل عقلا وشرعا ، لأن الإجماع هو أصل ثالث بعد الكتاب والسنة ، ولا يبحث عن الإجماع إلا إذا لم يوجد نص صريح ، أما أن يجتمعوا على الخطإ أو مخالفة الصواب فهذا تكذيب للرسول ﷺ إذ يقول : لا تجتمع أمتي على الضلال ، وهذا يفرض علينا تخصيص فصل لهذا الحديث.

لا تجتمع أمتي على ضلالة

إن مما فضل الله به هذه الأمة ، وميزها به على سائر الأمم : أن إجماع علمائها على أمر من أمور دينها معصومٌ من الزلل والخطأ ؛ ليحفظ الله سبحانه بسبب إجماعهم الشريعة من كيد الكائدين ، وتحريف الضالين ، ولذا يقول صلى الله عليه وآله وسلم **[لا تجتمع أمتي على الضلال]** .

وفهم هذا الحديث والتصديق به يستلزم ثبوت حجية الإجماع ، والأدلة على ذلك سبقت في الفصل قبله ، وقد اتفق أهل العلم على أن الإجماع حجة شرعية يجب اتباعها والمصير إليها [[349]] .

قال ابنُ حزمٍ رحمه الله : (اتفقنا نحن وأكثر المخالفين لنا على أن الإجماع من علماء أهل الإسلام حجة ، وحجةٌ مقطوع بها في دين الله عز وجل) [[350]] . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (أما إجماع الأمة فهو حق ، لا تجتمع الأمة ولله الحمد على ضلالة) [[351]] . فقول ابن حزم هو شرح وتلميح إلى ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعبد الله بن مسعود وغيرهما من كبراء الصحابة الذين [لا يحصون] كثرة أنه [ﷺ] قال : ' **لا تجتمع أمتي على خطأ** ' وفي بعضها : ' **لا تجتمع أمتي على الضلال** ' ، وفي بعضها : ' **لم يكن الله ليجمع أمتي على الضلالة** ،. وفي بعضها : ' من سره أن يدخل الجنة فليلزم الجماعة ' . و« **إن أمتي لا تجتمع على ضلالة** »رواه ابن ماجه . « **لا يجمع الله أمتي على ضلالة أبدًا** » . رواه الحاكم في "مستدركه".

وقد أخرجه أبو نعيم والحاكم وابن منده عن ابن عمر مرفوعا بلفظ "**إن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة أبدا ، وإن يد اللّه مع الجماعة ، فاتبعوا السواد الأعظم ، فإنه من شذ شذ فى النار**"

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ : « **إن الله أجاركم من ثلاث خلال: لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعًا، وأن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق، وأن لا تجتمعوا على ضلالة** » .رواه أبو داود .

وعن أبي بصرة الغفاري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: « سألت الله أن لا يجمع أمتي على ضلالة فأعطانيها » ... الحديث. رواه: الإمام أحمد، والطبراني .

---

[349] - انظر : جماع العلم ، ص 51 ، ومجموع الفتاوى ، 341/11 ، هذا ، وقد خالف في حجية الإجماع من لا يُعتدُ بخلافه كبعض الخوارج وبعض الرافضة وبعض النظامية ، وهم أتباع النظام المعتزلي ، وقد نسب هذا القول إليه أيضاً ، قال في مسلم الثبوت ، 213/2 : (الإجماع حجة قطعاً عند الجميع ، ولا يعتدّ بشرذمةٍ من الخوارج والشيعةِ ؛ لأنهم حادثون بعد الاتفاق) .

[350] - الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ، 128/4 .

[351] - الفتاوى ، 176/19 .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: « **إن الله لا يجمع أمتي (أو قال: أمة محمد) على ضلالة، ويد الله على الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار** » .

رواه: الترمذي، والحاكم، وأبو نعيم في "الحلية". وقال الترمذي وأبو نعيم : "غريب "

فهل يعقل أن يزكي النبي ﷺ إجماع أمته الذي سيكون على ضلال ؟ إن هذا إذن مناقض للقرآن والسنة ، فإذا زكى النبي ﷺ إجماعهم على الضلالة فهذا من الخيانة ! كلا وحاشا أن يكون النبي ﷺ كذلك ،

فالأحاديث الواردة أعلاه تفيد أن العصمة ثابتة للأمة دون اشتراط عدد معين ، بل إنه علّق العصمة على الإجماع والاتفاق فقط .

فقد تبين لك بحمد الله حقيقة الإجماع ومرتبته ومكانته ، وأن الكاتب أراد هدم صرح الحديث ، فارتطمت ركبته بلبنة تسمى الإجماع ، فانكسرت ركبته وبقيت اللبنة صحيحة وبقى الصرح شامخا ، ولأن الإجماع على صدقية الحديث ورجاله ورواته ، وعلى أن كتاب البخاري أصح الكتب بعد كتاب الله ، فعلى هذا الإجماع خلفا عن سلف ، «ومن شذ شذ في النار »[352] وإذا كان الكاتب قد أقرَّ بمخالفته للمسلمين _علمائهم وعوامهم_ على مرِّ الزمان، في ألف عامٍ مضتْ، وأيامٍ خلتْ، فهل تراه على حقٍّ بعد ذلك، أم تراه قد خفي الصواب على جميعهم، وعَلِمَه هو؟؟

تبين لنا أن هذه الأسطورة حملت بذاتها باطلها، وتبين من عناصر تكوينها فسادها، وكان مجرد عرضها كافياً في الرد عليها.

[352] - حديث « **عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة ، ومن شذ شذ في النار** » رواه الترمذي برقم (2167) ، السنة لابن أبي عاصم برقم (80) .

عودا على بدء
لماذا البخاري ؟

نكرره ونشهره لأنه أشار إلى أننا _نحن المخالفين_ سوف نتسائل نفس السؤال ، فاختار أن يسبق الجواب ، لكنه أجاب عنه بما أراد أن يموه به على العامة ، ويدلس به الحقائق ،
أما الجواب الصادق والوصف المطابق فقد قدمناه وأجبنا عنه في الفصول الأولى قبل أن نقرأه وقبل أن نقف عليه ، ونحن نعيده هنا لنختم به ،
وبينا أن ذنب البخاري هو أنه محص الأحاديث ، واختبر الرجال ، وحفظ السنة ، وصنع للسنة حصنا منيعا ، وفنا بديعا ، ولاشك أن النبال والرماح تتجه كلها إلى حامل اللواء ، وقائد الجيش ، وهذا يعلمه كل دارس للسيرة والتاريخ ولفنون الحرب قديما ، لأن سقوط صاحب الراية سقوط لمن تحتها ،
على أن الجواب المختصر للسؤال (لماذا البخاري) قد بينه الفقيه الحجوي في كتابه إذيشير إلى النوايا السلبية الخفية لبعض المنتقدين بقوله : "ولعل ما أظهره الملاحدة من التأفف والتأسف على حديثي السحر والسم؛ ليس بمراد صح، وإنما يريدون تشكيكنا في سنة نبينا، وهدم أساس ديننا".
فالأمر واضح، .والهدف جلي. إنه التشكيك في الأصول.. وإنسان تمكن منه الشك سهل اختراقه.
فمن رفع البخاري على مقام الأنبياء أو حاول ؟ وقد كرر الكاتب تهمته الجائرة مرات عديدة ، فهلا أتى ببينة لادعائه ، أو دليل لتهمته !
وقد سايرنا الكاتب في صفحاته ، ودخلنا معه بين سطوره ، فوقفنا عند كل جمله وكلماته ، وبينا القول الفصل ، والإدعاء الهزل ، في تدوين الحديث وسبب أو عذر من منعها من الصحابة ، كما عرجنا على لئيم الفصول الذي ادعى فيه أن الحديث كان سببا في هجر القرآن ... الخ ،
أما دعوى (رفعه إلى مقام الأنبياء أو أكثر ص74) فهي دليل آخر على أن الكاتب لم يتخذ نهجا ولم يلتزم أدبا ولم يرد صدقا ، وأنت تقرأ كلماته المبعثرة تحس وكأنك تسمع بعض خصومات العجائز في القرى ، حيث تغيب كل المبادئ والقوانين لتحل محلها حب الغلبة والإستعلاء ، وإفحام الخصم .. ويسيطر مبدأ الرد البديع والشتم البليغ بالكذب والبهتان واللعب على الأعصاب ،
إن البخاري لم يحط بسياج كهربائي كما ادعيت ، فالكهرباء في النهاية صنع بشري ، وآلة صغيرة تستطيع إلغاء مفعوله ، وإبعاد خطره ، ولو كان البخاري كذلك لصدأت أسلاكه ولاقتحمت حصونه ، وهدمت أسواره ، لكن له حصنا لا يعلى ، وجدارا لا ينقب ولا يظهر ، إنه بحق عبقرية لا يجود بمثلها الزمان إلا مرة.

وعدم استطاعتكم ومن قبلكم النيل من مجرد شخص كالبخاري ، دليل صارخ وبرهان شامخ _لو كنتم تعقلون_ على أن ما وراء البخاري أقوى وأشد ،

وعلى الرغم من كل قفزاتكم ونحباتكم فتقدير الأمة للبخاري وصحيحه لن يتزعزع وعقولنا لأباطيلكم لن تخنع ، بل يزداد يقيننا ويقوى إيماننا ، وأنتم ستبقون في غيكم تعمهون وفي ريبكم تترددون. ولن تنالوا من ذلك كله نقيرا ولا قطميرا ...وكفاكم استخفافا بعقول الناس وتسفيها لأحلامهم. .فإن صحيح الإمام البخاري تلقته الأمة بالقبول والإجماع. ونقلته بتواتر وإجماع ومن شذ عن الإجماع دخل حومة الرعاع. والله غالب على أمره.

فهذه صفحات جمعتها على عجالة ، أقدمها لكل قارئ متبصر ذي عقل مستنير ، دحضا للشبهة ودرءا للفتنة التي كاد يتسبب بها ، ليكون القارئ وطالب العلم والمسلم بصفة عامة على بينة من أمره ، وليعرف ما يحاك حول دينه ،

والحمد لله فإن الشبهات والطعون التي أثارها في كتابه قد رد عليها العلماء المحققون وفندوها قبل أن يبدأ الكاتب في وضع صفحاته وتسطير أساطيره ، بل قبل أن يقوم أساتذته وسلفه في ذلك .

وما ذاك مني بل من الله وحده / بفتحٍ وإمدادٍ وفضلٍ ونعمةِ

فإن أك فيها مخطئاً أو مغالطا / فمن ذات نفسي كل خطئي وغلطتي

أتوب إلى الرحمن من كل خطأةٍ / وأستغفر الرحمن لي ولإخوتي

وأسأله جلَّ اسمه بصفاته / وأسمائه الحسنى قبول كليمتي

ختاما

(لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)

ردا على مساعي الكاتب ومن في خندقه من أن النقد والإجتهاد حق لكل واحد في كل عصر أختم بهذا الفصل ، لأبين أن صلاح واستقامة الدين والدنيا، لا يكون بنبذ التراث ثم الاحتكام إلى العقل والمنطق) فالعقل السليم لا يخالف ولا يرد ما في هذه الكتب وحتى إن قبلنا بدعوته للإحتكام للعقل ، فإن العقـــول متنوعة ، وأي عقل هذا الذي يتحاكم إليه؟ فإن عقول الناس وفهومهم مختلفة متفاوتة !

إن طريق الخلاص وعنوان السعادة هو في التمسك بكتاب الله تعالى ، ذلك (الكتاب العزيـــز الـــذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وكذلك التمسك بالسنة المطهـــرة الثابتـــة عن رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، فإنهما أي الكتاب والسنة هما المصدران الوحيدان لعقيدة الإسلام وشريعته . فأي منهج جانب هذا الطريق فإنـــه مـــنهج خاســـر ، فالتمسك بالسنة هو سبيل المؤمنين ، وطريق الوصول إلى مرضاة رب العالمين ، والحصن الحصين ، وهذا هو المنهج الذي يحفظ الله به الأمة من بدع المبتدعين وانتحال المبطلـــين ، وتأويـــل الجـــاهلين وتحريف الغالين . وهو الطريق الذي صلحت به أحوال الأمة في صدر الإسلام ،

ولا فلاح لنا ولا نجاح إلا بالرجوع إليه .، ولذا يقول إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رحمه الله : (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها) ، وما صلح به أولها هو العمـــل بكتـــاب الله وســـنة رسوله ﷺ ومما ينبغي على المسلم في هذا الجانب أن يكون العمل بالكتاب والـــسنة مقيـــدًا بفهـــم السلف الصالح ومنهجهم لقول الله تعالى : { وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْـــرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } (النساء 115) . ولقول النبي ﷺ خيـــركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، فقد شهد لهم بالخيرية والإصطفاء وما أجمعوا عليه لا يمكن أن يكون خطئا وضلالا ، والإمام البخاري وجميع الرجال شملتهم هذه الخيرية لكونهم من تلك القرون.

فاتباع سبيل المؤمنين وهم الصحابة وأتباعهم من الأئمة المهديين بإحسان هو سبيل النجاة نسأله تعالى أن يوفق الأمة الإسلامية للتمسك بكتاب ربها وسنة نبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم واتباع سبيل المؤمنين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أهم المصادر والمراجــع

القرآن الكريم
صحيح البخاري / مع شروح : فتح الباري وابن بطال والحويني
صحيح مسلم / مع شرح النووي / والسيو في (الديباج)
كتب السنة الأخرى / مع شروحها
تقييد العلم / و الكفاية في علم الرواية - للخطيب البغدادي
المحدث الفاصل – للرامهرمزي
مجموع الفتاوى / ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية
الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم
جامع بيان العلم وفضله / والإستذكار لابن عبد البر
مجموعة بحوث للباحث في القرآن والسنة للشيخ علي بن نايف الشحود
كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها للمؤلف : عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى
رد شبهات حول عصمة النبى فى ضوء السنة النبوية الشريفة / عماد السيد .الشربينى
شبهات القرآنيين حول السنة النبوية- للمؤلف : أ.د. محمود محمد مزروعة
المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام / الشحود
شبهات القرآنيين _ : عثمان بن معلم محمود بن شيخ علي
الأنوار الكاشفة للمؤلف : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي
رؤية النبي ص لربه المؤلف : محمد بن خليفة بن علي التميمي
دفاع عن الحديث النبوي والسيرة : محمد ناصر الدين الألباني
معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة / للجيزاني
أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / للشنقيطي
((الرسالة المحمدية)) السيد سليمان الندوي
سير أعلام النبلاء للذهبي
بيع الوهم /يوسف سمرين
خلق أفعال العباد - البخاري
مقدمة ابن الصلاح
الموفقات للشا طبي
الشبكة الإسلامية
مجلة البيان / و الراصد
الكتاب والقرآن قراءة معاصرة- لمحمد شحرور
بحوث للأساتذة : عبد الله بن سعيد بن علي الشهري / أحمد كمال الدين عبد الجواد
مقالات في الموضوع للدكتور رستم
مقال للدكتور : عبدالرحمن بن عبدالخالق
مقال لشيخنا : محمد العمراوي
مقالات لكل من : الأستاذ الكنبوري /أحمد السرار / رضوان نافع /خالد السبع العلمي

صفعة إذلال لترهات أيلال

الفهرس

الباب الثاني : شبهات وطعون حول البخاري وكتابه الصحيح

الباب الثالث: شبهاته حول الرسول ﷺ وصحابته 102

الباب الرابع: شبهاته حول السنة والحديث إجمالا 151

الباب الخامس: شبهاته حول بعض الأحاديث

الباب السادس: فصول وشبهات حول القرآن

فصول حول الإجماع